المجلد الثاني عشر		الجزء ١ و ٢

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة سنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني ـ شباط

١٩٣٢

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي الدفع مقدماً { في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل	٥٠٠	من السنة الاولى الى الرابعة	كل سنة منها
»	٣٠٠	» الخامسة الى العاشرة	» »
في الخارج	٦٠٠	» الاولى الى الرابعة	» »
»	٣٥٠	» الخامسة الى العاشرة	» »

اعضاء المجمع العلمي

« في سنة ١٩٣١ »

الرئيس : السيد محمد كرد علي

« الاعضاء »

	السادة	محل الاقامة
١	الدكتور اسعد الحكيم	دمشق
٢	الشيخ محمد بهجة البيطار	〃
٣	السيد جميل العظم	〃
٤	السيد خليل مردم بك	〃
٥	السيد رشيد بقدونس	〃
٦	السيد سليم الجندي	〃
٧	السيد سليم عنحوري	〃
٨	السيد شفيق جبري	〃
٩	السيد عارف النكدي	〃
١٠	الشيخ عبد القادر المبارك	〃
١١	الشيخ عبد القادر المغربي	〃
١٢	السيد عبد الله رعد	〃
١٣	السيد عز الدين التنوخي	〃
١٤	السيد فارس الخوري	〃
١٥	الدكتور مرشد خاطر	〃
١٦	السيد معروف الارناؤط	〃
١٧	الامير مصطفى الشهابي	〃
١٨	الشيخ ابراهيم منذر	بيروت

« الاعضاء »

	السادة	محل الاقامة
١٩	السيد امين الريحاني	بيروت
٢٠	السيد بولس الخولي	〃
٢١	الشيخ عبد الرحمن سلام	〃
٢٢	السيد عمر فاخوري	〃
٢٣	الدكتور فيليب حتي	〃
٢٤	الفيكونت فيليب دي طرازي	〃
٢٥	الشيخ مصطفى الغلاييني	〃
٢٦	الدكتور نقولا فياض	〃
٢٧	السيد عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
٢٨	الشيخ احمد رضا	النبطية
٢٩	الشيخ سليمان ظاهر	〃
٣٠	السيد جرجي يني	طرابلس الشام
٣١	الشيخ سليمان احمد	اللاذقية
٣٢	السيد ادوارد مرقص	〃
٣٣	الشيخ محمد زين العابدين	انطاكية
٣٤	الشيخ بدر الدين النعساني	حلب
٣٥	السيد جبرائيل رباط	〃
٣٦	الشيخ راغب الطباخ	〃

« الاعضاء »

السادة	محل الاقامة
٣٧ الشيخ عبدالحميد الجابري	حلب
٣٨ السيد عبدالحميد الكيالي	〃
٣٩ السيد قسطاكي الحمصي	〃
٤٠ الشيخ كامل الغزي	〃
٤١ السيد ميخائيل الصقال	〃
٤٢ السيد اسعاف النشاشيبي	القدس
٤٣ الشيخ خليل الخالدي	〃
٤٤ السيد عبدالله مخلص	حيفا
٤٥ الشيخ سعيد الكرمي	طولكرم
٤٦ الشيخ رضا الشبيبي	النجف الاشرف
٤٧ الدكتور امين المعلوف	بغداد
٤٨ الاب انستاس الكرملي	〃
٤٩ السيد جميل صدقي الزهاوي	〃
٥٠ السيد كاظم الدجيلي	〃
٥١ الشيخ محمد بهجة الاثري	〃
٥٢ السيد معروف الرصافي	〃
٥٣ الشيخ احمد الاسكندري	القاهرة
٥٤ السيد احمد امين	〃
٥٥ السيد احمد حسن الزيات	〃
٥٦ احمد زكي باشا	〃
٥٧ احمد شوقي بك	〃
٥٨ الدكتور احمد عيسى	〃
٥٩ احمد لطفي بك السيد	〃
٦٠ السيد اسعد خليل داغر	القاهرة
٦١ حافظ ابراهيم بك	〃
٦٢ السيد خيرالدين الزركلي	〃
٦٣ خليل بك مطران	〃
٦٤ داود بك بركات	〃
٦٥ السيد عباس محمود العقاد	〃
٦٦ السيد عبد العزيز البشري	〃
٦٧ الشيخ محمد الخضر حسين	〃
٦٨ الشيخ محمد رشيد رضا	〃
٦٩ محمد لطفي بك جمعة	〃
٧٠ الشيخ مصطفى عبد الرازق	〃
٧١ السيد مصطفى صادق الرافعي	طنطا
٧٢ السيد زكي مغامز	الاستانة
٧٣ السيد حسن حسني عبدالوهاب	تونس
٧٤ السيد عبدالحي الكتاني	فاس
٧٥ السيد محمد الحجوي	رباط الفتح
٧٦ الامير شكيب أرسلان	جنيف
٧٧ السيد عبدالعزيز الميمني الراجكوتي	عليكرة (الهند)
٧٨ السيد عبدالحق	حيدرآباد الدكن 〃
٧٩ السيد عبدالرحمن	دلهي 〃
٨٠ الشيخ ابو عبدالله الزنجاني	فارس
٨١ السيد عباس اقبال	〃
٨٢ الدكتور سعيد ابوجمرة	برازيل

« الاعضاء »

السادة		محل الاقامة
٨٣ السيد مارسيه	Marçais	تونس
٨٤ 〃 ماسه	Massé	الجزائر
٨٥ 〃 كي	Guy	فاس
٨٦ 〃 فرّان	Ferrand	باريز
٨٧ 〃 دوسو	Dussaud	〃
٨٨ 〃 ماسينيون	Massignon	〃
٨٩ 〃 بوفا	Bouvat	〃
٩٠ 〃 كولان	Colin	〃
٩١ 〃 جويدي	Guidi	ايطاليا
٩٢ 〃 نلينو	Nallino	〃
٩٣ الاب آسين	Asin	اسبانيا
٩٤ السيد لوبس	Lopès	البرتقال
٩٥ 〃 مونته	Montet	سويسرا
٩٦ 〃 هيس	Hess	〃
٩٧ 〃 سنوك هورغرنيه	Snouck-Hurgronje	هولاندة
٩٨ 〃 هوتسما	Houtsma	〃
٩٩ 〃 ارانددونك	Arendonk	〃
١٠٠ 〃 مرجليوث	Margoliouth	انكلترا
١٠١ 〃 بفن	Bevan	〃
١٠٢ 〃 كرنكو	Krinkow	〃
١٠٣ 〃 هومل	Hommel	المانيا
١٠٤ 〃 بروكلمن	Brockelmann	〃
١٠٥ 〃 هرزفلد	Herzfeld	〃

« الاعضاء »

السادة		محل الاقامة
١٠٦ السيد هارتمان	Hartmann	المانيا
١٠٧ « ميتفوخ	Mĭttwoch	«
١٠٨ « ستِرستين	Zetterstéen	السويد
١٠٩ « اوستروب	Œustrup	الدانيمارك
١١٠ « بول	Buhl	«
١١١ « پدرسن	Pedersen	«
١١٢ « موجيك	Mzik	النمسا
١١٣ « ماهلر	Mahler	المجر
١١٤ « كوفالسكي	Kowalski	بولونيا
١١٥ « كراتشقوفسكي	Kratchkovsky	روسيا
١١٦ « موزل	Musil	تشكيوسلوفاكيا
١١٧ « ماكدونالد	Macdonald	اميركا
١١٨ « كرسيكو	Karsikko	فنلاندا

اعضاء المجمع الراحلون

١ الشيخ طاهر الجزائري (دمشق)
٢ السيد نخلة زربق (القدس)
٣ » اغناطيوس غولدصهير (بودابست)
٤ » مرتين هارتمان (برلين)
٥ » رينه باسه (الجزائر)
٦ احمد كمال باشا (القاهرة)
٧ السيد مصطفى لطفي المنفلوطي »
٨ الدكتور يعقوب صروف »
٩ السيد ارجنيو غريفيني »
١٠ » رفيق العظم »
١١ » محمود شكري الالوسي (بغداد)
١٢ » حسن بيهم (بيروت)
١٣ الاب لويس شيخو »
١٤ الدكتور صالح قنباز (حماة)
١٥ السيد مالنجو (دمشق)
١٦ » الياس القدسي »
١٧ السيد براون (كمبريدج)
١٨ » كليمان هوار (باريز)
١٩ الاب جرجس شلحت (حلب)
٢٠ الحكيم محمد اجمل خان (الهند)
٢١ الشيخ سليم البخاري (دمشق)
٢٢ » محمد بن ابي شنب (الجزائر)
٢٣ » عبدالله البستاني (بيروت)
٢٤ السيد جبر ضومط »
٢٥ الشيخ مسعود الكواكبي (دمشق)
٢٦ احمد تيمور باشا (القاهرة)
٢٧ السيد ميشو بللير (طنجة)
٢٨ » عبدالباسط فتح الله (بيروت)
٢٩ المنسنيور جرجس منش (حلب)
٣٠ السيد ساخاو (برلين)
٣١ » هوروفيتز (فرنكفورت)
٣٢ » انيس سلوم (دمشق)

الكوكائين (1)

—«×»—

تكلمت في محاضراتي السابقة عن المسكرات الغولية ومضارها الجسمية والنفسية والاجتماعية · وقد يظن بان الاسكار خاص بالمشروبات الغولية فقط ، فاذا قيل فلان سكران يفهم من ذلك انه ثمل من تعاطي الخمرة اوالغول، بينما السكر حالة نفسية مرضية ارادية تنشأ عن مؤثرات وعوامل كثيرة من جملتها المشروبات الغولية · ولعل السبب في تخصيص السكر عرفا بالخمر والغول ناشيء عن كون الخمر أقدم العناصر المسكرة التي عرفها الانسان وسكر بها ، ولان العناصر الاخرى حديثة العهد بالاستعمال بالنسبة اليها ، فمن الخطإ والحالة هذه تخصيص السكر بالخمر والغول لا سيما وان الخمر في اللغة ما خامر العقل ، وفي الحديث كل مسكر خمر · وان العلة التي بها عدت الخمر مسكراً وهي الاسكار قائمة بعينها في غيرها من المواد الكيماوية والنباتية ، فسبيل هذه المواد والحالة هذه سبيل الخمر في الحكم في الدليل الواضح والقياس الصحيح ·

وقد اهتدى الانسان بسائق المصادفة قديماً وبفضل العلم حديثاً الى مواد كثيرة مسكرة لاتختلف من حيث تأثيرها على العقل عن الغول · وولع بها وتغنى بمدحها · اهمها الأفيون وعناصره والقنب او الحشيش والكوكايين الذي هو غرض هذه المحاضرة ونبدأ بدرسه لصلته بالغول من حيث المصدر والعدوى فأقول :

« الكوكا »

في اميركا الجنوبية (في البيرو) مملكة الذهب والفضة الغنية ، في تلك الجبال

---

(1) محاضرة للاستاذ الدكتور اسعد بك الحكيم القاها في المجمع العلمي في ٤ حزيران سنة ١٩٣١ ·

الشاهقة المطلة على البحر الهادي ، ينبت شجر صغير يدعى الكوكا ذو أوراق خضراء قاتمة اللون رقيقة متينة بيضية الشكل ذات تعرّق خاص ورائحة عطرية خفيفة وطعم مرّ ، وكأن الطبيعة التي حرمت سكان تلك الاصقاع الاصليين سعادة الحضارة والمدنية فباتوا في ظلمات من الجهل قبائل متوحشة يغزو بعضهم بعضاً عرضةً للقرّ والحرّ والعطش والجوع ومشاق الغزو والحروب المستمرة ، كأن الطبيعة التي قضت عليهم بهذا الحرمان المؤلم لم تشأ الا ان تخفف من آلامهم فأودعت ورق تلك الشجرة المباركة شجرة الكوكا ، والكوكا في لغتهم معناها الشجرة خاصة من شأنها اذا مضغ الورق ان تبطل حس العطش والجوع والتعب مدة طويلة مما حمل الانكاسيين وهم سكان بيرو الاصليين على الاعتقاد بان هذه الخاصة منحة أنزلت عليهم من السماء وان شجرة الكوكا مقدسة مباركة طيبة تجب حرمتها ورعايتها فجعلوا زهرتها رمزاً تحلى به رؤوس أسرتهم المالكة وورقها لازماً من لوازم حياتهم يصطحبونه في اقامتهم ورحلاتهم كما تلازم علبة الدخان جيب المدخنين في العصر الحاضر . فيضعونه في جراب من الجلد يسمونه الشوسبا يعلقونه على جوانبهم . اما المضغة فهي معجون من رماد الكوكا ومسحوق بعض الأصداف يقيمونه في قرعة مجوفة جافة تسمى بالبوبورو وهي مباركة في عرفهم يعلقونها على جوانبهم مع الشوسبا ، وبالنظر لما للخبل من الاعزاز الشديد عند الانكاسيين لاحتياجهم اليها في الاسفار والحروب فهم لا يضنون عليها بورق الكوكا فيشد في عضدها ويساعدها على تحمل المشاق كما يساعد الرجال على تحمل اعباء المعارك الطويلة وشدائدها .

هكذا كان حال الانسان الهمجي مع الكوكا في ذلك العهد الغابر ، اما بعد الفتح والاستيلاء فقد اخذ ذلك العنصر الاصلي بالانقراض يسعى العنصر المدني الفاتح الذي حل محله فجمل من تلك الجبال الخاوية مناجم تنبت الذهب والفضة ومد يده الى الكوكا فاستهوته خمرتها وأعجبته نشوتها فعني بزراعتها وصناعتها فكانت له منها ثروة عظمى وتجارة لا تبور .

بيد ان هذه الشجرة المباركة التي كانت عوناً للانسان الانكامي على تحمل المشاق والشدائد وآلام الجوع والعطش لم تلبث ان انقلبت في عهد الانسان المدني الفاتح خمرة تلعب بالعقول وتعبث بالاجسام تستهوي النفوس وتعيث بالابدان تثير الشهوة وتخمد النخوة تشعشع كالبرق في الظلمات فتبصرها العيون الضالة فتسير اليها ، وتلمع كالسراب في

الفلوات فتخطفها القلوب الظمآنة فتتهافت عليها فتخطف تلك بنورها وتحرق هذه بنارها ، فكأنها وقد أغضبها عبث الفاتح بحرمتها لم تشأ الا ان تثأر لمقدسها . فياله من ثأر تبدد فيه العقول وتفلج الأعضاء وتسلب فيه الأموال وتثلم الأعراض . ثأر مؤلم تضاهي فيه ضحايا الكوكايين قتلى الفاتح من الانكاسيين بل هو أشد وانكى . وها نحن نقص عليكم كلمة العلم الحاضر في الكوكا والكوكايين وفي هذه الكلمة ذكرى وعبرة .

« تأثير الكوكا الفسيولوجي »

ظن الاطباء بادئ بدء ان في ورق الكوكا مادة غذائية وذلك لابطالها حس العطش والجوع والتعب فأخذوا يستعملونها في الحالات المرضية التي تترافق بالضعف والوهن وسوء التغذية ، وصنفوها مع الادوية المقوية يصفونهـا بصورة خلاصة او صبغ او ممزوجة مع الخمر او الغول ، غير ان هذه العقيدة لم تلبث حتى ظهر فسادها فقد تبين ان منع الكوكا الجوع والعطش ليس ناشئاً عن كونها مغذية بل لانهـا مخدرة مبطلة للحس ، وذلك لان التجارب أثبتت ان الحيوانات التي تمنع من المواد المغذية وتعطى الكوكا فقط تموت في الزمن نفسه الذي تهلك فيه الحيوانات التي لا تعطى الكوكا ، وتبين ايضاً ان النشاط العضلي الذي يشعر به المرء عند مضغ ورق الكوكا ليس منبعثاً عن حرارة غذائية بل عن خاصة في الكوكا هي ان القليل منها يحدث اثارة في الجهاز العصبي المركزي وفي العضلات فيستتر هذا النشاط الصنعي التعب مدة ، ويفسح للمرء مجالاً الى اتمام العمل الشاق دون ان يشعر بالتعب ولكن هذا التعب لابد له من الوقوع عقب انتهاء تأثير الكوكا في الجسم .

« الكوكايين »

تاريخ اكتشافه — وقد ظل ورق الكوكا مستعملاً في الطب كعلاج منبه بالكيفيات الآنفة الذكر حتى منتصف القرن التاسع عشر حيث توصل الكيماوي الالماني (Niemann) نيمان سنة ١٨٥٩ الى اكتشاف العامل المؤثر الموجود في ورق الكوكا وسماه الكوكايين .

وقد كان لهذا الاكتشاف الخطير أهمية كبرى في عالم الطب لا سيما في الجراحة وأمراض العيون والحلق والحنجرة ، لما سهل لها من الأعمال التي كانت ممتنعة عليها قبل هذا الاكتشاف الذي بقيت فيه ضالة منشودة منذ العصور القديمة وهي التخدير الموضعي .

فتهافت عليه الاطباء والجراحون يطرون منافعه و يستنكرون مضاره يصفونه لمرضاهم باسراف يسكنون به آلامهم ويبطلون بفعله حواسهم ولم يكن ليخطر لاحدهم على بال بان هذا البلسم النافع الكريم سيكون بعد حين لصاً خائناً يتسرب الى عقل لامسه فيسرقه والى جسمه فيضنيه والى أخلاقه فيفسدها ٠

صفاته الطبيعية — ماهو الكوكايين ؟ الكوكايين مسحوق ناعم أبيض قليل الذوبان في الماء ولذلك لايستعمل في حالته الطبيعية ، بل يستعمل بصورة كلورمائية الكوكايين ، وهو مسحوق ابيض مؤلف من بلورات لطيفة شديدة الذوبان في الماء ، وللكوكايين عملان مختلفان في الجسم احدهما موضعي والآخر عمومي ٠

تأثيره الموضعي — اما العمل الموضعي فان طلي البشرة ولا سيما الأغشية المخاطية بالكوكايين يحدث تخديراً في نهايات الاعصاب السطحية فيبطل فيها الحس ٠ ويقل ورود الدم اليها ، ويكون هذا الفعل شديداً بنسبة رقة الغشاء ووفرة عصبه ٠

العمل العمومي — ويتعدى الكوكايين هذا الحد من التأثير فيتسرب الى العصب الودي فيثيره فتتوسع الحدقة ، والى البصلة الدماغية حيث نقطة الحياة فيهدد صاحبه بالسكتة الصدرية والقلبية ، والى القشرة الدماغيـة حيث مراكز العقل وادراك الحس والحركات الارادية فيسمهـا فتعتري مدمنه الأوهام والتخيلات والعته والجنون ، وينساب الى موارد الأعصاب وألياف العضلات فيحدث فيها عندما تكون الكمية الممتصة قليلة نشاطاً وخفة فيتوقد الذهن وتنتبـه الحواس وتسكن الآلام وتنشط العضلات ، و يشعر المرء بحاجة للحركة وبمقدرة على العمل ، وتشتد الانعكاسات الوترية وتزداد ضربات القلب وتنقبض الأوعية ويرتفع الضغط الدموي وتتصاعد الحرارة ٠ اما اذا كانت الكمية كبيرة فان هذا النشاط يشتد لدرجة الاختلاج ثم لايلبث ان يعقبه الخدر والفالج وضياع الحس العمومي فتضطرب ضربات القلب وتتقطع وتفقـد نظامهـا ، ويعسر التنفس و يضعف وتزرق الاطراف ثم ينقطع النفس و يقف القلب فيقع الموت ٠

ومن هذه الكلمة الفسيولوجية يتبين لنا ان للكوكايين خاصتين مختلفتين : احداهما موضعية وهي تخدير نهايات الاعصاب السطحية وابطال الحس ٠ والثانيـة دماغية عضلية

عمومية وهي إثارة الدماغ في بادئ الامر ثم التخدير العمومي ·

استعماله في الطب — و بالنظر لما لهاتين الخاصتين من الأهمية الكبرى في الجراحة فقد لقي الكوكايين منذ اكتشافه رواجاً عظيماً في الطب الخارجي فاستعمل بادئ بدء مخدراً عاماً غير انه لم يلبث طويلاً حتى أعرض عنه الجراحون لامرين : احدهما حصول الاحتداد الشديد قبل دور الخدر · وثانيهما كون المقدار اللازم لابطال الحس العضلي العام يقرب من المقدار القتال · واكتفوا باستعماله مخدراً موضعياً في العمليات الجراحية التي لا تتطلب ابطال الحس العام ·

التسمم بالكوكايين — إن الكوكايين سم قاتل يبدأ فعله بالسكر وبالتخيلات البصرية والسمعية وبهذيان شديد العربدة وبالدوار ثم الرعشة والاختلاج الذي يعقبه هبوط القوى والخدر العمومي ثم الموت · وقد يؤثر الكوكايين فوراً على بصلة الدماغ حيث مراكز الحياة فيحدث السكتة القلبية فيصفر الوجه ويكمد ويغشاه العرق البارد ثم يقف القلب و يقع الموت ·

ويختلف المقدار الباعث للموت حسب كيفية اخذ الكوكايين و كميته وبنية الانسان فقد ذكر ان ولداً عمره ٤ سنوات أعطي فتيلة فيها ٠٫٢٥ من الكوكايين فمات وان مثل هذا الحادث وقع عندانسان تناول ٠٫٣٠ من الكوكايين وعندآخر عقب تخدير سن بحقن ٠٫٠٥ من الكوكايين في اللثة مما صرف الاطباء عن استعماله الى غيره من المخدرات الموضعية التي لها ماللكوكايين من الفعل بينا أضرارها في الجسم أخف بكثير ·

كيفية استعماله — اما كيفية استعمال الكوكايين في الطب الخارجي فمختلفة فهو يستعمل طلياً وتقطيراً وحقناً تحت الجلد ·

اما طريقة الطلي فتستعمل في بعض أمراض الجلد وفي أمراض الاذن والأنف والحنجرة والفم · واما طريقة التقطير فيلجأ اليها في أمراض العين وعملياتها الجراحية ·

طريقة حقنه تحت الجلد — هذا وبما ان البشرة الصحيحة السالمة تمنع الكوكايين اذا طليت به من التسرب لما تحتها من النسج فيظل حساساً — اضطر الجراحون لابطال الحس في الطبقات الجلدية العميقة الى إدخال الكوكايين اليها بطريقة الحقن تحت الجلد ·

استعماله في الطب الداخلي — اما استعمال الكوكايين في الطب الداخلي فيرجع تاريخه الى زمن اكتشافه ، فقد اخذ الاطباء في أواخر القرن الماضي يصفون الكوكايين لمرضاهم في حل الآفات المؤلمة وحالات الخمول العصبي جاهلين مايخبئه هذا الافعى من السم الناقع تحت طيات ملامسه الناعمة وما هي الا سنون قليلة حتى ظهر للاطباء والجراحين خطر استعمال الكوكايين ومضاره العقلية فأعرضوا عنه لان كثيراً من المرضى الذين كان يوصف لهم الكوكايين بمقادير قليلة لتسكين آلامهم اخذوا يعتادون استعماله فيكررون تناوله مرات متعددة في اليوم حتى اذا أدمنوه تمكن من نفوسهم وتعذر عليهم تركه وأصبح من لوازم حياتهم فتظهر عليهم ثمة علائم التسمم المزمن اوالكوكائينية التي انتشرت خاصة عام ١٨٧٨ عندما قام (Bentley) بمداواة المورفينية بالكوكايين وراجت طريقته هذه لا سيما في انكلترا واميركا ولكنها لم تلبث طويلاً حتى ظهر فسادها فأهملت بتاتاً وذلك لان المبتلين بالمورفين الذين عولجوا بالكوكايين الفوا استعمال هذا السم ايضاً دون ان يتركوا المورفين فأصيبوا بالدائين معاً ·

الكوكائينية — واول من وصف التسمم الكوكائيني المزمن اوالكوكائينية (Shaw) طبيب مستشفى سان لويس في لويزيان من الممالك المتحدة سنة ١٨٥٩ ثم في سنة ١٨٨٦ نشر (Erlenmeyer) بحثاً ممتعاً جمع فيه كثيراً من المشاهدات والاسانيد العلمية في الاختلالات النفسية الناتجة عن الكوكايين وفي سنة ١٨٨٩ عرض مانيان ومعاونه سوري على جمعية العلوم الحيوية بياناً مسهباً استقصيا فيه وصف جميع الاعراض النفسية التي تنتج عن استعمال الكوكايين المزمن مؤيدين آراءهما بالمشاهدات الكثيرة والتجارب العلمية الصادقة فأقر المجمع هذا البيان وعده حقيقة علمية لاتقبل الريب ولا الجدل ·

ومما تقدم ذكره يتضح لنا ان استعمال الكوكايين حتى أواخر القرن التاسع عشر كان منحصراً بالطب والصيدلة وان التسمم الكوكاييني المزمن كان فردياً عرضياً ولم يكن اجتماعياً ارادياً · وان التجارب والمشاهدات اطلعت الاطباء على ما كانوا يجهلونه من فعل الكوكايين وعلى مضاره النفسية فأخذوا يحددون منطقة استعماله و يحذرون مرضاهم اعتياده · ولكن ما الحيلة وقد سبق السيف العذل · فان النفوس التي كانت تستعمل الكوكايين

لاخماد آلامها الثائرة اخذت تلجأ اليه لإثارة شهواتها وغرائزها الخامدة تخرج الكوكايين من الصيدلية الى الحانة ومن مخدر الى مسكر ومن يد الاطباء الى تجار النفوس والاعراض ، وما بزغت شمس سنة ١٩١٤ على العالم الا والكوكايين يظلل بسلطانه عواصم الامم المتمدنة ويعلن على البشرية حرباً ضروساً لوانها استمرت لأربت ضحاياها على ضحايا الحرب العالمية الكبرى بكثير ٠

قال الدكتور (Maier) ماير : أستاذ سريريات الطب النفسي في زوريخ في كتابه الكوكائينية ، المطبوع عام ١٩٢٦ ان التسمم المزمن بالكوكايين قد ازداد في السنين الاخيرة زيادة عظيمة ، فما من مملكة متمدنة الا وقد شملتها أضراره ، وقد شاهدت سويسرة هذا الوباء الاجتماعي يتأصل في تربتها في الحرب العالمية الاخيرة ويملأ بضحاياه دور الأمراض النفسية ٠

وقال كورتوا سوفيت وجيرو (R. Giroux و Courtois - Suffit) في وصفهما تجارة الكوكو في حانات مونمارتر في باريز ما نصه :

« في سنة ١٩١٤ يكفي المرء ان يدخل احدى هذه الحانات في الساعة المسماة ساعة المشهيات ليشاهد فريقاً من النساء المبتليات رواد هذه المواطن يضطربن ويتململن ثم يذهبن زمراً مؤلفة من اثنتين او ثلاثة الى المغاسل حيث يتعاطين شم الكوكايين ولا يلبثن حتى يخرجن منها براقات الاعين ، على ان الشائع هو عدم التستر ، فكثيراً ماتكون العلبة المعمولة من الكرتون او من المعادن كالفضة اوالذهب معروضة على (الطاولة) منضدة مقاهي الرقص وعليها مغرفتها الصغيرة التي تكال بها كمية الشمة ٠

اما بين الساعة الخامسة والتاسعة مساء فان تجارة الكوكو تروج في الغالب في مقاهي الطرب وفي المطاعم ٠ وتحتدم سوق هذه التجارة بعد الساعة الواحدة من نصف الليل لاسيما في الرابعة والخامسة صباحاً في المؤسسات الليلية ، فهي ساعات عرض السم بالمزاد العلني ساعات بيعه بابخس الأثمان وقد استمرت هذه الحالة المؤلمة حتى صدور قانون سنة ١٩١٦ فاستترت ثمة تجارة الكوكايين ولكنها لم تفقد تأثيرها في الخفاء فانه يوجد محلات ملاقاة خاصة يجتمع فيها مدمنو الكوكايين مع تجاره لتناول هذا السم الزعاف ٠

اما في البلاد العربية فقد شاع استعمال الكوكايين في بدء الحرب العامة في مصر

بسرعة غريبة حتى بات خطره يهدد أبناء ذلك القطر الشقيق باشد الآفات واسوإ العواقب ، وانتقلت العدوى الى سورية بعد الحرب العامة فدخلها الكوكايين فاتحاً مع جيوش الاحتلال محمولاً على أنامل عشاقه الغيد الحسان من الراقصات الغربيات يغرين به روادهن حتى ان منهن من جعلته مهراً لوصالهن ونجوى يتقرب به اليهن ، ولا غرو فهو المحبوب الممنوع عزيز مطلبه ، صعب مناله ، غال وصاله ، محرق هجره ، مميت منعه ۰ ولولا صرامة في القانون وقساوة في تطبيقه وتوقف دخول الراقصات الفرنسيات البلاد السورية وضعف الوراثة السكيرة عند السوريين وفداحة ثمن الكوكايين لانتشر داؤه فيهم انتشاراً مريعاً لا تحمد عقباه ۰

أسباب انتشاره — اما الاسباب الداعية لانتشار الكوكايين فكثيرة أهمها :

(اولاً) الاستعمال الطبي — وهذا بطل في أوائل القرن الحاضر ولم يعد له من قيمة فعلية ۰

(ثانياً) العدوى الاخلاقية — وتفعل هذه في الغالب في الفريق المتخنث محب الحشمة (اي الموضة) والظهور والتقليد الفاسد وفي ذوي السذاجة العقلية التي تدفع صاحبها الى تحبيذ كل ماهو رائج ولذلك نشاهد الكوكائينية منتشرة في الغالب في الغرب عند النساء ، وبعكس ذلك في الشرق لما في نفس الضعيف من حب التقليد والسلوك مسلك القوي ۰

(ثالثاً) الوراثة — الوراثة أيها السادة أقوى العوامل على انتشار السموم النفسية في الامم وقد أوضحنا هذه الحقيقة في المحاضرة السابقة عندما شاهدنا ابن السكير يولد مستعداً لتعاطي المسكر كما ان ابن المدخن يولد مستعداً للتدخين ۰ وقد شاهدنا ان السوريين ضعيفو الاستعداد لادمان السموم النفسية لضعف هذه الوراثة فيهم وذلك لانهم حديثو العهد بالانغماس بالملذات وشرب المسكرات ، لاسيما وان أمهاتهم على الاطلاق نقيات بفضل العامل الديني والتربية الصالحة الموروثة ۰ ومن المؤلم ان فريقاً من الشابات اخذن يختلطن بالنساء الغربيات في أعيادهن وأفراحهن فيقدمن اليهن شيئاً من المشروبات السكرية الروحية المسماة بالمنعشة فيأخذنه مجاملة كي لا يرمين بالتعصب او بعبارة أوضح

كي يظهرن بمظهر المجددات على زعمهن جاهلات بان في عملهن هذا حطة أخلاقية واساءة لتقاليدهن • ودلالة على ضعف الجرأة الادبية فيهن ، لان بوسعهن رفض هذه الكأس باسم الصحة والعلم اذا لم يكن باسم المادة والدين فيبرهن بعملهن هذا على علم صحيح وارادة حرة يكتسبن بها إعجاب الغريبة وحرمتها •

(رابعاً) ومن العوامل على انتشار الكوكايين الاضطراب الروحي وعدم التوازن النفسي وفساد الميول والغرائز • في الناس أيها السادة فريق شاذ بميوله وشهواته لا يلذ له العيش ضمن الأوضاع الاجتماعية فيلجأ الى الملذات المرضية بواسطة السموم النفسية ليسكن بفعلها شهواته فيكون بعمله هذا كالمستجير من الرمضاء بالنار •

(خامساً) الحماقة وضعف الارادة وقابلية التلقين — وذلك لان صاحبها قريب المأخذ سريع الاغواء يستغله تجار الاعراض والمواد الممنوعة لمنافعهم فيمتدحون اليه بضاعتهم حتى اذا ذاق طعمها وقع في شركها وظل فيه الى ان يهلك ، ولهذا قيل : الادب يذهب عن العاقل السكر ويزيد الأحمق سكراً •

(سادساً) إثارة الحس الشهواني — وتلك من أعظم اسباب انتشار الكوكايين لاسيما في دور الفحش والبغاء • قال الاستاذ بروادرل : (يدخل المرء الكوكائينية من باب الملذات الشهوانية) غير ان هذه الاثارة موقوتة لا تطول كثيراً حتى يعقبها الاسترخاء والعقم •

(سابعاً) ومن الاسباب المروجة استعمال الكوكايين كيفية اخذه وسهولة تناوله واستصحابه ، فهو لا يتطلب زجاجة ولا قدحاً ولا يشكل حجماً ولا وزناً ولا يحتاج صاحبه لحقنة يعقمها وابرة يوخز بها جلده ، بل جل ما يتطلبه علبة صغيرة لا تمجها الجيب ولا تستثقلها وقد يستغني عن العلبة ويعتاض عنها بقصاصة ورق صغيرة يصر بها هذا المسكر العجيب الذي لا يدخل الجسم من باب الذوق بل بواسطة الشم والحقن ، فيستعطه المرء على مرأى من الناس دون ان يستنكر احد فعلته وما هي الا دقائق معدودات حتى يشعر بدبيبه يدب الى نفسه فيطربها والى موضع الامنرار فيهتكها •

* * *

« السكر الكوكاييني »

تأثيره لاول مرة — ويختلف فعل الكوكايين عند الناس حسب مزاجهم ودرجة إدمانهم إياه والكمية الممتصة ، فيشعر المرء الحديث العهد به عند تسعطه الكوكايين بخدر وبفقد الحس التام في غشاء أنفه وببرودة في الوجه لاسيما حول الانف والفم يصحبها شحوب اللون لتقبض الأوعية وفاقة الدم ، ولذلك تعد السعطة الاولى مزعجة غير لذيذة ، وتترافق أحياناً بالغثيان وهبوط القوى وخفقان القلب والأرق .

النشوة — اما مدمنو الكوكايين فانهم يشعرون غب تناول هذا السم ببضع دقائق بانشراح في الصدر وبنشاط عظيم في الجسم والذهن وبمقدرة على العمل غير منتظرة وبخفة في الروح والحركة غير مألوفة ، و بسرور تتلاشى فيه الآلام والأحزان وسعادة ينسى صاحبها عندها البؤس والشقاء ، وتسمى هذه الحالة النشوة الكوكايينية ، وتحصل عندما تكون الكمية الممتصة قليلة .

السكر الكوكاييني — اما عند تزايدها فيحدث السكر الكوكاييني وهو يتألف من عناصر او حوادث نفسية مختلفة تشتد وتضعف حسب تكرر تناول الكوكايين والكمية والكيفية ، وذلك لان تناول الكوكايين سعوطاً أخف من أخذه حقناً تحت الجلد ، وتسعطه بكميات صغيرة غير متكررة أخف عملاً من امتصاصه بكميات كبيرة ، واهم هذه الاعراض النفسية ، حدة الذهن ، ونشاط الحركة ، وخدر الحس بالالم ، وفلج القوة المراقبة والناقدة الذاتية ، وإثارة الشعور الغامض ، وفساد الافعال العقلية .

حدة الذهن — وتتجلى حدة الذهن بتوقد الذاكرة والمخيلة وسرعة تداعي الافكار وتواردها على الخاطر وسهولة التكلم وكثرته والضحك والقهقهة والمزاح ورفع الصوت والخطابة .

نشاط الحركة — وتترافق حدة الذهن هذه بحس دافع للحركة والعمل فلا يستطيع سكير الكوكايين الاستقرار والسكون فتراه ذاهباً آيباً كثير التلفت والاشارات سريع الحركات خفيفها يبتكر الاعمال و يباشرها ويكثر الزيارات والدعوات . ويتجلى هذا

النشاط خاصة في الحس الشهواني فانه يزداد بادئ بدء زيادة شديدة ولكنه لا يلبث ان يسترخي ، ولهذا نرى مدمني الكوكايين جميعهم يشكون العنة ·

خدر الحس بالألم — و بالنظر لبطلان الحس بالالم تراه لا يشعر بالتعب ولا يعتريه ملل ويتناسى جميع أحزانه ومكدراته ·

شلل القوة المراقبة والناقدة الذاتية — ويتطرق بطلان الحس هذا الى القوة الناقدة والمراقبة فيفلجها فيثور الشعور النفساني الغامض وتنطلق الأهواء الكامنة والشهوات المحصورة فيسعى لتحقيقها ·

تبدل طباع المرء واخلاقه — وتتبدل طباع المرء واخلاقه فيصبح صعب المراس سريع الغضب شرس الخلق سهل الاندفاع كثير المفاجآت والتعدي ، لا يحتمل الاذى يحنق لاقل سبب ويقترف الأجرام لدى ادنى حادث ·

فساد الافعال العقلية — وقد يقف السكر او التسمم الكوكاييني عند هذا الحد من الفعل اذا لم يكرر المرء تناوله اما اذا تكررت السعطات ولا سيما اذا كان تناوله بواسطة الحقن الجلدية ، فتظهر ثمة أعراض فساد الافعال العقلية فيختلط الذهن و يتغير الادراك والشعور وتستولي على السكير الأوهام والتخيلات لتسمم الحواس فيبصر الاشياء على غير ما هي عليه فيرى العصا ثعباناً والثياب المعلقة شياطين او لصوصاً والاشخاص مشوهي الاشكال ، ويسمع صريراً ودوياً لاوجود لها في الخارج ، وتارة يخيل اليه انه في جو من الغبار لامع الذرات ، او وسط سراب نحل يتطاير أمام عينيه الى غير ذلك من الأوهام البصرية والسمعية المزعجة التي تشاهد في سائر حالات السكر المزمن على اختلاف مسبباته ·

التخيلات الحسية الجسدية — اما العرض الوهمي الخاص بالكوكائينية فهي التخيلات الحسية الجلدية فان مدمن الكوكايين يشعر بحشرات تدب و تركض وتقفز تحت جلد جسده فتخرشه كالبق والبراغيث والقمل والجرب والذباب والعرانيل والديدان وأحياناً هي بلورات الكوكايين نفسها تهتز في جلده فيعمل على مطاردتها ونزعها بالحك وحجم الجلد ·

وقد تشترك الحواس بضلالها فيرى الكوكائيني الحشرات تسير على جسده و يشعر بانها تلدغه وتنغمس في الجلد فينتزعها منه و يتناولها بيده و يضعها في وعاء فيه ماء بجانبه ، او انه يلقيها على الارض ويسحقها بظفره · ومنهم من يتناول أبرة و يأخذ باستقراء هذه الحشرات مابين الجلد والعضلات ليخرجها ، فيدمي بعمله هذا جسده و يعرضه للالتهابات والآفات الوبيلة ·

ثقب حاجز الأنف — وتنشأ هذه الأوهام الجلدية عن تأثير الكوكايين في الاعصاب السطحية بتخديرها وعن تقبض الاوعية الشعرية فيتوقف ورود الدم الى الجلد فيذبل وتهبط حرارته ويتوقف فعل التغذية فيه فيتمسخ وا كثر ما يشاهد تلف الجلد في حاجز الانف فانه ينثقب عند مدمني الكوكايين ·

الهذيان الكوكايني — وقد لا ينحصر هذا الوهم والتخيل في الحواس فقط بل يتطرق الى الفكر ايضاً فيتصور الكوكايني اموراً لا صحة لها ويتدخل عليه الغرور والعجب والغيرة والشك بالناس فيعمل على الانتقام ويقترف أفظع الاجرام وينتهي هذا الدور بالخبل والخدر العمومي والسبات ·

دور الصحو — ويستمر السكر الكوكاييني المعتدل ثلاث ساعات والى اربع، ثم يأخذ المرء بالافاقة فيشعر بهبوط في قواه وثقل مزعج في حركاته وكسل شديد في اعضائه وخمول عظيم في عقله مع خبل ووهن في اعصابه وضيق في صدره مع انقباض وكدورة في المزاج · وتعود اليه آلامه السابقة مضاعفة فهو لا يقوى على المشي لان ساقيه لا تحملانه ولا يقدر على الاضطجاع لانه يزيد في سآمته وكآبته ، وعندما يعيل صبره وتخور عزيمته ولا يجد له ملجأ يلجأ اليه للخروج من هذا الضيق المختنق يتجه الى الكوكايين مرغماً وهو يعلم بانه بيت الداء ومصدر البلاء ولكن ما الحيلة وهو وحده المسكن لهذه الآلام فيتناوله كرهاً لا ليتمتع به سعادته الاولى بل ليتخدر به آلاماً هو مسببها ، وهكذا دواليك دور متسلسل من صحو يرافقه خمول وضجر ، يداوى بسم يصحبه سكر وخدر وفي ذلك لعمري منتهى البؤس وأقصى درجات الشقاء ·

هذا اذا كان المرء ذا سعة وقدرة على الحصول على الكوكايين اما اذا كان معوزاً

فهنالك الطامة الكبرى فهو لا يستنكف عن بذل ماء وجهه والتدني لافظع الرذائل وارتكاب كل محرم الى ان يظفر بضالته وقد يستحوذ عليه الضجر واليأس فيعمد الى الانتحار .

الكوكائينية المزمنة — وقد لا يمضي زمن طويل على الكوكاييني المدمن حتى تضمحل قواه وتتلاشى مواهبه وعواطفه ويقل فعل التغذية في الجسم فيهزل ويكمد لونه وينقص وزنه و يعسر هضمه الطعام و يتعاقب عنده الامساك والاسهال وتغور عيناه و ينتابه الارق ويصبح كالجماد لا يكترث ولا يبالي بشيء ، ضعيف العقل متدرجاً نحو العته والجنون .

ذلك مصير الكوكائينية ايها السادة وهي كما ترون : شعلة من نور الحياة تبهج الابصار تبزغ وهلة في حلك الدماغ فتلهب بحرارتها كل مافيه من قوى شريفة في آن واحد ، حتى اذا نضب ذلك المعين الذي هو ذخيرة العمر في حين من الزمن قصير تخمد تلك الشعلة ، و يظلم ذلك النور ، ويصبح ذلك الهيكل الانساني كالسراج الذي نضب زيته حيواناً وحشياً يقترف أنواع الاذى ، مصيره السجن حيناً ثم ملاجئ المرضى ثم دور المجانين .

قال كورنوا سوفي وجيرو « ان أضرار الكوكايين هائلة ، فان الاسراف باستعماله خلافاً لسائر السموم المسكرة يقود رويداً رويداً الى الاستحالة الجسمية والهذيان والجنون والتلاشي ، ويهيئ الجسم لقبول السل » .

وقال لوجرن « ان الوباء الكوكاييني على الرغم من كونه محدوداً لذو شأن بين العوامل في انحطاط الجماعات ، وذلك لان المشاهدات اطلعتنا على ان نسل الكوكاييني المدمن يأتي مصاباً بالبلاهة — على ان ذلك نادر — لان إدمان الكوكايين يحدث عند صاحبه العنة فيصاب بالعقم وما العقم الا انتحار الجنس » .

الوقاية — وما كادت المشاهدات الطبية تفضح هذه النتائج المؤلمة الناشئة من إدمان الكوكايين حتى اضطربت لهولها فرائص أساتذة العلم في أنحاء العالم المتمدن فأخذوا يصيحون بامهم باعلى أصواتهم ومن فوق منابر الإرشاد والتدريس على ألسنة الكتب والجرائد تارة ، وبافواه الخطباء والوعاظ والنواب والمجامع العلمية والمعلمين تارة أخرى ينادون بحكوماتهم واكرم به من نداء : الكوكايين هو الخطر الاجتماعي المداهم فحاربوه) .

وقد لبت حكومات العالم هذا الداء ولاسيما فرنسة التي شاهدت هذا الوباء ينتشر في عاصمتها انتشاراً سريعاً فأصدرت القوانين الصارمة بمنع دخول الكوكايين بلادها ، ففي ١٢ حزيران سنة ١٩١٦ سنت الحكومة الفرنسية قانون منع المخدرات ووضعته موضع التنفيذ في الحال وهو يقضي بالحبس من ثلاثة أشهر الى سنتين وبدفع جزاء نقدي يتراوح مابين مائة الفرنك والالف منه على كل من يتناول الكوكايين او يحمله او يسهل ادخاله البلاد او استعماله ، و يقضي بالجزاء نفسه على الاطباء والصيادلة الذين يساعدون المبتلي بالكوكايين على الحصول عليه او يصفونه لغير ضرورة طبية ، ولا كثر من سبعة ايام ، على ان يكتبوا بالحروف المقدار الموصوف وكيفية استعماله و يوقعون على الوصفة بوضوح ، وعلى الرغم من صرامة هذا القانون والقساوة التي استعملتها الحكومة الفرنسية في تطبيقه فان تجارة الكوكايين ظلت رائجة في الخفاء لسهولة امكان الحصول على هذا السم خارج البلاد وامكان ادخاله الحدود بالحيل وبيعه خفية باثمان باهظة تتناسب مع الصعوبات القائمة في وجه الحصول عليه ، وقد كان لهذا الغلاء الفاحش فائدة في توقيف انتشار الكوكايين أعظم من فائدة المراقبة نفسها .

قال لوغر (Logre) « ان كثيراً من التجار يسافرون الى سويسرا وهولاندة والمانيا و يعودون منها بعدد كبير من كيلو غرامات الكوكايين المصنوع في مانهايم او دارمستاد ، وان الالمان لغايات قد لا تكون تجارية محضة يروجون دخول هذا السم البلاد الفرنسية » .

وقال كورتوا سوفي وجيرو « ان الالمان استفادوا من الاحتلال الفرنسي البلجيكي بلاد الرين فأغروا الجنود المعسكرة فيها واستخدموهم واسطة لتهريب الكوكايين » وقد ساعدت الطيارات كثيراً على تهريب الكوكايين لعدم مراقبتها المكسية .

ويلجأ مهربو الكوكايين لاخفائه عن أعين المراقبة بطرق من الحيل والخديعة كثيرة يبدلونها كل يوم خشية افتضاحها ، فمنهم من يحمله في عصاه او داخل أعمدة الاسرة المجوفة ، او في كعب الحذاء ، او بطانة الثياب ، ومنهم من يجعل للوعاء طبقتين يخفيه بينهما . وذكر كورتوا سوفي وجيرو ان احد مبتوري الساق كان يخفيه في قناة ساقه الصنعية .

وعندما يدخل الكوكايين البلاد يباع فيها خلسة ضمن أوراق صغيرة تتضمن مقادير

زهيدة ويكون الكوكايين فيها مغشوشاً باضافة بعض الاجسام الشبيهة به اليه كحامض البوريك اوالفناسثين اوسكر الحليب . ويُطلع غواته بعضهم بعضاً على باعته ، وهم لعمري الطبقة المنحطة من الامة المجردة عن الشرف والوجدان . ولا غرو فعملهم هـذا عدا انه سلب وسرقة ? فهو جنـاية فظيعة فيهـا قتل النفوس وهتك الاعراض ويتم الاولاد واستحالة الامة .

فيا أيتها اليد الاثيمة التي تمد السم لاخيها لتقتله به لقاء بعض دريهمات ، ارجعي الى ربكِ نادمة مستغفرة ، واعلمي ان تجارة السحت لا تثمر ، وان قتل النفوس التي حرم الله بالسيف او الكوكايين سواء .

ولما كانت طرق المنع الداخلي والمراقبة الشديدة لم تحل تماماً دون تسرب السم داخل المدن طلبت الحكومات الاوربية الى جمعية الامم وضع قانون دولي عام يقضي بتحديد كمية صنع الكوكايين في المعامل ومراقبتها مراقبة دولية شديدة .

على ان هذه التدابير وحدها لاتكفي لايقاف تيار المسكرات الجارف دون ان تدعم بارادة الفرد بواسطة التربية الصحية الصحيحة . قال كورتوا-سوفي وجيرو « يجب على المدارس عند انتهاء الدروس الرسمية في السن التي تستيقظ فيها الشهوات وتسيطر الاهواء على النفوس ان يعلّم الشبان بطرق بسيطة واضحة أخطار بعض الأمراض وبعض المساوي » الى ان قالا « اذا كان الضغط من شأن القانون فان الوقاية وصيانة الاخلاق من واجبات التربية وحفظ الصحة » .

فهل للمعارف وهي المسيطرة على التربية في هذه البلاد ان تنهج هذا النهج الصالح في التعليم المدرسي فتسدي بعملها هذا خيراً الى الامة وإلى المنصر وتنال به رضا الله والناس .

وقد أدركت مديرية الصحة العامة السورية ما للدعاية الصحية من الشأن العظيم في وقاية الصحة والأخلاق فأقامت في معهدها الصحي معرضاً تمثل فيه الامراض الاجتماعية الناتجة عن الزهري والمسكرات بشكلها الحقيقي مصحوبة بالشروح الوافية والنصائح القويمة ، وسيفتح هذا المعرض أبوابه للشبيبة السورية في القريب العاجل .

اسعد الحكيم

حروف التاج

وعلامات الترقيم

— «» —

« ١ — حروف التاج »

ما كادت نماذج حروف التاج تُملن وتذاع حتى تناولتها أقلام الكتّاب ، البعض بالمدح والبعض بالنقد والذم . وينحصر نقد هذه الحروف في وجهين : (الاول) في أشكالها فقال المنتقدون انها لاتأتلف مع الحروف العادية وليس فيها من الانسجام والمجانسة ما يطابق الذوق الفني . (الثاني) في فائدتها واستعمالها ، فذهبوا الى انه لاحاجة لنا بها في الكتابة العربية وانه باستعمالها تزداد حروف الطباعة وهذا يخالف قواعد الاقتصاد .

فالوجه الاول ليس من شأننا البحث فيه لعلاقته بقواعد الخط وأنواعه وأوضاعه ونحو ذلك مما اختص به ارباب هذا الفن . وبالنظر في الوجه الثاني اي في فائدة هذه الحروف واستعمالها نرى انها لم توضع لمجرد الزُخرف والزينة او محاكاة الاصطلاحات الافرنجية حباً في التقليد والتجديد وانما الغرض من وضع حروف تختلف شكلاً او حجماً عن الحروف العادية هو تنبيه القارئ الى أوائل الكلام وتمييز الأعلام ، فهي من قبيل الترقيم[1] الذي يراد به الايضاح والابانة كما شهد بذلك احد النُقّاد (الاستاذ محمد وهبي الخطاط الشهير والخبير بمحكمة الاستئناف بمصر) فقد قال : « ان الفكرة في حدّ ذاتها سامية » وأهم مزايا هذه الحروف الدلالة على الاعلام من أسماء وكُنى والقاب وتمييزها مما يشبهها من المسميات اوالصفات . ولو لم تكن هنالك حاجة الى ما يميز الاسم العَلَم لما وضعه اكثر الكتّاب بين أقواس دفعاً للالتباس . وقد عرف الاتراك هذه المزايا

(١) رقم الكتاب اي أعجمه وبينه .

فوضعوا لذلك حروفاً تمتاز عن الحروف العادية وهي مقتبسة من الخط الكوفي المشجّر واستعملوها في بعض مطبوعاتهم قبل استعمال الحروف اللاتينية بزمن بعيد ·

وعلى ذكر الاعلام لا بأس من التنبيه الى امر جدير بالاهتمام وهو ضبط الاعلام الافرنجية المكتوبة بالحروف العربية اذ لا يتأتى النطق بهـا نطقاً صحيحاً لخلوّ الابجدية العربية من حروف تؤدي في اللفظ ما تؤديه الحروف المعروفة بالمتحركة في اللغات الاوربية مثل e. i. o. u. eu. ou وليس عندنا ما يقوم مقامها في الكتابة غير الواو والياء على ان الافرنج يلفظون كلاً منها بشكل خاص · فلا بد اذاً من علامات تؤدي مخارج هذه الحروف وبغيرها يتعذر ضبط الاعلام الافرنجيـة وبعض الاسماء المعربة ولذلك نرى المجلات العربية تكتبها بالحروف اللاتينية وممن تنبه الى هذا النقص الشيخ ابراهيم اليازجي (رحمه الله) فوضع علامات تُكتب فوق حروف العلة وتدل على طريقة النطق بها بحسب مخارج الحروف المتحركة في اللغات الاوربية ، ولكن هذه العلامات لم يعمّ استعمالها وأصبحت في طي الخفاء بعد احتجاب (الضياء) · وللاتراك فضل السبق في وضع مثل هذه العلامات لضبط النطق بالحروف التي يختلف لفظهـا في بعض الكلمات مثل الضاد والطاء والكاف والواو والياء وقد استعملوها في الطبـاعة قبل استعمال الحروف اللاتينية بنحو نصف قرن · ومن الكتب المطبوعة بهذه العلامات القاموس التركي المسمى (لهجهٔ عثمانيه) تأليف اللغوي الكبير احمد وفيق باشا ·

ولنعد الى الكلام على حروف التاج فنقول ان ما يتسبب عن استعمالها من الزيادة في حروف الطباعة لا يعدّ شيئاً يذكر بالنسبة الى عدد الاشكال المستعملة الآن فان لكل حرف من حروف الهجاء أشكالاً متعددة بحسب موقعه في الكلمة وضرورة تراكب بعض الحروف وغير ذلك ·

واذا نظرنا الى كثرة هذه الأشكال وما في جمعها وتفريقها من العناء وضياع الوقت نرى ان أحسن طريقة وُضعت لتقليل عددها مع المحافظة على رونق الخط انما هي الطريقة التي وضعتها لجنة إصلاح وتحسين الحروف العربية بمطبعة بولاق الاهلية في سنة ١٩٠٣ أما الطرق الاخرى التي اقترحها بعضهم لاختزال الحروف فما يذهب برونقهـا و يشوه محاسنها على ان الخط العربي بجميع أنواعه يُعدّ من الآثار الجليلة والذخائر النفيسة بل

اهو من مفاخر اللغة العربية لما امتاز به من الروعة والجمال ، ومن الواجب على أبناء هذه اللغة المحافظة عليه والحرص على استبقائه خالصاً من الشوائب ·

وقد اقترح بعضهم كتابة الحروف منفصلة كالطريقة المتبعة في الطباعة الافرنجية وهو اقتراح سخيف اذ يتعذر تنسيق الحروف العربية المفردة تنسيقاً هندسياً في السطور والطامة الكبرى ماارتآه بعض المستشرقين من كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية · وقد بينتُ فساد هذا الرأي ومايحول دون العمل به من الموانع في مقالين نشر احدهما في (المقطم) بتاريخ ١٩ ابريل سنة ١٩٢٤ والثاني في (السياسةاليومية) في ١٤ فبراير سنة ١٩٢٩ ·

« ٢ — علامات الترقيم »

لم يكن للعرب علامات للدلالة على فصل الجُمل والتعجب والاستفهام ونحو ذلك مما اقتبسناه من اللغات الاوربية بل كانوا يكتبون الكلام متصلاً معتمدين على سياق المعنى على ان لهذه العلامات من الفوائد ما لا يحتاج الى بيان لانها تعين القارئ على تفهم الكلام وايضاح ما قد يستبهم من وجوه المعاني ، فهي من قبيل الشكل والاعجام · ومعلوم ان الكتابة كانت في اول عهدها غُفلاً منهما وقد وضعها فيما بعد أئمة اللغة لما رأوا مايقع في القراءة من الخطإ والتصحيف · قال المسعودي : « الخطوط المُعجمة كالبرود المُعلمة » وقيل : « إعجام الخط يمنع من استعجامه وشكله يؤمن من اشكاله » و « ربّ علم لم تُعجم فصوله فاستعجمَ محصوله » فاذا جاز لنا إدخال الإعجام والشكل في الكتابة لا حرج علينا في اقتباس بعض العلامات التي تُعين على تفهم الكلام وتوضيح المعاني ·

وليس من غرضي في الكلام علىعلامات الترقيم ان أبين فوائدها وانما أردت بهذه العُجالة التنبيه الى مايقع من الخطإ في وضعها والإسراف في استعمالها · فمن العلامات التي يضعها بعض الكتاب في غير مواضعها او يسرفون في استعمالها (الفصلة) وهذه علامتها (،) فيستعملونها لفصل المفردات المعطوفة ،مثال ذلك انهم يكتبون : فصول السنة أربعة : الصيف ، والخريف ، والشتاء ، والربيع · وأقسام الكلام ثلاثة : اسمٌ ،

وفعلٌ ، وحرف . على انه لا محل للفصلة مع واو العطف . اما الافرنج فانهم لا يستعملون أداة العطف بين المفردات المعطوفة و يستعيضون عنها في الكتابة بهذه العلامة ، بيان ذلك اننا اذا ترجمنا البيت الآتي الى لغة اوربية :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فيُكتب هكذا :

الخيل الليل البيداء تعرفني السيف الرمح القرطاس والقلم

فتوضع أدلة العطف قبل الكلمة الأخيرة أي أنها لا تتكرر كما في اللغة العربية . وهذا يشبه عندنا قول الشاعر :

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

على انه يجوز وضع الفصلة بين الجمل المعطوفة ولو كانت صغيرة مثاله :

الطير يقرأ ، والغدير صحيفة ، والسحاب يكتب ، والندى ينقط(١)

ومن الخطإ وضعها بين الموصوف والصفة ولو كانت جملة مثل : صادر من قلب ، تجرّد من غواشي الغرض . ونفس ، سمت عن كل غاية . كما انه لا حاجة لوضعها بين المبتدإ وخبره مثل : افضل المعروف ، إغاثة الملهوف . الا اذا حالت بينهما جملة معترضة مثل : كل ذنب ، وان عظم ، صغير في جنب عفوك . وكل زلل ، وان جلّ ، حقير عند صفحك . ولا ينبغي وضعها بين الشرط وجوابه مثل : من سلك السداد ، بلغ المراد . او بعد المنادى مثل : يا علي ، ناولني الكتاب . او بعد فاء السببية مثل : محمد فاق أقرانه في الامتحان ، فاستحق الجائزة الاولى .

وأقول بالاجمال ان هذه العلامة لا توضع الا بين الجمل المعترضة والجمل التي يتركب منها كلام تام الفائدة ، ومن الخطإ استعمالها في غير هذين الموضعين .

ومن الكتاب من يضع علامة الاستفهام او علامة التعجب والانفعال مكررةً مثنى وثلاث على انه لا حاجة لهذا التكرار وبعضهم يضع العلامتين معاً . اما الفصلة المنقوطة وهذه علامتها (؛) فيحسن إغفالها اكتفاء بالفصلة .

(١) (المجمع) لعل الكاتب أراد في هذا الكلام نثره لا نظمه .

وخلاصة القول انه لا ينبغي الاسراف في علامات الترقيم فان الغرض منها انما هو الايضاح والابانة ، اما الاسراف في استعمالها او وضعها في غير مواضعها فما ينشأ عنه الخلط والارتباك ·

هذا ما عنّ لي من البيان والملاحظات على حروف التاج وعلامات الترقيم اعرضه على أنظار اولي الشأن لعله يعود بالفائدة التي نتوخاها من البحث · ولو كان لنا مجمع لغوي وهو الأمنية التي طالما عللنا النفس بادراكها ، لأغنانا عن البحث والنقد · فهو المرجع الذي يعوّل عليه في كل ما له علاقة باللغة وآدابها وكتابتها والنظر في أي اقتراح يراد به التجديد او الاصلاح ·

حبيب غزالة

ابن خفاجة الاندلسي

— ٢ —

« لفظ شعره وأسلوبه »

يمكن قارئ ديوان ابن خفاجة الناظر فيه بعين النقد والتأمل — ان يصفه بما يأتي :

(١) — جزالة اللفظ

فان ابن خفاجة وان تخلف به زمنه عن أمثال احمد بن عبد ربه كثيراً وتأخر عصر نبوغه عن أمثال ابن زيدون قليلاً يقلّ عنهما في الرقة وسهولة اللفظ فتغلب عليه جزالة اللفظ وفخامته في كثير من قصائده ومقطعاته سالكاً طريقة المتقدمين من اهل الاندلس ، كابن هانئ والرمادي وابن دراج القسطلي بالرغم من وصفه هو شعر نفسه باللين والليونة في قوله :

وحسبك من شعر يكاد لدونة ... تغني به النبت الهشيم فيورق

ولا ننكر ان له من المقطعات والقصائد مايكاد يذوب رقة وسهولة الا انه قليل بالاضافة الى سائر شعره .

فمن جزل قوله من قصيدة يصف جبلاً :

وليل اذا ما قلت قد باد ، وانقضى ، ... تكشف عن وعد من الظن كاذب
سحبت الدياجي فيه سود ذوائب ... لاعتنق الآمال بيض ترائب
فمزقت جيب الليل عن شخص أطلس ... تطلّع وضاح المضاحك قاطب
رأيت به قطعاً من الفجر أغبشا ... تأمل عن نجم توقد ثاقب
وأرعن طماح الذؤابة باذخ ... يطاول أعنان السماء بغارب
يسد مهب الريح عن كل وجهة ... ويزحم ليلاً شهبه بالمناكب

وقور على ظهر الفلاة كأنه طوال الليالي مفكر في العواقب
بلوث عليه الغيم سود عمائم لها من وميض البرق حمر ذوائب
أصخت اليه وهو أخرس صامت فحدثني ليل السرى بالعجائب
وقال ألا كم كنت ملجأ قاتل وموطن أوّاب تبتّل تائب
وكم مرّ بي من مدلج ومؤوب وقال بظلي من مطيّ وراكب
ولاطم من نكب الرياح معاطفي وزاحم من خضر البحار غواربي
فما كان الا ان طوتهم يد الردى وطارت بهم ريح النوى والنوائب
فما خفق أيكي غير رجفة أضلع ولا نوح ورقي غير صرخة نادب
وما غيّض السلوان دمعي وانما نزفت دموعي في فراق الصواحب
فحتى متى أبقى ويظعن صاحب أودع منه راحلاً غير آيب
وحتى متى أرعى الكواكب ساهراً فمن طالع أخرى الليالي وغارب
فأسمعني من وعظه كل عبرة يترجمها عنه لسان التجارب
فسلّى بما أبكى وسرّى بما شجا وكان على عهد السرى خير صاحب
وقلت وقد نكبت عنه لطية سلام فانا من مقيم وذاهب

ومن سهله قوله في صفة بطاح وظلال :

سقياً لها من بطاح أنس ودوح حسن بها مطل
فما ترى غير وجه شمس أظل فيه عذار ظل

وقوله في غلام بقل عذاره :

أيها التائه مهلاً صاغني ان تهت جهلا
هل ترى فيما ترى الا شباباً قد تولى
وغراماً قد تسرى وفؤاداً قد تسلى
أين دمع فيك يجري اين جنب يتقلى
اين نفس فيك تهدى وضلوع فيك تصلى
اي ملك كان الا عارض وافى فولى
وتخلى عنك الا أسفاً لا يتخلى

وانطوى الحسن فهلا   أجمل الحسن وهلا

(٢) — ايجاز أسلوبه لكثرة مايزحم لفظه بالمعاني والاستعارات او التشبيهات المتعددة في البيت الواحد كما سيأتي بعد ·

(٣) — محاكاته في كثير من قصائده لفحول المتقدمين معارضاً لهم في وزنهم ورويهم كأبي نواس وابي تمام والبحتري وابن هانئ والمتنبي ، فمن ذلك قصيدته الرائية التي يمدح بها الوزير اباعامر ، يعارض بها ابن هانئ الاندلسي في رائيته التي اولها :

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر   وأمدكم فلق الصباح المسفر

وجنيتم ثمر الوقائع يانعاً   بالنصر من ورق الحديد الاخضر

فيقول ابن خفاجة في مطلع قصيدته متغزلاً :

حدر القناع عن الصباح المسفر   ولوى القضيب على الكثيب الأعفر

وتملكته هزة سفي عزة   فارتج في ورق الشباب الأخضر

متنفساً عن مثل نفحة مسكة   متبسماً عن مثل سمطي جوهر

سلت علي سيوفها أجفانه   فلقيتهن من المشيب بمغفر

متجلداً أربا بنفسي ان يرى   هذا الهزبر قتيل ذاك الجؤذر

وقوله في ميمية يعارض بها ابا نواس في قصيدته التي اولها :

يا شقيق النفس من حكم   نمت عن ليلي ولم أنم

فان ابن خفاجة يقول في ميميته هذه وأغار عليه في بعضها :

قل لسرى الريح من إضم   ولياليـنا بذي سلم

طال ليلي في هوى قمر   نام عن ليلي ولم أنم

وهي طويلة جميلة ·

وقوله في يائية يعارض بها ابا الطيب المتنبي في قوله (وأغار عليه) :

كفى بك داء ان ترى الموت شافياً   وحسب المنايا ان يكن امانيا

فان ابن خفاجة يقول في يائيته :

كفاني شكوى ان أرى المجد شاكيا   وحسب الرزايا ان تراني باكيا

وهي طويلة جيدة ·

(٤) — كثرة استعماله للمجاز والاستعارات والتشبيهات ، و كثيراً ما يزحم بها البيت الواحد حتى تغمض معانيه ، ويزيدها غموضاً خفاء علاقاتها ببعد لوازمها فمن الاول قوله يصف منثوراً :

وصقيلة الأنوار تلوي عطفها ريح تلف فروعها معطار
عاطي بها الصهباء أحوى أحور سحاب أذيال السرى سحار
والنور عقد والغصون سوالف والجذع زند والخليج سوار
بحديقة ظل اللمى ظلا بها وتطلعت شنبًا بها الأنوار
رقص القضيب بها وقد شرب الثرى وشدا الحمام وصفق التيار
غناء ألحف عطفها الورق الندي واللف حيث جنابها النوار
فتطلعت في كل موقع لحظة من كل غصن صفحة وعذار

ومن الثاني قوله في وصف فرس أشهب بعد موقعة :

وأشهب ناصع القرطاس مؤتلق كأنما خاض ماء الصبح فاغتسلا
ترى به ماء نصل السيف منسكباً يجري وجاحم نار البأس مشتعلا
فغادر الطعن أجفان الجراح به رُمداً وصيّر أطراف القنا قُحُلا
وأشرق الدم في خد الثرى خجلاً وأظلم النقع في جفن الوغى كُحُلا

معاني شعره

وابن خفاجة من المجوّدين للمعاني المؤثرين جانبها على جانب اللفظ ، وكأنه أحس ذلك من نفسه فحاول جبره بكثرة الجناس والطباق كما فعل ابو تمام ، فاذا سلم له اللفظ من معرة التكلف مع تجويد المعنى جاء شعره غاية الغايات ، والا فقد أتعب الذهن واستوقف النظر في تفهمه واستجلاء غامضه .

ويمكن القارئ لديوانه إجمال الامور الغالبة على معانيه فيما يأتي :

(١) — غلبة ازدحام المعاني على اكثر شعره فيحمل اللفظ القليل اما معنى متشعب المناحي والعلائق واما معاني متعددة : مما أورث بعض شعره تعقيداً وغموضاً . وفي ذلك يقول ابن خلدون في باب انقسام الكلام الى فني النظم والنثر مما يجب على الشاعر ان يراعيه

في شعره « ولا يكون الشعر سهلاً الا اذا كانت معانيه تسابق الفاظه الى الذهن ولهذا كان شيوخنــا رحمهم الله يعيبون شعر ابي بكر بن خفاجة شاعر شرقي الاندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعيبون شعر المتنبي والمعري بعدم النسج على الأساليب العربية كما مر » يريد ابن خلدون بالاساليب انتحاء منحى العرب في جعل مادة الشعر الخيال والوجدان لا القضايا الفلسفية · اما مايعيبه على ابن خفاجة فهو ازدحام البيت من أبياته بخيال منتزع الصورة من متعدد كثير او بعدة أخيلة ، فيكون فيه جملة استعارات ومجازات في اللفظ والاسناد ، متداخل بعضها في بعض ، او جملة تشبيهات كذلك ، وقد كنى ابن خلدون ابن خفاجة بابي بكر مع اشتهاره بكنية ابي اسحاق ولا يعرف شاعر مسمى بابن خفاجة مشهور بانه شاعر شرقي الاندلس الا شــاعرنا هذا فتكنيته بابي بكر سهو من ابن خلدون او أن له كنيتين فمن ذلك قول ابن خفاجة في المدح :

فاركض الدهر سابحاً ، وانتض المقـ ... ـدار سيفاً ، واستصحب السعد لامه

وقوله :

وغمامة نشرت جنــاح حمامة ... والبرق قد نسج الظلام نهارا
متألق صدع الدجى وسقى الثرى ... فأبيض ذا نوراً وذا نُوّارا
في أجرع خلف الربيع به ابنه ... كرماً ، فأخصب ربوةً وقرارا
هفت الصبا منه بسري ديمه ... هطلاء قربهــا العجاج وقارا
وكفت فسالت فضة ولربما ... طبعت بكل قرارة دينــارا
نثلت به زرق النطاف سوابغاً ... زرقاً وجردت الشعاب شفارا
فكأنما فلت هناك كتيبة ... فرمت به عنها السلاح فرارا
ارض هبطت بها سماء طلقة ... وخبطت من سدف بها أنوارا

وقوله :

فالروض مهتز المعاطف نعمة ... نشوانــ يعطفه الصبا فيميل
ريان فضضه الندى ثم انجلى ... عنه فذهّب صفحتيــه أصيل
وارتد ينظر في نقاب غمامة ... طرف بمرضه النعاس كليل
ساج كما يرنو الى عواده ... شاك وبلتمع العزيز ذليل

وقوله في الكأس :

والكأس طرف أشقر قدجال في عرق عليه من الحباب يسيل

وقوله :

ولوى الخليج هناك صفحة معرض لثمت سوالفهـا ثغور أقاح

ومثل ذلك كثير في شعره :

(٢) — كثرة توليده معاني فنون الشعر غير وصف الطبيعة كالمدح والرثاء والغزل من معاني وصف الطبيعة ويضيق بنا المقام عن كثير من الشواهد الممثلة لمانقول كل التمثيل فنحيل القارئ الى ديوانه (طبعة جمعية المعارف المصرية) في صحائف ٢ او٣ ا و٥ ا و١٦ و١٧ او٣٦ و٤٠ و٤٦ و٦٩ و٩١ و٩٤ و١٠٢ و١١٠ أخ ·

ونشير الى ذلك بابيات فمن ذلك قوله في رثاء وزير من قصيدة :

في كل ناد منك روض ثناء وبكل خد فيك جدول ماء
ولكل شخص هزة الغصن الندي غب البكاء ورنة المكاء
يا مطلع الانوار ان بمقلتي أسفاً عليك لمنشإ الانواء

ومنها :

جالت بطرفي للصبابة عبرة كالغيم رق لخال دون سماء

ومنها :

فلطالما كنـا نريح بظله فنريح منه بسرحة غنـاء
فتقت على حكم البشاشة نورها ونفست في أوجه الجلساء

وقوله في المدح و يدعو على نفسه :

فان انا لم أشكرك والدار غربة فلا جادني غاد من المزن رائح
ولا استشرفت يوماً الي به الربا جلالاً ولا هشت الي الأباطح

(٣) — توليد بعض معانيه من بعض بل ربما كرر اللفظ مع المعنى ناحياً بذلك منحى ابن الرومي ، كان اذا اخترع معني اواستحسنه لايزال يلح عليه بالاستعمال ، و يستقصي في استخراج صور متعددة منه ، وذلك كثير في شعره · وفي قليل مانذكره شبه مما لم نذكر · فمن ذلك قوله من قصيدة زهرية :

وقد ارتدت غصن النقا وتقلدت حلي الحباب سوالفُ الانهار

ويقول في قصيدة أخرى :

وبجر ذيل غمامة لبست به وشي الحباب معاطف الانهار

وقوله في القصيدة الاولى :

نثرت بحجر الارض فيه يد الصبا درر الندى ودراهم النوار

ويقول في الثانية :

نثرت بحجر الروض فيه يد الصبا درر الندى ودراهم الأنوار

(٤) — كثرة اختراعاته للمعاني الرائعة وحسن تصرفه في معاني غيره حتى تصبح ناصيتها في ملك يمينه واكثر ما يكون ذلك منه في التشبيهات والاستعارات كقوله في وصف فرس :

وأدهم لولا انه راق صورةً لما عرفته العين من ليلة الهجر

وقوله في وصف معركة يصف السيوف والنقع :

والبيض تحنى في الطلى فكأنما لُويت عُرًا منها على أزرار

والنقع يكسر من سنى شمس الضحا فكأنه صدأ على دينار

وقوله في حسن التعليل :

وما أرغت الكاس في كفه ولكنها ضحكت عن سرور

وقوله :

وجه به من بدع الحسن ما يقيم للعاشق أعذارا

قد طبع الحسن به درهماً تسبك منه العين دينارا

(أي من الخجل)

وقوله في وصف دمية متحلية :

الا بكَى الدر فوق حالية حلّى بها العقدُ نحرَ ماحلي

يرى بها ما يمر من حلق مخبأً تحت منظر الجلى

قد راق مرأى وساء مختبرا فهل ترى اثمرت به دفلي

والدفلى هي شجرة ورد الحمار جميلة الزهر سامة .

وقوله في وصف فرس أشقر عليه حلية من فضة :

بسام ثغر الحلي تحسب انه ... كأس أثار بها المزاج حبابا

وقوله في وصف ساق :

وأهيف قام يسقي ... والسكر يعطف قده

وقد ترنح غصناً ... واحمرت الكاس ورده

وألهب السكر خداً ... أورى به الوجد زنده

فكاد يشرب نفسي ... وكدت أشرب خده

وقوله في السرى :

ورفلت في خلع علي من الدجى ... عقدت لها من أنجم ازرارُ

وقوله :

صح الهوى منك ولكنني ... أعجب من بين لنا يُقدَر

كأننا في فلك دائر ... فأنت تخفى وانا أظهر

(٥) — إكثاره من الإغارة على معاني غيره ، بالرغم من ثروة شعره بالمعاني المخترعة والأخيلة الرائعة ، ولكن هذه فطرة البشر بأخذ الآخر عن الاول مايحسن .

فمن ذلك قوله يصف الصباح في بيتين أبدع الاول وسرق الثاني :

وفي مصطلى الآفاق جمر كواكب ... علاها من الفجر المطل رماد

ولما تعرى من دجى الليل طحلب ... وأعرض من ماء الصباح ثماد

حننت وقد ناح الحمام صبابة ... وشق من الليل البهيم حداد

سرق الثاني من قول البحتري .

حتى تبدى الصبح في جنباته ... كالماء يلمع من خلال الطحلب

وقوله :

فلو انهم خلدوا خلود ثنائهم ... لم ينفصم عنهم عرا الأعمار

اخذه من قول المتنبي .

كفل الثناء له برد حياته ... لما انقضى فكأنه منشور

وقوله في مليح :

اذا رنا يجرحني طرفه لحظتــه أجرحه ثارا
فيصبغ الدرّ عقيقاً به وأصبح النوار أزهارا

اخذه من قول احمد بن عبد ربه صاحب العقد وزاد عليه ·

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله دراً يعود من الحيــاء عقيقا

وقوله :

وكل حياة الى منتهي اجل واكل حمام اجل

اخذ كل الشطر الاول من بيت ابن هانيء الاندلسي من مطلع مرثية له مقصورة وهي :

مهن كل آت قريب المدى وكل حيــاة الى منتهى

وربما كان هذا من اتفاق الخواطر لانه معنى مبتذل · وقوله :

فما هو في السن السلامُ تأخرا وفي المجد عنوانُ الكتاب تقدّما

ولد من قول المتنبي في رائيته يمدح عضد الدولة وابن العميد :

من مبلغ الأعراب اني بعدها شاهدت رسطاليس والاسكندرا

الى ان يقول :

ورأيت كل الفاضلين كأنما رد الاله نفوسهم والاعصرا
نسقوا كما نسق الحساب مقدماً وأتى فذلك اذ اتيت مؤخرا

لان لفظ (فذلك) كانت تذكر في الحساب عند نهايته فيقال فذلك كذا وكذا ولفظ (السلام) يوضع في آخر الخطاب ·

وقوله يمدح :

جدير باحراز العلا غير راكض مغــذّ وادراك السهى غير قائم

اخذه من قول اسحق الموصلي يفتخر بولائه لخزيمة بن خازم ·

اذا مضر الحمراء كانت ارومتي وقام بنصري خازم وابن خازم
عطست بانف شامخ وتناولت يداي الثريا قاعداً غير قائم

ويقول ابن خفاجة في هذا المعنى ايضاً من قصيدة :

من منزل قد شبّ من نار القرى ما شــاب عنه مفرقُ الظلماء
لو شئتُ طلت به الثريا قاعداً ونثرت عقــد كواكب الجوزاء

« ما يؤخذ عليه »

يؤخذ على ابن خفاجة عدة امور : منها مداخلة بعض معانيه في بعض وازدحامها في البيت ، ومنها افراطه في استعمال المجاز وإيثاره على الحقيقة والحق انه لا يصار الى المجاز الا اذا قصرت الحقيقة عن أداء المعنى وتجميله ، ومنها خفاء بعض معانيه لخفاء لوازم المجاز او التجريد كقوله :

ولقد جريت مع الصبا جري الصبا وشربتها من كف احوى احور
ناجيت منه عطارداً ولربما قبلته فلثمت وجه المشتري
تندى بفيه أقاحة نفاحة شربت على ظمأ بماء الكوثر

فقد يخفى مايريد في البيت الثاني ، فان قيل انه أراد المريخ لانه احمر اللون فغلط بذكر المشتري كما غلط امرؤ القيس في قوله : « اذا ما الثريا في السماء تعرضت » يريد الجوزاء لان الثريا لاتجري عرضاً — فهو يريد ان وجهه احمرّ بالتقبيل .

قلت : فلا يظهر بسهولة تخصيص التشبيه بعطارد عند المناجاة فان أراد انه في بدء المناجاة كان ابيض الوجه كعطارد ثم احمرّ بعد التقبيل كالمشتري ، فلمَ خصّ عطارداً ؟ مع ان اكثر النجوم ابيض على ان من سيارات الشمس ما هو ابيض ايضاً كالزهرة .

ومنها بعض اخطاء في اللغة اواحكام القافية فالاول كاستعمال لفظ (اقاحة) في البيت الثالث المتقدم على انه مفرد اقاح بدون ياء مع ان (اقاح) هذا اصله اقاحي بياء مشددة وقد يخفف ويستعمل استعمال قاض وداع وعلى كل حال فالمفرد ليس الا اقحوانة ويقع في هذا الخطإ كثير من الشعراء والكتاب . والثاني كوقوع الايطاء في القافية دون مرور سبعة ابيات على الاشهر في معنى القصيدة فانه يقول :

ومرى يطير به عقاب كاسر أمسى يلاعب من عنان ارقما

ثم قال بعد اربعة ابيات :

ومرى الهلال يدب فيها عقرباً وانساب منعطف المجرة ارقما

ومنها يرد بعض تشبيهاته وخروجها عن مألوف الذوق العام في كل زمان كقوله في مطلع قصيدة يمدح بها اكبر امير من الملثمين في الاندلس :

ألا هل أطلّ الامير الاجل ام الشمس حلت ببرج الحمل

ولا يخفى علينا انه شبه وجه الامير بالشمس في اول الربيع ولكن برد في حمل هذا الوجه حالاً في حمل — وقوله منها :

يشد اللثام على صفحة ترى البدر منها بارقي زحل

فانه يريد مع خفاء المعنى ان فلك البدر ادنى فلك الى الارض مع انه عند تشبيه الامير به تراه ابعد الكواكب في ارتفاع المنزلة وانت تعلم ان جميع اصحاب الطوالع والقرانات ويشابههم الادباء ان طالع زحل نحس — ومن ذلك قوله يتغزل في مليح ويصفه :

من يلق من لاعج وجد به ريحاً فقد لاقيت إعصارا

تخفق احشائي به دوحة وتنثر الأعين نوارا

تخفق الاحشاء هنا الشاملة للامعاء قبيح واستعمالها مع الريح والاعصار اقبح . وغير ذلك كثير .

« الموازنة بينه وبين غيره »

اذا وازنا ابن خفاجة بكل شاعر من شعراء الاندلس وصاف الطبيعة وجدناه يبذهم جميعاً في هذا الباب واقرب الناس شبهاً به من شعراء المغاربة ابن حمديس الصقلي فانه أجاد وصف الطبيعة بما يقارب وصف ابن خفاجة او يساويه ولكنه زاد عليه وصف أمور كثيرة كوصف القلاع والحصون والمصانع والقصور والتماثيل وكثيراً من أنواع الحيوان وزاد عليه في أغراض أخرى غير الوصف ، فانه يجيد الهجاء ، وابن خفاجة ليس له في هذا الباب قليل ولا كثير ويجيد المدح وهو صناعته التي يتكسب بها ، وفي ذلك يجيء ابن خفاجة معه مصلياً لا مجلياً ، ويجيد الخمريات وله فيها الكثير الجميل .

وامتاز عن ابن خفاجة بشكوى الزمان والمرض والغربة عن الاوطان والشيخوخة والتنقل في البلاد والفخر الجيد والتحريض على الجهاد وطول القصائد غالباً ، ولقد يرجح ابن حمديس على ابن خفاجة في جملته . واقرب الناس شبهاً به من المشارقة الصنوبري فانه وصاف طبيعة مثله حتى يقايسه أدباء المغرب والمشرق به فيقولون في ابن خفاجة (صنوبري المغرب) غير ان الصنوبري أرق شعراً وأسهل ، وابن خفاجة اجزل لفظاً وادق معنى ، ومن شبهه بابي الفتح كشاجم فقد ابعد به عن حلبته ، لان كشاجم وصاف لكل شيء ، ومقل في وصف الطبيعة عن ابن خفاجة .

اما مقايسته بابن المعتز وابن الرومي والبحتري فكل هؤلاء يفضلونه بمجموع مزاياهم ، فابن المعتز يفضله بالرقة وجمال التخيل واجادة الطرديات ووصف مجالس الانس ، والبحتري وابن الرومي يفضلانه بالتبريز في كل غرض من أغراض الشعر حتى وصف الطبيعة نفسها وان قل شعرهما فيه عنه .

اما الموازنة بينه وبين غيره في قطعة من الشعر قالها وقطعة قالها غيره فقد يفوق ابن خفاجة وقد يتخلف . ومن ذلك مارواه المقري عنه قال : « قال ابن خفاجة في ديوانه .... وخرجت يوماً بشاطبة الى باب السمار بن ابتغاء الفرجة على خرير ذلك الماء بتلك الساقية وذلك سنة ٤٨٠ واذا بالفقيه ابي عمران بن ابي تليد رحمه الله تعالى قد سبقني الى ذلك فألفيته جالساً على دكان كانت هناك مبنية لهذا الشأن فسلمت عليه وجلست مستأنساً به فجرى اثناء ماتناشدناه ذكر قول ابن رشيق :

يا من يمر ولا تمر ... به القلوب من الفرق
بعمامة من خده ... او خده منها استرق
فكأنه وكأنها ... قمر تعمم بالشفق
فاذا بدا واذا انثنى ... واذا شدا واذا نطق
شغل الخواطر والجوا ... نح والمسامع والحدق

فقلت وقد أعجب بها جداً وأثنى عليها كثيراً ، احسن ما في القطعة سياقة الاعداد والآ فانت تراه قد استرسل فلم يقابل بين الفاظ البيت الاخير والبيت الذي قبله فينزل بازاء كل واحدة منها مايلائمها وهل ينزل بازاء قوله (واذا نطق) قوله (شغل الحدق) وكأنه نازعني القول في هذا غاية الجهد فقلت بديهاً :

ومهفهف طاوي الحشا ... خنث المعاطف والنظر
ملأ العيون بصورة ... تليت محاسنها سور
فاذا رنا واذا مشى ... واذا شدا واذا سفر
فضح الغزالة والغما ... مة والحمامة والقمر

فجن بها استحساناً » اه . قال ابن ظافر : « والقطعة القافية ليست لابن رشيق بل هي لابي الحسين علي بن بشر الكاتب احد شعراء اليتيمة » .

ونحن نوافق ابن خفاجة في تفضيل قطعته على الاخرى الا انه لا يغيب عليك ان السابق هو الذي فتح الباب ، وطرق لابن خفاجة سرد النظيم على ما في استعمال لفظ الغزالة مؤنثاً للغزال من خلاف بين اللغويين وانها الشمس عند اكثرهم ·

ومن هذه القصة تعرف ان ديوانه المطبوع ليس هو النسخة التي جمعها بنفسه لانها لا توجد فيه كما انه وجدت اشعار له خارجة عنه وشهرة ابن خفاجة تستدعي ان له ديواناً اكبر منه وتجد في ديوانه بعض موازنات بين مقطعات له ومقطعات لغيره فراجعه ان شئت ·

« كتابته »

وابن خفاجة كاتب جيد على طريقة الاندلسيين الجارين على طريقة ابن العميد واكثر كتابته خيالات شعرية ·

ولم نتعرض للكلام على كتابته هنا بنوع تفصيل لاننا نترجم له شاعراً لا كاتباً ولان كتابته لا تمتاز عن كتابة غيره بفضل بلاغة او رقة او ميزة لفظية ·

« مختارات من شعره »

ومن شعره يصف علماء السوء من المسلمين والقساوسة من النصارى :

درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم ... فيها صدور مراتب ومجالس
وتزهدوا حتى أصابوا فرصة ... في اخذ مال مساجد وكنائس

وقال :

احسنْ المدامة والنسيم عليل ... والظل خفاق الرواق ظليل
والنور طرف قد تنبه دامع ... والماء مبتسم يروق صقيل
وتطلعت من برق كل غمامة ... في كل أفق راية ورعيل
حتى تهادى كل خوطة أيكة ... ريا وغصت تلعة ومسيل
عطف الاراكة فانثنت شكر آله ... طرباً ورجع في الغصون هديل
فالروض مهتز المعاطف نعمة ... نشوان يعطفه الصبا فيميل
ريان فضضه الندى ثم انجلى ... عنه فذهب صفحتيه أصيل
وارتد ينظر في نقاب غمامة ... طرف يمرضه النعاس كليل
ساج كما يرنو الى عواده ... شاك ويلتمح العزيز ذليل

وقال يبدي رأيه في تربية الطفل :

نبه وليدك من صباه بزجرة   ولربما أغضى هنـاك زكاؤه
وانهره حتى تستهل دموعه   في وجنتيه وتلتظي احشاؤه
فالسيف لا تذكو بكفك ناره   حتى يسيل بصفحتيه ماؤه

وقال في طيف الخيال :

ورداء ليل بات فيه معانقي   طيف ألمّ لظبية الوعساء
فجمعت بين رضابه وشرابه   وشربت من ريق ومن صهباء
ولثمت في ظلماء ليلة وفرة   شفقاً هناك لوجنة حمراء
والليل مشمط الذوائب كبرة   خرف يدب على عصا الجوزاء
ثم انثنى والسكر يسحب فرعه   ويجر من طرب فضول رداء

القاهرة :   احمد الاسكندري

تهكم الجاحظ (١)

- ١ -

« أساليب التهكم عند الافرنجة »

الى جنب هذا المذهب الذي ذهبه الجاحظ في الضحك والاضحاك مذهب آخر وهو التهكم ، واهل بين المذهبين بعض الصلة وان كان كل منهما يختلف عن الآخر ، فصاحبها يحتاج الى شيء من خفة الروح ولكن هذه الخفة في الاضحاك بريئة من الهمز واللمز وانما غايتها التنشيط والاستجمام ، اما في التهكم فقد يمازجها الخبث سواء أكان هذا الخبث ظاهراً أم كان باطناً .—

وقد كان التهكم من جملة أساليب سقراط في تقرير فلسفته فكان سقراط في تهكمه يرمي الى مناقضة خصمه فيسأله مسائل من باب تجاهل العارف فكان في بدء الامر يقرّ مذهب خصمه ثم يتلطف في سؤاله فلا يزال به من سؤال الى سؤال حتى يفضي به الى المناقضة في القول .—

أصل الأمر في التهكم ان تقول قولاً وانت تريد ضده ، فلما قال النظّـام لابراهيم ابن هانئ : مابعد هذا الكلام كلام ، لم يقصد في هذه العبارة الا ضدّها ، ظاهر كلامه الاعتراف بعلم ابراهيم ولكن باطنه تعريض بجهله .—

لست في حاجة الى الكلام على خصائص التهكم فان هذا الكلام داخل في البديع وانما أقتصر في مثل هذا المقام على الاشارة الى ان التهكم اكثر ما يستعمل في الخطاب فهو يغلب في الأحاديث حتى يكاد يكون لهجة ينفرد بها بعض الناس ، وقد يكون هذا التهكم

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الآداب في دمشق سنة ١٩٣١ .

لباس بفكرة فيها فرح وسرور او صيغة مزح ومرح وحالفة، او قالباً بفرغ فيه غضب او حقد او بأس او غير ذلك من هوائج النفس .

واذا أردنا ان نعرف رأي متهكم من حذاق المتهكمين في هذا المذهب فلنسمع ما قاله أناتول فرانس :

« لا أزداد تفكيراً في حياة البشر الا ازددت اعتقاداً ان من الواجب علينا ان نجعل شهود هذه الحياة وقضاتها التهكم والشفقة .—

التهكم والشفقة ناصحان صالحان .—

فالتهكم بابتسامه يحبب الينا الحياة ، والشفقة بدموعها تقدس هذه الحياة ، والتهكم الذي أرغب فيه ليس فيه شيء من القساوة ، انه لا يستهزئ بالحب والجمال ، فهو رفيق وفيه عطف ، فضحكه يكظم من الغيظ ، وهذا التهكم هو الذي يعلمنا ان نسخر من الأشرار والحمقى ولولاه لأفضى بنا الضعف الى كراهيتهم .— » .

ان هذا الكلام على وجازته يصور لنا قيمة التهكم ، فاذا اشتمل هذا المذهب على تحبيب الحياة وتقديسها ، واذا درّبنا على السخر بكل شرير وبكل أحمق بدلاً من ان نعبأ بهذا الشرير او بهذا الأحمق ، فما أعظم شأنه وما أهنأ بال الذين يعرفون كيف يتصرفون فيه .

أفعلم الجاحظ ان يسخر من الاشرار والحمقى ، وقبل ان انظر في هذا كله لا أرى محذوراً في ذكر ألفاظ من تهكم الافرنجة على سبيل المقايسة والموازنة .—

إمام المتهكمين في فرنسة انما هو (ڤولتير) ، وهذا نمط من اسمعه :

أنشأ جان جاك روسو رسالة موضوعها : اصل تفاوت الناس وقد كانت اكادمية ديجون اقترحت هذا الموضوع وطلبت التسابق فيه ولكن روسو لم يجلّ في هذا الميدان فلم يحرز قصب السباق الذي أحرزه سنة ١٧٤٩ في رسالة جعل فيها الآداب والعلوم مصدر الفساد .—

اتصلت هذه الرسالة بفولتير فكتب اليه كتاباً يرد فيه عليه وقد جاء في جملة هذا الكتاب ما يلي :

لم يجترم الجرائم الكبيرة الا مشاهير الجهلاء ، فان الذي يجعل من هذا العالم وادي دموع انما هو جشع الرجال الذي لا سبيل الى نقع غليله وعنجهيتهم التي لا سلطان عليها فان

الآداب تغذي الروح وتصلحها وتسليها وانها لتخدمك في الوقت الذي تعترض فيه عليها.—

ثم ختم رسالته بهذا الكلام :

أعلمني السيد . . . ان صحتك رديئة فينبغي لك ان تجودها بشميم هواء وطنك وان تتمتع بالحرية وان تشرب معي حليب بقرنا ، وترعى من عشبنا .— »

فالهمز يتخلل هذا التهكم المصقول الحواشي .—

فكأن فولتير يقول لروسو : ان جسمك معتل واعتلال الجسم يؤدي عادةً الى اعتلال العقل فكأن فولتير يقول لروسو : ان عقلك لا يخلو من اعتلال .—

واليكم نمطاً آخر في التهكم وهو قول (لابرو ير) في المهوّسين في حب الكتابة :

« يأخذ فلان ورقة وقلماً فجأةً من دون ان يفكر في ذلك من قبل فيقول في نفسه : أريد ان أؤلف كتاباً على انه ليس له استعداد للكتابة ولكنه في حاجة الى خمسين (بستولاً) فأصيح به من غير جدوى : خذ المنشار يا (ديوسكور) وانشر ، او اضع دائرة دولاب فتحصل على اجرتك ولكنه لم يتعلم هذه الحرف كلها فأقول له : انسخ إذن او صحح في المطبعة ، لا تكتب ، بيد انه يريد ان يكتب وان يطبع كتاباته ، ولما كانت المطبعة لا يرسل اليها دفتر ابيض فانه يسوده بما يروقه فيكتب مثلاً : ان نهر السين يجري في باريز وان الاسبوع فيه سبعة ايام او ان السماء ماطرة ، ولما كان هذا الكلام لا يخالف الدين ولا الحكومة ولا يؤدي نشره بين العامة الا الى افساد الذوق وتعويد العامة الاشياء التي لا طعم لها يعرض على المراقبة ثم يطبع فيعاد طبعه مع ما في ذلك من العار على الأجيال وعلى كبار المؤلفين .— »

فهذا الكلام كله تهكم ، فان قول (لابرو ير) ان نهر السين يجري في بار يز ، او ان هذا الكلام لا يخالف الدين ولا الحكومة ، ان هذا القول كله انما هو همز ولمز .—

مالنا ولهذا كله فلنعجل الى استهزاء الجاحظ !

اذا كان التهكم على نحو ما قال (اناتول فرانس) يعلمنا ان نهزأ بالأشرار وبالحمقى فقد علّم هذا التهكم الجاحظ ان يهزأ بطائفة من الناس فيهم الحمقى ، وقد اجتمعت له أسباب التهكم ومهّدت له السبيل اليه .

أفلم تلده أمٌ مطبوعة على التهكم فان مجيئها بطبق الكراريس التي علمتم امرها في

كلامنا على حيانه استهزاء بولد يقضي ايامه في طلب العلم وهو عالة على امرأة تمونه !
أفلم يخرّجه في الأدب والعلم رجال لا يضيعون فرص التهكم اذا سنحت هذه الفرص فعبارات ابي عبيدة والنظّام التي مرّت بنا في كلامنا على ثقافة الجاحظ أشباه: لاعليك فان سرقك لا يؤذي وامثال : مابعد هذا الكلام كلام ، انما هي عبارات يتخللها التهكم .—
ولقد ظهر ميل الجاحظ الى الاستهزاء من صغر امره وحداثة سنه والبكم القصة التي تناهت الينا وهي من آثار هذه الحداثة . قال الجاحظ[1]: « وبينا انا جالس يوماً في المسجد مع فتيان من المسجديين مما يلي أبواب بني سليم وانا يومئذ حدث السن اذ أقبل ابوسيف الممرور وكان لا يؤذي احداً وكان كثير الظرف من قوم سراة حتى وقف علينا ونحن نرى في وجهه اثر الجدّ ثم قال مجتهداً : والله الذي لا إله الاّ هو ان الخُرءَ حلو ثم و الله الذي لا إله الاّ هو يميناً ثانية يسألني الله عنها يوم القيامة ، فقلت له أشهد انك لا تأكله ولا تذوقه فمن أين علمت ذلك ؟ فان كنت علمت امراً فعلّمنا مما علّمك الله ، قال : رأيت الذبّان يسقط على النبيذ الحلو ولا يسقط على الحامض و يقع على العسل ولا يقع على الخل وأراه على الخُرء اكثر منه على التمر ، أفتريدون حجة أبين من هذه ، فقلت : يا ابا سيف بهذا او شبهه يعرف فضل الشيخ على الشاب ! »
واشتدّ فيه هذا الميل الى الاستهزاء بالحمقى كل حياته فمن استهزائه بامثال هذه الطبقة من الناس قوله في اثناء كلام له على المكي[2] :
« وكان المكي طيباً طيب الحجج ظريف الحيل عجيب العلل وكان يدعي كل شيء على غاية الإحكام ولم يحكم شيئاً قط من الجلايل ولا من الدقيق واذ قد جرى ذكره فسأحدثك ببعض أحاديثه وأُخبرك عن بعض علله لتُلهى بها ساعة ثم نعود الى ذكر الذبان :
ادّعى هذا المكي البصر بالبراذين ونظر الى برذون واقف قد ألقى صاحبه فيه اللجام ، فرأى فاس اللجام واين بلغ منه فقال لي : العجب كيف لا يذرعه القيء وانا لو ادخلت إصبعي في حلقي لما بقي في جوفي شيء الاّ خرج ، قلت : الآن علمت انك تبصر ، ثم مكث

(١) الحيوان الجزء الثالث (ص ١١٢) .
(٢) « « (ص ١٠١) .

البرذون ساعة بلوك لجامه فأقبل عليّ فقال لي : كيف لا يبرد اسنانه ، قلت انما يكون عند البصراء مثلك ، ثم رأى البرذون كلما لاك اللجام والحديدة سال لعابه على الارض فقال لي : ان البرذون افسد الخلق عقلاً ولولا ذلك لكان ذهنه قد صفي ، قلت له : قد كنت اشك في بصرك بالدواب فأما بعد هذا فلست اشك فيه .—

وقلت له مرة ونحن في طريق بغداد : مابال الفرسخ يكون في هذا الطريق فرسخين والفرسخ يكون اقل من مقدار نصف فرسخ ففكر طويلاً ثم قال : كان كسرى يقطع للناس الفراسخ فاذا صانع صاحب القطيعة زادوه واذا لم يصانع نقصوه .—

وقلت له مرة : علمت ان الشاري حدثني ان المخلوع بعث الى المأمون بجراب فيه سمسم كأنه يخبره ان عنده من الجند بعدد ذلك ، وان المأمون بعث اليه بديك اعور يريد ان طاهر بن الحسين يقتل هؤلاء كلهم كما يلقط الديك الحب ، قال : فان هذا الحديث انا ولدته ، ولكن انظر كيف سار في الآفاق ، واحاديثه واعاجيبه كثيرة .— »

تهكم الجاحظ

- ٢ -

ظهر ميله الى الاستهزاء من غضاضة عوده واستحكم فيه هذا الميل بعد ان تهيأت له اسباب التهكم بحذافيرها ، فقد خلق مطبوعاً على هذا التهكم ، وقويت فيه ثقافته هذا الطبع ، وعاش في عصر احتاج فيه الى السخرية ، عاش في عصر ترك فيه الجمهور الاكبر والسواد الاعظم التوقف عند الشبهة ، والتثبت عند الحكومة وعزل الحق فيه جانباً ومات ذكر الحلال والحرام ورفض ذكر القبيح والحسن . والخلاصة عاش في عصر استفاضت فيه الزندقة وشاعت فيه طائفة من الخرافات في طبقات العامة وبعض العلماء والمؤلفين فلم يجد الجاحظ بداً له من التنبيه على هذه الخرافات ، وعلى هذا الضلال وهو الرجل الذي وقف نفسه على نصرة الحق عمره كله ، وخاصة فقد امكن القول في عصره وصلح الدهر ، فلم يبق للجاحظ الا اظهار ما عنده والقيام بما يلزمه من نصرة الحق وهجمة على الباطل ولاسيما بعد ان كثرت خصومه وحساده ومنتقدوه فلم يجد له امضى سلاحاً من التهكم ، هذا التهكم الذي قال فيه فولتير : اذا اردت ان تقتل خصمك فاجعله هزأة .

فاجتهد الجاحظ في جعل خصمه هزأة كل حياته ولئن عابه ابن قتيبة باستهزائه من الحديث استهزاء لا يخفى على اهل العلم ذكره فلم يستهزئ الجاحظ بالصحيح من الاحاديث وانما استهزأ ببعض تأويلات وتفسيرات لا يقرها عقل عالم اشتغل بالتحقيق والتمحيص قرناً متكاملاً .

فلنجتهد في بيان بعض مواطن من هذا الاستهزاء .

للجاحظ اسلوب في التهكم على بعض اهل التفسير والتأويل بسيط جداً وقد بلغ من بساطته انه لا يكاد يظهر عليه اثر الاستهزاء والسخرية فهو يدس هذا التهكم دساً دون ان

يظهر على بيانه فبدلاً من ان يتعرض لهذه الطائفة من العلماء تعرضاً ويجادلهم جدالاً يكتفي في اكثر الأوقات بالدلالة على آرائهم والاشارة الى مذاهبهم ، ولكن هذه الاشارة مهما كانت خفية ومهما كانت رمزاً لا تخلو من روح التهكم فبينا الجاحظ مثلاً يمضي قوله في باب من ابواب العلم كباب ما يعتري الانسان بعد الخصاء وكيف كان قبل الخصاء وبينا يفيض في هذا الباب في أمور علمية اذ يعرض له رأي من الآراء التي لا يؤيدها العلم فيكتفي بالتنبيه عليها كقوله مثلاً وقد سمعتموه [١] :

« وزعم بعض المفسرين واصحاب الاخبار ان اهل سفينة نوح كانوا تأذوا بالفار فعطس الأسد عطسة فرمى من منخريه بزوج سنانير فلذلك السنور أشبه شيء بالاسد وسلح الفيل زوج خنازير فلذلك الخنزير أشبه شيء بالفيل .

ثم يردف هذا القول كلامه الآتي :

قال كيسان . فينبغي ان يكون ذلك السنور آدم السنانير وتلك السنورة حواءها وضحك القوم . — »

ان مجرد ذكره لأشباه هذه الآراء في اثناء بحثه عن أمور مبنية على العلم والعقل كاف للدلالة على سخريته باصحابها فكأنه يغمز بعينيه غمزاً فهو لا يتولى الطعن على هذه الآراء والمذاهب وانما يكفي نفسه مؤنة هذا الطعن بتركه للقارئ حق الحكم على مثل هذه الآراء وهذا الاسلوب على نزاهته الظاهرة لا يخلو من مهارة وحذق ولم لا اقول لا يخلو من خبث ، فان الجاحظ لا يتولى فيه التشنيع والتهجين وانما يجر القارئ جراً الى هذا التشنيع والى هذا التهجين ثم ينسحب انسحاباً فيخرج بعد ايقاظه الفتنة كابن اللبون لا ظهراً ولا ضرعاً . —

ونظائر هذا التهكم مبثوثة في كتاباته ومن هذا القبيل قوله : مثلاً [٢] :

ويزعم زرادشت وهو مذهب المجوس ان الفارة من خلق الله ، وان السنور من خلق الشيطان وهو ابليس وهرمن ، فاذا قيل له : كيف تقول ذلك ، والفأرة مفسدة تجذب فتيلة المصباح فتحرق بذلك البيت والقبائل الكثيرة والمدن العظام والارباض الواسعة

(١) الحيوان الجزء الاول (ص٦٧) .
(٢) « « الرابع (ص٩٩) .

بما فيها من النـاس والحيوان والاموال وتعترض دفاتر العلم وكتب الله ودقائق الحساب والصكاك والشروط وتعترض الثياب وربما طلبت القطن لتأكل بزره فتدع اللحاف غربالا وتعترض الجُرُب واوكية الاسقية والازقاق والقِرَب فتخرج جميع ما فيها وتقع في الآنية وفي البئر فتموت فيه ، وتحوج الناس الى مؤن عظام وربما عضت رجل النائم وربما قتلت الانسان بعضتها ، والفار بخراسان ربما قطعت أذن الرجل وجرذان انطاكية تُجَرِّر عنها السنانير ، وقد جلا عنها قوم وكرهها آخرون لمكان جرذانها وهي التي فجّرت المُسَنّاة حتى كان ذلك سبب الخُسر بارض سبأ وهي المضروب بها المثل وسيل العرم مما تؤرخ بزمانه العرب ، والعرم المسنّاة ، وانما كان جرذاً وتقتل النخل والفسيل وتخرب الضيعة وتأتي على أقرحة الركاب والخضر وغير ذلك من الاموال والناس ربما اجتلبوا السنانير ليدفعوا بها بوائق الفار ، فكيف صار خلق الضار المفسد من الله ، وخلق النافع من خلق الشيطان ، والسنور يعدى به على كل شيء خلقه الشيطان من الحيات والعقارب والجعلان وبنات وردان والفأرة لا نفع لها ومؤنها عظيمة . قال : لان السنور لو بال في البحر لقتل عشرة آلاف سمكة ، فهل سمعت بحجة قط او بحيلة او بأضحوكة او بكلام ظهر على تلقيح هرة يبلغ مؤن هذا الاعتلال ، فالحمد لله الذي كان هذا مقدار عقولهم واختيارهم . — »

على انه هذه المرة لم يكتم استهزاءه فقد دلّ عليه بقوله : فهل سمعت قط بحجة او بحيلة . . . . بيد انه وان أفصح عن سخريته بهذه العبارة الاخيرة كان في مندوحة عنها فان تدوينه لمثل هذه الاقوال كاف للإعراب عن هذا التهكم الكامن في ذهنه . —

ومثل هذا الاستهزاء كثير في كلامه لا أجد بي حاجة الى الاستزادة منه وانما ضربت لكم مثلاً حتى تستأنسوا به . —

وقد يخرج في بعض الاحايين في ردّه على من يعيب كتبه عن البساطة التي لحت اليها فيرهف قلمه ويحشد طبعه ، فبدلاً من ان يلجأ الى رباطة جأش المتهكمين والى هدوئهم وسكونهم يثور ثورته فيقول لهذا العائب الذي عابه بأكثر كتبه (١) :

« بهرك ما سمعت ، وملأ صدرك الذي قرأت وأبطرك فلم تتجه للحجة وهي

(١) كتاب الحيوان الجزء الاول (ص٦) .

لا معوضة ، ولم تعرف المقـاتل[1] وهي لا بادية ، ولم تعرف باب المخرج اذ جهلت باب المدخل ، ولم تعرف المصادر اذ جهلت الموارد ، رأيتَ ان سبَّ الاولياء أشفى لدائك وأبلغ في شفاء سقمك ، ورأيت ان ارسال اللسان أحضر لذة وأبعد من النصب ومن إطالة الفكرة ومن الاختلاف الى ارباب هـذه الصناعة ولو كنت فطنت لعجزك وصلتَ نقصك بتمام غيرك واستكفيت من هو موقوف على كفاية مثلك وحبس على تقويم اشباهك ، كان ذلك أزين في العاجل ، وأحق بالمثوبة في الآجل ، وكنت ان اخطأتك الغنيمة لم تخطئك السلامة ، وقد سلم عليك المخالف بقدر ماابتلي منك الموافق ، وعلى انه لم يبتل منك الا بقدر ماالزمته من مؤنة تثقيفك والتشاغل بتقويمك وهل كنت في ذلك الا كما قال العربي : هل يضر السحاب نبح الكلاب والا كما قال الشاعر :

هل يضر البحر أمسى زاخراً أن رمى فيه غلام بحجر

وهل حالنا في ذلك الا كما قال الشاعر :

ما ضرَّ تغلب وائل أهجوتها ام بلت حيث تناطح البحران

وكما قال حسان بن ثابت :

ما أبالي أنب بالحزن تيس ام لحاني بظهر غيب لئيم

وما اشك أنك قد جعلت طول إعراضنا عنك مطية لك ، ووجهت حلمنا عنك الى الخوف منك ، وقد قال زفر بن الحارث ليمض من لم ير حق الصفح فجعل العفو سبباً الى سوء القول

فان عدت والله الذي فوق عرشه منحتك مصقول الغرارين ازرقا

فان من الجهل ان تضرب الطلى وان تلمس العريض حتى يغرقا وقال الاول

وضغائن داويتها بضغائن حتى شفيت وبالحقود حقودا

وقال الآخر

وما نعي عنك قوماً أنت خائفهم كمثل رقمك جهالاً بجهال

فاقعس اذا حربوا واحرب اذا قعسوا ووازن الشر مثقالاً بمثقال

الى آخر هذا الكلام . . . .

---

(١) في الاصل : المقابل .

غير ان هذه الاساليب كلها في التهكم قد لاتكون شيئاً قياساً الى تهكمه في كتابه «التربيع والتدبير»، فهذا الكتاب انما هو المثل الأعلى في التهكم والحجة القاطعة فقد كان استهزاؤه فيه على أساليب فنية، يخرج في السخرية بالرجل من باب الى باب ومن شكل الى شكل حتى يمزقه تمزيقاً فيصغره في عيون الناس اولاً ثم يصغر هذا الرجل في نفسه فيتمنى لو ان الارض خسفت به خوفاً من ان تقع عليه عين، وهل يبلغ الإفحاش في القول من رجل ما يبلغه منه تصويره في صور شتى كل صورة منها معرض تعرض علينا فيه ناحية من نواحيه، وفي كل معرض من هذه المعارض صورة هزلية.

فمرة يعرض علينا طائفة من آداب نفسه وصفات عقله في معرض هزلي فيقول [1]

« وانا أبقاك الله اعشق انصافك كما تُعشق المرأة الحسناء واتعلم خضوعك للحق كما اتعلم التفقه في الدين ولربما ظننت ان جورك انصاف قوم آخرين وانك يقنعك سماع رجال منصفين وماظنك صرت الى معارضة الحجة بالشبهة ومقابلة الاختيار بالاضطرار واليقين بالشك واليقظة بالحلم الا بالذي خصصت به من إيثار الحق وأُلهمته من فضيلة الانصاف حتى صرت احوج ما تكون الى الانكار أذعن ما تكون بالاقرار واشد ماتكون الى الحيلة فقراً اشد ماتكون للحجة طلباً.. »

ثم لايكتفي بهذا المعرض حتى يضيف اليه هذه الصورة [2]

« غير ان ذلك بطرف ساكن وصوت خاضع وقلب جامع وجأش رابط ونية جسور وارادة تامة مع غفلة كريم وفطنة عليم ان انقطع خصمك تغافلت وان خرق توقفت غير مخوب ولا متشعب ولا مدخول ولا مشترك ولا ناقص النفس ولا واهن العزم ولا حسود ولا منافس ولا متغالب ولا متعاقب يفل الحد، و يصيب المفصل و يقرب البعيد و يظهر الخفي ويميز الملتبس ويخص المشكل و يعطي المعنى حقه من اللفظ كما يعطي اللفظ حظه من المعنى و يحب المعنى اذا كان حياً يلوح وظاهراً يصيح و يبغضه مستهلكاً بالتعقيد ومستوراً بالتقريب.. »

(١) رسائل الجاحظ على هامش المبرد (الجزء الاول ص ٤٦).

(٢) « « « « « ص ٤٧

واذا فرغ من هذا المعرض عرض علينا محاسن علمه فيقول [١]

« تخبرني ماجرى بينك وبين هرمس في طبيعة الفلك ، وعن سماعك من افلاطون ومادار بينك وبين ارسطاطاليس واي نوع اعتقدت واي شيء اخترت فقد ابت نفسي غيرك وابت ان تشفي الا بخبرك ولولا اني كلف برواية الاوقاو بل ومغرم بمعرفة الاختلاف واني استجيز مسألتك عن كل شيء وابتذالك في كل امر لما سمعت من احد سواك وما انقطعت الى احد غيرك ٠— »

واذا انتهى من محاسن علمه انتقل الى محاسن اخلاقه فيقول [٢]

« واعلم اني واياك متى تحاكمنا الى كرمك قضى لي عليك ومتى ارتفعنا الى عدلك حسن العفو عني عندك وفصل مابيننا وبينك وفرق مابين اقدارنا وقدرك انا نسيء وتغفر ونذنب وتستر ونعوج وتقوم ونجهل وتعلم وان عليك الانعام وعلينا الشكر ٠— »

واذا فرغ من الاستهزاء بآداب نفسه وصفات عقله ومحاسن علمه ومكارم اخلاقه لم يبق له الا الاستهزاء بجماله الفاتن فيعرض علينا هذا الجمال فيقول [٣]

وهل تقع الأبصار الا عليك ، وهل تصرف الاشارة الا اليك ، واي امرك ليس بغاية ، واي شيء منك ليس في النهاية ، وهل فيك شيء يفوق شيئاً او يفوقه شيء او يقال لو لم يكن كذا لكان او لوكان كذا لكان أتم واين الحسن الخالص والجمال الفائق والملح المحض والحلاوة التي لا تستحيل والتمام الذي لايحل الا فيك اوعندك او لك او معك لا بل اين الحسن المصمت والجمال المفرد والقد العجيب والملح المنثور والفضل المشهور الا لك وفيك وهل على ظهرها جميل حسيب وعالم اديب الا وظلك اكبر من شخصه وظنك اكثر من علمه واسمك افضل من معناه ، وحلمك اثبت من نجواه ٠— »

وقد تفنن في هذا الاستهزاء التفنن كله فلا تغني هذه الانماط التي ذكرتها عن الرجوع الى اصل الكتاب ٠

---

(١) رسائل الجاحظ على هامش المبرد (الجزء الاول ص٥٧) ٠
(٢) « « « « « ص ٦٢
(٣) « « « « « ص ٦٨

هذا آخر ما خطر على البال من تهكم رجل هزأ باشياء كثيرة في هذا العالم ، هزأ بالخرافات والأباطيل وبالحمق وربما كان خروجه من ديوان الخليفة هزءاً بالعظمة نفسها ، بل ربما سخر بشيء اعظم من العظمة فاذا كان الجاحظ في كتابه المحاسن والأضداد الذي وصف فيه الشيء وضده على السن مختلفة يرمي الى حقيقة فلسفية فيصوّر لنا طبقة من الناس يستحسنون طائفة من الامور ثم يصوّر لنا طبقة غيرهم يستقبحون ما استحسن غيرهم اذا كان غرض الجاحظ من هذا الكتاب تقرير هذه الحقيقة فكأنه يريد ان يقول لنا لا حقيقة مطلقة في الدنيا واذا كان هذا قوله فكأنما الجاحظ هزأ بالحياة كلها . —

دمشق : في ٥ كانون الاول سنة ١٩٣١

آراء وافكار

—«»—

حول مقالة الشاعر الصنوبري

قرأت في الجزء الثامن من المجلد الحادي عشر (ص ٤٨٤) من مجلة المجمع مقالة للصديق الاستاذ الشيخ كامل الغزي مقالة عنوانها (الشاعر الصنوبري) ذكر في مطلعها انه جمع نبذة من اخباره وجمع زهاء اربعمائة بيت من شعره وان اول سفر عثر فيه على كلمات في هذا الشاعر مجموع قديم مخطوط ثم قال : اذا أمعنا النظر في ترجمة الصنوبري التي اتى بها كل واحد من صاحب المجموع المخطوط وفوات الوفيات ومعجم البلدان وابن عساكر وابن جني فاننا لأول وهلة يظهر لنا اختلاف عظيم في اسم الصنوبري واسم ابيه وجده وجد ابيه ووصفه مرة بالصبني وأخرى بالضبي وتسمية ياقوت لجده بمروان وتسمية ابن عساكر لجد أبيه بمرار وتفرد ابن جني باسمه واسم ابيه دون جميع من ذكرناهم ممن ترجموا له ·

ثم ذكر انه اتبع باسمه واسم ابيه ونسبه الاكثرية وانه احمد بن محمد الصبني الصنوبري الحلبي · وان كلمة الضبي الواردة فيما ترجم له ابن عساكر محرفة عن الصبني ثم قال :

اما تاريخ وفاته فلم ار من صرح به سوى صاحب المجموع فزعم انها كانت في سنة ٣٣٤ وهذا بلا ريب تاريخ مغلوط اذا سلمنا بصحة الحكاية التي أوردها صاحب اليتيمة عن ابن جني فانها كادت تفيدنا صراحة ان الصنوبري كان في سنة ٣٤٦ حياً يرزق · نستفيد هذا من قول ابن جني وانشدت ابا علي ليلاً قصيدة ابي الطيب التي اولها (واحر قلباه ممن قلبه شبم) الخ فان هذه القصيدة آخر ما نظمه ابو الطيب في حلب اي انه نظمها حين فارق سيف الدولة وذلك في السنة المذكورة · وعلى كل حال فان تاريخ وفاة الصنوبري لا يخلو من إبهام فهو يحتاج الى تدقيق عميق اه ·

اقول واني ايضاً ممن عنى منذ مدة بجمع اخبار الصنوبري وشعره وقد اودعت ترجمته ونبذة من شعره المجلد الرابع من تاريخي (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء) (ص٢٣) ناقلاً معظم ذلك عن تاريخ ابن عساكر المحفوظ بظاهرية دمشق وقد سميت هذه المجموعة (الروضيات) وفي نيتي طبعها ان شاء الله تعالى . وقد اربى ما جمعته من شعره الى الآن على ٦٠٠ بيت .

اما قول الاستاذ الغزي ان اسمه واسم ابيه احمد بن محمد فهو صواب لا ريب فيه لاجتماع كلمة من ذكرهم من المؤرخين وغيرهم على ذلك اما اسم جده فهو الحسن (لا الحسين كما جاء في المجموع المخطوط وهو تحريف من الناسخ) وهكذا سماه (الحسن) ابن عساكر وياقوت والذهبي في تاريخه الكبير الموجود منه خمسة أجزاء في المكتبة الاحمدية بحلب وفي تاريخه (العبر في اسماء من غبر الموجود في هذه المكتبة بخط الحافظ ابن حجر) . واما اسم ابي جده فهو مرار لا مروان كما جاء في المعجم لياقوت فانه هكذا في ابن عساكر وفي تاريخ الذهبي ايضاً وما في المعجم تحريف .

واما قول الاستاذ ان كلمة الضبي الواردة فيما ترجم له ابن عساكر محرفة عن الصيني وجزمه بانه الصيني فهو بعيد عن الصواب وخطأ محض والصواب انه الضبي كما قال ابن عساكر وهكذا في تاريخ الذهبي الكبير وفي العبر ايضاً وهو نسبة لبني ضبة قبيلة من قبائل العرب و يغلب على الظن انه لو كان الصيني لذكره ياقوت في كلامه على الصين كما هو شأنه في نسبة المشاهير و يدعونا الى الجزم بانه الضبي ان جد الصنوبري كان قاطناً في بغداد وهو صاحب بيت حكمة من بيوت حكم المأمون كما قاله ابن عساكر في اول ترجمته فهو عراقي . وبنو ضبة نزلت بلاد العراق كما ذكر ذلك القلقشندي في صبح الاعشى حيث قال (ج ١ ص ٣٤٨) ومن قبائل طابخة بنو ضبة قال في العبر وكانت بالناحية الشمالية من نجد بجوار بني تميم ثم انتقلوا في الاسلام الى العراق وهم الذين قتلوا المتنبي الشاعر اه .

وقول الاستاذ انه لم ير من صرح بتاريخ وفاته سوى صاحب المجموع فزعم أنها كانت في سنة ٣٣٤ وهذا بلا ريب تاريخ مغلوط الخ .

أقول وممن صرح بوفاته في هذه السنة الحافظ الذهبي في تاريخه المتقدم في وفيات هذه السنة وأورد له من نظمه (لا النوم ادري به ولا القلق) وذكره ايضاً في تاريخه العبر في

حوادث سنة ٣٣٤ ونص عبارته وفيها (اي توفي) الصنوبري الشاعر ابوبكر احمد بن محمد ابن الحسن الضبي الحلبي وشعره في الذروة العليا اه ·

وصاحب المجموع الذي هو من مخطوطات مكتبة الاوقاف في حلب المحفوظة في المدرسة الشرفية — عين لنا الشهر الذي توفي فيه وهو شهر رجب فيكون نقله لتاريخ وفاته عن غير الذهبي والذهبي لم يعين الشهر لا في تاريخه الكبير ولا في العبر فيكون الذهبي وصاحب المجموع قد اتفقت كلمتهما على ان وفاته في هذه السنة · وعلى هذا فيكون الصنوبري قد بقي مدة وجيزة بعد مجيء سيف الدولة الى حلب هي سنة واربعة اشهر لان سيف الدولة دخلها في ثمان خلون من شهر ربيع الاول سنة ٣٣٣ ·

واما استدلاله بقول ابن جني انشدت اباعلي ليلاً الخ وانها كادت تفيد صراحة ان الصنوبري كان حياً في سنة ٣٤٦ الخ فهو غلط منه وسهو في النقل فان العكبري شارح ديوان المتنبي لم يذكر في شرحه لهذه القصيدة انها آخر مانظمه المتنبي في سيف الدولة وانه فارقه بعد ذلك بل آخر قصيدة قالها فيه في حلب هي قصيدته التي اولها (عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم) الخ فقد ذكر العكبري هنا (ج ٢ ص ٢٨٧) انه قالها سنة خمس واربعين وثلاثمائة وانها آخر قصيدة قالها بحضرة سيف الدولة ·

فعلى هذا تكون وفاة الصنوبري في سنة ٣٣٤ امراً محققاً لا ريب فيه · هذا ماظهر لنا وفوق كل ذي علم عليم ·

محمد راغب الطباخ

رجاء

عثرت على جزء من تاريخ حلب للصاحب كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد الشهير بابن العديم الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠ المسمى (بغية الطلب في تاريخ حلب) في المدرسة الحسنية في الموصل وقد ارسلت فاستنسخته وهو في نحو ٤٠٠ صفحة كبيرة اوله زهدم بن الحارث كان بدابق الخ وآخره سعيد بن سلام المغربي والفضل في ذلك يرجع للدكتور داود الچلبي مؤلف كتاب مخطوطات الموصل ·

ويوجد من هذا التاريخ الحافل الذي تجد فيه مالا تجده في غيره من الاخبار والتراجم مجلد في مكتبة الأمة في باريز . ومجلد في مكتبة أياصوفيا في الآستانة . ومجلد في مكتبة لندن .

فنرجو ممن وقف على شيء من هذا التاريخ غير المجلدات التي ذكرتها في المكاتب العامة او الخاصة ان يتفضل بافادتي مع وصف الكتاب من الخط وعدد الاوراق وتاريخ الكتابة وما هو اوله وما هو آخره وله مزيد الشكر . حلب : محمد راغب الطباخ

مخطوطات نفيسة[1]

واما كتاب (تكملة القاموس) فهي المستدركات في شرح مؤلفها (الزبيدي) على القاموس وانما بدا له بعد فراغه منه ان يجردها في تأليف على حدتها كما ذكره في خطبتها ففعل مع تنقيح واختصار يسير لبعض الجمل وطبعها منفردة لا تنكر فائدته وعندي نصفها الاول تقريباً بخط مشرقي صحيح واني أود توجيه عنايتكم الى الاهتمام بطبع حاشية القاموس المسماة : (باضاءة الراموس ، وافاضة الناموس ، على اضاءة القاموس) تأليف سيدي محمد بن الطيب الشرقي الفاسي شيخ سيدي مرتضى وعمدته في هذا الفن حسبما أفصح بذلك في ديباجة شرحه (تاج العروس) بقوله : ومن أجمع ما كتب عليه مما سمعت ورأيت شرح شيخنا الامام اللغوي ابي عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الفاسي المتولد بفاس سنة ١١١٠ والمتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠ وهو عمدة في هذا الفن والمقلد جيدي العاطل بحلي تقريره المستحسن وشرحه هذا عندي في مجلدين ضخمين اه وهو مراده بشيخنا عند الاطلاق في تاج العروس ومع كون هذه الحاشية او الشرح على ما عبر به سيدي مرتضى كانت عنده واستمد منها كثيراً في تاجه بل هي عمدته كمؤلفها فقد ثني عنانه عن نقل كثير من عيونها ومباحثها النفيسة التي لا توجد في غيرها كما يعلم بالوقوف عليها واولها بعد البسملة :

سبحان من القاموس المحيط رشحة من آثار أياته والقابوس الوسيط لمحة من أنوار آياته فله الحمد على ما قلدنا من عقد صحاح جوهر آلائه وأولانا من باب محكم ولائه أنطقنا جلت

(١) [المجمع] من كتاب جاءنا من حضرة الاستاذ صاحب التوقيع .

حكمته ومنطقنا جلت بالنعم السوابغ نعمته وأذاقنا من حلاوة بارع لسان العرب · ما دونه الفائق المهذب وقطر الندا وارتشاف الضرب · وقرب لنا جمهرة خلاصة التنقيح والتهذيب وغاية التقريب وأتاحنا من صراح المجد اللغوي مانهاية الفصيح المختار المنتخب ان يستضي بنور مصباحه المزهر ففيه الكفاية عن كل مصنف غريب · والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من اقام أساس مجد الدين ابي الطاهر محمد بن الطيب ابي الطيب الطاهر بن الاطايب الاطاهر المعرب عن كل مغرب من الآي الظواهر الخ ·

ولصاحبها ترجمة حفيلة في الجزء الرابع ص ٩١ - ٩٤ من سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لابي الفضل المرادي مفتي دمشق وبالجملة فهي حاشية نفيسة في بابها وعندي نسخة منها في مجلدين ضخمين بخط مغربي ·

واوجه عنايتكم ايضاً الى كتاب تهذيب الاسماء والافعال لابي القاسم بن القطاع فانه من أنفس المؤلفات التي اعتمدها سيدي مرتضى ايضاً وذكر في شرحه انه في مجلدين بيد ان كتاب ابن القطاع الذي ذكر في ديباجته انه لخصه وخلصه من كتاب ابنية الافعال لابن القوطية هو في مجلد واحد وعندي نسخة منه بخط مغربي ولا أدري هل هو احد قسمي الكتاب الذي أشار اليه سيدي مرتضى او غيره ·

— والى كتاب المثلث لابن السيد البطليوسي فانه مع صغر حجمه مفيد في بابه وعندي نسخة منه ايضاً بخط مغربي ولا أظن يغني عنه مثلث ابن مالك المطبوع فانه نظم والأول نثر وفرق بينهما ·

— والى مختصر الزبيدي لكتاب العين اول من صنف في جمع اللغة المنسوب للخليل بن احمد وهذا وان أطبق الجمهور على القدح فيه ونسبته الى الليث بن نصر بن سيار الخراساني قال صاحب المزهر بعد ذلك قد لهج الناس كثيراً بمختصر العين للزبيدي فاستعملوه وفضلوه على كتاب العين لكونه حذف ما أورده مؤلف كتاب العين من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والابنية المختلفة وفضلوه ايضاً على سائر ما ألف على حروف المعجم من كتب اللغة مثل جمهرة ابن دريد وكتاب كراع لاجل صغر حجمه الخ كلامه وعندي نسخة منه عتيقة بخط اندلسي كتبت اثناء القرن السابع غير انها لا تخلو من خرق الارضة مع تجديد نحو العشرين ورقة منه بنساخة قديمة ايضاً ·

طنجة : عبد الهادي بن محمد السلاوي

مطبوعات حديثة

آداب الحسبة

« لابي عبدالله محمد بن ابي محمد السقطي المالقي الاندلسي نشره السيدان كولين »
« وليفي بروفانسال مع مقدمة له بالفرنسية وتعليقات لغوية وتفسير بعض »
« المفردات طبع في باريز سنة ١٩٣١ ص ٧٢ النص العربي ومثلها بالفرنسية »
« وهو من مطبوعات معهد العلوم المغربية »

الحسبة أشبه بديوان الشرطة والصحة والبلديات لهذا العهد ، لم تبطل على الأغلب من الديار الاسلامية الا بظهور نظام البلديات المنقول عن أوضاع الغرب في القرن الماضي . وقد كتب لنا ان عثرنا على اربعة مخطوطات في الحسبة وصفناها في ص ٥٣٧ و ٦٠٩ من المجلد الثالث من مجلة المقتبس منذ اربع وعشرين سنة الاول منها « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » استنسخناه سنة ١٣٢٢ هـ عن نسخة جلبت من حلب والثاني كتاب الحسبة لمحمد بن محمد بن احمد المعروف بابن الاخوة القرشي وهو من مخطوطات الخزانة الزكية بالقاهرة . والثالث نصاب الاحتساب لعمر بن محمد بن عوض الشامي (النسامي اوالسنامي ؟) من مخطوطات الخزانة التيمورية بالقاهرة . والرابع « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » لعبدالرحمن ابن نصر بن عبدالله بن محمد الشيزري (اوالشيرازي) من مخطوطات دار الكتب المصرية . وهذه الكتب الاربعة من تأليف علماء من المشارقة ، اما كتاب السقطي المالقي فهو من تأليف رجل من المغاربة الاندلسيين ولذلك وقعت له مصطلحات غير مألوفة في لغة المشرق ومنها الاسباني الاصل او ما دخل في اللغة القشتالية من العربية ، وقد حل معانيها الاستاذان الناشران فنفعا بعملها كما قالا مؤرخي المدنية الاسلامية في الغرب ومؤرخي اللغة العربية .

ونظن هذا المنشور بالطبع هو قطعة من كتاب المالقي الاندلسي يعثر فيها المطالع على أوضاع تخالف بعض الشيء ماجاء من نوعها في التآليف الاربعة التي ذكرنا (خطط الشام م ٥ ص١٣٥) . وأصناف الصنائع في الكتب التي اطلعنا عليها أوسع مادة وعدداً ولا يعقل ان تكون الاندلس حتى في عهد انحطاطها اقل صنائع من بلدان المشرق . والمالقي كان محتسباً ولذلك جاء كلامه معززاً بالشواهد والوقائع التي خبرها بنفسه فجاء في تضاعيف سطوره بامور اختص بها . وكان طبع كتاب الحسبة في الاسلام لشيخ الاسلام ابن تيمية في القاهرة وطبع كتاب آخر يدخل من بعض الوجوه في باب الحسبة بمدينة دمشق سنة ١٣٠٢ هـ وهو كتاب « المختار في كشف الأسرار » للعلامة زين الدين عبد الرحيم ابن عمر الدمشقي المعروف بالجوبري من اهل القرن السابع وفي هذا من كشف أسرار من يدعون النبوة والمشيخة وكذبة الوعاظ والرهبان والاحبار وبني ساسان واهل الحراب والعكارين وأصحاب السير والرمل والمعزمين والدجاجلة من الاطباء ومن يلعبون بالنار ويعملون الطعام والمشعبذين والجوهريين الى ما يتعلق بذلك من الامور الغريبة في بابها خدم بها صاحبها الحسبة من طريق غير مباشر . وعسى ان تنصرف همة احد الطابعين فيطبع جميع هذه الرسائل في مجلدة طبعة علمية متقنة فانها تفيد من عدة وجوه لانها تصور المدنية القديمة وتأتينا بالفاظ ضاعت من الاستعمال والمجتمع في حاجة اليها .

محمد كرد علي

اعلام السريان

« ترجمة مار سويريوس يعقوب البرطلي المتوفى سنة ١٢٤١ بقلم السيد »
« مار سويريوس أفرام برصوم طبعت في دير مار مرقص للسريان »
« بالقدس سنة ١٩٣١ ص١٢ »

هذا علم من أعلام السريان من اهل القرن الثالث عشر للمسيح وهو من جملة من تخرج بكمال الدين بن يونس الفيلسوف الموصلي المشهور وكان اهل الذمة يقرأون عليه التوراة والانجيل (راجع ترجمته في طبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة وفي تاريخ ابن

خلكان) . وذكر الاستاذ واضع ترجمة البرطلي ان هذا كان « ينعي على السريان إهمالهم لسانهم اذ لم يضعوا له الضوابط والقوانين كما فعل اليونان والعرب حتى انهم لم يعتنوا بالتكلم به بل فضلوا عليه اللغات الأعجمية اليونانية والفارسية ثم العربية بعد انتشارها بينهم ومن ثم أدخلوا فيه الفاظاً حوشية وأهملوا الفاظهم الاصلية التي حفظت بعضها اللغة العربية وضاعت من السريانية على طول عهدها مع وجودها في لغة كتبة السريان الاقدمين » اه ولعل هذا كان من العوامل في دثور لغة السريان من الجزيرة والشام الا قليلاً .

م . ك

مجموعة الرقم العربية

« نشر بادارة السادة كومب وسرفاجيه وفييت في القاهرة سنة ١٩٣١ »
« المجلد الاول منه في ٣١٢ ص وهو من مطبوعات المعهد العلمي الاثري »
« الفرنسي في مصر »

يقوم بنشر هذا الكتاب تسعة عشر عالماً من علماء الآثار من الفرنسيس والالمان والانكليز والعرب وغيرهم وينشرون الرقم العربية كما وجدت ويعزونها الى ناشرها او ناشريها مع بيان المصادر التي وردت فيها وقد وضعوا بجانبها ترجمتها بالفرنسية . وفي هذا الجزء اربعمائة رقم وسيكون في كل جزء من الاجزاء التالية مثلها . وقد جعلوا هذا السفر المحتمع تذكاراً لواضع علم الرقم العربية العلامة المرحوم فان برشم الاثري السويسري . واكثر الرقم في هذا الجزء مما وجد في مصر وقد بدأه واضعوه باقدم رقم عربي وجد في الارض حتى الآن وهو الرقم النبطي الذي وجد في النمرة من ارض الشام وصورته : « تي نفس امرء القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج وملك الاسدين ونزارو وملوكهم وهرّب مذحج عكدي وجاء يزجاي في حج نجران مدينت شمر وملك معدّو وبيّن بنيه الشعوب ووكلهن فارسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه عكدي هلك سنت ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بالسعد ذو ولده » . ومعنى ذلك بمصطلحنا ان هذا قبر امرئ القيس ملك العرب كلهم الذي لبس التاج وأخضع لسلطانه قبائل اسد ونزار وامراءهم وفرق

مذحج الى ذاك اليوم وظفر في حصار نجران مدينة شمر وأخضع قبيلة معد ووكل الى بنيه أمر القبائل وأرسلهم على الفرس والرومان ولم يبلغ احد من الامراء مبلغه في المجد. وقد هلك سنة ٢٢٣ في اليوم السابع من بكسلول (٧ كانون الاول ٣٢٨ م) كان السعد لعقبه . واسم هذا الكتاب بالفرنسية Répertoire chronologique d' épigraphie arabe . فأعظم بهمة هؤلاء العلماء الذين يحيون آثارنا ونحن عنها غافلون .

م . ك

المقصد

« تأليف عبد الحق البادسي نشره بالفرنسية وعلق عليه السيد كولين »
« ص ٢٥٤ طبع في باريز سنة ١٩٢٦ »

اسم هذا التأليف كما قال ناشره « المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف » تأليف ابي محمد عبد الحق بن اسماعيل بن احمد بن محمد بن الخضر بن قيس بن سعد ابن عبادة البادسي الغرناطي الخزرجي ألفه سنة ٧١١ (١٣١١ — ١٢ م) نسج فيه على منوال كتاب التصوف للتادلي المصنف (سنة ٦١٧ — ١٢٢٠ — ٢١ م) وفيه تراجم صلحاء الريف ريف المغرب الاقصى منهم المعروف بآثاره ومنهم الذي لم يشتهر عند الباحثين وفي التعليقات اللطيفة التي اتبعها به ناشره الاستاذ كولين فوائد جغرافية واجتماعية ومدنية تفيد الباحث في تاريخ الريف خاصة والمغرب الاقصى عامة وتدل دلالة واضحة على مبلغ عناية علماء المشرقيات بالتدقيق والتوسع في البحث والدرس في موضوعات استرحنا نحن اهلها من تمهدها وأتعبوا أنفسهم باحيائها وهم غرباء عنها . وحبذا لو طبع الاصل مع الترجمة اذاً لزدنا منة للناشر المحقق .

م . ك

المنتخب

— من —

« أدب العرب »

[طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٥٠—١٩٣١ جزآن]
[في ٢٨٨ ص و٥٦٧ ص ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر]

تقدمت وزارة المعارف في مصر الى الاساتيذ : طه حسين واحمد الاسكندري واحمد امين وعلي الجارم وعبد العزيز البشري واحمد ضيف في جمع أنماط من قول العرب منظومه ومنثوره في مختلف الأغراض ، على متباين الأزمان .—

جمع هؤلاء الاساتيذ شملهم فتضافروا على انتخاب طائفة من ادب العرب ذكروا انهم حرصوا فيها على امرين : الامر الاول ان يكون منتخبهم من الادب مرآة الحياة الادبية في العصر الذي استفاض فيه وصورة اهل هذا الادب . والامر الثاني ان يكون في مختارهم مايبعث في قلوب الشباب حب اللغة والادب .

* * *

لقد كثر تفرغ الأدباء من حين الى آخر لانتخاب نماذج من ادب العرب ، فريق يذكر الغاية التي يرمي اليها في منتخبه وفريق لا يذكر شيئاً من ذلك .—

لاريب في ان ادبنا مبعثر يفتقر الى كثير من الترتيب حتى يكون سلسلةً مطردة اذا قلّبنا النظر فيها شهدنا تسلسل ما تشتمل عليه في العصور فانتقلنا فيها من طور الى طور وتراءى لنا مختلف هذه الأطوار .—

الكلام على انتقال الأدب من طور الى طور يرجع الى مؤرخي الادب أنفسهم فليس للذين يجمعون طائفة من منظوم القول ومنثوره لغرض من الاغراض او لغير غرض متعلق بهذا الكلام .—

غير انه قد ذهب بعض أدباء الافرنجة في كتبهم التي يختارون فيها جملة من شعر شعرائهم او كتابة كتّابهم مذهباً لا نرى فيه محذوراً ، فبدلاً من ان يستخرجوا منتخبهم من مدانه ويحشروه في كتبهم حشراً فانهم يسلكون في ذلك مسالك : بعضهم يصدّرون

آثار كل عصر من العصور بكلام وجيز يصوّر الحياة الأدبية في هذا العصر ، وبعضهم يشرحون منتخبهم شرحاً غير هذا الشرح الذي ألفناه .—

اننا تعودنا حتى اليوم ان نقتصر في الشرح على توضيح معاني الألفاظ وهذا امر قد يستطيع الطالب سبيلاً اليه فلا يفتقر في البحث عن معنى لفظ من الالفاظ في معجم من المعجمات الى كثير من العناء وقد يجد في هذا البحث لذةً في بعض الاوقات .—

فاذا كنا نتوخى ان نبعث في قلب الطالب حب لغته وأدبه فالسبيل الى هذا ان نعدل عن هذه الاصول الجافة التي نبني عليها في الشرح .—

من القواعد التي تحبّب الى الطالب لغته وأدبه قاعدة مدارها على توضيح امور كثيرة في الشرح ، من جملتها : الكلام على معاني القطعة المنتخبة وتأليفها والكلام على لغتها ويدخل في الكلام على لغتها الكلام على أسلوبها وعلى خصائص الفاظها ثم يتبع هذا كله رأي في القطعة على صورة مجملة .—

أظن ان هذه القواعد قد تمهد للطالب سبيلاً الى الإحاطة بعبقرية ادبه ولغته وقد تغرس في صدره محبة هذه العبقرية ، اما الاقتصار على شرح الألفاظ فهذا امر يلهو به الطالب نفسه .—

واذا كان هذا العمل انما هو من أعمال معلمي المدارس الثانوية فهل ضعف ذوق هؤلاء المعلمين ضعفاً احتاجوا فيه الى من ينتخب لهم طائفة من أدب العرب .—

شفيق جبري

الأعلام العربية والفارسية

« عند السريان »

للسريان علاقات وثيقة بالعرب وأواصر أرخى عراها كرّ الايام وتقلب الحكام وتفشي الجهل ولكن دون ان تفصمها . فمن السريان الاقدمين علماء اعلام مستعربون اتقنوا العربية والفوا فيها وترجموا تصانيف ذاع صيتها واستفاضت شهرتهـا كما ان من العرب عدداً دان بمذهب السريان قبل الاسلام خاصةً واختلط بافراد هذه الملة حتى عُد منهم . واللغة العربيـة في ايامنا هذه تحتاج الى من ينقرن العربية والسريانية ويكشف لنا عما ابقته الايام من آثار السريان الجيدة وعما خدموا به اللغة العربية في مختلف العصور الاسلامية . وقد قيض الله لهذا العمل المفيد العلامة السيد سويريوس أفرام مطران السريان في سورية ولبنان فنشر حتى اليوم بضع رسائل تدل على تضلعه بهذه الموضوعات وتمكنه منهـا . والرسالة التي نتكلم عليها هي من جملة هذه الرسائل وهي بحث ممتع عن الاعلام العربيـة التي شاعت بين السريان بعد الاسلام ولاسيما الأسماء العربيـة لبعض البطاركة والمطارنة والرهبان والرواهب والقسوس وغيرهم مثالهم البطريرك الانطاكي ديونيسيوس يحيي والبطريرك عزيز ابو المعاني وجمال الدين ابو الفرج غريغوريوس ابن العبري المشهور الى عشرات من امثال هذه الاعلام العربية .

مصطفى الشهابي

رياحين الارواح

« الطبعة الثانية سنة ١٩٣١ »

السيد ابو الفضل الوليد شاعر مبدع وكاتب مجيد . وكتابه هذا « الرقين الاول » من قصائده ديوان نفيس على صغر حجمه فيه ما يلذ الشعراء ويطرب اصحاب الشعور الرقيق . وقد جمع بين الغزل والجد واللهو والزهد والخمر والرشد كما تجمع طاقة الزهور بين أصناف الورود والرياحين . وكله منظوم بابداع ممزوج بفكاهة وقد صدره بمقدمة طويلة دعاها (بالتلويحات) وهي نثر نثر فيه من الالفاظ والمعاني درراً جميلة غير قليلة .

ولقد كنا نعيب في مثل هذا الديوان الجميل طبعه على ورق عادي يشبه ورق الجرائد

السيارة جنساً وكان حقه ان يطبع على ورق صقيل ويجلد بجلد فاخر ليكون له مقامه الرفيع في خزائن الادب والادباء — لولا ان المؤلف رغب في إفادة الشبيبة وخدمة الامة ببيع كتبه بثمن رخيص على علائها قدراً وغلائها وضعاً وهي والحق يقال فكرة صائبة ٠

عبد الله رعد

الصابون

« تأليف السيد عبد الله عمر عدرة

هو كتاب صناعي فيه بحث اصحاب الصنائع على تجديد طرائقهم القديمة واكثار انتاجهم فيحيوا بذلك ما اندثر او كاد مما كان له في عهد سبق قيمة في بلادنا وشهرة وتجارة حل بها الاضمحلال الا قليلاً وذلك من جملة الاسباب التي جرت ولا تزال تجر وطننا الى الفقر ٠

عالج الاستاذ عدرة موضوع كتابه بنظام حسن واسلوب تحاشى فيه قدر الاستطاعة استعمال الكلمات الفنية الثقيلة وتعابير الكيمياء التي لا يفهمها الا الكيمياوي وذلك ليقرب به الى افهام اصحاب المصابن وهم ليسوا على الغالب في بلادنا اصحاب فن بل ممن تعلموا صنع الصابون عن اسلافهم دون ان يلموا بكيف ولا بكم مما يطبخ في الخلقين ٠ فاستقرأ الزيوت والمواد الاولية وطرق الطبخ المعول عليها في شرقنا ، وقابلها بالطرق الفنية الغربية ، ودل على الفرق بينهما من حيث اجناس المحصول وزيادة الفائدة ، ومد اصحاب المصابن الشرقية بنصائح فنية ان هم عملوا بها نهضوا ببضاعتهم ان لم يكن الى مستوى معامل البلاد الاوربية ، فالى بتجديد حياة الصناعات الوطنية يعيد اليها شيئاً من رواجها القديم ٠

عبد الله رعد

الرسالة النباتية

[في بعض نباتات زراعية لم ترد في معجم اسماء النبات للدكتور احمد عيسى]
[ومعجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد شرف]

المعاجم العربية الحديثة التي يقام لها وزن في ابحاث النباتات واسمائها العربية والمعربة اثنان : معجم اسماء النبات للدكتور احمد عيسى ومعجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد شرف . وقد نقل كلاهما عن أهم المؤلفين في النبات قديماً وحديثاً كابن البيطار وابن العوام والأصمعي وفيجري واحمد ندا وفورسكال وشوينفورث وبوست وغيرهم . وطبعا المؤلفين بالمطبعة الاميرية في القاهرة فجاآ فريدين في بابهما . وهما اليوم أصلح المعاجم في هذا الصدد ، يوفران كثيراً من وقت القارئ الذي يفتش عن اسم نبتة من النبتات ولا سيما معجم الدكتور احمد عيسى فانه يمتاز بسهولة مراجعة الالفاظ في اي لغة من اللغات الاربع وهي العربية واللاتينية والفرنسية والانكليزية .

ومن البديهي ان المعجمين المذكورين لم يتناولا سوى بعض المهم من النباتات مما جاء في الكتب التي مر ذكرها او في بعض المعاجم الاجنبية . وهما ابعد من ان يتناولا كل ما نراه في كتب النبات الواسعة من مختلف الاسماء اللاتينية لنباتات شتى مفيدة او غير مفيدة تُنبتها الطبيعة في انحاء العالم ولا يوجد لكثير منها أسماء حتى في اللغات الاوربية المشهورة . ومن البديهي ايضاً انني لا ابغي في هذا البحث الموجز التعرض لتلك النباتات وعددها عظيم وانا أجهل معظمها الا في الكتب ، بل غايتي ذكر بعض نباتات زراعية لم يوردها شرف ولا عيسى في معجميهما كبعض الأزهار والرياحين واشجار التزيين وجنباتها واشجار الحراج والفواكه ، وهي نباتات زرعتها او رأيتها في حدائق النبات وقليل منها لم أزرعه ولم أره لكن قرأت عنه في الكتب والمجلات الفرنسية . ولا

نعرف لهذه النباتات اسماء عربية (لان أجدادنا كانوا يجهلونها) لكن لاسمائها العلمية (ومعظمها مأخوذ عن اليونانية) معاني وصفوا بها بعض اعضاء النباتات او بعض مميزاتها فيسهل علينا ترجمة تلك الاسماء بمدلولاتها . ثم انهم ينسبون بعض النباتات الى العلماء الذين كشفوها فيسمونها باسمائهم او يطلقون عليها اسم احد الملوك او الامراء او آلهة الأقدمين وجميع هذه الاسماء تترك على حالها عند تعريبها او تجعل بصيغة النسبة . ولم أذكر لكل نبات سوى اسم جنسه . ولو عمدت الى ذكر انواعه وذكر اصنافه خاصةً لطال الكلام دون كبير فائدة من حيث الغـاية التي نتوخاها في هذا البحث . ومن المعلوم انه لا يجوز ان اكتب في هذه الرسالة ماهو خاص بكتب الأزهار والأشجار ، اذ ليست الغاية هنا تحلية انواع تلك النباتات واصنافها وذكر منابتها وفوائدها وغير ذلك من المعلومات التي لا تستوعبها غير الكتب ، بل الغاية بيـان أصلح اسم عربي او معرب او مترجم لجنسها . اما الالفاظ المختصة بالانواع فمعناها يكن سهل الترجمة في الغالب وكذا الألفاظ الدالة على الأصناف ولذلك لم أر لزوماً للتعرض لها في هذا المقال . (الا بعض انواع كما في زهرة القبس وزهرة زينيا) مثال ذلك انني لم أتعرض للجنس المسمى (Campanula) البتة لان كلاً من الدكتور عيسى والدكتور شرف ذكره وذكر له اربعـة انواع ، مع ان لديَّ منه عشرين نوعاً لم يورداها وهي كلها تزرع وكلها يعرفهـا ارباب الأزهار وهاك بعضها :

الجريس الكبير الورق	Campanula grandiflora
« النبيل	» nobilis
جريس سبريا	» sibirica
الجريس الملتحي	» barbata
« المجتمع الزهر	» glomerata
« العريض الورق	» latifolia
« المستدير الورق	» rotundifolia
« الخذروفي	» turbinata
« البولوني	» boloniensis

الجريس القزم Campanula cœspitosa

〃 الهرمي 〃 pyramidalis

الخ ...

ومما لاريب فيه انني لو اردت ذكر أهم الأنواع لكل جنس من الاجناس التي سقتها في رسالتي هذه لأربت اسماؤها على الف لفظة ٠

ولم أذكر ايضاً اسماء الاجناس المترادفة بل اكتفيت بالاسم الأشهر ورأيت من العبث في هذه الرسالة الصغيرة وضع اسم صاحب النبات بجانب اسم الجنس لشهرة الاجناس المذكورة ووجودها في كتب الازهار والاشجار المهمة ٠ ولم أر حاجة الى ذكر الفصيلة التي ينتسب اليها كل جنس لان ذلك من متناول معاجم النباتات وكتبها ٠ ولا بد لي من التنبيه الى ان النباتات التي ذكرتها في هذه الرسالة لم أجد منها شيئاً في كتاب النبات لشوينفورث ٠ اما بوست فقد اورد منها عدداً صغيراً في كتابه « نباتات سورية وفلسطين ومصر وبواديها » دون ذكر اسماء عربية لهذا العدد الصغير ، والسبب في ذلك ان النباتات التي نحن بصددها لاتنبتها الطبيعة في بلادنا بل منابتها بلاد اجنبية مختلفة ومع هذا فهي اليوم شائعة في جميع العالم وما من حديقة او شارع او منبت الا فيه عدد منها ٠ واعتمدت في تحري اشتقاق الاسماء العلمية على اهم موسوعات الازهار والاشجار الفرنسية ٠

ويجب ان اعترف بان ضيق الوقت وقلة الوسائل حالا دون البحث عن عدد كبير من اشجار التزيين المستعملة في البلاد الحارة خاصة كأشجار الفصيلة النخلية التي شاهدت منها في حدائق مصر مجموعة بديعة ٠ فلعل العلماء المصريين يسدون هذا الخلل ٠

ولست ادعي العصمة فيما ترجمته او عربته من الاسماء ٠ ورب عالم بالنباتات الزراعية متمكن من اللغة يغالطني في بعض الالفاظ فأشكر له يده ٠ وارجو من المؤلفين الذين يقتبسون الفاظ هذه الرسالة في مؤلفاتهم ان يذكروا النبع الذي استقوا منه وهو مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق فهذا اقل مايتطلبه من ربما لبث ساعات يتحرى لفظة واحدة وهو لايبتغي على عمله جزاءً ولا شكورا ٠

ولقد قسمت البحث قسمين واحداً بالازهار وآخر بالاشجار وسقت الالفاظ في كل منهما مرتبة على حروف المعجم ٠

القسم الاول في الازهار

A

Abronia	الرشيقة (من اليونانية لرشاقة ازهارها)
Acœna	الشائكة (من اليونانية للشوك الدقيق في الكأس والثمرة)
Achimenes	المقرورة (〃 لشدة تأثرها بالبرد)
Acroclinium	المخنية الرأس (لانحناء ازهارها الانتهائية قبل تفتحها)
Agapanthus	زهرة الحب
Ageratum	الدائمة الشباب (من اليونانية لطول عمر ازهارها)
Alonsoa	الألنصوا او الألنصية (منسوبة الى Alonso zanoni وهو نباتي من بيرو)
Alstrœmeria	الألصطروميريا (منسوبة الى Cl. Alstrœmer وهو نباتي وزراعي سويدي
Arctotis	اذن الدب (ايماء الى ما في ثمارها الفقيرة من نتوءات)
Arenaria	زهرة الرمال (لم يذكرها شرف وذكر عيسى لها نوعاً واحداً وهي لها عدة انواع منها الانواع الآتية المعروفة :
Arenaria Laricifolia	زهرة الرمال اللارقسية الورق
〃 Montana	زهرة الرمال الجبلية
〃 balearica	زهرة رمال جزائر باليار
〃 Cespitosa	زهرة الرمال المفرخة
Asperella	الجُوَيسئة (تصغير جاسئة)
Astilbe	المكمدة
Astrantia	النجمية (لشكل النور في نباتات هذا الجنس)
Aubrietia	أبرياسيا (منسوبة الى الرسام الفرنسي Aubriet)

B

Bartonia برطونيا (منسوبة الى النباتي الدكتور برطون الأميركي)

Bocconia بكونيا او بكّونية (منسوبة الى Boccone النباتي الصقلي)

Boltonia بلطونيا (باسم J. Bolton النباتي الانكليزي)

Boussingaultia بوسنغلطيا (احياء لذكر بوسنغلط العالم الفرنسي المشهور بأبحاثه الزراعية والكيمياء الزراعية)

Brachycome الزهرة الكثّاء (من اليونانية لقصر زغب البزور)

Briza المحنية السنيبلات (سميت بهذا الاسم لانحناء سنيبلاتها وهي مبذولة في بلدتنا حاصبيا حيث تنبتها الطبيعة فيقطعونها ويضمونها في الزهريات)

Browallia بروفاليا (منسوبة الى المطران السويدي Browallius)

C

Calandrinia قلندرينيا (منسوبة الى Calandrini وهو نباتي سويسري)

Callirhœ زهرة السبيل (باسم احدى آلهات الجمال اليونانية)

Callistephus زهرة الملكة مرغريتا (هكذا يسمونها بالفرنسية اما اللفظة العلمية فهي من اليونانية بمعنى الجميلة الاكليل · ولهذه الزهرة عدة اصناف جميلة تؤلف بها رسالة · وسماها لينيوس Aster sinensis اي الأسطر الصيني)

Centauridium الشبيهة بالأرجيقن او اخت الأرجيقن

Centrosema الملفوفة العلم (لشكل العلم في زهرتها الفراشية)

Cerastium زهرة القرون (لطول السنفات في بعض انواعها)

Chionodoxa فخر الثلوج (من اليونانية بهذا المعنى لكشفها في ذائب الثلج)

Clarkia إقلرقيا (باسم القبطان Clark)

Clianthus زهرة المجد (لجمال تويجها)

Clintonia إقلنطونيا (باسم Witt Clinton الاميركي)

Cobœa قوبيا (باسم Cobo وهو نباتي يسوعي من الاندلس)

Collinsia	قلنسيا (باسم Collins معاون رئيس المجمع العلمي في فيلادلفيا)
Collomia	زهرة الغراء (لبزورها المخاطية)
Coreopsis	زهرة البق (معناها باليونانية الشبيهة بالبق لشكل ثمارها)
Corydalis	زهرة القبرة (لم يذكرها عيسى · وذكرها شرف فسماها حب القنبر والاصلح زهرته · وهي من اليونانية لان شكل زهرتها كرجل القبرة لها عدة انواع واصناف)
Cosmidium	اخت الزينة (الشبيهة بزهرة الزينة)
Cosmos	زهرة الزينة (لجمال ازهارها)
Cuphea	المنحنية (لشكل كأسها)
D	
Diascia	زهرة التزويق (لرشاقة ازهارها)
Dicentra	ذات الجناحين (لتويجها الذي له جناحان)
Dracocephalum	رأس الغول (لشكل ازهارها)
E	
Eccremocarpus	زهرة الثمار المتدلية
Echeveria	أشوريا (باسم رسام نباتي من المكسيك)
Echinocystis	زهرة المثانة الشائكة (لشكل ثمرها الشوكي)
Eranthis	زهرة الربيع (من اليونانية بهذا المعنى)
Eremurus	زهرة الأذناب الوحيدة (لازهارها المجتمعة عناقيد طويلة سنبلية)
Eutoca	زهرة الخصب (لكثرة ازهارها)
F	
Fuchsia	فوشيا (منسوبة الى نباتي من بافاريا اسمه Leonard Fuchs)
G	
Galega	الزهرة المدررة
Gamolepis	المتحدة الحراشف (لاتحاد الحراشف في قنابة الزهرة)

Gaura	زهرة البهاء (لجمال الزهر في بعض انواعها)
Gerardia	جيرارديا (منسوبة الى John Gérard)
Gerbera	جربارا (منسوبة الى النباتي الالماني Gerber)
Gilia	جيليا (منسوبة الى النباتي الاسباني Salvador gil)
Gloxinia	غلُقسينيا (باسم الكاتب النباتي Gloxin من كولمار)
Godetia	غداسيا (باسم النباتي Godet من نوشاتل)
Gymnothrix	زهرة الحرير العاري (لشبه الحرير في سنيبلاتها)
Gynerium	زهرة المدقة الزغبية
H	
Helichrysum	زهرة الشمس الذهبية (لشكل حراشف الرؤيس ولونها)
Hugelia	هوجاليا (باسم البارون Hugel من ويانا)
Humia	هوميا (باسم قرينة Sir Abraham Hume)
I	
Iberia (Thlaspi)	زهرة الأندلس
Ionopsidium	اخت البنفسج (خباتها الشبيه بنبات البنفسج)
Ixia	زهرة الدبق (للزوجة العصارة في بصلاتها)
L	
Lagurus	ذيل الارنب (سماها شرف شعر الارنب والاصح ماذكرناه) .
Lamarckia	لامارکیا (باسم لامارك العالم الفرنسي المشهور)
Lathyrus odoratus (pois de senteur)	زهرة الجلبان العطر
Layia	لَيّا (منسوبة الى توما لَيّ العالم بالمواليد)
Leptosiphon	زهرة الانبوب الرقيق (لرقة انبوب تويجها)
Leptosyne	النحيلة (لمنظر بعض انواعها النحيلة)
Limnanthes	زهرة المناقع (لانها تعيش في الارض الكثيرة الرطوبة)
Loasa	لوازا (اسم لامعنى له ركبه أدنسون من حروف وردت على خاطره عفواً)

العرفية الحب [لشكل حبوبها]	Lophospermum
	M
مورانديا [باسم الدكتور النباتي Maurandy]	Maurandia
العسلية اللب [من الايطالية]	Melica
المقنعة [لان تويجها يشبه قناع الممثلين]	Mimulus
مينا [باسم وزير من المكسيك]	Mina
مورينا [باسم النباتي الفرنسي L. Morin]	Morina
	N
نوجيليا [باسم الاستاذ Nœgeli مدير حديقة النباتات في مونيخ]	Nœgelia
زهرة الحراج [لانها تجود في الحرجات]	Nemophila
زهرة الجريس [لشكل ازهارها الجرسية]	Nolana
زهرة الليل [لتفتح ازهارها في الليل]	Nycterinia
	O
الحادة الذيل [لشكل السمات في ازهارها]	Oxyura
	P
زهرة خمس الأسدية [لوجود خمس اسدية منها واحدة عقيمة]	Pentstemon
اخت التبغ [لصلاتها النباتية بالتبغ]	Petunia
زهرة الجمة [لشكل ازهارها]	Phacelia
زهرة القبس [لشكل الازهار في احد انواعها وهو القبس الهري] وهذا الجنس من اشهر الازهار له عدة انواع وعشرات من الاصناف زرعنا كثيراً منها فمن انواعه المعروفة :	Phlox
قبس أدروموند	Phlox Drummondii
القبس الهرمي	» Pyramidalis
« العشكولي	» Paniculata

القبس المؤنف[1]	Phlox acuminata
〃 البغلي	» hybridœ
〃 البيضي	» ovata
〃 الربيعي او قبس الربيع	» verna
〃 الخرزي	» subulata
بوداليريا [باسم الطبيب بوداليير ابن اصقلاب]	Podalyria

R

اخت الورد [للون زهرتها]	Rhodanthe

S

لسان المزمار [لشكل مدقات زهرتها]	Salpiglossis
الزهرة المحزوزة [لوجود حز في زهرها]	Schisanthus
زهرة القعالات المحزوزة [للحز في القعالات اي البتلات]	Schisopetalum
زهرة الثمار الحلزونية [لان ثمارها تستدير حلزونياً عندما تنضج]	Streptocarpus
سرخس النعامة [لان اوراقها تشبه ريش النعام]	Struthiopteris

T

زهرة النمر [للبقع الجميلة في لفافة الزهرة]	Tigridia
زهرة العنق [لطول انبوب التويج]	Trachelium
الزهرة الشعرية [لتحزيز دقيق في تويجها]	Trichosanthes
الزهرة الثلاثية الكاملة [لوضع اجزاء زهرتها الثلاثية المنتظمة]	Triteleia
الزهرة الثلاثية	Tritoma
الزهرة المستديرة [من الالمانية Trol بهذا المعنى]	Trollius

V

زهرة العرق [للعروق البارزة في الساق]	Venidium

(١) لفظة المؤنف من وضع العلامة الدكتور امين باشا المعلوف . انظر مجلة المجمع العلمي مجلد ٨ ص ٣٢٨ .

اخت الدبق [للزوجة اهم انواعها]	Viscaria
	W
وطصونيا [باسم الاستاذ النباتي الانكليزي Watson]	Watsonia
	X
الزهرة الندية [اي الزهرة التي إن جفت لا تذبل]	Xeranthemum
	Z
زينيا [باسم الاستاذ النباتي الالماني Zinn وهذا النبات من اشهر الأزهار له انواع معروفة منها :	Zinnia
الزينيا الرشيقة	Zinnia elegans
〃 الكثيرة الزهر	» multiflora
〃 المكسيكية	» mexicana

وفي كل من هذه الأنواع اصناف مشهورة لدى غواة الأزهار لا مجال لذكرها في هذه الرسالة .

* * *

القسم الثاني في الشجر والجنبة (١)

	A
آبليا [منسوبة الى الدكتور Abel Clark]	Abelia
جنبة الغدد الحادة [الماعًا الى غدد المئبر الحادة]	Acmadenia
جنبة الغدد الذكرية [اشارة الى الغدد التي في المئبر]	Adenandra
جنبة الرائحة الزكية	Agathosma
عقبية [هكذا تسمى في اليابان وهي معرشة]	Akebia
الجنبة الناقصة [لنقص في تركيب نورها]	Amorpha

(١) الجنبة هي النباتات التي صغرت عن الشجر ونبلت عن البقول وقد اتخذناها لما يسمى بالفرنسية Arbrisseau و Arbuste على السواء واول من استعملها حديثًا امين باشا المعلوف

Ampelopsis	اخت الكرمة [لانها تشبه الكرمة . ذكرها شرف بلفظتها العلمية ولم يترجمها]
Aotus	العديمة الاذن [لفقد الزوائد في الكأس]
Araucaria	أروكاريا [من Araucanus وهو اسمها في بلاد شيلي . ويسمونها في دمشق الشمسية اي المظلة]
Argyrolobium	جنبة السنفة الفضية [للون سنفتها الفضي]
Aucuba	أكوبا [هكذا تسمى في اليابان . شاهدناها في غرينيون وفي غيرها . وهي اليوم مبذولة]
Azara	عزارة [باسم العالم الاسباني J. N. Azara]

B

Baccharis	شجرة الخمر [يقال ان السبب في اطلاق هذا الاسم عليها رائحة جذورها . ذكرها عيسى وشرف بلفظتها العلمية ولم يترجماها]
Biota	شجرة الحياة [من اليونانية بهذا المعنى اشارة الى اسمها القديم]
Boronia	بورونيا [باسم النباتي Boroni]
Brachysema	القصيرة العلم [لقصر العلم في زهرها]

C

Callistemon	الجميلة الاسدية [من اليونانية لجمال أسديتها]
Calodendron	شجرة البهاء [من اليونانية بهذا المعنى]
Carpinus	شجرة النير [من القوطية بمعنى خشب الرأس اي الخشب الصالح لصنع الانيار التي توضع وراء رأس الثيران . وهي من اشجار الحراج المنتشرة في اوربة ومنها نوع في جبل اللكام شمالي الشام]
Carya	اخت الجوز [من اليونانية بمعنى الجوز . وهي مبذولة في اميركة وتصلح لتزيين الشوارع]
Caryopteris	الجوزة المجنحة [لثمارها المجنحة]

Cazuarina	كزورينا [باسم الطائر Cazuarius لان اغصانها الطوال المتدلية تشبه ريشه]
Cephalanthus	جنبة الازهار الرأسية [لان نورها انتهائي على شكل رؤيس · ذكرها شرف باللفظة العلمية ولم يترجمها]
Cestrum Syn. Habrothamnus	جنبة البهاء [لها اكثر من ١٥٠ نوعًا]
Chamœcyparis	شجرة السرو الصغير [الماعًا الى انها تشبه السرو]
Chamœlaucium	اخت الحور الابيض [لان ساقها تشبه ساق الحور الابيض]
Chorizema	المنشقة السنفات [لان سنفتها تنقسم قسمين متفرقين]
Cladrastris	النحيلة الاغصان
Clerodendron	شجرة الرهبان [لان كهان الهند يستعملونها في صلاتهم · لها اكثر من ثمانين نوعًا]
Colletia	كولتيا [باسم Collet وهو كاتب نباتي فرنسي]
Coronilla	جنس الأكيليل [لشكل ازهارها · لم يذكرها عيسى وذكرها شرف باسمها العلمي]
Corylopsis	اخت البندق [لانها تشبه البندق اي الجلوز]
Cotoneaster	شبيه السفرجل [لان اوراقه زغبية كاوراق السفرجل · له عدة انواع منها نوع في لبنان]
Cratœgus	جنس الزعرور [لم يذكره شرف وذكر عيسى له ثلاثة انواع مع ان له اكثر من اربعين نوعًا كثير منها معروف يزرع او تنبته الطبيعة في مختلف البلاد]

D

Darwinia	الدارونية [منسوبة الى دارون الشهير]
Decumaria	الشجرة العشرية [اشارة الى اجزاء الزهرة العشرة]
Diervilla	ديارويلا [منسوبة الى الجراح الفرنسي Dierville وهي من اشهر جنبات التزيين]
Dillenia	دلآنيا او الدلآنية [منسوبة الى Dillenius وهو معلم نبات في اكسفورد]

Diosma	الجنبة العطرة [لرائحة اوراقها الغددية · ذكرها شرف بلفظتها العلمية ولم يترجمها
Diploloena	المزدوجة اللفافة [لان لفافة زهرتها مزدوجة]

E

Empetrum	جنبة الصخور [إلماعاً الى مكان نباتها]
Eriostemon	جنبة الاسدية الزغبية
Erytrochiton	شجرة الكأس الحمراء
Eutaxia	شجرة الحشمة [لشكل الشجرة الخجيل إبان ازهرارها]
Evonymus	لم يذكر عيسى وشرف لهذا الجنس سوى نوع واحد مع ان له عدة انواع زراعية اهمها E. japonicus وهو مبذول في حدائق بيوت دمشق حيث يسمى المرجان]

G

Gastrolobium	البطنية السنفات [لشكل السنفة البطني]
Gleditschia	غلاديشيا [منسوبة الى النباتي الالماني Gleditsch وهي من اشجار التزيين المعروفة
Gompholobium	المتنفخة السنفات [لانتفاخ سنفتها وكون السنفة تكون كروية في رأسها]
Grevillea	غريفيليا [منسوبة الى C. F. Greville لها اكثر من ١٥٠ نوعاً]
Gymnocladus	العريانة الاغصان [لمنظر اغصانها في الشتاء · لم يذكر عيسى هذا الجنس وذكره شرف فسماه شيكو وهو الاسم الفرنسي]

H

Hakea	هكيا [منسوبة الى البارون Hake لها اكثر من مئة نوع كثير منها معروف]
Hamamelis	الجنبة المشتركة [لانها تحمل نوراً وثمراً سوية · ذكرها شرف بلفظتها العلمية ولم يترجمها]
Hibbertia	هبرتيا [تنسب الى النباتي الانكليزي Hibbert]

Hydrangea	شجرة الكوب [لثمارها التي تشبه كوب الماء · ذكرها شرف بلفظتها الاجنبية ولم يترجمها]
I	
Idesia	ايديزيا [باسم Ides وهو من الرواد الهولانديين]
Itea	اخت الصفصاف
K	
Kennedia	كنديا [باسم Kennedy الانكليزي احد اصحاب المنابت]
L	
Lagerstrœmia	لاجرستروميا [باسم النباتي السويدي لاجرستروم]
Lardizabala	لرديزبلة [هكذا تسمى في بلاد بيرو · وهي جنبة معرشة]
Lecythis	شجرة القنينة [لان الثمار تشبه القناني]
Leptospermum	شجرة البزور الرقيقة [لشكل بزورها]
M	
Maclura	مكلورا [منسوبة الى W. Maclure وهو اميركي عالم بالمواليد]
Mahonia	ماهونيا اوماهونيّة [منسوبة الى Mac Mahon النباتي الاميركي]
Margyricarpus	شجرة الثمار اللؤلؤية [لثمرتها التي تشبه اللؤلؤ]
Melicope	الشجرة العسلية [لوجود اربعة اعضاء عسلية في قاعدة المبيض]
Metrosideros	شجرة القلب الحديدي [لصلابة خشبها]
Myoporum	الشجرة الرقطاء [لوجود نقط شفافة في اوراقها]
N	
Nandina	الندينة [من Nandin وهو اسمها في اليابان]
Nesœa	جنبة الساحل [لان انواعها ينبت في السواحل]
O	
Olearia	اخت الزيتون [لان اوراق بعض انواعها تشبه اوراق الزيتون]
ormosia	شجرة العقد [تستعمل في صنع العقود]

Osmanthus — الزهرة العبقة [الماعاً الى رائحة زهرها]

Ostrya — شجرة الحراشف [الماعاً الى حراشف الزهرة . وهي من اشجار الحراج المنتشرة في اوربة . وتوجد في جبل اللكام شمالي الشام]

Oxydendron — الشجرة الحامضة [لحوضة اوراقها]

P

Paulownia — بولوفنيا [منسوبة الى Paulownia ملكة هولاندة]

Phebalium — اخت الآس [لانها تشبه الآس]

Phellodendron — الشجرة الفلينية [لقشرتها الفلينية]

Photinia — الشجرة اللامعة [للمعان ورقها . لم يذكرها عيسى وذكر شرف نوعاً قال انه مرادف لاسم الثمرة «ايكدنيا» المعروفة في دمشق ؟ ولهذا الجنس انواع للتزيين جميلة]

Pilocarpus — الكمئية الثمار [لان ثمارها تشبه الكمأة . ذكرها شرف بلفظتها العلمية ولم يترجمها]

Piptanthus — البكورة الأعبال [لان اجزاء زهرتها تبكر في سقوطها

Platilobium — العريضة السنفات

Poinciana — ابوانسيانا [منسوبة الى M. Poinci ذكر عيسى نوعاً عن فورسكال ولم يذكر شرف شيئاً . وفي هذا الجنس انواع للتزيين جميلة ومشهورة]

Pseudotsuga — إتسوغة كاذبة [لانها تشبه الأتسوغة]

Ptelea — الشجرة المجنحة [من اليونانية جناح لثمرتها المجنحة . سماها شرف درداراً وهي غيره]

Pterocarya — اخت الجوز المجنحة [اشارة الي ثمارها الجوزية المجنحة]

Pultenœa — بالتنيا [باسم الطبيب الانكليزي Pulteney]

Pyracantha — شوك النار [لثماره الحمر الساطعة]

R

Rhynchospermum — جنبة البزور المنقارية [الماعاً الي شكل بزورها]

S

Schizandra — المشقوقة الأسدية

Sequoia — الشجرة الجبارة [سميت سكويا لانها هكذا تدعى في كليفورنيا . وأسميتها الجبارة لانها تعلو حتى تبلغ ١٣٠ متراً في بلادها . وهي من جبابرة الشجر ومن الفصيلة الصنوبرية] .

Sphœrolobium — الكروية السنفات [لشكل سنفتها الكروية]

Spiranthera — اللولبية المآبر [لشكل مآبرها اللولبية]

Spirœa — جنبة الاكاليل [لان اليونان اطلقوا هذه اللفظة على جنبة كانوا يصنعون الاكاليل من اغصانها . وفي هذا الجنس نحو ٥٠ نوعاً . لم يذكر شرف منها سوى نوع واحد سماه ملكة المروج

Swietenia — شجرة الأبنوس [اللفظة العلمية منسوبة الى نباتي هو لاندي . اهم انواعها S. Mahagoni وهو بالفرنسية Acajou]

Symphoricarpos — شجرة الثمار المتحدة [لاجتماع غدة ثمار في إبط الاوراق]

T

Thuya — شجرة العفص [هكذا تسمى في دمشق . ولم يذكرها شرف . وسماها عيسى شجرة الحياة مع ان شجرة الحياة هي Biota التي تشبه هذه الشجرة]

Triphasia — الشجرة الثلاثية [لعدد الوريقات في الكأس والتويج]

Tsuga — إتسوغة [هكذا تسمى في اليابان . وهي من اشجار الفصيلة الصنوبرية الشهيرة]

U

Ulex — جنبة الأدغال [ذكرها شرف ولم يترجم اللفظة العلمية]

Z

Zanthorhiza — الصفراء الجذور

Zinobia — زينوبيا [باسم الزبّاء]

مصطفى الشهابي

—((*⇌*))—

تصحيح نهاية الارب

«أغلاط الجزء الثامن»

سبق لي ان تتبعت أغلاط سبعة الاجزاء التي طُبعت من كتاب [نهاية الأرب في فنون الأدب] للعلاَّمة النويري . وقد نشرت ذلك تباعًا في مجلدات السنة [٦ ٧ ٨ ٩ ١٠] من هذه المجلة . ثم اطلعت اخيراً على الجزء الثامن وهو آخر ماطبع من أجزاء ذلك السفر النفيس في مطبعة دارالكتب المصرية مصححًا بقلم الاستاذ [احمد الزين] ولم يكتف حضرته بالتصحيح فقط بل علق عليه في ذيل الصفحات تعاليق بلغ فيها الغاية من [إصلاح المحرَّف والمصحَّف . وتكميل الناقص . وتحقيق الاعلام . وضبط الملتبس . وتفسير الغريب . وايضاح الغامض . وشرح ماأشكل من الابيات . وأسماء البلاد والامكنة . والتنبيه الى الكلمات العامية والالفاظ الاصطلاحية] الخ — كل هذا أخذه المصحح الفاضل على عاتقه . فقام حق القيام به . واستوفى الاجادة فيه . واستحق الثناء عليه . غير أني — وانا أتصفحه — وقع نظري على اشياء أحببت التنبيه اليها . وبيان رأيي في ماهو الصواب فيها . مشايعةً للاستاذ المصحح في ماهو بصدده من خدمة هذا الكتاب الثمين . وتكميلاً للعمل الذي بدأت به منذ سنين . والله ولي المحسنين :

فمن هذه الاغلاط ما في :

ص ١ س ٩ — قال المؤلف بصف القاضي الفاضل [ورافع علم البيان لامحالة . والفاصل بغير إطالة] في السجعة الاخيرة قصر يشبه ان يكون صوابها [والفاصل بين الحق والباطل بغير إطالة]

وص ٢ س ١٠ — قوله [والخيال الزائر . بالحبيب العاذر] لعل صوابه الغادر : فان الحبيب أجدر بان يوصف بالغدر من ان يوصف بالعذر .

وص٦ س٢ — [والنصرة خاصة بسلطانكم · والكفاية مكتنفة بجماعتكم] و[مكتنِفة] ضبطت بكسر النون · ولا يصح هذا لأن [اكتنف] يتعدى بنفسه كما قال المصحح فالصواب فتح نون [مكتنَفة] أو هي محرفة عن [مكتفية] ·

وص١٩ س٩ — [ونسأل الله ان يمن بقربه ورحاب الآمال فسائح ···· والزمن المناظر بالقرب مسامح] قوله [المناظر] فسره المصحح بالمجادل · وعندي انه محرف عن [المناجز] وهو بمعنى المبارز المقاتل ·

وص٢٠ س١ — [وحاشى جلاله من الإخلال بعهود الوفاء] هذه الجملة من إنشاء القاضي الفاضل وقوله [جلاله] بالجيم حسن بالجملة · ولكن احسن منه ان يكون محرفاً عن [خلاله] بالخاء المعجمة ويكون فيه من جناس الاشتقاق ما القاضي الفاضل حريص عليه · وقد عاش عمره يغذّ السير اليه ·

وص٢٠ س١٣ — [سقى الله ارض الغوطتين مدامعي] قال المصحح [انما ذكر الغوطة بالتثنية جرياً على عادتهم من ذكر الواحد بلفظ المثنى] أقول : غوطة دمشق مشهورة وتذكر تارة بالافراد مراداً بها مجموع بساتين دمشق وتارة بالتثنية ويراد بها حينئذ الغوطة الكبرى المنبسطة في السهل الواقع شرقي دمشق — والغوطة الغربية الواقعة بين ضفتي الوادي وتسمى احياناً غوطة وادي بردى · ومثل ذلك [النيرب] فانه يذكر بالافراد مراداً به مجموع بساتينه ويذكر بالتثنية باعتبار قسميه اوجانبيه ·

وص٢١ س٣ — [وما ضرّ اليد الكريمة التي أياديها بيض في ظلمات الايام · وأفعالها لا يقوم بمدحها إلا ألسنة الأسنة والاقلام] لا معنى لكون ألسنة أسنة الرماح تقوم بمدح افعال اليد · وانما صواب العبارة [الأسنة الألسنة والاقلام] ويكون [الأسنة] جمع سن واحد الأسنان يقال : سن واسنان وأسنة كما يقال : كنّ واكنان وأكنّة · وفي الحديث الشريف [وأعطوا الركب أسنتها] اي مكنوا الركائب من ان تعمل أسنانها في الرعي · والمعنى هنا ان تلك الافعال لا يقوم بمدحها إلا الاسنان اي اطراف الألسنة والاقلام · ويقال في فصيح الكلام [هذه الكلمة — مثلاً — مما يدور على سنّ القلم · اي طرفه · وعلى أسنة الاقلام — اي أسنانها] · اي اطرافها · كما يقولون : أسلات الألسنة وأسلات الاقلام وهي جمع أسلة مستدق اللسان ·

وص ٢١س ١١ — [يكتب فلايجاب · ويستكشف الهم بالجواب فلا ينجاب] اذا لم يوجد [استكشف] في كتب اللغة كما قال المصحح فيكون صوابه [ويستكف الهم] اي يطلب منه ان يكف عن الهم · ومع هذا فان قوله [فلاينجاب] يناسبه [فعل الاستكشاف لا [الاستكفاف] · فعسى ان يصدر ائمة اللغة في هذا العصر فتوى بجواز فعل [استكشف] وامثاله مما يؤيده القياس · وان لم تذكره المعاجم التي في ايدي الناس ·

وص ٢٢س ١ — [وحوشي المولى ان يكون عوناً على قلبه · وان يرحل إثره الري على مربه] قال المصحح لعل صوابه [عن شربه وهم الجماعة يشربون] ولا حاجة الى هذا فان السرب بمعنى الطريق وقد مهّد له بقوله قبله [وان يرحل إثره] اي عقبه فالارتواء يرحل في إثره قائماً على سربه اي طريقه : يقال قام على طريقه واستقام على طريقته اي دام وثبت على المضي فيها ·

وص ٣١س ٧ — لم أقف منه على كتاب يخلف سواد سطوره ماغسل الدمع من سواد ناظري · ويقدم ببياض منظومه ومنثوره ماوزّعه البين من سواد خاطري] قوله [ويقدم ببياض] صوابه [وينظم ببيان] فيلتئم حينئذ مع قوله [منظومه] ومع قوله [ماوزعه] اي فرّقه وبدده · اما قوله : [سوادخاطري] فصوابه [شتات خاطري] اي المتشتت المنتشر من خاطري وهواجس نفسي · ولاوجه لأن يراد [بسوادخاطري] العدد الكثير من خاطري · فان [السواد] قد يكون بمعنى العدد الكثير ولكن يجب حينئذ ان يضاف الى متعدد فيقال [سوادالقوم] وسواد الناس و[كثرت سوادهم بسوادي] اي جماعتهم بشخصي · هذا هو موضع استعمالها ·

وص ٣٣س ٩ — [ولقداستغرب وصول الرفاق · وقد صفرت من كتابهم الكريم عيابهم] هذا من كلام القاضي الفاضل · والتزامه والتزام كتّاب زمانه السجع امر معروف فلعل في الجملة الاولى نقصاً يتم به السجع مع الجملة الثانية هكذا [ولقداستغرب وصول الرفاق بعد ان طال غيابهم · وقد صفرت من كتابهم الكريم عيابهم] ·

وص ٤٥س ١٠ — [كتاب اشتمل على بديع المعاني وباهرها ··· فكأنه طرف طرف صوبه مدرار · وعَلَم عِلْم منصوب في رأسه نار] قال المصحح صواب [طرف طرف] [قطر قطر] الاولى مصدر قطَر بمعنى سال والثانية بمعنى المطر كما تدل على ذلك بقية الجملة اه

ويعني ببقية الجملة قوله [صوبه مدرار] فان الصوب المدرار يناسب [قطر القطر] ولا يناسب [طرف الطرف] اه • وارى ان [طرف طرف] صواب بعد تصحيح الثانية بظرف بفتح الظاء المعجمة بمعنى الظرافة اي الكياسة و [طرف] الاولى بكسر الطاء وهو الكريم من الخيل وكثيراً ماسمعنا شيوخنا يقولون في تقريظ الكتب [ولقد سرحت طرف الطرف في هذا الكتاب] يجعلون للطرف اي العين طرفاً اي جواداً يسرّح • وهنا جعل القاضي الفاضل لظرافة ذلك الكتاب الوارد اليه جواداً وصفه بما توصف به كرائم الخيل فقال [صوبه مدرار] ووصفُ الجواد بان جريه كالصَوْب المدرار معهود في بليغ كلامهم ومن ثم يسمون أفراسهم [سكاب] من انسكاب المطر ويصفونه بانه [يعبوب] من عبّ البحر ارتفع وتتابع موجه • و [الدفقة] الفرس الكريمة تتدفق في مشيها • ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم في صفة فرس ابي طلحة : [إن وجدناه لبحرا] •

وص ٤٩ س ١٤ —

[كتابٌ به ماء الحياة ونقعة الا — حيا فكأني اذ ظفرت به الخضر]

قوله [الحيا] مقصوراً لاشيءٌ من معانيه — واشهرها المطر — يناسب هنا فصوابه [نقعة الظما] يقال شرب حتى نقع اي شفى غليله وروّى ظماه •

وص ٦٩ س ٣ — [وكل مطهم إن ركضَ الحقِ السِماطُ لركضه] ليس في إزعاج ركض الجواد للسماط [اي صف الجنود في الميدان] — كبير امر ولا مبالغة في شدة ركض ذلك الجواد • فان اي جواد ركض أزعج صفوف الناس : وانما المبالغة الشعرية هي في ان يزعج الجواد بركضه كواكب السماء • وهذا ما أراده الشاعر مذ قال [الحق السماك] فحرفه الناسخ الى [السماط] والسماك كوكب مشهور وهما سماكان •

وص ٧٣ س ٨ — [وسيدنا مصعبي الهمم وهذا ابن قيس رقيّاته • ومهلبي الشيم وهذا حبيب أبنائه • ووائلي الاحسان وهذا في الجلالة ابن ابي دواده وفي الادب ابن زيّاته] قال المصحح الفاضل قوله [وهذا حبيب أبنائه] في الاصل [حبيب أبياته] وهو تصحيف فان الذي ونقنا عليه ان حبيباً هذا من أبناء المهلب لا من شعرائه الذين مدحوه اه • ولكن اهتمام اولئك الكتّاب بمراعاة السجع وتفريطهم بالمعنى لاجله أحياناً — امر معروف : [فرقيّاته] و [زياته] بكون بينها [أبنائه] — بعيد عن طبيعة انشاء ذلك العصر • فلا مندوحة عن القول بصحة

[أبياته] الواردة في الاصل . ويكون المراد بحبيب ابياته هو [ابو تمام حبيب الطائي] لا [حبيب ابن المهلب] ولاسيما ان المؤلف قال [مهلبي] ولم يقل [مهلب] وبينهما فرق : فالمهلبي احد ابناء المهلب المنسوبين اليه وهم كثيرون ولم يمدح ابو تمام احداً منهم واشهرهم الوزير ابو محمد المهلبي وكان بعد ابي تمام بنحو مئة سنة . فلابد ان تكون كلمة مهلبي محرفة عن اسم آخر من ممدوحي ابي تمام . ولأن نقول بوقوع التحريف في مهلبي خير من ان نقول بوقوعه في الكلمة التي تنتهي بها السجعة ومنزلة السجعة في نفوس القوم منزلتها . اما ممدوحو حبيب الطائي فكثيرون ومن أشهرهم الحسن ابن وهب واخوه سليمان بن وهب وله في الحسن ثلاث عشرة قصيدة فقوله [ومهلبي الشيم] صوابه إذن [ووهبي الشيم وهذا حبيب ابياته] وبهذه الصورة تتناسق السجعات . وتبقى كلمات [ابيات] على حالها كما وردت في الاصل . و [آل وهب] ليسوا باقل من [آل المهلب] منزلة في تاريخ الاسلام والخلفاء : فقد كان آباؤهم كتاباً من عهد الأمويين وكان الحسن بن وهب ممدوح ابي تمام متولياً لديوان الرسائل وكتب لابن الزيات . واخوه سليمان ولي الوزارة للمهتدي ثم للمعتمد . وارى ان الذي جعل الكاتب يقول [وهبي الشيم] ثم يقول [حبيب ابياته] فيجعل اباتمام ذا ابيات يضرب بها المثل في كل وهبي — هو قول حبيب في الوهبيين :

[كل شعب كنتم به آل وهب   فهو شعبي وشعب كل أديب]
[إن قلبي لكم لكالكبد الحرّى   وقلبي لغيركم كالقلوب]

وقد سمع هذا بعض الصالحين فقال لو كانت هذه الابيات في آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أليق إذ لا يستحق هذا القول الا هم رضي الله عنهم .

وص ٧٥ س ١١ — [جواباً عن كتاب شفاعة يوصي على اخيه نجم الدين] قوله [يوصي] سواء كان من الإفعال او التفعيل إنما يتعدى في مثل هذا المقام بالباء لا بعلى الا على سبيل التضمين .

وص ٧٥ س ١٧ — [واحلّه كنف قلبه . واودعه بين شغاف القلب وخلبه . واعاده الى معهود ولائه وحسبه] قوله [وحسبه] ربما كان صوابه وحبه . لان الحب وهو الذي يزول ثم يعود لا الحسب . وكذلك هو الذي يلائم الولاء بمعنى المحبة او القرب .

وص ٧٧ س ٣ — [ان الله . . . . أعدّ داري ثوابه وعقابه . وحذّر أولي العقوبة من أليم

عذابه] قوله [العقوبة] محرف عن مثل [الحَوْبة] والحوبة هي الاثم ·

وص٨٢س٩ — [وأمضى عزائم آرائه التي ···· وأرضى همته التي اذا همّت اغنت عن الابيض المرهف والاسمر الخطار ···· وأرهف اقلامه التي الخ] قوله [وارضى همته] لعلها محرفة عن مثل [وامضى همته] من امضى الامر أنفذه ومنه مضاء السيف ·او [وارصن همته] اي احكمها وثبّتها · أما ان الله يرضي همته فلا معنى له ·

وص٨٣س٧ — [ولازال ربعه مربعاً للجلال ومصيفا ···· ومشرعاً وارد الظلال وريفا] قوله [وارد] بالدال ان ناسب [المشرع] فانه لا يناسب [الظلال] ولذا كان صوابه [وارف الظلال] من ورف الظل اتسع وطال وامتد · وقوله [وريفا] ليس صفة كوارف إذ لا يقال ظل وريف كما يقال ظل وارف وانما واو [وريفا] للعطف وهو معطوف على [مشرعاً] ومعنى الريف الخصب وسعة الرزق ومنه ريف مصر ·

وص٨٤س١ — [والجناب الذي ···· فاضت مواهبه · وجاءت مذانبه · وجادت سحائبه] المذانب جداول الماء تسيل عن الروضة الى غيرها كما قال المصحح · ولكن قوله [جاءت المذانب] لا يتسق مع [فاضت] قبله و [جادت] بعده فهو محرف عن مثل [مارت] من مار الماء ماج واضطرب وجرى على وجه الارض ·

وص٨٦س٥ — [ورأيته والناس موءثون من ليث عليه مهابة فكأنوا كالكروان أبصرن بازيا] قوله [موءثون] بالهمز لا معنى له فلعله محرف عن مثل [موجسون] من الوجس وهو فزعة القلب او [موجبون] بفتح الجيم اي تخفق قلوبهم من اوجب الله قلبه أخفقه وأرجفه ·

وص٨٧س٨ — [فهو غاب العلم وهم اغصانه وشجره] قال المصحح [في الاصل (باغ العلم) وفي حروفه قلب لا يظهر به المعنى] اقول بل يظهر المعنى بالباغ اكثر مما يظهر بالغاب · والباغ البستان قال في شفاء الغليل : هو فارسي عربه المولدون وادخلوا عليه اللام قال البستي:

[لاتنكرن اذا أهديت نحوك من   علومك الغرّ او آدابك النتفا]
[فقيم الباغ قد يُهدي لصاحبه   برسم خدمته من باغه التُحفا]

وص١١٠س١٠ — مما كتبه الملك المنصور قلاوون في اثناء الحروب الصليبية الى ملك اليمن قوله : [والرغبة الى الله في كذا وفي كذا وفي ألاّ تُقصَف رماحنا ··· وألاّ تُشْرَق

لدينا إلاّ أكباد أكناد . ولا يجزُّ غير شعور ملوك التتار الخ] قال المصحح أراد [بالاكناد] الجاحدين . ثم استشكل [اي المصحح] ان يجمع [كُنُد] وصفاً على أفعال . اقول والحق في ذلك ان [اكناد] ليست لفظاً عربياً من الكنود اي الجحود وانما هو جمع [كُنْد] على وزن قُفل لقب افرنجي يطلق على امراء الافرنج واشتهر منهم في الحروب الصليبية كثيرون ذكرهم كتاب العرب ومؤرخوهم كأبي الفداء وابن الاثير . وأشهر هؤلاء الامراء [كندهري] و [كندصنجيل] واصل كند [كونت] [Conte] بمعنى امير فعربوه الى [كُنْد] على وزن قفل — وقفل يجمع على افعال قياساً — فقالوا [اكناد] وقرنُ ملوك التتار بالاكناد يدل على انه أراد بالاكناد امراء الصليبيين . وقد كان هؤلاء واولئك من اشدّ اعداء ملوك مصر والشام في ذلك العهد .

وص٤٦ س٨ — ذكر المؤلف مقامة غزلية ركيكة لبعض كتاب زمانه جاء فيها هذا البيت :

[هل مخبر عنكم بعيش بقربه   ميت الرجا والصبر بعد الياس]

فقوله [بقربه] ضميره يرجع الى المخبر . وكون الرجاء يعيش او ينتعش بقرب المبشر المخبر عن الاحباب — ليس بطائل . فلعل صوابه [بقوله] اي ببشارته . على ما في هذا التعبير من اللين والركاكة . ومعظم تعابير المقامة من هذا القبيل .

وص٥٤ س٤ — على لسان الخليفة العباسي [المستكفي] نزيل مصر الى امام اليمن لاتماً مهدداً [واتخذنا مصر دار مقامنا . لما كانت في هذا العصر قبة الاسلام . وفيئة الامام . وثانية دار السلام] قال المصحح [فيئة الامام] اي محل فيئته اي محل رجوعه يريد ان مصر هي التي رجعت اليها الامامة العباسية اه . وعندي ان صوابه [فيئة الانام] اي ان الناس يرجعون اليها في امور دينهم لمكان الخلافة فيها — ودنياهم لمكان السلطان منها . اما كونها محل رجوع الامامة العباسية فليس ذكره في هذا المقام مما يشرف بل مما يؤلم وينغص .

وص٥٦ س١٠ — من كتاب الخليفة المذكور الى امام اليمن [رسمنا بها « اي بالرسالة التي ارسلناها اليك » والسيف يود لو سبق القلم حده . والعَلَم المنصور يجب لو فات القلم واهتز بتلك الروابي قده] [القلم] تكرر في الجملة فلعل الاولى محرفة عن [العلم] ويكون المعنى : ان السيف يتمنى لو يسبق الراية الى العدو لان الراية عادةً تحمل أمام الجيش . كما ان الراية نفسها

تتمنى لو سبقت القلم : إذ ان القلم يباشر تهديد العدو ومحاربته قبل تسيير الرايات اليه ٠

وص١٨٦ س١٤ — من كلام سيدنا علي رضي الله عنه [ومن يتكبر على الناس زل] هكذا بالزاي من الزلل بمعنى العثار وهو حسن ولكن الاحسن ان يكون بالذال من الذل ليكون نقيض ماحاوله المتكبر من الكبر على الناس مذ يؤدي عمله الى عكس ماأراده ٠

وص ٢٠٢ س ٨ — [وتحصل البلد لثلاث سنين : مبقلة ومتوسطة ومجدبة] قوله [مبقلة] قال المصحح إنها في الاصل [مقبلة] وفيه قلب وصوابه [مبقلة] كما يرشد اليه عطف المتوسطة والمجدبة عليه و[المبقلة التي كثر بقلها اه] ماقاله المصحح وهو حسن ولكن إبقاء [مقبلة] بتقديم القاف على ماجاءت في الاصل أحسن لان الاقبال في المواسم أعم من ان يكون من جهة خصب بقولها اوثمارها اوقطانيها : يقال أقبلت الارض بالنبات جاءت به ٠ وتقول اليوم كثيراً : السنة سنة إقبال اي خصب ٠ فلا داعي للعدول عن مقبلة الى مُبقلة على ان المصحح [في ص٢٩٥ س٣] صحح هو نفسه عبارة [المعتآة والمتوسطة والمجدبة] بقوله [المعتآة] تحريف صوابه [المقبلة] كما يقتضيه السياق ويريد بالمقبلة السنة التي تقبل بالنبات اي تجيء به اه ٠

وص٢٢٢ س٩ — عدد المؤلف وظائف مباشر البيوت السلطانية قال [ومنها تعاهد اسماء الحوائج خاناه] قوله [اسماء] صوابه [اشياء] وهي الامتعة المحفوظة في البيت المسمى [الحوائج خاناه] فانه يحتوي علي اشياء يتفقدها الموظف لا على اسماء ٠

وص٢٢٢ س١٤ — [ويحصر لكل منهم ماا حضره في كل يوم] قال المصحح في الاصل يحضر بالضاد المعجمة وهو تحريف اه ٠ وأرى ان صوابه يُحصي من الاحصاء فان مباشر بيت [الحوائج خاناه] يتلقى من كل من القصاب والحيواني والطيوري اشياءه ويحصيها عليه ٠ على ان [يحصر] لا بأس بها ٠ «المغربي»

—«*=*»—

مذهب الجاحظ في النقد (١)

— ١ —

« رأيه في التوليد — رأيه في اولية الشعر »

= ０ =

قبل ان أنقد فن الجاحظ وادبه ولغته لم لا انظر في نقد الجاحظ نفسه ، كيف كان ينقد فن غيره —

ولقد كان النقد قديماً في لغة العرب ولكننا لا نتجاوز عهد النابغة الذبياني مخافة ان نضيع في مجاهل لا مخرج لنا منها .

للعرب في الجاهلية مجالس ادب واسواق وما انتم بغافلين عنها ، شيخ النقدة في تلك الايام نابغة بني ذبيان الذي كان يضرب له قبة من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه اشعارها .—

وفي صدر الاسلام مجالس ادب حافلة وربما تصدرت في هذه المجالس امثال سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة .—

وفي زمن بني أمية مجالس ادب تشبه مجالس الأدب في الجاهلية منها مربد البصرة ومسجد الكوفة .—

وللخلفاء بني العباس أشباه هذه المجالس وربما كانت مجالس المنصور والمهدي والرشيد والمأمون وغيرهم من الخلفاء وابناء الخلفاء والامراء والوزراء أغمز وأحفل .

ولو استقصينا أنماطاً من النقد في تلك العصور لوجدنا لها شكلاً خاصاً لا يتعداه فسواء

---

(١) بسلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الاداب في دمشق سنة ١٩٣١ .

أكان النقد مجرداً من اسباب التفضيل والتمييز على نحو ما كانت عليه الحال في بعض الاحايين في النقد الجاهلي والنقد الاسلامي ام كان هذا النقد موضحاً هذه الاسباب في العصور التي تقدمت الجاحظ انه لا يتعدى الصور اللفظية والمعنوية من حيث انحراف هذه الصور عن الذوق او من حيث مطابقتها للذوق ، فلم يكن له قواعد ثابتة ولم يكن له اصول يبنى عليها وانما كانوا في بعض العصور يملون طائفة من هذه الصور فيتطلعون الى صور حديثة .—

ثم مالبث ان ظهر الرواة فظهر ابو زيد الانصاري وابو عبيدة والاصمعي وظهر حماد الراوية والمفضل الضبي وخلف الاحمر فكان لنقدهم الشعر صورة خاصة وضحها لنا الجاحظ فقال :

« طلبت علم الشعر عند الاصمعي فوجدته لا يعرف الا غريبه فرجعت الى الاخفش فألفيته لا يتقن الا إعرابه فعطفت على ابي عبيدة فرايته لا ينقد الا ما اتصل بالاخبار وتعلق بالايام والانساب فلم اظفر بما اردت الا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات .

وقال الصاحب بعد هذا الكلام : فلله در ابي عثمان لقد غاص على سر الشعر واستخرج ارق من السحر .— »

وقال في مقام آخر :

« ولم أر غاية النحويين الا كل شعر فيه اعراب ولم ار غاية رواة الشعر الا كل شعر فيه غريب او معنى صعب يحتاج الى الاستخراج ولم ار غاية رواة الاخبار الا كل شعر فيه الشاهد والمثل .— »

قد يشتمل هذا الكلام على شيء من المبالغة وخاصة العبارة التي تتعلق بالاصمعي فالذي وصل الينا من امر الاصمعي ان له آراء في نقد الشعر تدل على انه يعرف غير غريب الشعر وكيف كان الامر فان الذوق الادبي في عصر الجاحظ قد لون بالوان شتى فمرة كان هذا الذوق يصبغ بصباغ نحوي ومرة بصباغ لغوي ومرة بصباغ أخباري .—

هكذا كان نقد بعض الرواة حتى جاء المؤلفون وشرعوا في تأليف الكتب في النقد فدخل النقد في طور جديد من حيث الترتيب والتأليف ، من هؤلاء المؤلفين محمد بن سلام صاحب طبقات الشعراء فقد فضل الشعراء من اهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين فأنزلهم منازل واحتج لكل شاعر بما وجد له من حجة وما قال فيه العلماء ولكن جوهر النقد لم يختلف عما

كان عليه في القديم فكان الحكم لشاعر من الشعراء لمتانة شعره او لشرود قافيته او لابتكار أسلوبه .—

ولكن النحو الجديد الذي نحاه النقدة في هذا العصر انما هو الطعن على ثقة بعض الرواة وهذا النحو أفق حديث في التمحيص والتدقيق الظاهر ان الرواة كانوا يزيدون في الاشعار فأشار ابن سلاّم الى توليد هؤلاء الرواة وبين اسبابه فقال :

« فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر ايامها ومآثرها استقل بعض العشائر شعر شعرائهم وماذهب من ذكر وقائعهم وكان قوم قلّت وقائعهم واشعارهم وارادوا ان يلحقوا بمن له الوقائع والاشعار فقالوا على السن شعرائهم ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الاشعار وليس يشكل على اهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضع المولدون .— »

الا ان ابن سلاّم لم ينبه على الزيادات التي زادها الرواة ولو فعل لنقّى الشعر العربي فلم يبق مجال لارتياب المرتابين بصحة بعض هذا الشعر .

والى جنب هذا الأفق أفق آخر فكما نبهوا على توليد الرواة فقد نبهوا على اختلاف لسان حمير ولسان قريش فقد أشار ابن سلام الى قول ابي عمرو بن العلاء في هذا المعنى فقال :

« ما لسان حمير واقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا .— »

غير ان ابن العلاء لم يبين وجه هذا الاختلاف أهو من حيث قواعد النحو والتصريف أم هو من حيث اللفظ فبقي كلامه غامضاً وقد وردت في طائفة من كتب الادب الفاظ يمانية لها معنى غير المعنى الذي لها في لغة قريش ، وهذا كله لا ينقع غليلنا .—

وفي هذا العصر الذي نبهوا فيه على توليد الرواة وعلى اختلاف لسان حمير ولسان قريش ظهر الجاحظ فهو من ابناء عصر بن سلاّم .—

ولقد يصعب على رجل مثل الجاحظ قضى عمره كله في التمحيص ان يمر بمواطن الزور في الادب فيغفل الكلام عليها فقد أشار الى التوليد فقال [1] :

« ولقد ولدوا على لسان خلف الاحمر والاصمعي ارجازاً كثيرة فما ظنك بتوليدهم على السنة القدماء ولقد ولدوا على لسان جحشويه في الحلاق اشعاراً ما قالها جحشويه قط فلو تقذروا من شيء تقذروا من هذا الباب .— »

[١] الحيوان الجزء الرابع — ص ٦٠

وقال في موطن آخر في توليدهم على بشار (١) :

قال صاحب الكلب : السنور يساوي في صغره درهماً فاذا كبر لم يساو شيئاً وقال العتبي :

كسنور عبدالله بيع بدرهم صغيراً فلما شب بيع بدينار

... وقد يضاف هذا البيت الى بشار وهو باطل .—

غير ان الجاحظ لم يدل على الذي ولدوه فلم يضف شيئاً الى ماقاله ابن سلاّم في زيادة الرواة، ولو دل على مواطن التوليد لما اتسع المجال الى الشك في بعض ادبنا وقد كان يسهل على الجاحظ وامثاله ان يمحصوا ويدققوا حتى يستخرجوا بعد هذا التمحيص والتدقيق الزيادات التي زادها المولدون فهم متصلون بتطور اللغة من عهدها الجاهلي المتعارف الى عهدها الاسلامي ومن عهدها الاسلامي الى عهدها العباسي فليس بينهم وبين هذه العصور التي تطورت اللغة في اثنائها الا قرنان او ثلاثة قرون فقد كان يتيسر لهم ان يعرفوا اروح كل عصر ولغته وفنه لانهم على نحو ماقلت لكم متصلون بتلك العصور ، اما اليوم فان التنبيه على مواطن التوليد قد يكون عقبة كؤوداً فاذا أردنا ان نعرف ان هذا البيت من الشعر قد نُحِلَه شاعر من الشعراء لزمنا ان نتعمق في ديوان الشاعر كله حتى نعلم هل هذا البيت الذي نُحِلَه من روحه اولغته من لغته او فنه من فنه فاذا اعترضتنا المصاعب في تمييز بيت من الابيات فكم تعظم هذه المصاعب في تمييز قصائد بحذافيرها قيلت في عصور متفاوتة بعيدة عنا .—

وليس في لغتنا معجم يبين لنا ان اللفظ الفلاني استعمل في العصر الفلاني ثم بطل استعماله بعد ذاك العصر فقد تمر بنا الفاظ لشاعر من الشعراء نظنها في بدء الامر غريبة وقد تكون هذه الالفاظ شائعة في عصر هذا الشاعر فاذا لم يكن في لغتنا معجم يدوّن الالفاظ بحسب تاريخها صعب علينا ان نعرف ان هذا اللفظ مولّد على لسان فلان والشك في الادب قد لايخلو في خاتمة امره من محاذير وقد فطن الجاحظ لهذا الامر فقال في خطاب جماعة مالوا الى رد بعض الامثال على جماعة آخرين (٢) :

وان جاز لكم ان تردوا عليهم هذا المثل جاز لكل من كره مثلاً اوشاهداً ان يرد عليهم كما رددتم وفي ذلك إفساد امر العرب كله فان زعمت ان الديك كان احق به لخصومك كثير ولسنا

(١) الحيوان الجزء الخامس — ص ٩٦

(٢) 〃 〃 الثاني — ص ٥٥

تحيط باوائل كلامهم على اي مقادير كانوا يضعونها ومن اي شيء اشتقوها و كيف كان السبب ورب شيء انكرناه فاذا عرفنا سببه أقررنا به .—

الا ان الجاحظ على مصاعب التدقيق في التوليد قد ركب هذا المركب الخشن فتفرغ لتمحيص خطبة زعم انها منسوبة الى معاوية[1] . وبعد ان فرغ الجاحظ من ذكر الخطبة قال :

« وفي هذه الخطبة ابقاك الله ضروب من العجب : منها ان هذا الكلام لا يشبه السبب الذي من اجله دعاهم معاوية ، ومنها ان هذا المذهب — في تصنيف الناس وفي الاخبار عنهم وعما هم عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوف — أشبه بكلام علي وبمعانيه وبحاله منه بحال معاوية ، ومنها انا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ولا يذهب مذاهب العباد ، وانما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه ، والله اعلم باصحاب الأخبار وبكثير منهم .—

غير ان الجاحظ كان يجب عليه في رد هذه الخطبة ان يسلك مسلكاً اقرب فيأتي بنماذج من خطب علي وبنماذج من خطب معاوية وان يقابل بين هذه الأنماط كلها فيشير الى الفاظ علي ويشير الى الفاظ معاوية ويدل على الالفاظ التي يألفها علي والالفاظ التي يألفها معاوية فيقول : هذه اللفظة مثلاً من الفاظ علي ، اوهذا التركيب من تركيب علي ، اوهذا الفن من فن علي ، وقد وردت اللفظة والتركيب والفن في خطبة معاوية فهذا كله مردود ، ولو فعل ذلك لكان تمحيصه ابلغ ، لان لكل خطيب اولكل شاعر اولكل كاتب ، لكل واحد من هؤلاء الثلاثة مفردات ومصطلحات وتراكيب لا يحيد عنها فهي ملازمته وقد يستعملها على الزعم منه ويكرر استعمالها دون ان يشعر بها ، اما قول الجاحظ : ومنها أنا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ولا يذهب مذاهب العباد ، فلا يخلو من بعض الضعف لان الرجل اذا حضرت وفاته قد تتبدل حالة عقله وحالة روحه .—

على ان الجاحظ قد تجرد في بعض المقامات للتنبيه على مواطن التوليد في الشعر ايضاً فلم يكن ضعيف الحجة في هذا التنبيه فمن هذا رده طائفة من الاشعار من جملتها هذا البيت

---

[١] راجع الخطبة في البيان والتبيين — الجزء الثاني ص ٢٨

للأفوه الأودي[١] :

كشهاب القذف يرميكم به فارس في كفه للحرب نار

فقال في رد هذا البيت[٢] :

« واما مارويتم من شعر الأفوه الأودي فلعمري انه لجاهلي وماوجدنا احداً من الرواة يشك في ان القصيدة مصنوعة وبعد فمن اين علم الأفوه ان الشهب التي يراها انما هي قذف ورجم وهو جاهلي ولم يدع هذا احد قط الا المسلمون فهذا دليل آخر على ان القصيدة مصنوعة ... »

اما وقد عرفنا رأي الجاحظ في التوليد فلا بأس بان نعرف رأيه في اولية الشعر ، وعلى هذا تنشأ لنا صورة تصور لنا مذهبه في نقد بعض الآراء الادبية العامة ، من هذا النحو قوله[٣] :

« واما الشعر فحديث الميلاد صغير السن اول من نهج سبيله وسهل الطريق اليه امرؤ القيس ابن حجر ومهلهل بن ربيعة و كتب ارسطاطاليس ومعلمه افلاطون ثم بطليموس وذي مقراط وفلان وفلان قبل بدء الشعر بالدهور وقبل الدهور والاحقاب قبل الاحقاب ويدل على حداثة الشعر قول امرؤ القيس بن حجر :

ان بني عوف ابتنوا حسنا ضيعه الداخلون اذ غدروا

ادوا الى جارهم خفارته ولم يضع بالمغيب من نصروا

لا حميري وفى ولا عدس ولا است عير يحكها الثفر

لكن عوير وفى بذمته لا قصر عابه ولا عور

فانظر كم كان عمر زرارة وكم كان بين موت زرارة ومولد النبي عليه الصلاة والسلام فاذا استظهرنا الشعر وجدنا له الى ان جاء الله بالاسلام خمسين ومائة عام واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام ... »

وقال في مقام آخر[٤] :

« وقد قيل الشعر قبل الاسلام في مقدار من الدهر اطول ما بيننا اليوم وبين اول الاسلام »

---

[١] الحيوان — الجزء السادس ص ٨٨

[٢] 〃 〃 〃 〃 ٩٠

[٣] 〃 〃 الاول 〃 ٣٧

[٤] 〃 〃 السادس 〃 ٨٩

ففي قوله الاول جعل عمر الشعر مائتي عام وفي هذا القول جعله مائتين ونيفاً ، وفي كلا الحالين اشتطاط .—

أصحيح ان امرأالقيس اول من نهج سبيل الشعر وسهل الطريق اليه ، قد يكون امرؤالقيس اول من حفظت اشعاره اومن اوائل الشعراء الذين تناهت الينا اشعارهم واما ان يكون اول الشعراء فلا ، وقد اشار بعض شعراء الجاهلية الى تقادم الشعر فقال امرؤالقيس نفسه :

عوجا على الطلل القديم لعلنا   نبكي الديار كما بكى ابن حذام

وقال زهير :

ما ارانا نقول الا معارا   او معاداً من قولنا مكرورا

وقال عنترة :

هل غادر الشعراء من متردّم

فالذي يستنبط من قول امرئ القيس وزهير وعنترة انه جاء قبلهم شعراء جالوا في الشعر كل مجال وحلّقوا في سمائه كل محلق وقد انقطعت عنا اخبار الذين اورثوا عنترة وزهيراً وامرأ القيس فيض قلوبهم وصوب اذهانهم وانطوت آثارهم فلا نعرف عنهم شيئاً فلغة العرب متقادمة العهد فلا يمكن ان تنشأ دفعة واحدة على الصورة التي نشأت عليها في العصر الجاهلي المعروف فلا ريب في انها سبقتها احقاب مديدة انتقلت فيها اللغة من طور الى طور حتى وصلت الى ما وصلت اليه فالعصور التي انتقلت اللغة في اثنائها من مرتبة الى مرتبة غامضة مبهمة فهي سر من الاسرار وهذه ثلمة في تاريخ ادبنا ولا تسد هذه الثلمة الا اذا درسنا اللغات السامية ولغات الامم التي خالطها العرب في قديم الدهر ، وعثرنا على كتابات قديمة منقوشة ، ان لغة العرب لم تنته الينا بحذافيرها فان الذي جاءنا عن العرب غيض من فيض فكثير من الكلام ذهب بذهاب اهله قال ابن فارس : ذهب علماؤنا اوا كثرهم الى ان الذي انتهى الينا من كلام العرب هو الاقل ولو جاءنا جميع ماقالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير .—

والمعروف ان بلاد العرب الجنوبية حضارة يمتد تاريخها الى القرن الثامن قبل السيد المسيح فأين اللغة التي صورت هذه الحضارة وكيف تكون حضارة ولا تكون معها لغة .—

يقول احد أدباء الفرنسيس [١] :

«النثر الادبي في التاريخ لا يأتي على نحو ما يظنون قبل الشعر وانما يأتي بعده، والذي يأتي قبل الشعر انما هو اللسان الطبيعي العامل ، لسان الهوائج والمنافع ولكننا نستطيع ان نجعل من قوانين التاريخ الادبي العامة ان كل ادب يبدأ بالشعر ثم ينزل الى النثر بالغاء القيود التي تقيد اللغة الشعرية وباطراح هذه القيود اي بالتخلي عن لوازم الفن كلها ان لم يكن بالتخلي عن نتائج الفن .— »

فاذا كان الادب يبدأ بالشعر ثم ينزل الى النثر فأين النثر الذي نزل اليه الشعر الجاهلي ، أهو هذا النثر الاسلامي المتكامل الذي ظهر فجأة دون ان يكون لتكامله عامل من العوامل ، لا شك في ان النثر الاسلامي سبقه نثر وهذا النثر سبقه شعر ولم تبق لنا الايام من هذا كله الا الشعر الجاهلي المتعارف والا قليلاً من النثر الجاهلي .—

مثل اللغات كمثل المخلوقات الحية في عالمي الحيوان والنبات فكما ان الحيوانات والنباتات تولد فتعيش فتموت فكذلك اللغات فانها اشبه شيء بهذه المخلوقات ولميلاد اللغات وحياتها وموتها عوامل منطقية وفلسفية وتاريخية وغير ذلك تجمعها كلمة : حياة الالفاظ ، ولست اعلم بحثاً يأخذ بمجامع القلوب نظير البحث عن حياة الالفاظ .—

فقول الجاحظ : ان الشعر الجاهلي عمره قرنان فيه اشتطاط على ان الجاحظ نفسه يقول وقد سمعتم قوله : ولسنا نحيط باوائل كلامهم — اي كلام العرب — على اي مقادير كانوا يضعونها ومن اي شيء اشتقوها و كيف كان السبب ، فان الذي يقول هذا القول لا ينبغي له ان تزلق به قدمه هذا المزلق فيجعل الشعر حديث الميلاد صغير السن .—

دمشق : في ٢٦ كانون الاول سنة ١٩٣١

—((✲==✲))—

[١] فن النثر — لانسون ص ١٠ .

مذهب الجاحظ في النقد

— ٣ —

« اهتمامه بالصنعة »

تبين لنا من النظر في نقد الجاحظ لطائفة من الآراء الادبية العامة انه يذهب في الادب مذهبه في العلم ، وما هذا المذهب الا الاستقصاء في كل شيء فالتحقيق اغلب صفات الجاحظ فكما انه يتقذر من توليد الكذابين في ابواب العلم فكذلك يتقذر من التوليد في ابواب الادب وسواء ارشدت مسالكه في الدلالة على مواقع الزور في هذا التوليد ام لم ترشد انه نزاع الى التمحيص فاذا جاز لنا ان نستنبط صفة له من اساليب نقده التي قلبنا النظر فيها استنبطنا منها امعانه في التدقيق . —

فلننظر بعد هذا كله في طبيعة ذوقه ، كيف يذوق نتائج القرائح وثمرات الخواطر ، أيقتصر على استحسان المعاني وحدها ام انه مولع بالصنعة وهل وقف به ولعه بالصنعة على تفضيل اساليب المتقدمين ام انه مال الى مذاهب المولدين وما غايتنا من هذا كله الا استخراج صورة عامة لذوقه الفني من آرائه المبعثرة في اضعاف كتبه حتى يتمثل لنا ذوقه كما تمثل لنا تحقيقه . —

***

للجاحظ ولع خاص بالصنعة وأُريد بالصنعة في هذا المقام الفن على مصطلح عصرنا فهو ميال الى استحسان الالفاظ فمن قوله في هذا الباب وقد نقد بيتين من الشعر (١) :

« وانا قد سمعت اباعمرو وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة ان كلف رجلاً حتى احضر دواة وقرطاساً حتى كتبهما له وانا ازعم ان صاحب هذين البيتين

[١] الحيوان — الجزء الثالث ص ٤٠

لا يقول شعراً ابداً ولولا ان ادخل في بعض القيل لزعمت ان ابنه اشعر منه وهما قوله :

لاتحسبن الموت موت البلى وانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا افظع من ذاك لذل السؤال

وذهب الشيخ الى استحسان المعنى والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وانما الشأن في إقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك فانما الشعر صناعة وضرب من الصبغ وجنس من التصوير .— »

فالجاحظ مفتون بالفن فهو يريد ان نعطي المعاني حقوقها من الالفاظ واظن ان هذا المذهب يحتاج الى شيء من التوضيح فقد يخطر على البال ان الذهاب الى استحسان الالفاظ انما يراد به الحط من مقادير المعاني حتى يتوهم المتوهمون ان الذين يستحسنون الالفاظ يقولون : المعاني لا قيمة لها وانما القيمة للالفاظ وحدها ، ولكن الالفاظ في الحقيقة انما هي خدم المعاني فقد وضعت للدلالة على فكر من الافكار فلولا الفكر لم يكن اللفظ فحسن الالفاظ يستوجب حسن المعاني فاذا وجدنا الفاظاً ضخمة ولم نجد لها معاني ضخمة استخرجنا من ذلك ان اصحابها لا يحوكون الكلام على حسب الاماني ولا يخيطون الالفاظ على قدود المعاني ، فقد تكون الفاظ سيئة تشتمل على معان حسنة ولكن هذه المعاني لا يبقى لها اثر في القلوب لانها لم تعط قسطها من الصنعة ، لنضرب مثلاً لذلك ولنرجع الى البيتين اللذين استشهد بهما الجاحظ : معناهما ان اصحاب النفوس الكريمة يفضلون الموت على سؤال الرجال فالمعنى فيهما حسن ولا شك ، ولكن الشاعر هل تهيأ له ان يكسوه ما يناسبه من اللفظ ، اذا كان الغرض من الشعر ان يعرض علينا حقائق الافكار المحسوسة حتى نكاد ندرك هذه الافكار ذاتها وظواهر صيغها كل هذا في شكل مرصوص كأنه بناء مبني لا خلل فيه ، اذا كان هذا هو الغرض من الشعر فالبيتان اللذان نقدهما الجاحظ وخاصة البيت الثاني ليس فيهما شيء من الصور الشعرية فان لغة البيت الثاني بعيدة عن لغة الشعر فكلمة : ذا وذاك واشباههما انما هي من الالفاظ الثقيلة على السمع .—

فلما ذهب الجاحظ الى استحسان الالفاظ لم يذهب الى استقباح المعاني وانما ذهب الى ان الالفاظ التي صورت المعنى في هذين البيتين لم تكن مناسبة لهذا المعنى فالفرق بينه وبين ابي عمرو الذي استجاد البيتين كالفرق بين الرجل الأديب وبين الرجل غير الأديب

او كالفرق بين صاحب الفن وبين المجرد من الفن فابو عمرو لا اهتمام له بالفن فانه ينظر الى مجرد المعنى سواء عليه أكان لباس هذا المعنى مناسباً له ام كان غير مناسب والجاحظ معنى بالفن فانه لا ينظر الى مجرد المعنى وانما يريد ان يكون هذا المعنى مصبوباً في قالب مناسب له فاذا كنا نستحسن المعاني وحدها ولا نبالي بالقوالب التي تفرغ فيها هذه المعاني فلم يبق للفن قيمة ولم يبق للمفاضلة بين الآثار الفنية وجه فاذا خطر مثلاً على بال شاعر مثل البحتري معنى من المعاني فصبه في قالب مناسب له وخطر هذا المعنى نفسه على رجل من العامة فقذفه في لغته العامية فلا فضل للبحتري على العامي فاذا كان الاصل المعنى واذا كان هذا المعنى قد وقع في خلد كل واحد منهما وكل واحد منهما استطاع ان يؤديه الى غيره هذا بلغته الشعرية وهذا بلغته العامية فلا تفاضل بينهما فما الحاجة إذن الى الفن فأظن انكم قد ادركتم النتائج التي يؤدي اليها استحسان المعاني وحدها دون المبالاة بالالفاظ التي تصورها وخوفاً من هذه النتائج التي تؤدي الى القضاء على الفن ومذاهبه تفرغ اكابر أدباء الغرب والافرنجة للمراماة دون حياض الفن فمن أدباء العرب من واطأ الجاحظ على رأيه كأبي هلال العسكري وابن رشيق وغيرهما فأبو هلال يقول بحسن التأليف وجودة التركيب وكمال الحلية والمعرض ، وابن رشيق يختار جودة الالفاظ وحسن السبك وصحة التأليف ، ومن أدباء الافرنجة من دافع عن الصنعة على نحو الجاحظ .

فمن كلام « فولتير » : ان الاشياء تؤثر فينا في الاغلب من نواحي اساليبها اي من نواحي القوالب التي تصب فيها لأن للناس افكاراً واحدة بوجه التقريب ولكن الاسلوب هو الذي يفرق بين كاتب وكاتب .—

ومن كلام « فاگه » : ان الذي يخلد الكاتب انما هو جمال الأسلوب .—

ومن كلام « فرانس » : ليس الفكر ملكاً لمن يبدعه وانما هو ملك الذي يثبته في الاذهان .—

من هذا كله يتبين لكم ان اكابر الادباء وبلغاء الكتاب قد اجمعوا على فضل الأسلوب فالاعتناء بالاسلوب قديم عهده في الأمم ، فاليونانيون كانوا على هذا المذهب ، والرومانيون اولعوا الولع كله بجمال الأسلوب حتى أفرطوا في هذا الامر فأدى بهم إفراطهم الى التقصير في الكتابة الحسنة .—

انظروا الى الشعراء الذين عاشوا في زمن البحتري ثم نظروا الى الذين طواهم فلم يتدلهم

ظل ولم يتسع لهم في تخليد البحتري ويموت شعراء عصره لولا الصنعة[1] .—

ليس معنى هذا كله ان الادباء الذين استشهدت بكلامهم سواء عليهم حسن المعاني وقبحها وانما هؤلاء الأدباء يريدون ان نعطي المعاني الحسنة حقها من الالفاظ الحسنة فهم قد شعروا بتأثير الالفاظ في تخليد المعاني فعظموا من مقادير هذه الالفاظ .—

واذا اردنا ان نعرف تأثير الالفاظ فلنسمع ماقاله الاستاذ «باولوسكي» في مقالة اشار فيها الى ترجمة الدكتور Mardrus للقرآن بعد ان استعد لهذا الامر عشرين سنة :

«لقد بلغ من تأثير القرآن في قلوب الثلاثمائة مليون مسلم مبلغاً اجمع فيه المبشرون على الاعتراف بانهم لم يستطيعوا ان يردوا مسلماً عن دينه حتى اليوم واستنتج الدكتور من ذلك ان الكلمة اذا وضعت مواضعها وأنزلت منازلها كانت سحراً حلالاً فمن الذي يتبجح بان يأتي بكلام ينزل على اكباد ثلاثمائة مليون رجل نزول الماء الزلال على الكبد الحرّى .—»

فالجاحظ مولع بالفن ولا يقعن في خلد احد ان ولعه بالفن يفضي به الى تحقير المعاني فانه يعظم المعاني ويعطيها قسطها فمن قوله في ذلك وقد اعجبه تمام التشبيه وغرابة المعنى وشرف هذا المعنى[2] :

«ولا يعلم في الارض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام وفي معنى غريب عجيب او في معنى شريف كريم او في بديع مخترع الا وكل من جاء من الشعراء من بعده او معه ان هو لم يقدر على لفظه فيسرق بعضه او يدعيه باسره فانه لا يدع ان يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكاً فيه كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف الفاظهم واعاريض اشعارهم ولا يكون احد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه او لعله يجحد انه سمع بذلك المعنى قط وقال انه خطر على بالي من غير سماع كما خطر على بال الاول هذا اذا قرعوه به الا ما كان من عنترة في صفة الذباب فانه وصفه فأجاد وصفه فتحامى معناه جميع الشعراء فلم يعرضوا له ولقد عرض له بعض المحدثين ممن كان يحسن القول فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ومن اضطرابه فيه انه صار دليلاً على سوء طبعه في الشعر . قال عنترة :

---

[١] راجع محاضرة الاسلوب في كتابي «المتنبي» .

[٢] الحيوان جـ الجزء الثالث ص ٩٦ .

جادت عليها كل عين ثرة ... فتركن كل حديقة كالدرهم
فترى الذباب بها يغني وحده ... هزجاً كفعل الشارب المترنم
غرداً يحك ذراعه بذراعه ... فعل المكب على الزناد الاجذم

قال : يريد فعل الاقطع المكب على الزناد والاجذم المقطوع اليدين فوصف الذباب اذا كان واقفاً ثم حك احدى يديه بالاخرى فشبهه عند ذلك برجل مقطوع اليدين يقدح بعودين ومتى سقط الذباب فهو يفعل ذلك ولم اسمع في هذا المعنى بشعر ارضاه غير شعر عنترة ... »

وسواء أأحسن عنترة في هذا المعنى على رأي فريق اولم يحسن على رأي فريق آخر ان الجاحظ ذهب الى استحسان معانيه ولكنه لم يقتصر على استحسان المعاني وحدها فان معاني عنترة في هذه الابيات ان لم تصورها لغة شعرية تصويراً ناطقاً لما كان لها هذه القيمة فالجاحظ لم يذهب الى استحسان الالفاظ الا لان الالفاظ هي التي تبرز المعاني وتثبتها في الاذهان على تراخي الاحقاب ، اما إجادة عنترة في ابياته اوعدم إجادته فانما هذه مسألة متعلقها الذوق ولا جدال في الذوق فقد نستحسن معنى ويستقبحها غيرنا وقد نستقبح فكراً لا يستقبحه الناس فالذي يستنبط من كل ما تقدم ان استحسان الالفاظ على مذهب الجاحظ انما وجهه اعطاء المعاني حقوقها من هذه الالفاظ بحسب مقاديرها حتى يكون لها الاثر الخالد فهو لا يتهاون بوضع الالفاظ في مواضعها لأن اللفظ اذا لم يصب في قالبه شوه المعنى اوقلبه اواضاعه كلفظ : يخون في البيت الآتي قال الجاحظ وفي مخول شعر النابغة[1] :

فألفيت الأمانة لم تخنها ... كذلك كان نوح لا يخون

وليس لهذا الكلام وجه وانما ذلك كقولهم كان داود لا يخون وكذلك كان موسى لا يخون عليهما السلام وهم وان لم يكونوا في حالة من الحالات اصحاب خيانة ولا تجوز عليهم فان الناس انما يضربون المثل بالشيء النادر من فعل الرجال ومن سائر امورهم كما قالوا : عيسى ابن مريم روح الله وموسى كليم الله وابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليهم وسلم ، ولو ذكر ذاكر الصبر على البلاء فقال : كذلك كان ايوب لا يجزع كان قولاً صحيحاً ولو كان كذلك

[١] الحيوان — الجزء الثاني ص ٩٠

نوح عليه السلام لا يجزع لم تكن الكلمة أعطيت حقها ولو ذكر الاحتيال وتجرع الغيظ فقال : وكذلك كان معاوية لا يسفه وكان الاحنف لا يفحش لكان كلاماً مصروفاً عن جهته ولو قال : كذلك كان حاتم لا يبخل لكان ذلك كلاماً معروفاً ولكان القول قد وقع موقعه وان كان حاتم لا يعرف بقلة الاحتيال وبالتسرع الى المكافأة ولو قال : سألتك فمنعتني، وقد كان الشعبي لا يمنع وكان النخعي لا يقول لا لكان غير محمود في جهة البيان وان كان ممن يعطي ويختار نعم على لا ولكن لما يكن ذلك هو المشهور من امرهما لم تصرف الامثال اليهما ولم تضرب بهما ·— »

فأنتم ترون ان كل هم الجاحظ في اساليب نقده انما هو اعطاء الكلمة حقها حتى يقع القول موقعه وحتى يكون محموداً في جهة البيان فالجاحظ من هذا البـاب من اكبر رجال الفن واذا نظرتم غداً في لغته تبين لكم كيف يعطي الكلام حقوقه ·—

وقد حمله مذهبه هذا واعني به إنزال اللفظ في منزله دون شيء من الغلو في استعمال الالفاظ على إنزال المعاني في منازلها دون شيء من المبالغة في تصور هذه المعاني وتخيلها فكما انه يتذمم من الغلو في اللفظ فكذلك يتذمم من الغلو في المعنى فهو لا يريد من المعـاني الا ما كان صادقاً فمن قوله [١] :

« واذا استوحش الانسان مثل له الشيء الصغير في صورة الكبير وارتاب وتفرق ذهنه وانتقضت اخلاطه فيرى ما لا يرى ويسمع ما لا يسمع ويتوهم على الشيء الصغير الحقير انه عظيم جليل ثم جعلوا ما تصورلهم من ذلك شعراً تناشدوه واحاديث توارثوها فازدادوا بذلك ايماناً ونشأ عليه الناشيء وربي به الطفل فصار احدهم حين يتوسط الفيافي وتشتمل عليه الغيطان في الليالي الحنادس فعند اول وحشة اوفزعة وعند صياح بوم ومجاوبة صدى وقـد رأى كل باطل وتوهم كل زور وربما كان في الجنس واصل الطبيعة نفاجاً كذاباً وصاحب تشنيع وتهويل فيقول في ذلك من الشعر على حسب هذه الصفة فعنـد ذلك يقول : رأيت الغيلان وكلمت السعلاة ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول : رافقتها ، ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول : تزوجتها ، قال عبيد ابن ايوب :

---

[١] الحيوان — الجزء السادس ص٧٨

فلله در الغول اي رفيقـة   لصاحب قفر خائف متنفر

وقال :

أهذا رفيق الغول والذئب والذي   يهيم بربات الجمال المواكل

وقال آخر :

اخو قفرات حالف الجن وانتفى   من الانس حتى قد تقضت وسائله
له نسب الأنسى يعرف نجله   وللجن منه خلقه وشمائله

ومما زادهم في هذا الباب وأغراهم به ومد لهم فيه انهم ليس يلقون بهذه الاشعار وبهذه الاخبار الأعرابياً مثلهم والاغبياً لم يأخذ نفسه قط لتمييز ما يوجب التكذيب والتصديق او الشك ولم يسلك سبيل التوقف والتثبت في هذه الاجناس قط واما ان يلقوا راوية شعر او صاحب خبر فالراوية عندهم كلما كان الأعرابي اكذب في شعره كان اظرف عندهم وصارت روايته اغلب ومضاحيك حديثه اكثر فلذلك صار بعضهم يدعي رؤية الغول او قتلها او مرافقتها او تزويجها وآخر يزعم انه رافق في مفازة نمراً فكان يطاعمه ويواكله ٠— »

ولكن الجاحظ على اهتمامه بالالفاظ وفرط اعتنائه بالصنعة ، وعلى شدة ميله الى السلف الطيب والاعراب الاقحاح الذين لم يجد لهم الفاظاً مسخوطة ولا معاني مدخولة ولا طبعاً رديا ولا قولاً مستكرهاً ، لم يؤثر المحافظة على اساليب المتقدمين التي تناهت اليه من عصر الجاهلية والاسلام وانما رأى لكل عصر اطواراً وان الانتقال من طور الى طور انما هو من علامات الحياة ٠—

اتصل الجاحظ بعصر انقلبت فيه الافكار كل منقلب ، فقد نقلت في ذلك العصر كتب الهند وترجمت حكم اليونانيين وحولت آداب الفرس فكان لهذه الافكار المنقولة تأثير في ادب العرب فقد استوجبت هذه الافكار صيغاً حديثة لا عهد للعربية بها فدخل النثر في طور لم يدخله من قبل ، ولم يكن الشعر بمعزل عن آثار الانقلاب فان الشعراء اتصلوا بالخلفاء متقلبين في اعطاف الحضارة والنعيم فكان من بدائه الامور ان يكون في شعرهم اثر من صور هذه الحياة الحديثة ٠—

ومن هؤلاء الشعراء الذين ظهرت على شعرهم آثار حديثة تختلف عن الآثار التي كانت

تظهر على الشعر من قبلهم في الجاهلية والاسلام بشار وابو نواس والبحتري واضرابهم .—

فكما انتقل الجاحظ في النثر من طور الى طور فلجأ الى اساليب تستطيع ان تستوعب الآثار المنقولة فكذلك انتقل ذوقه في الشعر من طور الى طور فاختار من هذا الشعر ماظهرت عليه آثار الانقلاب فلم يؤثر المحافظة على الآثار القديمة وانما تطلب الصور الحديثة دون المبالاة بالعصبية التي تعترض على الذين يفضلون شعر اهل البدو .—

فمن الطبيعي بعد هذا الانقلاب ان يفضل ابا نواس اوبشاراً من الذين وسّعوا آفاق الشعر ولم يضيقوا هذه الآفاق .—

فاذا تطاول مثلاً حماد عجرد لبشار وقال فيه ابياتاً ناضل الجاحظ عن بشار فقال [١] :

« ومايبنغي لبشار ان يناظر حماداً من جهة الشعر ومايتعلق بالشعر لان حماداً في الحضيض وبشاراً مع العيّوق وليس في الارض مولد قروي يعد شعره في المحدث الا وبشار اشعر منه .— »

ولا يعرف الجاحظ شاعراً بعد بشار اشعر من ابي نواس [٢] .—

وله آراء كثيرة في ابي نواس تتعلق بفصاحة أسلوبه وجودة طبعه .—

منها قوله [٣] :

« مارأيت رجلاً اعلم باللغة من ابي نواس ولا افصح لهجة مع مجانبة الاستكراه .— »

ومنها قوله بعد ان ذكر رجزاً له [٤] :

« وانا كتبت لك رجزه في هذا الباب لانه كان عالماً راوية وكان قد لعب بالكلاب زماناً وعرف منها مالا تعرفه الاعراب وذلك موجود في شعره وصفات الكلاب مستقصاة في اراجيزه هذا مع جودة الطبع وجودة السبك والحذق بالصنعة وان تأملت شعره فضلته الا ان تعترض عليك فيه العصبية اوترى ان اهل البدو ابداً اشعر وان المولدين لا يقاربونهم في شيء

[١] الحيوان — الجزء الرابع ص١٤٥
[٢] 〃 〃 〃 ص١٤٦
[٣] طبقات الانباري — ص٩٧
[٤] الحيوان — الجزء الثاني ص١٠

فان اعترض هذا الباب عليك فانك لا تبصر الحق من الباطل مادمت مغلوبا . — »

ليس معنى هذا كله ان الجاحظ يفضل المولدين من الشعراء على شعراء الجاهلية والاسلام وانما معناه ان الجاحظ يماشي عصره ، فكما ماشى هذا العصر في تجديد النثر بسبب جدة الافكار فكذلك ماشاه في استحسان الشعر المولد . والا فان الجاحظ ما كان يتاخر عن ضرب الامثال بامرئ القيس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن ابي سلمى ثم بجرير والاخطل والفرزدق[1] . —

دمشق : في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٣٢

[١] الحيوان — الجزء الخامس ص ٩٦ .

كتاب التكملة والصلة والذيل

للقاموس

—:():—

في خزانة القرويين عمرها الله بفاس ذات النفائس والمخطوطات النادرة المؤسسة في الدولة المرينية دولة العرفان والعلم على يد نابغة ملوكها العظام ابي عنان المريني سنة ٧٥٠ هـ — توجد نسخة من الكتاب ذي الاسم اعلاه بخط مؤلفه ابي الفيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ثم المصري المتوفى بها سنة خمس ومائتين والف وهي مبيضته وعليها طرره في مجلدين ضخمين يشتمل الاول منهما على ٤٢٦ ورقة والاخير على ٢٤٧ ورقة طول كل ورقة ٢٢ سانتيما في عرض ١٨ تحت عدد ورقم ح ٨٠—١٣٦ ٠

فالجزء الاول يضم بين دفتيه من باب حرف الهمزة الى آخر حرف الراء ٠ والثاني يضم حرف الهاء والواو والياء فقط مكتوبان بكاغد به تلاش ٠ وفي اول الجزء الاول بتر حيث لا توجد به خطبة الكتاب ولا توجد به فصول الالف والباء والتاء والجيم والحاء من باب الهمزة ويوجد بكل من الجزءين تمزيق يسير وخرق السوس والتنقيع ٠ نعم يمكن الاستفادة منه الا يسيراً مع مشقة ٠

سطور كل صفحة من ١٦ الى ١٨ الى ٢١ على غير نظام اذ كان مؤلفه يزيد ما ظهر له الحاقه ولم يتقيد بمسطرة خاصة وربما كمل بالطرة ٠

ويوجد فراغ بين المجلد الاول والاخير وهو الحروف الساقطة بين حرفي الراء والهاء فاما ان يكون هناك مجلد تام قد ضاع او مجلدان وهذا بعيد اذ لم يكن بين فراغ المؤلف من تبييض المجلد الاول والاخير الا نحو سبعة اشهر هي التي بيض فيها الجزء الاخير ٠ ويمكن ان يبيض ذلك قبل او بعد ان وجد ٠ نعم قد يكون بيض في الزمن المذكور جزءاً آخر ثالثاً

او جزءين ولكن من باب خرق العادة وطي الزمن ودونك تاريخ الجزءين مدققا باليوم والساعة :

يوجد في آخر المجلد الاول مانصه بالحرف الواحد : تم حرف الراء والحمدلله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وكان الفراغ من ذلك في الثالثة من ليلة الاربعاء لست بقين من شوال من شهور سنة احدى بعد المائتين والف على يد مسوده العبد الفقير ابي الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله له بمنه وكرمه آمين .

ويوجد في آخر الجلد الاخير مانصه : وهذا آخر الكتاب الذي سميته التكملة والصلة والذيل لمافات صاحب القاموس من اللغة مما املاه الحفظ واولده الخاطر من ذكر اللغات التي وصلت الي وغرائب الالفاظ التي انثالت الي وهذا بعد ان عانيت كبرة واحطت بما جمع من كتب اللغة خبراً وخبرة . ولم آل جهداً في التقرير والتحرير والتحقيق وايراد ماهو حقيق واطراح مالا تدعو الضرورة الى ذكره حذراً من اضجار مسائله وتخفيفاً على قارئه وان كان مامن الله به من التوسعة ومنحه من الاقتدار على البسط وزيادة الشواهد من فصيح الاشعار وشوارد الالفاظ الى غير ذلك مما اعجز عن اداء شكره . ليكون للمتأدبين معيناً ولهم على معرفة غوامض لغات الكلام الالهي واللفظ النبوي معينا . وقد اعفيته من الحشو وبينت الصواب فيه بقدر معرفتي ونقيته من التصحيف والمغير [كذا] والخطأ المستفحش والتفسير المزاد . الى آخر ماطال به في مدح الكتاب . ثم قال وقد نبهت فيه على مواضع وقع للمصنف فيها خطأ إما سهواً اوهو من تغيير النساخ مع اني لا آمن ان اقع فيما وقع فيه والله المستعان .

ثم ذكر الكتب التي منها أخذ وعليها اعتمد قال وان كان لدسبق في الخطبة الحوالة فيها على اصل الشرح ولكن اذكرهنا المشاهير منها واقتصر على بعضها دون كلها : فمن كتب اللغة التي هي بمنزلة الاصول الجمهرة لابن دريد والصحاح للجوهري والتهذيب للازهري والمحكم لابن سيده والعباب للصغاني والتكملة على الصحاح له ايضاً . فهذه الستة هي كالاصول في علم اللغة وتهذيب التهذيب للارموي . وماعزوته لابن بري فبواسطة هذا الكتاب ثم ذكر كتباً أخرى في اللغة والانساب وفي الرجال والصحابة واسماء البلدان الى غير ذلك من غرائب الكتب المؤلفة في انواع من اللغة ككتاب السرج واللجام لابن دريد

وكتاب ايمان العرب له وكتاب[1] غريب الحمام المفدى وعدد كتباً أخرى الى ان قال: ومن الله ارجو حسن الثواب وبرحمته اعتصم من هول يوم المآب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً ابداً والحمد لله رب العالمين . انتهى ذلك في الثالثة من نهار الجمعة المباركة الثاني والعشرين من جمادى خمسة (كذا) سنة ١٢٠٣ احسن الله ختامها . وكتب ابوالفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه بمنه وكرمه حامداً الله تعالى ومصليا اه . واني لأعجب من الجبرتي مؤرخ مصر حيث ترجم لمرتضى المذكور وعدد تواليفه واهمل ذكر تكملة القاموس المذكورة على اهميتها مع كونه تلميذه لكنه هو نفسه معترف بانه لم يستوعب كل تواليفه ذكراً .

وها كم انموذجاً من الكتاب :

ففي اول ورقة من الجزء الاول المبتور هذه العبارة : (جبأ الجراد) هجم على البلد وكل طالع فجأة جابئ و (جبأ جبوءا) خنس و(الجابئة) المرأة تنبو عنها العيون هذا ما يوجد اول الجزء الاول .

وفي الورقة ٣ من الجزء الاول ايضاً : فصل الخاء مع الهمزة (الخُبَأة) كهمزة المرأة تطلع ثم تختبئ قال الزبرقان بن بدر : ان ابغض كنائني الي الخُبأة الطلعة ويروى الطالعة القباة (كذا) وخبأ الشيء حفظه كخبّأه والخبء بالكسر لغة في الخبء بالفتح للمخبيء وغاب وخبايا الارض ما يخبؤه الزراع من البذر اوما خبأه الله من معادن الارض جمع خبيئة .

وقال في فصل الميم مع الهمزة :

المروءة ذكرها المصنف ولم يضبطها ولم يحدها وهي بضم الميم والراء ممدودة وقد تشد وللعامة في النطق بها اختلاف فمنهم من يقول مروءة بالفتح ومنهم من يقول بالتشديد مع فتح الميم ومنهم من يقول بضم الميم وفتح الراء مع التشديد وكل ذلك خطأ واما حدها فاختلف فيه ففي العباب هي الانسانية وكمال الرجولية انتهى . وسئل عنها الاحنف فقال هي العفة والحرفة وقال غيره هي ان لا تفعل في السر امراً وانت تستحي ان تفعله جهراً الى ان قال وقيل هي السمت الحسن وحفظ اللسان وتجنب المجون . وتمرأ صار ذا مروءة الى ان قال ويقال في تصغير المرإ

(١) [المجمع] قوله (كتاب غريب الحمام المفدى) في مقدمة التاج [كتاب الحمام والهدى] .

والمرأة مرئي (كذا) ومرئية (كذا) . ويقال في امرأة امراة غير مهموز بعد الراء عن ابن عديس في الباهر ونقله اللبلي (١) في شرح الفصيح ومرأ كمنع اطعم على بناء دار او تزويج الخ اهـ. وكل ماتقدم نقله يمكن ان يستغنى عنه بماله في الشرح .

وقال في فصل الراء مع الخاء :

الزرخ اهمله صاحب القاموس وقال الصغاني هو الزج بالرمح والمزرخة بالكسر مايزرخ به والمصنف اورده بتقديم الراء فوهم . مااصبت منه زرنيخة بالكسر اي شيئاً .

وقال ايضاً في فصل الشين مع الخاء .

الشخاخ كغراب البول نفسه والمشخة موضعه ورجل شخاخ كثيره وهي بهاء . وكسحابة بالشين (٢) منها عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن الشخاخي . روى عن البخاري مات بالشاش سنة ٣٢٣ الخ .

وقال في فصل اللام والحاء المهملة :

اسلنطح الشيء طال وعرض والرجل انبسط ووقع على ظهره . واناء مسلطح واسع عريض .

وما في هذه المواد الثلاث الاخيرة زائد على ما له في الشرح وعلى اقرب الموارد ايضاً بل صاحب اقرب الموارد وتبع في الوهم الذي وقع فيه صاحب القاموس في زرخ .

فيظهر ان الكتاب ضروري لعشاق اللغة العربية ومن يريد التوسع فيها .

ولقد ظفرت بنسخة أخرى عند بعض علماء فاس جلة مشتملة على افتتاحية الكتاب يمكن منها جبر الكسر اوبعضه وبالله الاستعانة .

الرباط (مراكش) محمد الحجوي

—((*:*))—

(١) [المجمع] لعل صوابه الليلي كما يفهم من كشف الظنون .

(٢) [المجمع] في معجم البلدان قرية من قرى الشاش ينسب اليها ابو محمد عبدالرحمن بن محمد بن عبد الخالق البخاري الشخاخي فصوابه بالشاش .

«سيرة» الامام محمد بن اسحاق المطلبي

«المتوفى سنة ١٥١»

من جملة نفائس المكتبة القروية الفاسية مجلد مخطوط اثر نفيس حوى الاجزاء ٢و٣و٤ و٥ من السيرة اعلاه تجزئة عشرين ولقد قابلتها بسيرة ابن هشام المختصرة منها فاذا الفرق بينها زيادات في الاولى لا توجد في الثانية كان في الثانية زيادات لابن هشام معروفة وعلى كل جزء من الاجزاء الاربعة خطوط جماعة من علماء المشرق والمغرب وإجازات وسماعات عجيبة على نسق ما كان معروفاً عند الحفاظ المتقنين المتصدين للتحرير والاتقان والتثبت في النقل الذي لا وجود له في عصرنا الحاضر .

هذه السيرة هي من رواية الشيخ ابي الحسين احمد بن محمد بن النقور البزار عن ابي طاهر المخلص عن رضوان عن احمد بن عبد الجبار العطاردي عن يونس بن بكير عن مؤلفها الامام محمد بن اسحاق المطلبي رضي الله عنهم .

وهذا المجلد الشاهد العدل الذي لا يقبل الطعن — سهم مصيب في نحر الجحوديين الذين يزعمون ان لا وجود للسيرة الاسحاقية ويتهمون ابن هشام كما اتهموا رواة الشعر الجاهلي وكما يتهمون ابصارهم في شمس الظهيرة .

محمد الحجوي

—(*)==(*)—

الاستاذ السيد زكي مغامز (١)

(١) عضو المجمع العلمي والمتوفى في هذه السنة .

وُلد السيد زكي مغامز في حلب سنة ١٨٧١ م وكان جده غنياً فاعتنى بتربيته وادخله مدرسة الفرنسيسكان وبعد قليل مات جده فسافر الى العمق وبقي فيه مع والده نحو خمس سنوات اقتبس في خلالها اللغة التركية من التركمان القاطنين في تلك الجهات ثم عاد الى حلب فدخل المدرسة الرشدية العسكرية ولم يكن قد تعود الدرس فجعل يدرس في الليل والنهار وهو لا يفهم معنى ما يدرس فكان يبكي احياناً وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة لكنه لم تمض عليه مدة حتى اصبح الاول في صفه . وبقي يتدرج كذلك محافظاً على الاولية حتى اخذ الشهادة المدرسية وسافر الى الاستانة ليدخل في المدرسة العسكرية الطبية ولكن ابى ناظرها الارمني قبوله تعصباً منه فمال الى الصحافة فعين محرراً في جريدة (سعادت) اليومية ومن ذلك الحين اخذ اسمه في الاشتهار بين الاتراك ثم ازداد شهرة بين أدبائهم بما كان يكتبه في مجلة (مكتب) وقد عدوه في الطبقة الاولى ثم أُقفلت هذه المجلة فاشترك مع صديقه الشاعر (فائق اسعد بك) على نشر مجلة باسم (عندليب — زكي) و (عندليب) بتوقيع (لفائق اسعد بك) كان يوقع به اشعاره . ثم ان السلطان عبد الحميد نفى (عندليب) الى سيواس فأُقفلت المجلة . ثم اخذ (المترجم) يحرر في جريدة (إقدام) لصاحبها احمد جودت بك فبقي عدة سنين ولما انشأ (طاهر بك) جرائده ومجلاته تقلد المترجم رئاسة تحريرها كلها اكثر من سنة وكان الاحتياج رائده في قبول رئاسة التحرير . وقد غلبت الحرية على لهجة جريدة (معلومات) العربية احدى الجرائد التي تولى (المترجم) تحريرها فكانت الصحف العربية والاسلامية المنتشرة في جميع الاقطار تقتبس منها وتحتج بما ينشر فيها . ولما وفد بطريرك الروم الكاثوليك في الشام (بطرس الجريجري) الى الاستانة نوه المترجم به في صحفها بما لم يعتد سماعه في حق بطاركة العرب فلفت ذلك نظر البطريرك اليه واستصحبه معه ليكتب له عرائضه وبذلك تعرف برجال المابين معرفة شخصية وعلى اثرها جرى تعيينه عضواً في مجلس بلدية العاصمة واذ ذاك ترك التحرير في الصحف عدا جريدة (إقدام) فبقي يحرر فيها ويراسل الصحف العربية المصرية كالمؤيد واللواء ثم اسس محلاً تجارياً في الاستانة لاخيه السيد جميل مغامز وكان يساعده فيه كما يقوم بوظائفه الرسمية الاخرى ويقضي الليل في الدرس والتأليف ومكاتبة الصحف . ثم عين مديراً لمجلة البوليس ثم عضواً في دائرة الترجمة والتأليف في نظارة المعارف ثم لما قامت الحكومة

الكمالية عهدت اليه وكالة المعارف في انقرة امر تصحيح الكتب التي تطبع في (المطبعة العامرة) وهي آخر وظائفه ومنها انتقل الى (التقاعد) .

ومن آثاره ترجمة كتاب (الرق في الاسلام) تأليف احمد شفيق باشا المصري ورسالة عن (بديع الزمان الهمذاني) وكتاباً اسماه (مفتاح المكالمة العربية) . وترجم كتاب (التمدن الاسلامي) للمرحوم جرجي زيدان وقد نشر تباعاً في جريدة (إقدام) وبذلك اشتهر جرجي زيدان عند الاتراك شهرة واسعة ثم ترجم رواية (ابي مسلم الخراساني) و (عروس فرغانه) و (صلاح الدين الايوبي) و (الاسماعيليين) وكلها لزيدان . كما ترجم كتاب (تحرير المرأة) للمرحوم قاسم بك امين وكتب نحو عشرين مقالة عن حياة المتنبي في جريدة (بيام صباح) وخمس عشرة مقالة عن (ابي العلاء) في جريدة (اجتهاد) وبالجملة فان المترجم كان من اكبر العوامل في نشر آثار العرب وفضائلهم بين أدباء الاتراك المتأخرين .

وفي سنة ١٩٢٠ طلب اليه بعض الوراقين ان يترجم له القرآن الكريم من العربية الى التركية فقضى سنتين ونصفاً من حياته الادبية في ترجمة هذا الكتاب ترجمة خالية من الاغلاط ولكن بعد اتمام الترجمة قام جماعة من الحاسدين المتعصبين وطعنوا على الكتبي فخاف هذا على نفسه واخر طبع الكتاب فاستفاد من ذلك صاحب مكتبة (جهان مهران الارمني) وعهد بترجمة القرآن من الفرنسوية الى احد الاتراك فجاءت ترجمة مشوهة وسارع لطبعها فتهافت الناس عليها واشتروها وكان لها اسوأ تأثير عند العلماء المدققين . ولكن الطابع استفاد من عمله فطبع الكتاب مرتين حتى علم الناس انها ترجمة غير صحيحة فنبذوها وكانت السبب لكساد التراجم التي نشرت بعده . اما ترجمة (المترجم) للقرآن الكريم فقد نشرها الكتبي خفية بعد زمان متأخر بعنوان (تركجه قرآن كريم) ونسبها الى هيأة علمية وان (اسماعيل حقي) هو الذي صححها . ولم يفز الوراق بما كان يرغب فيه لان الناس ابتعدوا عن اشتراء التراجم ونفروا منها . ويوجد من ترجمة المترجم نسخة في دار المجمع العلمي العربي ونسخ عديدة أخرى في تركية ومصر . ثم حولت الاحرف العربية الى حروف لاتينية فماتت جميع الكتب التي انتشرت بالحروف العربية .

وبينما كان (المترجم) يراسل جريدة اللواء المصرية جاء الاستانة الكاتب الفرنسي (بيير لوتي) ومعه كتاب توصية الى المترجم من مصطفى كامل صاحب اللواء فأصبح صديقاً حميماً له وكان المترجم يلقي عنه الافرنسية وهو يتلقى التركية عن المترجم الذي كتب مقالات عديدة عن هذا الكاتب الكبير في إقدام وثروت فنون . وفي خزانة المترجم جميع مؤلفات هذا الكاتب العظيم وكلها مهداة اليه بخطه فضلاً عن المراسلات الكثيرة التي دارت بينهما وربما ننشر منها شيئاً في الصحف .

—((☆☆))—

آراء وافكار

—(())—

النثر الجاهلي

بعد ان سكنت الضوضاء التي أحدثها الاستاذ طه حسين حول (الشعر الجاهلي) منذ بضع سنين قامت اليوم ضجة أخرى حول (النثر الجاهلي) احدثها تلميذه الدكتور زكي مبارك فقد نشر في جريدة (البلاغ المصرية) منذ حين مقالات بعنوان (النثر الجاهلي) و (نشأة النثر الفني) حرك بها من اقلام كبار كتاب الادب في مصر فانبروا لتأييده في بعض ما ذهب اليه ومعارضته في بعضه. وقد احببنا ان ننشر خلاصة من هذا الموضوع الجم الفائدة الطريف الاثر في آدابنا العربية :

افتتح الدكتور مبارك مقاله الاول بهذا السؤال :

[هل كان للعرب نثر فني في عصور الجاهلية ? وهل كانوا يفصحون عن أغراضهم بغير الشعر والخطب والامثال ?]

واجاب على ذلك مخطئاً اولاً من قال ان العرب قبل الاسلام لم يكن لهم وجود ادبي ولا سياسي. وقائل هذا القول امامسلم يرى ان الاسلام هو الذي خلق العرب ونقلهم من الظلمات الى النور. اومؤرخ يشك في ما اثر عن العرب من الآثار الادبية. ومنهم من غلا فزعم ان عرب الجاهلية كانوا يعيشون عيشة اولية وهذه الحالة لا تسمح لهم بتولد النثر الفني فيهم. وصاحب هذا الرأي هو الموسيو (مرسيه) وشايعه عليه الدكتور طه حسين. ويراد بالنثر الفني ما يلجأ اليه الرجل لاذاعة فكرة اودفع شبهة او إيضاح مشكلة. واستبعد الدكتور مبارك ان يكون للامم التي تجاور العرب كالفرس واليونان وغيرهم نثر فني قبل الميلاد باكثر من خمسة قرون ثم لا يكون للعرب نثر مثله بعد الميلاد بخمسة قرون.

قال والدليل على خطأهم في ذلك ان القرآن أشار الى انه كانت لدى العرب كتب تدرس وكتابة تمارس بدليل آية [وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك] فالنثر الفني كان موجوداً وكان يكتب ويتداول . وعدم وصوله الينا لا يقتضي عدم وجوده . فهو قد ضاع لاسباب : اهمها شيوع الامية وقلة التدوين في الجاهلية وبعد نثرهم عن الحياة الاسلامية التي حدثت بنزول القرآن .

وبعد ان اثبت الدكتور مبارك وجود النثر الجاهلي على هذه الصورة عاد يبحث عن طريق يثبت به كيف كان نثرهم الفني ؟ وماهو أسلوبه ؟ وماهي الاتجاهات العقلية التي كان يرمي اليها كاتبو ذلك النثر في ذلك العصر ؟؟

فذهب الى ان النصوص المروية كأسجاع الكهان وعظات الخطباء وخطب الوفود لا تكفي لتعيين اساليب النثر الجاهلي وهي على قلتها مما وضع في العصر الأموي لاغراض دينية اوسياسية اوقومية أي بيان فضل العرب . وبعد ان افاض في اثبات رأيه هذا قال : والنتيجة اننا لانستطيع ان نعطي النثر الفني الجاهلي لوناً نطمئن اليه مادمنا لم نظفر بنصوص صحيحة منه امامارووي من تلك النصوص فهو منحول مختلق . وهذا الشعر الجاهلي ارتابوا في صحة اكثره مع ان الشعر يسهل حفظه ويعتنى بروايته فكيف بالنثر وهو ليس بهذه المثابة .

فاذا لم تكن النصوص المروية كافية في تعيين أسلوب النثر الفني فماهو الشيء الذي يثبت لنا ذلك ؟

اجاب الدكتور مبارك بانه القرآن . وبديهي ان رأيه هذا فيه مفاجأة حادة يصعب التسليم بها على كثير من الباحثين المسلمين ولذا تغير اتجاه هذا البحث الى المنزع الديني بعد ان كان ادبياً محضاً . فرد على الكاتب طائفة من انبل كتاب مصر امثال الاساتذة محمد عبد المطلب [رحمه الله] ومحمد لطفي جمعة وفريد وجدي . ولا يخفى ان القرآن في اعتقاد المسلمين وحي الهي فكيف يقول الدكتور انه نثر جاهلي .

وقد اجاب على هذا بان اتخاذه القرآن نموذجاً للنثر الجاهلي لا يلزم منه نفي ان يكون القرآن وحياً الهياً كما لا يلزم منه ان لا يكون كذلك . وكل مايريد اثباته هو ان أسلوب النثر الفني الجاهلي إن فقدنا نصوصه الاصلية الجاهلية فاننا نراه مصوراً وممثلاً في آيات القرآن التي ضربت على غرار ذلك النثر وهي تعطينا صورة صحيحة عنه . لانها انزلت لهداية اولئك

الجاهليين وارشادهم . ولا يمكن ذلك الا بمخاطبتهم بما يفهمون من الكلام والاساليب . وقد صرح القرآن نفسه بان الرسول لا يُرسل الا بلسان قومه ليبين لهم . ولا معنى لهذا الا ان القرآن مفرغ في اساليب العرب النثرية الفنية حتى يتيسر فهمهم لها فيسترشدوا بها . وكأن الدكتور يقول هذا كل ما أريده من قولي ان القرآن نموذج للنثر الفني الجاهلي . اما كونه كلام الله لا كلام البشر اوبالعكس فليس من مباحث الادب التي نحن في صددها . وقد تهكم الدكتور باستاذه [طه حسين] الذي قال ان القرآن [لا هو شعر ولا هو نثر وانما هو قرآن] . ثم ختم مقاله بقوله [والخلاصة ان القرآن نثر وانه دليل على ان العرب كان عندهم نثر فني قبل الاسلام . فكان لهم بذلك وجود ادبي متين قبل ان يتصلوا بالفرس واليونان . وفي هذا قضاء على اوهام من زعموا [ويريد بهم موسيو مرسيه وطه حسين] . ان اول كاتب في اللغة العربية هو ابن المقفع الفارسي الاصل . وان العرب لم يكونوا يعرفون من قبل غير الخطب والاسجاع والامثال .

وبعد ان اثبت الدكتور مبارك انه كان للعرب الجاهليين نثر فني نموذجه القرآن بحث في ان [الزخرف] الذي يهتم به علماء البلاغة هل اتصل بذلك النثر بمقتضى طبيعة اللغة العربية ام وصل اليها من الخارج حين اتصل العرب بالفرس واليونان ؟

يرى الموسيو [مرسيه] ان [الزخرف] اتصل باللغة العربية عن طريق الفرس وقال [طه حسين] انه جاءها عن طريق اليونان . وهذه الفكرة ترجع الى [رينان] القائل بان المدنية العربية غريبة عن العرب .

والدكتور مبارك لا ينكر ان كل أمة [ومنها العرب] تتأثر بحضارة أمم أخرى لكنه مع هذا يرى ان [الزخرف] عنصر اصيل في اللغة العربية . وشاهده على ذلك القرآن ايضاً فهو مفعم بالزخرف والصنعة المحكمة التي تدل على ان المخاطبين بها وهم العرب يعرفون ماهي الكتابة الجيدة وماهو الأسلوب الجذاب . ثم اشار الدكتور الى ان البحث عن زخرف القرآن من اي جهة اتصل به هو بحث خطر : لان الرأي العام الاسلامي لا يسمح بدرس القرآن درساً تحليلياً يبين ما فيه من العناصر العربية الاصيلة والعناصر الدخيلة . ومع هذا فمعرفة الصفات الاصيلة في النثر العربي ومحاكاة القرآن لا تتيسر لنا ما لم يصل الينا مجموعة نصوص صحيحة من النثر الفني الجاهلي تمثل لنا من ماضيه قرنين على الاقل . ومن اين لنا تلك المجموعة وليس في يدنا

الا القليل من النثر المنسوب الى القرن الذي يباشر ظهور الاسلام ومثله لا يمكن الركون اليه في معرفة طبيعة لغة من اللغات . فلم يبق لدينا الا القرآن وهو اثر عربي صرف لان الرسول الذي تلقاه عربي نشأ في بيئة عربية وبلغه بلسان عربي . اما تأثر القرآن بآداب اجنبية فاحتمال محض وهو لا يغني من اليقين شيئاً فالزخرف الفني في القرآن طابع اصيل فيه فيكون طابعاً اصيلاً في لغة الجاهليين الذين خوطبوا به وفهموه حق فهمه . واتصال العرب بالفرس قد يحدث تطوراً في هذا الزخرف لكنه ليس العلة الاولى فيه كما ظنه بعض المستشرقين . وهذا الزخرف اوالخواص الفنية الموجودة في القرآن وجدت في النصوص التي عاصرته كالأحاديث النبوية وخطب الخلفاء والقواد الذين جاؤا بعده بقليل فتم لنا بهذا ان لغة الجاهليين كان لها نثر فني وان لذلك النثر الفني زخرفاً وصنعة أصيلة فيه كانت تزين نصوصه الكثيرة المفقودة والتي حاكاها القرآن ووصفها لنا ابلغ وصف .

ولم يكتف الدكتور بما مر من امر [الزخرف] بل تعداه الى العلوم العربية كالنحو والبلاغة والعروض والبديع فذهب الى انها اصيلة في لغة العرب بدليل وجودها في القرآن ولم تحدث في القرن الاول والثاني كما ظنه مؤرخو الآداب العربية . اذ لا يعقل ان يظهر كتاب كالقرآن بين قوم لم يفكروا في الفصاحة والعروض والنقد وطرائق التعبير فالقرآن ظهر في لغة تجاوزت طور الطفولة . وارباها المتكلمون بها لم يكونوا من الأمية بحيث وصفوا بل هم مستعدون — بثقافتهم الادبية — لفهم ما فيه من قواعد البلاغة واساليب البيان قال : بل أنا اذهب ابعد من ذلك فأقرر ان الاسلام كان تاجاً لنهضة علمية وادبية وسياسية واخلاقية واجتماعية في الحدود التي كان يستطيعها العرب .

فالاسلام لا يتصور ان يكون نقل العرب من ظلمات الى نور بل من نور الى نور أتم لكن نورهم الاول لم تصل الينا صوره المختلفة . لاقى الاسلام من المعارضة آلاف المصاعب أفيمكن الاقتناع بانه لم ينقل في معامع تلك المعارضة سوى ما نقل الينا من الخطب والرسائل ؟ اين السنة اليهود العرب والأشراف من قريش ؟ واين ما قاله الصحابة في الرد على خصومهم ؟ وكل ما نقل الينا لا يصف حياة العرب العقلية فلا بد أن يكون هناك آثار ونصوص اندثرت ولو بقيت لفقهنا اسراراً جمة من حياة العرب العقلية وثقافتهم الادبية ومبلغ [الزخرف] الذي كانوا يزينون به لغتهم .

ثم اشار الدكتور الى ان ضياع آثار الجاهلية كان بالاسلام . وضياع آثار الاسلام كان بحروب الردة حتى كاد القرآن نفسه يتلاشى لولا مافعله ابو بكر من جمعه وتدوينه فلعرب الجاهلية علوم ادبية كانوا يحذقونها قبل ان اتصلوا بالفرس والروم في العهد العباسي: فاذا استكثر المستشرقون ومن لف لفهم من أدبائنا — على ابي الاسود الدئلي ان يكون هو اول من فكر في وضع علم النحو فانا استقل ان يكون هو المفكر الاول . بل اول من فكر هم عرب الجاهلية الذين عرفوا النحو وغيره من العلوم الادبية . وماقلته أتحمل تبعته والدفاع عنه وارجو ان يكون له اثر في فهم البيئة القديمة التي نزل فيها القرآن والتي سموها خطأ عصر الجهل وهي في رأيي عصر معرفة ونور .

ثم استشهد الدكتور بكلام لابن فارس يتنسم منه انه كان للعرب معرفة بالنحو والعروض واصول اللغة وقواعد الكتابة . وهو على الجملة يرى ان العلوم العربية كانت معروفة قبل الاسلام . وماحققه الدكتور مبارك قبل الاسلام .

وماحققه الدكتور مبارك في مقاليه هذين يمكن تلخيصه هكذا :

[١] كان لعرب الجاهلية نثر فني .

[٢] زخرف الفن الذي كان في نثرهم اصيل فيه لادخيل .

[٣] آثار النثر الجاهلي ونصوصه لم يصل الينا منها الا النزر القليل المشكوك في صحته .

[٤] القرآن هو وحده الاثر العربي الموثوق به الذي صور لنا النثر الفني الجاهلي .

[٥] القرآن كما صور لنا نثر الجاهلية دلنا على انه كان لهم حياة عقلية وعلوماً لغوية .

—«*!?!*»—

مطبوعات حديثة

═(())═

ترجمة القرآن الى الفرنسية

« بقلم المحامي احمد لايمش Ahmd Laïmèche وابن داود B. Ben Daoud »

« طبع بمطبعة : هنتز إخوان — وهران — في ٣٤٦ ص من »

« القطع الوسط »

لا أدري ماالفائدة من ترجمة القرآن ؟—

أفلا ترى ان لغة القرآن تشتمل على اسرار لا يعرفها الا الراسخون في هذه اللغة فكثير من اساليبه لم يجر على الحقيقة وانما المراد به المجاز وصور المجاز تختلف في الامم فالمترجمون انما يترجمون ظواهر الكلام ويغفلون عن بواطنه فما هو اثر ترجمتهم .—

خذ مثلاً من الامثال ، خذ هذه الآية : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم .— »

فقد ترجم المؤلفان ظاهر هذا الكلام وانما أئمة المفسرين ذهبوا غير هذا المذهب فالبيضاوي يقول في تفسير هذه الآية :

« ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بها ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم الى آخر ما جاء في هذا التفسير الى ان قال : وسماه على الاستعارة ختماً وتغشية ... »

فكيف يعرف الافرنجي الذي يقرأ ترجمة الآية ان في هذا الكلام استعارة وان

الختم والتفتشية لم يكن على الحقيقة ، واذا غاب عنه هذا الامر فكيف يدرك اسرار القرآن ، واذا هو لم يدرك اسرار القرآن فلست ادري كيف يكون نظره الى الآيات وكيف تكون قيمتها في نفسه .—

ثم ان المسلمين فرق شتى منهم من ينظر الى ظواهر الآيات ومنهم من يتغلغل في بواطنها ، انظر مثلاً الى صورة التين : والتين والزيتون وطور سنين ، فقد ترجم المؤلفان هذا الكلام على ظواهره وانما المفسرون ذهبوا مذاهب في تفسير هذا القسم فمنهم من زعم ان التين دمشق والزيتون فلسطين ومنهم من يقول وما تعرف دمشق الا بدمشق ولا فلسطين الا بفلسطين وان كنا وانما وقفنا من ذكر التين على مقدار طعمه وانه نافع وانه غذاء قوي فقد اسأنا ظناً بالقرآن وجهلنا فضل التأويل .—

فكيف يعرف الافرنجي هذه الامور كلها وانما يحمل القسم على ظواهر الكلام ولا يحيط ببواطنه فتخفى عليه اسرار القرآن :—

ثم انّ لكل لغة نغمات خاصة تعمل عملها في القلوب خذ سورة من البيور ، خذ سورة الزلزال :

« اذا زلزلت الارض زلزالها . وأخرجت الارض اثقالها . وقال الانسان مالها ! .. »

أفلا تجد ان الزلزال انما هو امر عظيم وان هذا الامر العظيم انما يستلزم الفاظاً تدل على العظمة وان كلمة الزلزال وحدها فيها نغمة خاصة توحي اليك هذه العظمة ، وان هذا كله انما هو من عبقرية اللغة فكيف تستطيع ان تنقل هذه العبقرية من لغة الى لغة من دون ان تضيع نغماتها واسرارها .—

شفيق جبري

في دولة الادب والبيان

[عمر ابو النصر]

« ٢٢٣ صفحة من القطع الوسط طبع بمطبعة روضة الفنون »

« سنة ١٩٣٢ في بيروت »

—:()—

مقالات في موضوعات شتى ، في الادب والنقد وفي تصوير طائفة من رجال الحكومة في لبنان ، هجم فيها الكاتب على خضم من المذاهب بشيء من الجرأة فبقي في اكثر هجماته على الساحل خوفاً من الغرق .—

صاحب هذه المقالات من المفتونين بكلمات التضريج والتعفير والتحطيم فلست تجد في خطرات نقده الا الفاظ الهدم والنقض واشباهما .—

مرة تحدثه نفسه بهدم اللغة فليس بضير اللغة في مزعمه ان يخطئ احدنا في فتح الحاء وضم التاء وليس يسوء القواعد في مذهبه ان تبدل بعض الحركات الصرفية فهو يرى ان هذه المباحث انما هي قشور في الادب لكنه بعد هذه الثورة العصبية لا يلبث ان يهدأ فيرجع اليه فكره فيستنهض الناس للمحافظة على اللغة فحرام عليهم في رأيه ان ينتهكوا حرمتها .—

ومرة يهجس في صدره ان يحطم الادباء كلهم فليس في الادب العربي في سورية على حسب دعواه ميزة ، وليس فيه لون جديد من الوان الحياة فأدبنا ضيق النواحي مضطرب النسيج ضعيف المادة فلا ينعم بالخلود اديب من أدباء العصر في باقيات الايام .

غير انه بعد هذه الهواجس يحاسب نفسه فيلهمه الله الصواب فيقول :

« اهدم ماشئت من رأي ثم اقحمنا بما عندك من رأي ومذهب ، هذا النقد الحق » .

فاذا خرج القارئ من قراءة هذه الهجسات والخطرات بشيء فلا يخرج باحسن من هذا القول .—

شفيق جبري

الكتاب السنوي

« للمجمع المصري للثقافة العلمية »

عدد صفحاته ٢٣٢ صفحة يتخللها رسوم وتصاوير فنية واحصاآت وبيانات

المجمع المصري للثقافة العلمية مجمع علمي يضم اليه عدداً من خيرة علماء مصر وقد خدم منذ أنشئ الى اليوم اللغة العربية والعلوم العصرية خدمة جلى بنشر الكتب والقاء المحاضرات ونشرها مطبوعة ٠

وان في عداد المواد التي يتألف منها دستور هذا المجمع مؤتمراً عاماً يقيمه في اوائل كل عام تلقى فيه محاضرات قيمة تنشر في كتاب سنوي ٠ وهذا الذي نحن بصدده كتاب مؤتمره الذي التأم من ٢١ الى ٢٧ مارس (آذار) سنة ١٩٣٠ ! يحوي احدى عشرة محاضرة في اهم الموضوعات العلمية والعمرانية والتاريخية والطبية والصحية القاها اقطاب يستنار بشعاع علمهم ، هم الحكيم علي بك ابراهيم رئيس المجمع ، والاستاذ فؤاد صروف ، والاستاذ اسماعيل مظهر ، والحكيم علي مصطفى مشرفة ، والحكيم جورجي صبحي ، والحكيم حسن صادق ، والحكيم اندراوس شخاشيري ، والاستاذ سلامة موسى ، والحكيم محمد شرف ، والحكيم محمد رضا مدور ، والحكيم علي حسن ٠ وبذكر اسماء هؤلاء الاعلام كفاية عن تقريظ محاضراتهم كل واحدة بمفردها فبكل واحدة منها غنى عن مطالعات كثيرة وتنقيب طويل في موضوعها العلمي ٠ عبد الله رعد

الكنائس الشرقية البيزنطية

مؤلف هذا الكتاب الاب الياس اندراوس البولسي يأتي في مئتين وخمس وتسعين صفحة بقطع الربع مزيناً برسوم جمة تمثل بيعاً وديرة وشخصيات بارزة تاريخية وحالية لعلية الرؤساء الدينيين للكنائس التي كتب عنها .

عني المؤلف بالكنائس الشرقية البيزنطية جماعات المسيحيين المنتسبين للطقس البيزنطي سواء أكانوا على المذهب الكاثوليكي ام على المذهب الارثوذكسي وتمييزاً لهم عن الكنائس الغربية المنتسبة ذووها للطقس الروماني وهم الذين يستعملون في صلواتهم اللغة اللاتينية ويُعرفون باللاتين . اما الذين عرّفهم بالكنائس الشرقية البيزنطية فهم فروع يستعملون اليونانية والسلافية والالبانية والكرجية والعربية حسب الامصار وكلهم طقس واحد .

وقد جعل المؤلف هذا الكتاب بمثابة دليل الى معرفة هذه الكنائس فجاء احصاء دقيقاً وقد استند فيه الى مصادر قيمة عدّدها في خاتمة كتابه .

شمل هذا الاحصاء عدد نفوس كل جماعة من هاته الجماعات مع ذكر مختصر لتاريخها واهم بيعها وديرها وابرز رجالاتها وكيفية ادارتها . وفرّق فيه لكل فرع بين اتباع المذهب الكاثوليكي منه واتباع المذهب الارثوذكسي من اجل المقابلة في الارقام وفي طرق الادارة متوخياً في ذلك نوعاً من التوطئة وبعبارة اخرى رمى فيه دلوه بين الدلاء الناشدة التفاهم واصلاح ذات البين بين الفئتين الاختين وتوحيدهما .

اما لغة هذا الكتاب فعربية صحيحة لا بأس بها ، لا تكلف في عبارتها ولا خطأ او غريب في إعرابها وتلك خير طريقة في كتابة الكتب المعدة ان يفهمها العالم وغير العالم .

عبدالله رعد

شعراء الجزائر في العصر الحاضر

«جزؤه الاول في نحو ٢٠٠ صفحة وقد طبع في المطبعة التونسية»
[سنة ١٩٢٦]

كنت وانا اتصفح تراجم هؤلاء الشعراء وأقرأ نظمهم ونثرهم أشعر بامرين قد هزّا نفسي مسرةً واغتباطاً . الامر الاول وحدة اللغة العربية الفصحى بيننا معشر المشارقة وبين اخواننا المغاربة فهم يكتبونها كما نكتبها ويتذوقون بلاغتها كما نتذوقها وبذلك تتوحد منازعنا ومشاربنا وهذه مزية القرآن وهو العروة الوثقى التي تضم اليها ماتفرق من اطراف الاقطار الاسلامية . والامر الثاني مانراه من اللهجة الحادة في مخاطبة الطامعين ومقارعة المتغلبين مما يدل على ان اليقظة اصبحت فيهم تامة كما هي في الاقطار المشرقية وانهم اخذوا يفهمون الحياتين الاجتماعية والسياسية ويوفقون بينهما وبين ما يأمر به القرآن وتتطلبه تعاليم الاسلام . وهؤلاء الشعراء والكتاب في بلاد المغرب كافة بعد ان كانوا يعدون بالآحاد اصبحوا يعدون بالعشرات بل والمئات . والكتاب يتضمن ترجمة نحو (١٢) شاعراً واديباً وقد زين برسومهم واودع الكثير الطيب من اشعارهم وعلق عليها ناشره الفاضل السيد [محمد الهادي الزاهري] تعاليق لغوية توضح المبهم وتزيل الغموض الخفي المشكل .

«المغربي»

الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير

لانرى إلحاح المبشرين في تبشيرهم الاسبيًا في نهضة الشعوب الاسلامية وانتباهها الى وجوب العمل على إصلاح تقاليدها وعاداتها واخلاقها . وكنا نظن ان شمالي [إفريقية] هو أبعد الاقطار عن هذه النهضة اواليقظة — واذا الامر على العكس واذا في تونس والجزائر بل والمغرب الاقصى نهضة ويقظة تحتذي مثال النهضة المصرية وتمشي على اثرها في مقاومة التبشير والمبشرين من ذلك مقالات بقلم الاستاذ محمد السعيد الزاهري الجزائري — كان نشرها اولاً في صحيفة [الفتح] وقد عاد اليوم فجردها في كتيب صغير .

« له »

تهذيب الاخلاق .

« والتعليم الاجتماعي الوطني »

كتاب مدرسي بهذا العنوان ألفه [الخوري انطون يمين] وقد راعى فيه برنامج المعارف اللبنانية وضمنه المباحث الاخلاقية والاجتماعية التي لا يسع الفتيان جهلها ولا طبع نفوسهم بطابعها . فواجبات الانسان إزاء خالقه . وصحة بدنه . وتوفير ماله . وإدارة منزله . وتربية اولاده — ثم موقفه إزاء المدرسة والمجتمع والدولة والوطن وسائر الامم — كل ذلك مما تضمنه الكتاب . واتى عليه مؤلفه ايضاحًا وشرحًا بالاسلوب اللين . والتعبير الهين . مقسماً الى دروس متقاودة . وابحاث متناسقة متناسبة .

« له »

—((✡))—

هدية كتب الى المجمع

اهدى الى مكتبة مجمعنا السيد محمد بن محمد زبارة الحسني امير قصر صنعاء اليمن ونزيل القاهرة — طائفة من كتب العلم المفيدة ننشر اسماءها فيما يلي شاكرين له هديته :

١— الجزآن الاول والثاني من تفسير الشوكاني المسمى [الفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير] . والشوكاني اكبر عالم قام في اليمن بل في العالم الاسلامي في القرن الماضي وقد زاحم المجتهدين الاولين في فهم اسرار الدين ويكفي ان نقول هو صاحب (نيل الاوطار) وقد توفي في صنعاء سنة ١٢٥٠ ﻫ والكتاب طبع في مطبعة السيد مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر .

٢— الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير تأليف القاضي الحافظ شرف الدين الحسن بن احمد السياغي الصنعاني المتوفى سنة ١٢٢١ ﻫ وهو اربعة اجزاء كبار طبعت في مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر .

٣— تتمة الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير للسيد الحافظ العباسي بن احمد الصنعاني وهو من المعاصرين الاحياء . والتتمة في مجلد يبلغ نحو ٣٥٠ صفحة .

٤— رسالة تتضمن ماقاله أجلاء العلماء في الديار المصرية وغيرها في تقريظ كتاب (الروض النضير) المذكور .

٥— كتاب (تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين) تأليف الامام الشوكاني المذكور وقد طبع في مطبعة السيد مصطفى البابي .

٦— ترجيح اساليب القرآن على اساليب اليونان تأليف السيد محمد بن ابراهيم الوزير الحسني الصنعاني مؤلف (إيثار الحق على الخلق) المتوفى سنة ٨٤٠ ﻫ طبع في مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر في نحو ٢٠٠ صفحة والكتاب يرمي الى لزوم الاكتفاء بالقرآن عن الفلسفة اليونانية التي اولع بها علماء الاسلام وبعض فرقه كالمعتزلة وغيرهم .

٧— البرهان القاطع في اثبات الصانع وجميع ماجاءت به الشرائع تأليف السيد محمد الوزير المذكور طبع في المطبعة السلفية في نحو ٧٠ صفحة .

٨— مجموعة الرسائل اليمنية : خمسة منها في مجلد واحد :

(١) الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين تأليف الامام يحيى بن حمزة اليمني ٠

(٢) العقد الثمين في إثبات وصاية امير المؤمنين تأليف الامام الشوكاني ٠

(٣) العصمة عن الضلال : عقيدة السيد الحسن بن احمد الجلال اليمني ٠

(٤) فيض الشعاع الكاشف للقناع عن اركان الابتداع تأليف السيد الحسن المذكور ٠

(٥) قرة العين في الجمع بين الصلاتين تأليف الفقيه حامد بن حسن شاكر الصنعاني ٠

وكل هذه الرسائل طبعت في (ادارة الطباعة المنيرية) لصاحبها محمد منير الدمشقي والرسالة السادسة طبعت على حدة وهي [الوجه الحسن المذهب للحزن لمن طلب السنة ومشى على السنن] تأليف اسحق بن يوسف بن الامام المتوكل على الله اسماعيل المتوفى بصنعاء سنة ١١٧٣ ه طبعت في مطبعة الجمل بجوار الازهر ٠

٩ — بهجة الجمال ومحجة الكمال في المذموم والممدوح من الخصال في الأئمة والعمال تأليف شيخ الاسلام محمد بن يحيى بهران اليمني الصعدي توفي سنة ٩٥٧ ه طبعت في مطبعة الجمل ايضاً ٠

١٠ — نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر[١] ٠

« المغربي »

—((☆?☆))—

[١] راجع مجلد ١١ ص ٧٧٠

المجلد الثاني عشر الجزء ٣ و ٤

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

آذار — نيسان

١٩٣٢

دمشق:

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي الدفع مقدماً: في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً، وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكا

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها

" ٣٠٠ " السادسة الى الحادية عشرة "

في الخارج ٦٠٠ " الاولى الى الخامسة "

" ٣٥٠ " السادسة الى الحادية عشرة "

الف ليلة وليلة
تاريخ حياتها[1]

« المحاضرة الاولى »

يخطو الدهر دائباً في وناء وكبرياء وصمت ، فيعفو الاثر . ويفري الحجر . ويبري الحديد ، وتنال يده العابثة كل شيء في حياة المرء بالتغيير والنقص ، الا شيئاً واحداً يلوذ منه بسواد القلب فيستقر في قراره ، ويكمن كمون السر في دخيلته وإضماره ، أُريد به ذكريات الصبي ، واحلام الحداثة ، فهي باقية والجسم يتخونه البلى ، ثابتة والعيش تزعزعه الاحداث ، ناضرة والمنى يصوحها اليأس ، مشرقة والنفس يغشاها من الهم ظلام وسحب ، فمن منكم ياسادة لايذكر اول بيت أبصر فيه الوجود ، واول ملعب عرف فيه الرفيق ، واول مكتب رأى فيه المعلم ، واول موعد لاقى فيه الحبيب ؟؟ ومن منكم لا يذكر ساعات السمر اللذيذة الهادئة ، في غرفة النوم الوثيرة الدافئة ، حيث كان أطفال الأسرة يتجمعون حول الجدة الحنون . او الأم الرؤم . او الظئر الحانية ، فينصتون في سكون وشوق الى ماتقصه عليهم من روائع الأسمار . وبدائع الأقاصيص ، وهم من طلاوة الحديث وجاذبية الحادث وبشاشة المحدث في حال لا يصف الشعور بها غير الشاعر ، ثم لا يلبث هذا الرحيق العجيب ان يخدر الاعصاب الطفلية الرقيقة ، فتغفو تحت جناح الكرى ، وتسمع بقية الحديث الشهي في الحلم !

هذه الاقاصيص الشائقة التي كانت لعقولنا الصغيرة سحرا ، ولعواطفنا المشبوبة سكرا ،

(١) محاضرة للعلامة السيد احمد حسن الزيات عضو المجمع العلمي العربي ألقيت باسمه في ردهة المحاضرات في ٢٦ شباط سنة ١٩٣٢ .

ولقلوبنا الغضة فتنة ، هي نوع من الاحلام والاماني تراءت في ليل الحياة الطويل ، ثم تجمعت في ذاكرة الزمن القديم ، وتنقلت من عهد الى عهد ، ومن مهد الى مهد ، ومن بلد الى بلد ، تحمل في طواياها نفحات الحكمة المشرقية العالية ، وعطور الازمن البعيدة السعيدة . فوجودها أثر لوجود الانسان ، لانها ظاهرة طبيعية من ظواهره : كالغناء والشعر والرقص فلا تعرف لها أولية . ولا تحدد في الغالب لظهورها علة . ولكن علماء الاساطير يزعمون أنها نشأت في الهند ، وهاجرت منها الى بلاد الفرس ، ثم رحلت الى بلاد العرب ، ثم استقر بها النوى في أقطار الغرب ، وفي كل مرحلة من هذه المراحل كانت تصطبغ بصبغة البيئة ، وتتأثر بخصائص الجنس ، وتتسم بسمات العقيدة .

وأما أبطالها الذين وُجدوا على الرغم من قانون الوجود ، ونازعوا أبطال التاريخ ثوب الخلود ، فقد كان لبعضهم ولا شك حظ من الحياة ، وشهرة بملازمة الاسفار وملابسة الغير ، فتحدث الناس اولاً بما فعلوا ثم سرّجوا حول أسمائهم وأنبائهم الاكاذيب والاعاجيب حتى أصبحوا أعلاماً على شخصيات متميزة في البطولة والحرب والحب والحيلة والكرم : كدعد وليلى في الشعر وابي نواس وجحا في التنادر .

أما أكثر الابطال فمن خلق الخيال ، ابتدعهم رموزاً للمثل الاعلى ، او القدر العابث او الجد العاثر ، او السلطان الجائر ، او الهوى المتسلط ، او الامل الآسي ، او الحظ السعيد .

وعلى ذكر الطفولة ومناغيات الامومة أراكم ولاريب تركتموني أنكم وعدتم بالذاكرة الى تلك العهود الحبيبة تتخيلون سحرها ، وتستعيدون ذكرها ، وتصيخون الى ذلك الصوت الحنون ، ينبعث خافتاً من أعماق الماضي القريب او البعيد ، مردداً أسماء اولئك الابطال الذين طالما اكتأبتم لاكتئابهم ، وتألمتم لمصابهم ، وشاركتموهم بالعطف في نعماء الحب ، وبأساء الحرب ، ولأواء الخطب : من أمثال حسن البصري ، ونور الدين المصري ، والشاطر محمد ، والشاطر حسن ، الى آخر ما سجلته الذاكرة . . .

انا كذلك يا سادتي ذكرت حين كتبت هذه السطور — هاتيك القبور التي ضمت هواي . ورفقة صباي ، ونوعاً من الحنان والاخلاص لم أذق له طعماً منذ غاض في هوة البلى منبعه . . . ثم ذكرت شيئاً آخر : ذكرت مجلى من مجالي الأُنس في القاهرة كان جمعة القلوب ،

وألفة النفوس ، ومستجم الخواطر ، فعصفت به روح المدنية الحديثة ، ذلك منظر المحدث اوالقصاص اوالسامر اوالشاعر في مقهى الحي وهو في حلته الشرقية المفوّفة الضافية ، فوق صفته الخشبية البالية العالية ، وقد تجمع بين يديه ، وعن يمينه، وعن شماله ، أوزاع العامة ، وشيوخ المحلة يستجمّون من كلال العمل اليومي برشف القهوة العربية ، وتدخين النرجيلة العجمية ، وتبادل العواطف الاخوية ، ثم الإصغاء المشترك الى (ابي درويش) وهو يقص بصوته العريض المتئد ، وجرسه الهادئ المتزن — حروب (عنترة) او وقائع (ابي زيد) اومخاطر (ابن ذي يزن) فينقلهم بقوة تمثيله اوبحسن ترتيله ، على جناح الخيال — الى عصور هؤلاء الابطال ، فيشهدهم مجد البطولة وسلطان الحب وفتنة السحر وبطش المردة . ثم يرى الخبيث أن فورة الحماسة اوالشوق قد طغت في النفوس لوقوع البطل في أسر اوشدة، فيسكت ليجمع النقوط من السمار والنظار . فلا يجد هؤلاء مندوحة عن تعجيله ليعجل هو الى إطلاق البطل من إساره ، وإنقاذ الجمهور من شدة قلقه ومرارة انتظاره . . .

وفي ليلة من هذه الليالي الساهرة تجدون هذه القهوة ذات الضوء الشاحب ، والصمت الحالم ، والمنظر الكئيب — قد خفقت فوقها الرايات ، وأشرقت في جوها الثريات ، وتلألأت في سمائها المصابيح ، وأخذت زخرفها بالسامرين ، وقد جلسوا متقابلين على الدكك العالية يطوف عليهم غلمان بأكواب من ذوب السكر المعطّر بماء الورد ، وصاحبنا المحدث قد خرج الى القوم يتهادى في عمته المكوّرة وجبته المعصفرة وقفطانه الانيق الاصفر . وقد تدلت من حزامه الحريري ذلاذل تنوس على بطنه المتنفخ الضخم . فاذا استوى على عرشه المنجّد — توهج البخور من جانب وتضوعت العطور من جانب ثم خشعت الاصوات ورنت اليه العيون وأنشأ يحدث . فاذا بدا لاحد ان يسأل بعض الجالسين عن سبب هذا المهرجان تعجب اولاً من انه لا يعرفه ، ثم أجابه بلهجة الفخور المزهو : هذه ليلة زفاف عبلة الى عنترة . . . فاذا كانت القصة قصة بني هلال — وجدتم هذا الهوى الجميع قد استحال الى عصبية شنيعة . ورأيتم إخوان الامس قد أصبحوا أعداء اليوم : فطائفة تتعصب لبني هلال . وطائفة تتعصب لبني زناتة . وهؤلاء يريدون الشاعر على ان يقص واقعة . واولئك يسألونه ان يقص اخرى ، والشاعر لا يجيب الا من يجزل له العطاء . فاذا رجحت كفة وشالت كفة أخذ يروي من ذاكرته وغيبه — على هوى الفئة الغالبة مالم يسجله تاريخ . ولم

بدونه كتاب . فيزوّر الغرائب ، ويختلق الوقائع ، ويقمّش مما خزنه في حافظته — من مختلف الاسمار ورقائق الاشعار ليحوك منها للبطل حلةً تهز العجب في قلوب أشياعه ، وتلهب الغيرة في صدور خصومه ، فإما نفحة أخرى تميل به الى الجهة الثانية ، وإما معركة بين الحزبين تكون هي القاضية .

هذا الرجل الذي صورته لك هذه الصورة المتقاربة ، هذا الرجل الذي ينام النهار ويجلس الليل يحدث اربع ساعات متعاقبة ، هذا الرجل النكه اللبق الحافظ الواعظ — هو الاثر التاريخي والنموذج الحقيقي ، لذلك القصاص البارع الذي خلّف لنا كتابنا العالمي الخالد (الف ليلة وليلة) .

يرجع تاريخ هذا القصاص ياسادة الى صدر الإسلام ، والفضل في وجوده كان أيضاً للقرآن الكريم . فقد اشتمل كما تعلمون على مجملات من أخبار القرون الخالية والنذر الاولى ، وكان أعلم القوم يومئذ بتفصيلها — من أسلم من أهل الكتاب كتميم الداري ووهب بن منبه . وكعب الاحبار وعبدالله بن سلام : فكان هؤلاء ومن أخذ عنهم يجلسون الى الناس في المساجد ، يفصلون مافي كتاب الله من قصص الانبياء ، ويسرفون في تهويل هذه الانباء ، ابتغاءً للعبرة ، والتماساً للموعظة ، ووافق هذا الضرب من الوعظ هوى النفوس فازداد إقبال الناس عليه ، وكثر إفك القصاص فيه ، حتى طردهم امير المؤمنين علي من المساجد ، ما خلا الحسن البصري .

ولكن دهاة السياسة رأوا سلطان هذا الفن على العقول وقوة أثره في توجيه الميول — فاتخذوه لساناً للدعاية وسبيلاً لافتعال الاحاديث . واختلاق الاقاصيص في الاغراض الحزبية المختلفة . بدأ بذلك معاوية فولى رجلاً على القصص كان اذا صلى الصبح جلس يذكر الله ورسوله ، ثم دعا للخليفة وحزبه ، ودعا على أهل خصومته وحربه . وكان هو اذا انفتل من صلاة الفجر جلس الى القاص حتى يفرغ من قصصه ، وكان ولاته وقواده يقدمون القُصاص في بعض حروبهم ليقصوا على المقاتلة أخبار الشهداء وماوعدوا به من حسن الجزاء . فعل ذلك الحجاج في العراق ، وجاراه فيه من حاربهم من زعماء الفرق . فقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة (٧٧) أن عتّاب بن ورقاء سار في أصحابه قبيل المعركة يحرضهم على القتال

ويقصُّ عليهم . ثم قال : اين القصاص ؟ فلم يجبه احد . فقال : اين من يروي شعر عنترة؟ فلم يجبه احد .

وسار الشعر والقصص في ركاب السياسة جنباً الى جنب يتبهان على الناس وجوه الرشد، ويموّهان على العقول صور الباطل ، والقصاص كانوا في ذلك أشدّ وطأة على الحق : لانهم ينسبون ما يفترون الى التاريخ او الى الدين . فلما هدأت نائرة الاحزاب ، وسكنت طائرة الفتن ، ونضجت العقول — عاد القصاص الى المسجد ، فوجد الواعظ قد غلبه على مكانه ، والعالم قد فطن الى كذبه وبهتانه ، والخليفة قد استغنى عنه برواته وندمائه ، فانقلب الى العامة يسامرهم في أملائهم وأعراسهم بما أثر من ايام العرب ونقل من أساطير العجم ، وروي من أخبار الفتوح .

وانتشر القُصاص في العواصم العربية حتى صاروا ظاهرةً من ظواهر اجتماعها ، وحاجةً من حاجات عامتها ورعاعها ، واشتدت هذه الحاجة حين انفجرت الدواهي على العالم الاسلامي في أواخر العصر العباسي وبعده : من عنف المتسلطين من السلاجقة ، وعسف المتغلبين من المغول ، وغزو المتعصبين من الفرنك ، فطلبهم العامة تفريجاً للكرب ، والخاصة تشجيعاً على الحرب ، ولكنهم كانوا في مصر أبرع صناعة ، وأنفق بضاعة ، وأرفع مكانة ، لان طبيعة إقليمها ، ونظام اجتماعها ، وطباع سكانها كانت تعين على ذلك : فهي قطر زراعي ملموم الرقعة ، متصل العمارة ، يجود بالخير الكثير ، على الجهد القليل ، فكان لذلك أهله قليلي الاسفار يؤمنون بكل خبر ، كثيري البطالة يميلون الى اللهو والسمر ، وكانوا لا ينفكون بين يسر متدفق طلق — اذا عم الفيضان ، وعدل السلطان ، واقتصد الموت وعسر متجهم كز — اذا فحش الغلاء ، وألح الوباء ، وبغى الحاكم . وعلى الحالين كان السامر او المسامر عنصرين من عناصر الحياة ينضّران بهجة العيش في الرخاء ، ويسرّيان كربة النفس في الشدة .

وكان اول من تولى القصص الرسمي في مصر سليمان بن عنتر التجيبي سنة ٣٨ تولاه مع القضاء ثم أفرد به ، ثم تعاقبت القصّاص من بعده في مصر على اختلاف بينهم في القدرة والغرض ، فكانوا أصداءً للعقيدة ، وأبواقاً للسياسة ، تسمع منهم في كل عهد لهجة ، ولكل دولة سنداً وحجة . وترون ذلك أقوى ظهوراً في عهد الفاطميين . فقد كان (يعقوب

ابن كلس) وزير المعز يعتمد على المناظرات في نشر فقه الشيعة ، وعلى القصص في جذب القلوب لاهل البيت . وكان مقتل الامام (علي) ومأساة الامام (الحسين) موضوع المنابر والسوامر في شهري رمضان والمحرم .

وقيل ان ريبة حدثت في قصر (العزيز بالله) فتناقلتها الافواه ورددتها الاندية فطلب الى شيخ القصاص يومئذ [يوسف بن اسماعيل[1]] ان يلهي الناس عنها بما هو أروع منها ، فوضع قصة عنترة ونشرها تباعاً في اثنين وسبعين جزءاً سمرت بها مجالس القاهرة منذ ذلك الحين الى اليوم وهي الياذة العرب لا ينازعها هذا الشرف الى الآن عمل فني آخر .

وفي القرن الرابع للهجرة كانت فورة هذا الفن ونهضته في بغداد والقاهرة . ففي عهدي (المقتدر بالله العباسي) و (العزيز بالله الفاطمي) كان القصاص الحكوميون والشعبيون يحتشدون لوضع الاخبار ، ويتنافسون في جمع الاسمار ، من الوراقين والرحالين والعامة .

ولكن القصص في العراق كان من عمل الكتاب ، يصورون فيه أنبل عواطف الناس ، وأجمل مواقف الحياة ، ويلقونه زهوراً وعطوراً في مجالس الخلفاء ، وسوامر الملوك ، فكانت بلاغة المحدث وجلالة السامع ونبالة الموضوع تطبع القصة بطابع الجمال والاعتدال والقصر ، وتنزع بها الى السليقة الغريبة المجبولة على الايجاز والقصد في الشعر والخطب والرسائل والقصص .

فما جمعه ووضعه (الجهشياري) و (ابن دلان) و (ابن العطار) في القرن الرابع من الاقاصيص في الحب الطروب ، والترف المسرف ، وما وضعه من قبل هؤلاء (سهل بن هرون) و (علي بن داود) و (أبان بن عبد الحميد) من الاسمار في الامثال الرمزية والحكمة العالية والسياسة الرشيدة ، وما صنعه من قبل هؤلاء (عيسى بن دأب) و (هشام الكلبي) و (الهيثم بن عدي) من الاخبار في الهوى العذري والسخاء العربي في الاسلام والجاهلية — كل اولئك موسوم بسمة العقلية العربية الخالصة من حذف الفضول وترك الاستطراد وقلة المبالغة .

---

(١) وقيل انه الشاعر الطبيب ابو المؤيد محمد بن الصائغ الجزري . وممن قال بهذا الرأي الاستاذ كوسين برسيفال الذي طبع لهذه السيرة ملخصاً في باريس .

أما القصص في مصر فكان غالباً من عمل القصاصين والمسامرين ، يلفقونه من الكتب ، ويتلقفونه من الافواه ، ويحدثون به الدهماء في المجالس العامة . ورزق هؤلاء القصاص على قدر ماعندهم من القصص. فاذا ما انقطع احدهم عن الحديث لنضوب معينه انقطعت به أسباب العيش ، فهم لذلك مضطرون الى تطويل الموضوع بالاستطراد ، وبسط الحادث بالتزيد ، وجذب القلوب بالإغراب والمبالغة .

ومن ثم اتخذ الادب القصصي في مصر شكلاً لا عهد للادب العربي به . ذلك هو شكل القصة بالمعنى الذي نفهمه من كلمة رومان (Roman) في اصطلاح الفرنك ، فان المعروف الشائع من قبل — إنما كان المثل (Fable) والأُقصوصة (Conte) والحكاية (nouvelle) وهذه الانواع قد تولد بعضها من بعض على نحو مايرى الاستاذ (برونتير) الناقد الفرنسي من تطبيق مذهب (دارون) على الانواع الادبية ، فالأُقصوصة نشأت من المثل ، والحكاية نشأت من الأُقصوصة ، والقصة نشأت من الحكاية ، باتساع الخيال ، وفعل المبالغة ، وحكم الزمن . ولكن القصة العربية قد تأخر نشوءها الى القرن الرابع حتى ظهرت بمصر ، لان عملها يقتضي التطويل والتحليل والعلم بطبائع الناس وأوصاف الشعوب ، والعرب في عهودهم الاولى كانوا أبعد بطبيعتهم ومعيشتهم عن هذه الامور ، ثم كانوا في عصور التحضر والاستقرار يؤثرون الخاصة بادبهم فيضطرون في حضرة الملوك ان يراعوا أدب الحديث فلا يغرقون في الحادث حتى يجانب العقل ، ولا يسهبون في السمر حتى يجاوز المجلس ، ولا يسفون في القول حتى يصادم الخلق ، اما القصاص المصري فقد تهيأت له الاسباب اللازمة لخلق القصة : كان سمير الاوزاع والعامة فلم يتقيد معهم بقوانين الخُلق ، ولا بقضايا المنطق ولا بوقائع التاريخ ، فهو يصطنع اللهجة الصريحة ، ويستعمل الالفاظ القبيحة ، ويبالغ في الخلط والتلفيق ، قصداً الى الإغراب والتشويق ، ويعتمد غالباً على المفاجآت القوية ، ويستطرد كثيراً الى الحوادث العرَضية ، ثم يصادم الوقائع ويشوه الحقائق ، لانه يجهلها ، والجمهور الذي يسمعه لا يعلمها ، فاستطاع بذلك ان يزور أغرب الحوادث ، ويجمع شتى الاحاديث ، ويترك لنا هذه المجموعة القصصية التي كانت ولا تزال للخاصة مبعث لذة ، وللعامة مصدر ثقافة .

كان القصاص المصري يعتمد في مادته على مايصدر عن بغداد من الاقاصيص الموضوعة

والمنقولة ، والروايات القديمة الصحيحة والمدخولة ، ثم يضيف الى ذلك ماتنوقل في مصر وماتجمع من الاخبار من التجار والرحالين والبحارين ، فقد كان هؤلاء بعد عودتهم من البلدان النازحة يدونون مارأوا من الاعاجيب ، كما فعل اليعقوبي وابن فضلان وبزرك بن شهريار مثلاً ، إذ يحدثون بها الناس كأن يقولوا لهم ماحكاه ابن خرداذبة من ان في بعض الامم رجالاً عراض الوجوه ، سود الجلود ، لا تزيد قامة أطولهم على اربعة أشبار ، وفي جلودهم نقط حمر وصفر وبيض ، وإن فيهم من له أجنحة يطير بها ، ومن رأسه كرأس الكلب ، وجسمه كجسم الثور او الاسد ، وماجاء في كتاب (المستطرف) من ان في (البلغار) من طوله اكثر من ثلاثين ذراعاً ، يأخذ الفارس تحت إبطه ، كما تأخذ الطفل الصغير ، ويكسر ساقه بيده كما تقطع حزمة البقل . وما رأى الرحالون بالطبع هذه الاشياء ، وانما رأوا صورها على الآثار التي خلفها البابليون والفراعنة والرومان والفرس فظنوها حقيقة .

كان القصاص يتناول هذه الاخلاط فيؤلف منها قصة كثيرة الفصول والفضول ، تدور حوادثها على بطل واحد ، ولكنها تعرض من قبيل الاستطراد الى حوادث شتى ، لا يصلها بحياة البطل الا صلة واهية . انظروا مثلاً كيف صنع قصة (عنترة) : بناها على حادثة أصلية صحيحة : هي (حرب داحس والغبراء) التي شبت لظاها بين عبس وذبيان قبيل الاسلام . ثم دارت رحاها على قطب من أقطابها وهو (عنترة بن شداد) العبسي ، فذكر نشأته في حادثة خرافية جذابة ، ثم وصف رجولته وبطولته وفصاحته وحبه وكرمه ، وما اتصل بذلك من عادات البدو ، كالضيافة والحماسة والإجارة والشعر والغزو والسلب والثأر ، ولكن حروب عبس وذبيان مهما هول فيها وطول لا تشغل بال السامعين طويلا ، ولا تدر عليه من المال كثيراً ، فهو يوقع الخصومة بين عنترة وبين فرسان العرب فيقابلهم ويقاتلهم ويسمهم جميعاً بالنكول والعجز . والقصاص في اثناء ذلك ينقلنا في السهول والاودية ، ويقلبنا بين المضارب والاخبية ، حتى جلا لنا من الحياة الجاهلية صورة صادقة لا تتمثل في خواطركم من طريق التاريخ المقتضب المفكك الا بعد جهد . ثم يرى مع ذلك ان الشوق شديد ، وان الامد الذي يريده بعيد ، فيخرج البطل من الجزيرة العربية ويقدم به الى مصر بلد القصاص فيقود عنترة بها حروباً ، ويهلك شعوباً ، ويبتني حصوناً لا تزال العامة تعرفها الى اليوم باسمه ، ثم يذهب الى القسطنطينية ويزوجه من امرأة رومية . حتى اذا

ظفرت المنون اخيراً بالشجاعة الخارقة عاد ابنه من (بيزنطة) الى الحجاز فطالب بعرش ابيه وحارب معاديه ومغتصبيه ، والميتة التي اختارها القصاص لعنترة تدل على قدرة فنية عجيبة ، وكان (لامرتين) لا ينفك بها معجبا ، ومنها طروبا ، فقد ذكر أن (الاسد الرهيص) احد خصوم (عنترة) المقهورين الموتورين رماه غيلةً بسهم مريش مسموم ، فلما أحس البطل فعل الموت في جسمه الوتيق خشي على قومه من بعده شرّ الهزيمة وعار الفشل ، فوقف حيال العدو الثائر ممتطياً جواده ، متكئاً على رمحه ، وأمر جيشه بالتقهقر والنجاة . فارتد الجيش وبقي هو واقفاً يعالج سكرات الموت ، والعدو متحفز للهجوم ، ولكنه لا يجرؤ عليه خوفاً من عنترة حتى فاضت روحه على صهوة جواده ، وكان الجيش المتقهقر قد بلغ مأمنه ، فلما طال وقوفه ، وجاوز الحد سكونه ، ارتاب الجيش المهاجم ، فدبر الحيلة لكشف الامر فأرسلوا الى جواده حجراً تهيجه ، فلم يكد يراها الفرس حتى وثب وثبةً خرّ لها فارسه على الارض صريعاً .

والغالب فيما أظن ان القصاص الماهر قد اخذ هذا الختام البارع من مصرع (سليمان بن داود) أمام عماله المسخرين من الجن ، وقد أجملته البلاغة المعجزة في هذه الآية الكريمة « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته . فلما خرّ تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين » .

ظهرت هذه القصة الحماسية الجميلة في عصر كان وادي النيل فيه منيع الحوزة ، باهر الجلالة ، صافي المورد ، لا يكدره والغ ولا واغل : فكأن استقلاله يلهم العزة ، وعروبته توحي الشهامة . فلما هبت الاعاصير الهوج بالبربرية الجامحة ، فأطفأت منائر بغداد ، وزعزعت عرش الخلافة ، وعبثت العجمة الجاهلة بتراث العرب : من علم وادب ، وخلق ودين ، وعدت ذئاب الغرب باسم الصليب على الشام ومصر ، تنبح الهلال الآفل ، وتنهش المجد الطريد — رأينا القصة المصرية تصور هذه الحياة الحزينة تصويراً عجيباً . ورأينا القصاص قد اتسع خياله ، بقدر ماضاق عمله ، فهو يخلق بلاداً لم توجد ، ويتصور حوادث لم تقع ، ويعتمد في العمل على الجن والسحر والخوارق .

فبين القرنين السادس والثامن من الهجرة — ظهرت في مصر سلسلة من القصص الطويلة الجذابة غُفلاً من أسماء مؤلفيها : لان القُصاص المحترفين إنما كتبوها لانفسهم فيما أرخ

ثم توارثوها خلفاً عن سلف حتى بلغت عهد المطبعة ، فنُشرت على شكلها ، دون اسم ولا وسم ولا تعريف .

وأشهر قصص هذا الدور سيف بن ذي يزن ، والاميرة ذات الهمة ، وفيروز شاه ، فأما أنها كتبت في هذي العهود فذلك واضح لادنى نظر من لغتها وأسلوبها وماتدور عليه من عادات واعتقادات وصور ، وأما أنها كتبت بمصر فذلك ثابت من أماكن وقائعها ، واسماء اشخاصها ، فأبطالها جميعاً عاشوا بمصر ، حتى الذين لم يروها أقدموهم اليها ...

فالمهلهل بن ربيعة كان الوجه البحري ميدان حروبه ، وسيف بن ذي يزن هو الذي اجرى النيل من جبال القمر بكتابه السحري الذي دفنه في جزيرة الروضة بالقاهرة ، وهو الذي خطط مدن مصر ، فالجيزة اسم من أسماء زوجاته ، وسبك الثلاث ودمنهور الوحش قائدان من قواده ، والنيل تفرع الى فرعي رشيد ودمياط : لان الملك (سيفاً) وهو قادم به من السودان وقف يقاتل الكفار الذين اعترضوه في رأس الدلتا فوقف النيل بوقوفه ، ولكن الماء وراءه قد عب عبابه وطفحت أواذيه فاندفق شطر منه الى الشمال . واتجه الملك بالشطر الآخر الى اليمين .

ومدينة (سمنود) أصلها سماء نود لان الحكيم (نودا) صاحبها قد عقد عليها سماء بالسحر توقعاً لغارات الملك سيف وهو ذاهب بالنيل الى مصبه . ثم دفنه المؤلف أخيراً فوق جبل المقطم ، وقال ان قبره هو الذي يعرف الآن بالجيوشي .

ولقد كان للحروب الصليبية أثر ظاهر في نسج هذه القصص في هذا الدور ، فان العواطف الدينية والحماسة القومية التي ألهبتها في قلوب المسلمين هذه الغارات قد حملت القصاص على ان يتملق هذه العواطف ويغذيها بما يلفق من الاشعار والاخبار في فضائل الجهاد والاستشهاد والصدق والصبر .

فسيف بن ذي يزن كان حنيفاً مسلماً يقتحم المعاقل والأرصاد على الوثنية والشرك في معالم الارض ومجاهلها ، وهو يقول : « لااله الا الله إبراهيم خليل الله » . وكذلك سائر الابطال في سائر القصص ، الا انهم كانوا بعد الاسلام لا قبله .

وبين القرنين الثامن والعاشر للهجرة كان حكم المماليك بفساده ، وحكم الاتراك باستبداده ، قد أتيا على مابقي من اركان الاجتماع ، وحللا أواصر الاخلاق والطباع ،

ومُني الناس بإلحاح الأوباء ، وشراهة الجباة والرؤساء ، واستشعرت نفوسهم ذل الحرمان والقهر ، فأخلدوا الى التصوف اوالى المجون ، وعالجوا همومهم بالحشيش والافيون ، وحارب بعضهم بعضاً بالشطارة والحيلة ، وتقاتلوا على حطام الحياة بالخديعة والغيلة ، وحال نظام الفتوة في مصر الى مناسر من اللصوص والعيارين ، يقطعون متون السبل ، ويعيشون بالامن والناس من ضعف السلطان يخضعون لهؤلاء ويجلونهم إجلال الزعماء ويتناقلون حوادثهم وأحاديثهم بالإعجاب والمبالغة فظهر حينئذ ذلك القصص الوضيع الذي يمثل هذه الحال بحقارتها وسفالتها ، ويصور تلك البيئة بخرافاتها وجهالتها ، كالقصص الذي يدور على (علي الزيبق) و (احمد الدنف) و (حسن شومان) و (دليلة المحتالة) او (دالة المحتالة) كما يسميها (المسعودي) . وأصبح أسلوب القصاص في هذا الدور دائراً بين الجهالة والقحة . فهو يستعمل في قصصه لغةً مبتذلة وتراكيب فاحشة وجملاً محفوظة ووقائع واحدة يرددها في كل قصة . ويكررها في كل مناسبة . وكانت شهوة السهر والسمر قد بلغت مداها في ذلك الحين لتغلب البطالة على أهل القاهرة واعتماد الناس في جمع الثروة على الحيلة والشعوذة والسحر والقدر . فتكدسوا في السوامر حول القصاص وقد تجمع لهؤلاء من خلال القرون ذخيرة وفيرة من الاساطير والاسمار . فهبوا يدونونها كما دونت تلك السير من قبل . فكان مما دون في تلك الحقبة الغريبة كتابنا وموضوع محاضرتنا (الف ليلة وليلة) .

(الف ليلة وليلة) ياسادة كتاب شعبي تمثلت فيه طوائف الشعب وطبقاته ، وتراءت من خلاله ميوله ونزعاته ، وتكلمت فيه أساليبه ولهجاته ، فهو كالشعب وكل شيء للشعب ، قد لقي من جفوة الخاصة وترفع العلية أذى طويلا ، أغفله الادب فلم يتحدث عنه ، واحتقره الادباء فلم يبحثوا فيه ، ورآه (محمد بن اسحق المعروف بابن النديم) فقال إنه غث بارد ، لانه نظر اليه نظره الى الادب الارستقراطي الذي يصور ترف الخيال وجمال الصناعة . فلما حقق العصر الحديث تغلب الديمقراطية وسيادة الشعوب ، واستتبع ذلك عناية أصحاب المذهب الإبداعي (الرومانتكيين) في الغرب بحياة السوقة والدهماء عنايتهم بحياة الملوك والنبلاء وهب رواد الاستعمار وعشاق الآثار ينقبون عن (فولكلور (١)) الشرق اخذ أدباؤنا بحكم

(١) فولكلور (Folklore) كلمة انكليزية يراد بها في الادب الاوربي — مجموع التقاليد والاساطير والاشعار الشعبية لأمة من الامم .

التقليد والعدوى — يعطفون على أدب السواد ، فدونوا اللغة العامية ، وجمعوا الأغاني الشعبية ، ونظروا بعض النظر في فن القصص ، وسمعوا في رجفة من الدهش — الى قول الاوربيين : ان في أدبنا الموروث كنزاً دفيناً — من هذا النوع له في أدبهم أثر قوي وشأن نابه . ولكنهم لم يخلدوا بدياً الى هذا القول بثقة . واستكثروا على هذا الكتاب الخرافي السوقي ان يذكر في الكتب ويوضع في المكاتب وينبه الناس الى فضله ، ويهنأ العرب بانتاجه حتى رأينا بعيوننا انه نقل منذ أوائل القرن الثامن عشر الى كل لغة ، وحلّ الموقع الاول من كل أدب ، وظفر بإعجاب النوابغ من كل أمة . حتى قال (فولتير) انه لم يزاول فن القصص الا بعد ان قرأ الف ليلة وليلة اربع عشرة مرة ، وتمنى القصصيُّ الفرنسي (استندال) ان يمحو الله من ذاكرته (الف ليلة وليلة) حتى يعيد قراءته فيستعيد لذته .

ثم قرأنا أن أقلام المستشرقين اخذت تتجادل منذ أوائل القرن التاسع عشر في اصله ، وتكشف عن مناحي جماله وفضله ، وان دوائر المعارف الكبرى سجلته في حقولها ، وخصته بالطريف الممتع من فصولها . وان الاستاذ (فكتور شوفان) أفرد له في كتابه (تاريخ المؤلفات العربية) جزءين سرد فيهما مخطوطاته ومطبوعاته وترجماته ، وجزءين آخرين لخص فيهما طائفة كبيرة من حكاياته ، وان الكتّاب الروائيين قد استغلوه للسينما والمسرح فاستخرجوا للاول رواية (لص بغداد) وللثاني (قسمت) او (القضاء والقدر) ، وان رجال التربية والتعليم في فرنسا والمانيا وانكلترا — قد اقتبسوا منه أدباً للاطفال فاختصروه وصوروه ، ولقيتُ انا منذ عامين في القاهرة مستشرقاً اسبانياً وآخر اميركياً قد أرسلتْ الاول جامعته . والثاني جمعيته ، لينقبا في مدن الشرق عن مخطوطات (الف ليلة وليلة) .

حينئذ أخذت خاصتنا تقرؤه وتسمعه ، ومطابعنا الراقية تصححه وتطبعه ، وأدباؤنا المترفعون يشيرون اليه في تاريخ الادب . ولكنهم الى اليوم لم يدرسوه دراسة علمية تكشف عن لبابه ، وتستقطر النطف العذاب من عبابه ، وهو على الرغم من جميع ما فيه ، قد سجل على توالي القرون أطوار اجتماعنا ، وصوّر بالألوان الزاهية مختلف أخلاقنا وطباعنا ، ونشر في الشرق والغرب أنوار حضارتنا وازدهار ثقافتنا وجمال تقاليدنا ، وأتم نقص التاريخ الذي تجاهل الشعب . والأدب الذي احتقر العامة . فكان منه للناقد الاجتماعي والمؤرخ الفيلسوف

والاديب الباحث والكاتب القصصي — منهل ثرّ الينابيع ، صافي المورد .. وهو — فضلاً عن ذلك — كان للشعب العربي في زمن انحلاله ، وضياع استقلاله ، وصعوبة اتصاله — قبس يبعث الحرارة في النفوس الخامدة ، وذكرى تلوع القلوب أسىً على المجد الذاهب ، وصلة ثقافية تجمع المنازع المتفرقة على الوحدة .

يكاد يكون (الف ليلة وليلة) علماً ثانياً على بغداد ، بل ربما كان أدلّ عليها اليوم في نظر الشعوب الحديثة من شأنها الرفيع في الحضارة ، ومكانها البارز في التاريخ : ذلك لأن آثارها المادية قد ألح عليها طغيان الدهر وفيضان النهر حتى محواها . اما هي في هذا الكتاب فلا يزال سناها باهياً لم يخبُ ، وصداها داوياً لم ينقطع ، فهو للحضارة العربية في (بغداد) متحف زاخر بالاعاجيب ، دونه ما للحضارة الفرعونية في مصر من معابد ومقابر وكنوز ، لانه يسير في البلاد وهي ثابتة ، ويتحدث الى جميع الشعوب وهي صامتة ، حتى أصبح لفظ (بغداد) في جميع اللغات مرادفاً للعمران الزاهر ، والترف العجيب — واسم الرشيد رمزاً للعدل الشامل والزمن الخصيب . ذكر احد كتاب الانكليز فترة من الزمن الرخي فقال : كان ذلك في العصر الذهبي إذ كان يحكم الخليفة العادل هرون الرشيد .

ذلك بعض فضل الكتاب على (بغداد) . وقد ذكرت من قبل أنه لم يؤلف على هذه الصورة فيها ، ولم يؤلفه احد من بنيها ، وانما جمع في مجالس القصص في القاهرة ، ودوّن على هذا الشكل في القاهرة ، وطبع اول طبعة كاملة في مطبعة الحكومة بالقاهرة . ثم كان حظ القاهرة من كتاب (الف ليلة وليلة) ان صوّرها للناس مثابةً للاحتيال والشطارة والشعوذة والجهل بينما يصور (بغداد) مهبطاً للفضل ، وموطناً للنبل ، ومعدناً للكرم ، وعشاً للحب ومظهراً للترف ، حتى كان من جرّاء ذلك ان اهل (بغداد) لا يزالون يقولون (عياق مصر وحيال مصر) ونحن ما زلنا نقول في القاهرة : تبغدد فلان اذا أظهر البغددة . وهي كلمة مشتقة من (بغداد) تدل على السرف والترف والبطر والنبل !

وسبب اختلاف حظ البلدين من الكتاب ان القصاص المصري اذا تحدث عن مصر — وهو منها وفيها — تحدث عما يرى ، وعبر عما يسمع ، وقد علمنا في اي عهد من عهود الضعف والانحلال ظهر هذا الكتاب بمصر . اما اذا تكلم عن بغداد فإنما يتأثر بعوامل اربعة : يتأثر بما وُضع من الاقاصيص الجميلة في بغداد — ويتأثر بما ملأ الآذان وشغل

الاذهان عن عظمة بغداد وأبهة الخلافة — ويتأثر بما ركب الله في طباع الناس من تقديس الماضي، وتعظيم البعيد — ويتأثر بجهله أحداث التاريخ وتطور الامم، فيأبى وهو في القرن العاشر من الهجرة ان يعترف بموت (الرشيد)، ومصرع (بغداد) ونكبة المجد الأثيل ·

اما بعد فاني أحاول الآن ياسادتي ان أكشف عن حقيقة (الف ليلة وليلة) بمقدار ماتهيأت لي المراجع في (بغداد)، بعد ان توفرتُ على قراءته ودراسته في مختلف الطبعات، ووقفتُ على مانشر عنه من الابحاث في بعض اللغات · وما أريد بالطبع ان أدفع السأم في نفوسكم بذكر مالايحتمله المقام من التحليل المفصل، وانما أجتزيء بذكر مالايسع الرجل المثقف جهله من امر هذا الكتاب ·

وهنا يدركنا المساء كما يدرك شهرزاد الصباح، فنرجئ البقية الى الاسبوع المقبل اذا تفضلتم بالسماح ·

احمد حسن الزيات

الكلمات الايوبية

—()—

وأعني بها الكلمات التي تولدت في عهد الدولة الايوبية والدول التي خلفتها في مصر والشام : كنتُ — وانا أتصفح الجزء الاخير (الثامن) من نهاية الارب لمؤلفه النويري المصري — أعثر على كلمات جارية في لغة تخاطب المصريين في ذلك العهد · وهي كلمات (عامية) — أو نذكرها فنسميها (مولدة) — مما لا يعرفه فصحاء العرب ولم يدونه أرباب المعاجم · والذي جعلني أهتم بتلك الكلمات أنها مازالت الى اليوم شائعة على ألسنتنا وعائشة في لغة تخاطبنا : فهي إذن قد عاشت نحو ثمانية قرون · ومايدرينا لعلها كانت حية قبل ذلك التاريخ ايضاً ·

والبحث في كلمات اللغة من حيث نشوءها وتطورها ومرور الازمنة المختلفة عليها — هو فن او منحى حديث من مناحي المباحث اللغوية التي يعنى بها علماء اللغات الراقية ويضعون فيها المصنفات النفيسة · ومازال هذا الفن — أو الابتكار في البحث اللغوي — مجهولاً لدينا معشر العرب ، بيد أن الانتباه اليه ، والفكرة فيه قد أخذت تنمو · وسيأتي زمن يكون فيه لكلمات لغتنا (ولاسيما غير القاموسية منها) تاريخ ومؤرخون ومصنفات · واخشى ان يسبقنا الى هذا الضرب من خدمة لغتنا العربية اولئك المستشرقون الفضلاء كما فعل المستشرق الكبير (دوزي) مذ جمع الكلمات التي أهملها أرباب المعاجم العربية وأودعها كتاباً ضخماً ذا جزئين ·

وهذه الكلمات التي سنسردها في مقالنا هذا من جملة الكلمات التي تولدت بل الأجدر ان نقول من جملة الكلمات التي كانت شائعة الاستعمال في عهد الايوبيين وخلفائهم كما كانت شائعة كذلك في الاقطار التي حكموها وخاصةً القطرين المصري والشامي ·

وكما دعونا الكلمات التي كانت شائعة في عهد الخلفاء العباسيين — (الكلمات العباسية) — يحسن ان نسمي الكلمات التي كانت شائعة في عهد الايوبيين الى زماننا هذا — (الكلمات الايوبية) — والكلمات التي تولدت في عهد اختلاط الافرنج الصليبيين والسوريين — (الكلمات الصليبية) وستأتي الاشارة في مقالنا هذا الى كلمة من تلك (الكلمات الصليبية) .

ولا نعلم ان كانت بعض تلك (الكلمات الايوبية) مما ورثه الايوبيون من العباسيين او لم يرثوه منهم بل تولد في زمنهم هم . لكننا نعلم يقيناً ان كثيراً من تلك الكلمات قد ورثه العهد التركي العثماني من العهود التي سبقته ثم انتشر في عهد سيطرة العثمانيين على مصر والشام . ومازال شائعاً بيننا الى هذه الايام .

***

فأول تلك الكلمات الايوبية كلمة (ديوان) على ان كلمة (ديوان) مما ورثه الايوبيين ممن قبلهم كما ورثوها لمن بعدهم اويقال ان كلمة (ديوان) هي حجر الزاوية في البنائين بناء (الكلمات المعرّبة) في الاسلام وبناء (الكلمات الادارية) في الاسلام . أليس أول من إستعملها عمر بن الخطاب ؟ وذكر بعضهم ان معنى (الديوان) كان موجوداً قبل ان يعرّب لفظه : إذ انه (اي المعنى) وجد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم . فقد روى (حذيفة) رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اكتبوا لي من تلفّظ بالاسلام من الناس . فكتبنا له الفاً وخمسمائة رجل) . وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انني اكتُتِبت في غزوة كذا وامرأتي حاجّة . قال إرجع فاحجج مع امرأتك) . فيفهم من هذين الحديثين أن الاحصاء و(قيد النفوس) او (نفوس الغزاة خاصة) نشأ في عهده صلى الله عليه وسلم . أما تسمية ذلك بالديوان فكان في عهد عمر :

ذلك انه بعث بعثاً وعنده الهرمزان الفارسي فقال لعمر : هذا بعث قد أعطيت أهله الأموال فان تخلف رجل منهم وأخلّ بمكانه (اي ترك المكان اوالعمل الذي وكّله اليه أميره) فمن أين يعلم صاحبك (أي أميرك الذي وليته ذلك الجيش) فأثبت لهم ديواناً . فسأله عمر عن (الديوان) ففسره له فكلمة (ديوان) أم الكلمات الادارية الدخيلة .

وكان (الديوان) ديوانين : ديواناً بالشام : لغته الرومية ، وديواناً في العراق : لغته الفارسية . ثم تحولا الى اللغة العربية . ويحكى في سبب تحول ديوان الشام الى العربية أن

بعض كتاب الروم في الديوان الشامي أراد ماء لدواته فبال بالدواة . فبلغ الخليفة عبد الملك بن مروان خبره فأدبه وكان ذلك من جملة الاسباب في تحويل الديوان من الرومية الى العربية .

ومن الكلمات الايوبية الادارية كلمة (المجلس) بمعناها الاداري المتعارف اليوم وكلمة (كتابة الانشاء) و (كتاب الانشاء) و (كتابة الحساب) و (كتاب الحساب) ونسميها اليوم المحاسبة و (كتابة التصرف) و (كتاب التصرف) وكانوا يريدون (بالتصرف) مانريده اليوم بالاعمال الداخلية اوالاعمال الادارية مما يقابل الاعمال المالية والعسكرية . ومن كلمة (التصرف) هذه جاءت كلمة (المتصرف) و(المتصرفية) عند الاتراك العثمانيين . وكلمة (الخزانة) ويريدون بها مستودع الامتعة والثياب والتقادم والخلع وشاعت لدى الاتراك العثمانيين باسم (خزينة) و (خزنة) لكنهم يريدون بهما مستودع النقود والاوراق المالية . وكلمة (جامكية) بمعنى الراتب والاجر . و(العوائد المقررة) وهي صلات وهدايا تخص بها الحكومة بعض ذوي المنزلة في الدين أوالشرف اوالعلم . وكلمات (الناظر) و (النائب) و (المباشر) . وفي غزة اليوم أسرة تسمى بالمباشر وهي من أصل مصري . ومازالت كلمة (مباشر) تطلق في محاكمنا الشرعية على الذي يجلب الخصوم اويبلغ اوراق المحكمة (الدعوتية) ويسمى (المحضر) ايضاً . وكلمات (الرتب) و (المناصب) و (أرباب المناصب) ويريدون بها مانريده بها اليوم . وكذلك (التشريف) و (التشاريف) بمعنى الرتب الرسمية وهي شائعة في الدولة المصرية اليوم بمقابل كلمة (الرتب) الشائعة عندنا . وكلمة (المرسوم) و(المنشور الشريف) وجمعها (المناشير) وهو مايتضمن الاوامر السلطانية الصادرة بالتعيينات الادارية او القضائية اوالعلمية وترادفها في الدولة العثمانية كلمة (فرمان) وهي كلمة فارسية . وكلمة (دستور) ولها معان عرفها العرب الاقدمون ثم شاعت في الدول الاسلامية الاعجمية بمعنى (الإذن) وبمعنى (الوزير) وبمعنى (الكتاب) يتضمن قوانين الدولة ونظمها وأوامرها . وكلمة (كشف) بمعنى تقرير اوبيان ينظمه الموظف ويفصل فيه أعمالاً قام بها اوحسابات أجراها . ومثل (الكشف) كلمة (عرض) يودعه رئيس الديوان تفصيلا لاستعراض الجند وقيود رواتبهم . وكلمة (تحرير) بمعنى الكتابة و (ضبط) تقييد الشيء وكتابته و (جريدة) و (جرائد) للسجلات والدفاتر التي تقيد فيها المعاملات الحكومية . وغلبت اليوم على دفاتر

قيود المحكمة الشرعية . وكلمة (شطب) كانوا يريدون بها نقل [المعاملة] او [القيد] من دفتر الى دفتر . ولا بد أنهم يمدون خطًا بالحبر على المعاملة الاولى إشارة الى إهمالها وعدم الاعتداد بها وبهذا المعنى « معنى إمرار الخط على السطر وإفساده » نستعملها نحن اليوم مذ نقول [اشطب] و[شطّب] وفي اللغة الفصحى [ارمج] و[رمّج] يقال رمج الكاتب ما كتبه إذا أفسد سطوره بعد كتابتها . وكلمة [جندية] بمعنى العسكرية والتجند و[أجناد الحلقة] الحلقة في اللغة العربية بمعنى السلاح وقد استعملها الايوبيون وخلفاؤهم بمعنى الجنود باسلحتهم يقامون في مواضع المخافة للحراسة والخفارة . ومثلها [المسلحة] و[المسالح] وهي مراكز الجنود باسلحتها تعدّ للغرض المذكور . ومازال يوجد مكانان في الطريق بين بيروت وطرابلس الشام على ساحل البحر أحدهما يسمى [ابو حلقة] على بعد كيلومترين اوثلاثة من طرابلس فيه عين ماء وكان في زمن الجراكسة المصرية مركز الجنود الخفراء — والمكان الآخر يسمى [المصيلحة] بياء التصغير محرف عن [مسيلحة] تصغير [مسلحة] اسم عقبة كؤود فيها بناء شبه قلعة صغيرة كانت تقيم فيها الجنود للخفارة وحفظ القوافل والمسافرين .

وكلمة [استدعاء] والاستدعاء في اللغة بمعنى الطلب ثم صار يطلق على كتاب الشكوى الذي يرفعه المستدعي الى الحاكم طالبًا انصافه اوالنظر في مظلمته او تسوية بعض مشاكله مما هو من وظيفة ذلك الحاكم الذي قدم اليه الاستدعاء . فمعنى كلمة [الاستدعاء] في الاصطلاح موافق لمعناها في أصل اللغة العربية وهو الطلب . على ان كلمة [طلب] نفسها مازالت الى اليوم تستعمل في الحكومة المصرية بمعنى الاستدعاء أونوع آخر من أوراق المعاملات الرسمية . فلا حاجة الى ان يقال ان كلمة [استدعاء] محرفة عن كلمة [استعداء] بتقديم العين على الدال . ولعمري ان هذه الكلمة [استعدا] أفصح وأدل على المعنى الاصطلاحي من أختها : ذلك ان معنى [استعدى] هو ان يتقدم المظلوم الى الحاكم ويستعديه على خصمه اي يطلب منه ان [يُعديه] ومعنى [يعديه] يزيل عدوانه عنه ومعنى [العدوان] الظلم والتعدي . فهمزة [أعداه] هي للإزالة كالهمزة في [أشكاه] القاضي اذا أزال شكايته وأنصفه من خصمه . فالاستعداء في اللغة هو طلب إزالة العدوان . فاذا كُتب هذا الطلب في كتاب صح ان نسمي الكتاب [استعداء] فيكون الفرق بين [الاستعداء] و[الاستدعاء] ان [الاستدعاء] في اللغة يدل على مجرد الطلب . أما [الاستعداء] بتقديم العين فيدل على طلب خاص وهو إزالة

العدوان عن المستعدي المظلوم · فالاستدعاء اصطلاح حسن · ولكن الاصطلاح على [الاستعداء] أحسن منه · على اننا يمكننا مذ الآن ان نخصص كلمة [الاستعداء] بتقديم العين لكتب الشكاوى التي ترفع الى قضاة العدل · وتبقى كلمة [الاستدعاء] بتقديم الدال في كتب المصالح الاخرى التي ترفع الى سائر الحكام ·

والمستودعات الاميرية كانت تسمى في عهد الدولة الايوبية [البيوت السلطانية] وتختلف اسماؤها باختلاف مايجعل فيها : فهي [الشراب خاناه] و [الفراش خاناه] و [السلاح خاناه] الخ وكأن كلمة [خاناه] بمعنى البيت كانت تلفظ في التركية القديمة بالف مدّ بعد النون · اما في التركية العثمانية فاختزلت الى [خانه] فيقال [جبخانه] و [طوبخانه] · وكان لكل بيت مباشر هو المسؤول عما فيه · قال في [نهاية الارب] مبيناً وظيفة مباشر [الفراش خاناه] : « ويعرض ما يسلمه للفراشين عليهم ··· ويضبط ما يتسلمه الصناع الذين يفصلون الخام الجديد وغيره من آلات [الفراش خاناه] من قماش بياض ومصبوغ وغزل وجلود ومشمعات الخ » ·

ففي هذه العبارة عدة كلمات أيوبية : منها [الفراشون] وهم الذين يتولون أمر فرش قصور العظماء وغلبت اليوم في مصر على الذين يلتزمون تقديم آلات الضيافة من فرش وغيره في الولائم او المآتم · وكلمة [الخام] الظاهر انه أراد بها مايراد بها في بعض بلاد الشام اليوم وهو ضرب من الثياب البيض غير خالصة البياض ولذا تسمى في دمشق [البطانة السمراء] وفي القاموس [الخام الجلد الذي لم يدبغ والكرباس الذي لم يغسل وهو فارسي معرب] فاستعماله اليوم في الثياب السمراء موافق لمعنى [الكرباس] لأن الكرباس الثوب الأبيض من القطن او الثوب الخشن · والخام من القطن ابيض وهو خشن · وكذلك يطلق لفظ [الخام] اليوم في الفن أو الصناعة — على المواد الأولية قبل ان تتحول الى مصنوع كالصوف والقطن قبل نسجها والجلد قبل صنعه والمواد المعدنية قبل صهرها الخ · وهذا الاستعمال موافق لمعنى الخام في اللغة كما قال القاموس غير أن القاموس خصه بالجلد · وأهل الصناعة والاقتصاد اليوم تخطّوا به الى كل مادة تُصنع : جلداً أو غيره · وكلمة [قماش] نريد بها اليوم ما كانوا يريدونه في العهد الأيوبي أعني الثياب المختلفة التي تلبس أو تفرش · وهو استعمال عامي إذ للقماش في اللغة معنى غير هذا · وقول المؤلف [قماش بياض] يوافق استعمالنا اليوم من

إطلاق [البياض] على الثياب البيض الرقاق التي تفصل أقمصة وسراويلات ويسمى هذا الضرب من القماش في دمشق [مادام] وفي القديم كان يسمى الكرباس ويجمع على الكرابيس لكن الكرباس يكون فيه خشونة كما يفهم من كتب اللغة وكما يفهم من استعماله مثل يقولون [وكان فلان متقشفاً يلبس الكرابيس] .

وكلمة [متمعات] ايضاً مما نستعمله اليوم ونريد به ثياباً تطلى بالشمع ويتقى بها المطر ويسمى المشمع الذي يلبس لاتقاء المطر في اللغة العربية [ممطراً] على وزان منبر . قال عمر ابن ابي ربيعة :

[فأسرج لي الدهماء واعجل بممطري ولا يعلمن خلق من الناس مذهبي]

وكلمة [جندرة] ورد ذكرها في نهاية الارب مع تفصيل الثياب ورفوها وحشوها فلعلهم يريدون بها ما ذكره علماء اللغة مثل قالوا جندر الثوب اذا أعاد وشيه بعد ذهابه قال الجوهري واظنه معرب . ونريد بجندرة الثوب اليوم تموجاً خاصاً في وشي الثوب او في صبغه وتلوينه .

و [آلة الحمام] يريدون بها ما نريده اليوم مما يستصحبه المغتسلون في الحمامات من طشوت وطاسات .

وكلمة [طواشيه] مما استعملوه في العهد الايوبي ويستعمل اليوم في ذلك المعنى ايضاً وكانوا في العهد الأموي يدعونهم [خصيان] .

وكلمة [بخش] بضم الباء يريدون بها [الثقب] لكنها اليوم أصبحت عامية مبتذلة .

وكلمة [نفر] مراداً بها الشخص الواحد فيقولون كما نقول اليوم: اخذ القائد معه خمسين نفراً مثلاً اي خمسين نفساً . ولها معنى في اللغة غير هذا .

وكلمة [قلوب] ذكرها في نهاية الارب مع الأبازير والتوابل ويريدون بها لب الفستق واللوز والبندق وتسمى في بعض بلاد الشام [قلوبات] أما اهل دمشق فيسمونها [مكسرات] .

وكلمة [الأقسما] يذكرونهـا مع الفقاع [ضرب من الأشربة] والفواكه والحلويات ولعلهم يريدون [بالأقسما] ما ذكره الخفاجي في شفاء الغليل قال هو نقيع الزبيب وهو معرب [أبسما] . أما الاقسما في بعض بلاد الشام فيراد به نحو شراب التوت او الليمون محلى بالسكر ومبرداً بقطع الثلج التي تبقى جامدة تقعقع تحت الاسنان . وقد أخذت كلمة [الأقسما] تموت رويداً رويداً وتخلفها كلمة [شربات] .

ويقولون [دسوت النحاس] الدست له عدة معان في اللغة وليس منها معنى القدر الكبير كما هو الشائع على ألسنة العامة اليوم فهو إذن مولد نريد أن نه [الخلقين] والخلقين كلمة يونانية ٠

وكانوا يقولون [الركانيب] بتقديم الراء على الكاف ويريدون بها المغارف وهو لفظ شائع الى اليوم في مصر لا في الشام لكنهم [أي أهل مصر] اليوم يلفظونه على أصله فيقولون [كرانيب] بتقديم الكاف جمع [كُرُنْبة] وهي المغرفة ٠ قال في مستدرك التاج إنها كلمة مصرية ٠ فأنت ترى ان المصريين الأقدمين كانوا يلفظونها محرفة مذ يقولون [ركانيب] لا [كرانيب] ٠ وليس هذا بعجيب منهم: فان أبناءهم اليوم يقولون في [أرانب] جمع أرنب [أنارب] بتقديم النون ٠ ومازلت أذكر السيد احمد بك الحسيني رحمه الله مذ قال لي أما تحب لحم الأنارب ؟ فلم أفهم ذلك حتى فسره لي ٠

وكانوا يستعملون كلمة [خصم] اي التنزيل في الحساب كما نستعملها اليوم وكذا كلمة [وصول] ٠ ويقول المصريون اليوم [ايصال] اما في الشام فمازالوا يقولون [وصول] و[وصل] ٠ وقال في شفاء الغليل انها مولدة عامية ٠ ولقد تظرّف بعض المولدين مذ قال :

[أنفقت عمري في هواك وليتني . أعطى وصولاً بالذي أنفقته]

وكذلك يقولون [غلّق ما عليه من أجرة الضمان] أي أدى بقيته كما نقول اليوم وهو تعبير عامي ٠ أما قولهم [عيّر الشيء] اي وزنه ليعلم مقدار ثقله بالنسبة الى موزون آخر — فهو فصيح لا مولد ٠ ومثله فعل [استعبر الشيء] وهو المستعمل في بلادنا اليوم لمعرفة الموزون او المكيل ٠ وكذلك كلمة [إردب] في الكيل المخصوص مازالت مستعملة الى اليوم ٠ ومثلها [فدان] في المساحة ٠

وسألني بعض كبار المهندسين عن كلمة تقوم مقام (Precis) الافرنسية مذ يقولون « مسح المهندس الارض الفلانية فبلغت خمسين متراً بالضبط » فان الكلمة الافرنسية لايجوز لنا استعمالها لعجمتها وكلمة [بالضبط] لابتذالها ٠ فقلت يمكنك ان تقول [بالتمام] أو [تماماً] ٠ ثم اتفق ان رأيت صاحب [نهاية الأرب] يقول (ص٢٤٤) في صدد معرفة عمر الغلام الذي تؤخذ عنه الجزية « يُدار خيط على عنق الصبي مرتين تحريراً ثم يوضع طرف الخيط بين أسنانه وتُدخَل أنشوطة في رأسه فان دخلت دل ذلك على بلوغه وإلا فلا » فقوله [تحريراً] قد أراد به في غالب الظن ما نريده نحن اليوم في قولنا [بالضبط] وما يقوله

الافرنسيون بقولهم (Précis) و (Prcisement) فما علينا اليوم الا ان نحيي هذه الكلمة فنقول [فلان عمره ستون سنة تحريراً] و[زرت فلاناً في الساعة الثامنة والنصف تحريراً] و«فلان بلغت قصبات أرضه التي اشتراها الف قصبة تحريراً» الى غير ذلك ٠

ذكرنا كلمة [قصبات] ونحن على يقين ان معظم أهل الأقطار العربية لا يعرفون ما المراد منها لكننا نحن استعملناها في المعنى الذي يستعملها فيه الدماشقة اليوم والمصريون قديماً: فقد ذكر صاحب [نهاية الأرب] الفدّان وحدد مقداره فقال: « هو اربعمائة قصبة بالقصبة الحاكمية والقصبة الحاكمية ستة أذرع وثلثا ذراع بذراع القماش » ٠ ولا يخفى ان ذراع القماش هو الذراع المستعمل اليوم في بلاد الشام ويسمى ايضاً الذراع الاسلامبولي ٠ وفي دمشق مقدار من المساحة الارضية يعبرون عنه بالقصبة وهو ثمانية واربعون ونصف [مربع] بالذراع المذكور اي الذراع الاسلامبولي أو ذراع القماش فتكون النتيجة ان قصبة المساحة التي كان يسميها المصريون في العهد الايوبي بل والعهد الفاطمي [القصبة الحاكمية] نسبة الى [الحاكم بامر الله الفاطمي] — هذه القصبة هي المستعملة اليوم تقريباً في دمشق فيقولون [قصبة] ولكن لا ينعتونها بالحاكمية كما كان ينعتها المصريون الايوبيون ٠ وقال القلقشندي في [صبح الأعشى] القصبة الحاكمية طولها ستة أذرع بالهاشمي وخمسة أذرع بالنجاري وثمانية أذرع بذراع اليد اه ٠

ورأيت في [نهاية الارب] كلمةً عربت منذ ثمانية قرون ودخلت في لغة أجدادنا السوريين من لغة الافرنج الصليبيين وقد نبه اليها المؤلف نفسه فقال « وفي بعض الأعمال الشامية نواحٍ مفصولة ومضمنة على أربابها بشيء معلوم يؤخذ منهم عند إدراك المغل» ثم قال مفسراً كلمة [مفصولة] ما نصه: [وكلمة «الفصل» بالشام كلها كلمة افرنجية واستمر استعمالها في البلاد الساحلية التي ارتجعت من أيدي الافرنج جرياً على عادتهم اه] ٠ وكأنه أراد بقوله [جرياً على عادتهم] ان اهل الشام في زمن الحروب الصليبية كانوا يعربون كلمات الافرنج ويستمرون على استعمالها ٠ وهل المصريون يا ترى ما كانوا يفعلون ذلك ؟ وكلمة [فصل ومفصولة] استعملهما المؤلف النويري — كما رأى القارئ — في صدد استئجار الارض الزراعية المُغلّة ٠ فناحية من نواحي الشام تكون مفصولة أي ذات فصل بان تكون إقطاعاً بتصرف أمير من الامراء الإقطاعيين فيعتمد هذا الامير على بعض اتباعه فيؤجره الناحية لقاء مبلغ

من المال — هذه الارض الاقطاعية المؤجرة على هذه الصورة كان يقول عنها أسلافنا أهل الشام انها أرض [مفصولة] وايجارها [فسل] . وقال المؤلف النويري ان الشاميين أخذوا هذه الكلمة من لغة الافرنج فكيف أخذوها؟ قال الاستاذ احمد الزين مصحح كتاب [نهاية الارب] معلقاً على عبارة المؤلف ما نصه : « لعل أصل هذه الكلمة في اللغة الافرنسية Vassal [فسال] ومعناه التابع الذي أعطاه متبوعه إقطاعاً نظير واجبات يؤديها كما في معجمات هذه اللغة فكأن اهل الشام اشتقوا من [فسال] لفظ [الفسل] وأرادوا به المعنى المصدري اي التبعية ثم حرفته ألسنتهم الى كلمة [الفـل] كما هنا حسب نطقهم العربي واشتقوا منه لفظ [مفصولة] » اهـ كلامه .

فأجدادنا أهل الشام لما لم يجدوا في اللغة العربية كلمة خاصة تدل على استئجار تابع الامير من متبوعه أرضه الاقطاعية وسمعوا الصليبيين يقولون معبرين عن هذا المعنى بكلمة (Vassal) استجازوا تعريبها وقالوا [الفصل] و [الارض المفصولة] حتى استعملها النويري في كتابه . فيصح لنا نحن اليوم ان نسميها [كلمة صليبية] ونبحث عن أخواتها ونضمها اليها بعنوان [الكلمات الصليبية] وقد يعثر المتتبع اليقظ على كثير من هذه الكلمات .

ونختم هذا البحث بكلمتين إداريتين كان المصريون في عهد الدولة الايوبية يستعملونهما: احداهما كلمة [الترصيع] يريدون بها ما نريده بكلمة [التنظيم] مذ نقول : نظم العامل العمل اونظم جدولاً بالعمل امامه فكانوا يقولون رصّع العمل وترصيع العمل ولا بأس باستعمال هذه الكلمة في مثل هذا المقام اومقام آخر يشبهه . اما الكلمة الاخرى فهي [مَعْذوق] مذ يقولون مثلاً « وامر البيوت السلطانية معذوق بناظر خاص » ويريدون [بمعذوق] ما نريده اليوم بكلمة [منوط] مذ نقول هذا الأمر منوط بفلان اي معلق به ومرتبط به واليه مرجعه . ولكلمة [معذوق] معنى في اللغة لا تمكن إرادته هنا الا على استكراه . فليس لنا في استعمال [معذوق] حاجة مادامت لدينا كلمة [منوط] بشرط ان لا نشدد واوها ونقول [منوّط] كما يفعل بعضهم .

«المغربي»

مذهب الجاحظ في الادب (1)

—(()—

أحطنا حتى اليوم بثلاث نواح من نواحي الجاحظ فقد تكشف لنا علمه ودينه ونقده، فكان في علمه يبني على أصول معينة وصولاً الى الحقائق وكان في دينه يعمل عقله في التفسير والتأويل دون ان يكون لأحد سلطان عليه، وكان في نقده على نحو ما رأيناه في علمه يتوخى الحقائق مهتماً بالفن الاهتمام كله، فاذا عرفنا هذا فهل علينا من حرج ان نعرف طائفةً من مذاهبه في الأدب كما عرفنا طائفةً من مذاهبه في العلم والدين والنقد، وآراء الجاحظ في الأدب مشتتة في أثناء كتبه فلا نجد له مباحث مطردة في هذا الباب يأخذ بعضها برقاب بعض فكأنه يلهو بمجامع المعاني لهواً وهذا اللهو من خصائص عبقريته .—

وعلى هذا النحو اننا لا نطمع في استقصاء آرائه الادبية وإنما نتوخى معرفة اليسير منها لعلنا نصور الجاحظ في صورة الأديب كما تصورناه في صورة العالم أو في صورة الفيلسوف أو في صورة الناقد .—

قبل أن أتفرغ لبيان أفكاره الأدبية لا أرى لي مندوحة عن الاشارة الى مذهبه في الأدب، فالجاحظ من أصحاب الأدب المجرد، انكم تعلمون ان الجاحظ عاش في عصر استفاضت فيه الحرية في كثير من الامور، من جملة هذه الامور تسمية الأشياء باسمائها دون اللجوء الى الكنايات، فاذا تصفحنا بعض الشعر في ذلك العصر ظهرت لنا ألفاظ عارية تصور الطبيعة في حقائق صورها دون شيء من التعفف، والجاحظ متصل بعصره الاتصال كله على نحو ما تبين لكم ذلك فلم ينسلخ من أثر من آثار هذا العصر فاذا وجد ان الأدب

(1) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الاداب في دمشق سنة ١٩٣١ .

المجرد مذهب من المذاهب المستفيضة أخذ به ولم يتورع فهو صورة عصره في كثير من الامور فمن قوله في هذا المعنى (١) :

« وبعض الناس اذا انتهى الى ذكر ... ارتدع وأظهر التعزز واستعمل باب التورع واكثر من تجده كذلك فانما هو رجل ليس معه من العفاف والكرم والنبل والوقار الا بقدر هذا الشكل من التصنع ولم يكشف قط صاحب رياء ونفاق الا عن لؤم مستعمل (٢) ونذالة متمكنة الى آخر ماذكره ثم أيد مذهبه هذا بطائفة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام بعض الخلفاء الراشدين والسلف الطيب .—

ففي كلام الجاحظ ما يدل على ان هذا الشكل من الادب لم يشرع الشيوع كله فقد كانت طائفة من الناس يرتدعون ويظهرون التعزز ويستعملون باب التورع الا ان الجاحظ كان يرى ان هذه الأخلاق انما هي من ضرب التصنع وكيف كان الامر فالذي يهمنا انما هو المذهب نفسه ولهذا المذهب رجال ظهروا في فرنسة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر منهم (Henri Beyle) في مقدمتهم (بالزاك Balzac) و (فلوبير Flaubert) ثم (زولا) وغيرهم فيكاد يكون (بالزاك) أستاذ الأدب المجرد أو الأدب الواقع على حسب المصطلح فقد أحيا في رواياته جماعات تصورها على نحو جماعات اللحم والدم .—

لمح (بالزاك) في مقدمة رواية من رواياته الى غرضه فالغاية التي يرمي اليها انما هي كتابة تاريخ الرجل الطبيعي ، فأنتم تدركون من هذه الكلمة النتائج التي تؤدي اليها كتابة التاريخ الطبيعي للبشر ، شأن صاحب هذا المذهب انما هو وصف القبح والجمال ووصف الخير والشر على وجه واحد فلا قبح ولا جمال ولا خير ولا شر في نظر أهل هذا الأدب وانما هي مظاهر مختلفة يظهرها الرجل فهم يشبهون الانسان بحيوان أو بنبات .—

ليست غايتنا التبسط في الكلام على أهل الأدب المجرد وانما أردنا ان نقابل بينهم وبين الجاحظ فالجاحظ يختلف عنهم من حيث انه لم يتوسع في هذا المذهب فهو لم يضع روايات يرمي فيها الى تصوير القبح والجمال أو الخير والشر وانما لجأ الى مفردات قد لجأوا الى أشباهها نظراً الى التحامها بموضوعاتهم فهو يشبههم في قليل من المواطن فقد نجد من كلامه ما هو مجرد من الأدب نسبة الى عصرنا وقد يكون هذا الكلام مألوفاً في عصره الا أنه كيف يكون

(١) الحيوان — الجزء الثالث ص١٢ . (٢) لعله : عن لؤم مستفحل .

الامر فلا نستطيع في هذه الايام ان نستعمل أضراب هذا الكلام لأن عصرنا لم يتهيأ لهذا النوع من الأدب ، اما كلام الجاحظ الذي اشرت اليه فانه يتجلى لنا في بحثنا عن لغته .—

وقد جرّته هذه الحرية في الأدب الى حرية مثلها في اللغة فاسمعوا ماقاله في بعض كلامه على الكلاب (١) :

« فأما الذي شهدت أنا من ابي اسحاق بن سيار النظّام فانا خرجنا ليلةً في بعض طرقات الأُبُلّة وتقدمته شيئاً وألح عليه كلب من شكل كلاب الرعاء وكره ان يعدوَ فيغريَه ويضربه وأنف ايضاً من ذلك وكان انفاً شديد الشكيمة اباءً للهضيمة وكره ان يجلس مخافة ان يشر عليه ببوله أو لعله أن يعضه فيهرّتَ ثوبه وألح عليه فلم ينله بسوء فلما جزنا حدّه وتخلصنا منه قال ابراهيم في كلام له كثير يعدد خصاله المذمومة فكان آخر كلامه أن قال : ان كنت سبع فاذهب مع السباع وعليك بالبراري والغياض وان كنت بهيمة فاسكت عنا سكوت البهائم ، فلما بلغ الى قوله البهائم قال :

ولا تنكر قولي وحكايتي عنه بقول ملحون من قولي : ان كنت سبع ولم أقل ان كنت سبعاً وانا أقول : ان الإعراب يفسد نوادر المولدين كما ان اللحن يفسد كلام الأعراب لأن سامع ذلك الكلام انما أعجبته تلك الصورة وذلك المخرج وتلك اللغة وتلك العادة فاذا دخلت على هذا الامر الذي انما أضحك بسخفه وبعض كلام العجمية التي فيها حروف الإعراب والتخفيف والتثقيل وحولته الى صورة ألفاظ الأعراب الفصحاء وأهل المروءة والنجابة انقلب المعنى مع انقلاب نظمه وتبدلت صورته .— »

فلم يأنف الجاحظ بعد أن بسط مذهبه هذا من لحن أو من كلام غير معرب أو من لفظ معدول عن جهته حتى قال في كتاب البخلاء (٢) :

« وان وجدتم في هذا الكتاب لحناً أو كلاماً غير معرب ولفظاً معدولاً عن جهته فاعلموا انا انما تركنا ذلك لأن الإعراب يبغّض هذا الباب ويخرجه من حده الا أن أحكي كلاماً من كلام متعاقلي البخلاء واشحاء العلماء كسهل بن هارون وأشباهه .— »

ولم يقتصر على استعمال اللحن والكلام غير المعرب واللفظ المعدول عن جهته وانما أوصى

(١) الحيوان — الجزء الاول ص ١٣٦ .

(٢) البخلاء — ص ٣٣ .

بهذا المذهب فقال (١) :

« ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من كلام الأعراب فاياك وان تحكيها الا مع إعرابها ومخارج ألفاظها فانك ان غيرتها بأن تلحن في إعرابها واخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطغام فاياك وان تستعمل فيها الإعراب أو أن تتخير لها لفظاً حسناً أو تجعل لها من فيك مخرجاً سرياً فان ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها . — »

فاذا عرفنا ميله الى الحرية في التصوير والى الحرية في اللغة لزمنا ان نعرف مذاهبه في هذا التصوير وفي هذه اللغة ، ماهي الأصول التي يبني عليها الفن . —

لم يعتن الجاحظ بشيء في أبواب الفن اعتناءه بالمناسبة بين الألفاظ والمعاني فان قاعدة : لكل مقام مقال تكاد تكون أغلب قواعده ، فما أكثر ذكره لها في كلامه ، وما أكثر تنبيهه على استعمالها ولا عجب في ذلك ، فاذا رأيتم غداً كيف يناسب بين ألفاظه ومعانيه وكيف تكون ألفاظه على أقدار هذه المعاني عرفتم السبب الذي من أجله يحرص هذا الحرص على أن يكون المقال مطابقاً للمقام ، فقد نبه على هذه القاعدة في مواطن كثيرة من كلامه لا أرى بي حاجة الى ذكرها كلها وانما اجتزيء بذكر بعضها فمن قوله في هذا المعنى (٢) :

« ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ولكل نوع من المعاني نوع من الاسماء فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف والجزل للجزل والافصاح في موضع الافصاح والكناية في موضع الكناية والاسترسال في موضع الاسترسال وان كان موضع الحديث على انه مضحك وملهي وداخل في باب المزاح والطيب فاستعملت فيه الاعراب انقلب عن جهته وان كان في لفظه سخف وابدلت السخافة بالجزالة صار الحديث الذي وضع على أن يسر النفوس يكربها ويأخذ باكظامها . — »

أو قوله (٣) :

---

(١) البيان والتبيين — الجزء الاول ص ٨١ .

(٢) الحيوان — الجزء الثالث ص ١٢ .

(٣) 〃 〃 〃 ص ١١٤ .

« وقبيح بالمتكلم ان يفتقر الى ألفاظ المتكلمين في خطبة أو رسالة أو في مخاطبة العوام والجار أو في مخاطبة أهله وعبده وأمته أو في حديثه اذا حدث اوخبره اذا أخبر ، وكذلك من الخطإ ان يجلب الفاظ الأعراب والفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل ولكل مقام مقال ولكل صناعة شكل . — ».

أو قوله (١) :

« ووجدنا الناس اذا خطبوا في صلح بين العشائر أطالوا واذا أنشدوا الشعر بين السماطين في مديح الملوك أطالوا وللإطالة موضع وليس ذلك بخطل وللإقلال موضع وليس ذلك من عجز . . . ورأينا الله تبارك وتعالى اذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف واذا خاطب بني اسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام . — »

ومثل الاشارة الى قاعدة : لكل مقام مقال كثير في كلام الجاحظ ولكن كيف يريد الجاحظ ان يكون هذا المقال ، ماهي قواعد الانشاء في نظره ، أيريد ان يرسل الكاتب كلامه على بجيته دون شيء من التنقيح أم يريد ان ينقح هذا الكلام . —

اهتم الجاحظ بالتنقيح كل الاهتمام فهو يعلم مقدار فتنة الكاتب بكلامه فلم يجد بداً من تنبيهه على التهذيب فقال (٢) :

« وينبغي لمن كتب كتاباً ان لا يكتبه الاعلى الناس كلهم له أعداء وكلهم عالم بالامور متفرغ له ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلاً ولا يرضى بالرأي الفطير فان لابتداء الكتاب فتنة وعجباً فاذا سكنت الطبيعة وهدأت الحركة وتراجعت الاخلاط وعادت النفس وافرة أعاد النظر فيه فتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طبعه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب ويتفهم معنى قول الشاعر :

ان الحديث تغر الناس خلوته   حتى يلج بهم عي واكثار

ويقف عند قولهم في المثل كل مجر في الخلاء يسر فيخاف ان يعتريه ما اعترى من أجرى فرسه وحده أو خلا بعلمه عند فقد خصومه واهل المنزلة من اهل صناعته ليعلم ان صاحب القلم يعتريه ما يعتري المؤدب عند ضربه وعقابه فما أكثر من يعزم على خمسة أسواط

(١) الحيوان — الجزء الاول ص٤٦ . (٢) الحيوان — الجزء الاول ص٤٤ .

فيضرب مائة لانه ابتدأ الضرب وهو ساكن الطباع فأراه السكون ان الصواب في الاقلال فلما ضرب تحرك دمه فأشاع فيه الحرارة فزاد في غضبه فأراه الغضب ان الرأي في الإكثار وكذلك صاحب القلم فما أكثر من يبتدئ الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة والحفظ مع الإقلال أمكن وهو مع الإكثار أبعد . (واعلم) ان العاقل ان لم يكن بالمتتبع فكثيراً مايعتريه مايعتريه من ولده ان يحسن في عينه منه المقبح في عين غيره فليعلم ان لفظه أقرب نسباً منه من ابنه وحركته امس به رحماً من ولده لان حركته شيء احدثه من نفسه وبداءته من عين جوهره فصلت ومن نفسه كانت وانما الولد كالمخطة يتمخطها والنخامة يقذفها ولا سواء اخراجك من جزئك شيئاً لم يكن منك واظهارك حركة لم تكن حتى كانت منك ولذلك تجد فتنة الرجل بشعره وفتنته بكلامه وكتبه فوق فتنته بجميع نعمته وليس الكتاب الى شيء أحوج منه الى إفهام معانيه حتى لايحتاج السامع لما فيه من الروية ويحتاج من اللفظ الى مقدار يرتفع به عن الفاظ السفلة والحشوة ويحطه من غريب الاعراب ووحشي الكلام . — » .

وقال في مقام آخر(١) :

وليس في الارض خصمان يتنازعان الى حاكم الا كل واحد منهما يدعي عدم الانصاف والظلم على صاحبه وليس في الارض انسان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعتريه الغلط في شعره وفي ولده الا ان الناس في ذلك على طبقات من الغلط فمنهم الغرق المغمور ومنهم من قد نال من الصواب ونال من الخطإ ومنهم من يكون خطؤه مستوراً لكثرة صوابه فما أحسن حاله مالم يمتحن بالكشف ولذلك احتاج العاقل في استحسان كتبه وشعره من التحفظ والتوقي ومن إعادة النظر والتهمة الى أضعاف مايحتاج اليه في سائر ذلك . — »

ولكنه على شدة اهتمامه بالتنقيح والتهذيب لايريد المبالغة في هذا الامر لانه يعلم ان المبالغة قد تفضي بالكاتب في خاتمة الامر الى شيء من التنطع والتنطس فلذلك قال(٢) :

« وليس له ان يهذبه جداً وينقحه ويصفيه ويروقه حتى لا ينطق الا بلب اللب وباللفظ الذي قد حذف فضوله وتعرفه وأسقط زوائده حتى عاد خالصاً لا شوب فيه فانه ان فعل

(١) الحيوان — الجزء الثاني ص٣٧ .

(٢) « « الاول ص ٤٥ .

ذلك لم يفهم عنه الا بان يجددلهم أفهاماًمراراً وتكراراً لان الناس كلهم قد تعودوا المبسوط من الكلام وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم الا بان يعكس عليها ويؤخذ بها الا ترى ان كتاب المنطق الذي قد وسم بهذا الاسم لوقرأته على جميع خطباء الامصار وبلغاء الاعراب لما فهموا أكثره وفي كلام إقليدس كلام يدور وهو عربي وقد صفي لو سمعه بعض الخطباء لما فهمه ولا يمكن ان يفهمه من يريد تعليمه لانه يحتاج الى ان يكون قد عرف جهة الامر وتعود اللفظ المنطقي الذي استخرج من جميع الكلام (قال معاوية بن أبي سفيان) رضي الله تعالى عنهما لصحار العبدي : ماالايجاز ؟ قال : ان تجيب فلا تبطيء ، وتقول فلا تخطيء ، قال معاوية : أو كذلك تقول ، قال صحار : أقلني ياامير المؤمنين ، لاتخطيء ولا تبطيء ، فلو ان سائلاً سألك عن الايجاز فقلت لاتخطيء ولا تبطيء وبحضرتك خالد بن صفوان لما عرف بالبديهة وعند اول وهلة ان قولك لاتخطيء متضمن بالقول وقولك لا تبطيء متضمن بالجواب وهذا حديث كما ترى آثروه ورضوه ولو ان قائلاً قال لبعضنا : ماالايجاز ، لظننت انه يقول الاختصار ، والايجاز ليس يعني به قلة عدد الحروف واللفظ وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسع بطن طومار فقد أوجز وكذلك الإطالة ٠ وانما ينبغي له ان يحذف بقدر مالا يكون سبباً لإغلاقه ولا لترداده وهو يكتفي من الإفهام بشطره فما فضل عن المقدار فهو الخطل ٠— »

واذا كان الجاحظ يرمي الى التهذيب والتنقيح فمن الطبيعي ان يجعل للألفاظ صفات وخصائص وأن يحمل الكاتب على توخي هذه الصفات وهذه الخصائص ، ماهي طبائع الالفاظ التي يميل اليها الجاحظ ، قال في هذا المعنى (١) :

« وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله فاذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ومنزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة ومتى حصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة ، وقد قال عامر بن

(١) البيان والتبيين — الجزء الاول ص ٤٧ ٠

عبد القيس : الكلمة اذا خرجت من القلب وتعت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان .— »

ومن قوله ايضاً (١) :

« ومتى شاكل أبقاك الله ذلك اللفظ معناه وأعرب عن فحواه وكان لتلك الحال وفقا ولذلك القدر لفقا وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف ، كان قمينا بحسن الموقع وبانتفاع المستمع وأجدر ان يمنع جانبه من تناول الطاعنين ويحمي عرضه من اعتراض العيابين ولا تزال القلوب به معمورة والصدور مأهولة ومتى كان اللفظ ايضاً كريماً في نفسه متخيراً في جنسه وكان سليماً من الفضول بريئاً من التعقيد حبب الى النفوس واتصل بالأذهان والتحم بالعقول وهشت اليه الأسماع وارتاحت له القلوب وخف على ألسن الرواة وشاع في الآفاق ذكره وعظم في الناس خطره وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ورياضة للمتعلم الريض . فان أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ومصلحة حال الخاصة وكان ممن يعم ولا يخص وينصح ولا يغش وكان مشغوفاً بأهل الجماعة شنفاً لأهل الاختلاف والفرقة جمعت له الحظوظ من أقطارها وسيقت اليه القلوب بأزمتها وجمعت النفوس المختلفة الاهواء على محبته وجبلت على تصويب إرادته ومن أعاره الله من معرفته نصيباً وأفرغ عليه من محبته ذنوباً حنت اليه المعاني وسلس له نظام اللفظ وكان قد أغنى المستمع من كد التكلف وأراح قارئ الكتاب من علاج التفهم ولم أجد في خطب السلف الطيب والأعراب الأقحاح الفاظاً مسخوطة ولا معاني مدخولة ولا طبعاً رديا ولا قولاً مستكرهاً وأكثر ما نجد ذلك في خطب المولدين البلديين المتكلفين ومن أهل الصنعة المتأدبين وسواء كان ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب أو كان من نتائج التخير والتفكر . ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتاً وزمناً طويلا يردد فيها نظره ويقلب فيها رأيه اتهاماً لعقله وتتبعاً على نفسه فيجعل عقله ذماماً على رأيه ورأيه عياراً على شعره إشفاقاً على أدبه وإحرازاً لما خوله الله من نعمته .— »

فأكبر همه انتخاب اللفظ النبيه الشريف واجتناب اللفظ الهجين الردي .

وقبل ان يشرع الكاتب في الكتابة يلزمه ان يتصور المعنى ثم يتصور اللفظ على قدر

(١) البيان والتبيين — الجزء الثاني ص ٣ .

هذا المعنى[1] .

« وشر البلغاء من هيأ رسم المعنى قبل أن يهيء المعنى عشقاً لذلك اللفظ وشغفاً بذلك الاسم حتى صار يجر اليه المعنى جراً ويلزقه به الزاقاً حتى كأن الله تعالى لم يخلق لذلك المعنى اسماً غيره ومنعه الافصاح عنه الا به . — »

هذه بوجه التقريب القواعد التي رسمها الجاحظ في صناعة الكلام وإذا أجملناها وجدنا أنها تتعلق بالمناسبة بين الألفاظ والمعاني وبتنقيح الالفاظ دون شيء من الغلو في هذا التنقيح وبما يؤدي اليه التنقيح من انتخاب الالفاظ وتخيرها فهي من هذا الوجه تشبه في بعض الأحوال القواعد التي يضعها أدباء الافرنجة فاذا قابلنا مثلاً بين ماقاله الجاحظ وبين ماقاله الشاعر الفرنسي «بوالو» في فنه الشعري وجدنا القولين متشابهين في كثير من الوجوه . فاذا تم للأدب هذا كله واجتمعت له أسبابه فليعمل بعد هذا بما قاله الجاحظ له[2] :

« وليس ينبغي لكتب الآداب والرياضات ان يحمل أصحابها على الجد الصرف وعلى العقل المحض وعلى الحق المر وعلى المعاني الصعبة التي تستكد النفوس وتستفرغ المجهود وللصبر غاية وللاحتمال نهاية . — »

فما ينبغي للأدب في نظر الجاحظ ان يكون متعبة للعقل وانما الأدب في رأيه ضرب من الرياضة وعلى هذه الصورة يشبه مذهب الجاحظ في قدر الأدب مذهب أكابر الادباء في فرنسة وفي جملتهم الاستاذ «لانسون» Lanson الذي يريد ان يكون الادب : رياضة وذوقاً ولذة[3] . —

في ٥ آذار سنة ١٩٣٢

شفيق جبري

---

(١) رسائل الجاحظ على هامش الكامل — الجزء الاول ص ٢٨ .
(٢) 〃 〃 〃 〃 ص ١٥٥ .
(٣) راجع كتابي : المتنبي — ص ٤ .

قصيدة الفراسة

هذه أرجوزة تعد ٢٣٣ بيتاً تضمنت ذكر فضائل الاجناس وما خص كل جنس من جميل الطبع وقبيح الخلق وأثر كل بلدة بأهله — على سبيل الاختصار وهي من النوادر العزيزة الوجود اذ لم أرها في غير مسودة كتاب كنوز الذهب في تاريخ حلب لاحمد بن ابراهيم موفق الدين أبي ذر ابن العجمي المتوفى سنة ٨٨٤ وقد كتب هذه القصيدة بخط يده وعنه نسختها وكان المرحوم العلامة الشيخ طاهر الجزائري رآها عندي في احدى زياراته منزلي وطلب مني أن أسمح له بنقلها فاعتذرت له ولم أجب طلبه حرصاً عليها وأخبرني انه لم يرها مدة حياته سوى مرتين هذه المرة احداهما مع كثرة اطلاعه وولعه بالبحث والتنقيب عن الكتب المخطوطة النادرة .

والذي يغلب على الظن استدلالاً من أسلوبها واستنباطاً من تسميتها البلدان والاقاليم وأجناس الناس بأسمائها المذكورة فيها — أنها مما نظم في القرن الرابع اوالخامس .

وليس الغرض من نشرها بيان نعوت البلدان والسكان التي ذكرت فيها ولا ذكر محاسنهم ومساويهم إنما الغرض من نشرها بيان عقلية ذوي الثقافة في أهل الزمن الذي نظمت فيه فيما حكته عنهم وهي من جهة أخرى قد تعد أثراً تاريخياً قديماً يستحق ان يحرص على حفظه وصونه من الفقدان والضياع .

والذي أعتقده من ذوي الثقافة في هذه الايام انهم لا يحفظهم ما يرونه في هذه القصيدة من ذكر مساوئ بلادهم اوأجناسهم فان سعة مداركهم ترشدهم الى ان طباع الناس والأقاليم قد استحال الكثير منها الى الضد والنقيض اذ من نظر في مرآة الوجود وبحث في أحوال تلك البلاد وأخلاق أهلها وطبق محاسنها ومساويها على ماورد في هذه الأرجوزة —

تراءى له أن أكثر ما تضمنته قد أحاله الزمان الى عكسه فانقلب البلد العامر خربا والخارب عامراً وهذا مصداق ماقاله الحكيم : « ليس ترداد حركات الفلك الا احالة الكائنات عن حقائقها » قيل ومنه أخذ المتنبي قوله :

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت ... على عينه حتى يرى صدقها كذبا

ان الكائنات تتأثر بالزمان اكثر من تأثرها بالمكان قال فيلسوف العرب النابغة المعري :

اما المكان فثابت لا ينطوي ... لكن زمانك ذاهب لا يثبت

وله : يقال ان زماناً يستقيد لهم ... حتى يبدل من بؤس بنعماء

وله : ان المواهب كلها عارية ... ومن السفاهة غبطة بعطائها

وله : زمان يخاطب ابناءه ... جهاراً وقد جهلوا ما عنا

يبدل باليسر اعدامهم ... وتهدم احداثه ما بنا

ولابي تمام في المعنى :

ارض مصردة وأخرى تسجم ... تلك التي رزقت وأخرى تحرم

واذا تأملت البلاد رأيتها ... تثري كما تثري الرجال وتعدم

حظ تعاوره البقاع لوقته ... وادٍ به صفر وواد مفعم

حلب : كامل الغزي

وهذه هي القصيدة :

القصيدة الموعود بذكرها

الحمد لله على الهداية ... والعلم والتوفيق والدراية

هذي قصيد الحدس والفراسة ... نافعة لصاحب السياسة

يعرف منها كل مستسر ... في الناس من ذي صالح وشر

وأي جنس فيهم النجابة ... والرأي والتحريف والاصابة

وأيهم يرغب في السداد ... ويقتني للمهن الشداد

وأيهم في طبعه شراسه ... وأيهم ليس له رياسه

ومن يكون صالحاً للخدمة ومن له عزيمة وهمة
وعلم ما أثرت البلاد في طبعهم وماله استفادوا
فافهم مقالي فهو عين الرشد ان كنت تبغي بغيتي وقصدي

« ذكر العرب »

خير البرايا والأنام العرب كذاك قال العالم المجرب
طابوا فروعاً وزكوا اصولاً لانهم لم يلدوا مجهولا
ونزلوا نجداً وارض نجد سليمة من كل طبع مرد
فسلموا من شره العراق وغلظة الشآم والرستاق
ففيهم العزة والحمية والشيمة الطاهرة الزكية
كراهة الغدر وبذل الجود والطعن بالمثقف الأملود
وفيهم الخداع والعداوة والشر والارهاب والقساوة
وفيهم نجابة الاولاد وعندهم فضائل الأمجاد
رعاية الجار وحق الضيف موجودة فيهم وضرب السيف
وفيهم تراحم وعطف وفيهم عتب وفيهم عنف
أمينهم ليس له مماثل كما الخؤون ماله معادل

« ذكر العجم »

والفارسيون لهم مكارم يعرفها من لهم يلائم
لهم خلال ولهم رياسة وفيهم السداد والكياسة
وعندهم بخل وفيهم كبر وعزة ومنعة وفخر
والرحمات عندهم كثيرة والنغمات فيهم شهيرة
وفيهم نجابة معروفة وهمة وعزمة موصوفة
وعندهم رأي وفيهم علم وصنعة وحكمة وفهم

« ذكر الترك »

والترك فيهم قسوة وعظمة وجرأة ما ان لديها مرحمة

لا يعرفون العفو والوفاء ولا يرون الجود والسخاء
وفيهم النسيان والكفران وفيهم الابطال والشجعان
وفيهم الليوث يوم الحرب وفيهم كل مليح عذب
لهم قدود ولهم خصور والوجنات الحمر والشعور
وفيهم نجابة الأولاد لكن عروا من حكمة السداد

« ذكر الديلم »

والعقل في الديلم والسداد في حسنهم ليس له نفاد
وفيهم شهامة وفضل وعفة ورتبة ونبل
في نسلهم نجابة وقسوة وغلظة في طبعهم وجسوة
وفيهم جبرية وظلم وفيهم قساوة وغشم
وعندهم شطر من الآداب ومن رجوع العقل للصواب

« ذكر الأكراد »

والتركن الشر في الاكراد لبعدهم عن منهج السداد
وفيهم للحرب والقتال جلادة والطعن بالعوالي
لكن جميل الخلق والصباحة ليست لهم كلا ولا السماحة
ونسلهم يصلح للتجلاد وللامور الصعبة الشداد

« ذكر الروم »

والروم فيهم أدب وظرف وغلمة ونغمة ولطف
وفيهم العقول والألباب وفيهم الآراء والصواب
وفيهم فوارس الشجاعة والعلم والحكمة والصناعة
وفيهم اللذة والتمتع لكنهم مافيهم تصنع
وفيهم البخل وذل النفس وفيهم الفهم وصدق الحدس
لكل شيء يصلح الغلام منهم وهذا الشرف التام

« ذكر الارمن »

وليس في الأرمن خير فاعلم ان كنت يا صاح اخا تفهم

للشغل الشاق من الاعمال براهم ذو العز والجلال
وفيهم ضرب من الجمال لكنه يندر في الرجال
وفيهم قذارة . وخسة وذل نفس ليس فيه لبسة

« ذكر الفرنج »

كذلك الفرنج شر الأمم في غلظ الطبع وخبث الشيم
أبخل من براه رب الناس من سائر الضروب والاجناس
لكنهم ابطال يوم الحرب واعمل الخلق بحد القضب
وعندهم سياسة قليلة وحكمة لكنها ضئيلة
وفيهم رشاقة القدود وحمرة الوجنات والخدود

« ذكر اللان »

واللان جنس خلقوا للخدمة وللمعاناة وحفظ الحرمة
فان تردهم للنكاح والولد فانت في ذاك على غير الرشد

« ذكر الهند »

والهند فيهم عفة وفسق وقسوة وباطل وحق
لهم شعور ولهم قدود وهم اهيل وهم عبيد
ان استرقوا يصلحوا للرق وللطرفات[1] وللاشق
وللنتاج ثم للاولاد وللخصومات وللجلاد

« ذكر السند »

ألأم جنس الناس جنس السند فلا ترد منهم سلوك القصد
لهم خصور ولهم شعور لكنما أذاهم كثير
براهم الله الشديد الحول فاتبع سبيلي واستمع لقولي

« ذكر البربر »

أنجب أجناس الرقيق البربر لاسيما الجنس اللطيف الاصفر
للوطيء والأولاد والبيوت يخترن لا للكد والتعنيت

(١) نسخة : وللضرورات ·

نعم وفيهم للغناء طبع | وللعلوم الرائقات جمع
والكيس والظرف لهم شعار | فاخترهمُ لجنسهم مختار
وفيهم سوء وخبث دخله | وعندهم بخل وفيهم خله

« ذكر الزَّرَنج »

ان الزرنج في العبيد وسط | وأمرهم أمر به تخلط
يصلحن للنكاح لا للولد | ثمت للخدمة والتودد
ما فيهم عقل ولا رياسة | كلا ولا عندهم سياسة

« ذكر أجناس السودان »

وفي الزنوج غلظ الطباع | وفيهم ميل الى البضاع
ما فيهم لناكحيهم منية | ولا لقانيهم غداً من بغية
الا لاهل الريف والرستاق | وكل ذي أمر شديد شاق
براهم لذاك رب الناس | فلا تكن عليهم بالآسي

« ذكر صقع سرنديب »

من في سرنديب يكون مولده | يطيب منه عيشه ويحمده
ولا يزال ضاحكاً مستبشرا | كأنما يشرب صرفاً مسكرا

« ذكر خراسان »

من في خراسان يكون شهما | قاسي الفؤاد لا يراعي رحما
له رواء حسن ومبسم | لكنه عن خيره مجمجم

« ذكر نيسابور »

كذاك نيسابور فيها عجب | وليدها فيه البذا والعجب[1]
لا يعرف الفضل لرب الفضل | لما عليه قد يرى من جهل
وفيهم شراسة وخفة | وغلظة ومسكة وكلفة

« ذكر اصفهان »

وجيء فيها شرة وخيرة | لكنها شهرتها الشهيرة

---

(١) كذا ولعله الصخب .

ليس لمن في ارض اصبهان خليقة غير اذى الجيران
لهم رواء ولهم جمال وفيهم الحيلة والادلال
وفيهم تعصب في الطبع لغير دين ولغير شرع

« ذكر الري »

والري فيها الكيس والظرافة لكنها في طبعها كثافة
لهم عقول ولهم آداب لكنما آراؤهم تعاب
وفيهم شجاعة وقوة وعندهم في طبعهم عتوة
وليدها يركب كل صعب ولا يخاف نازلات الخطب

« ذكر مرو »

ومرو في تربتها السلامة وفي بنيها النقص والفدامة
ليس بها فضل ولا وسامة ولا لها في اهلها كرامة

« ذكر طوس »

تولد الجهل مع المولود وتسلب الرشد من الرشيد
وليدها يعرف في الاقطار بانه من جملة الابقار
وفيهم شراسة وحدة وعندهم لآمة وشدة
والحسن في غلمانهم معروف لكنهم ليس بهم ظريف

«ذكر هراة»

وفي هراة كل امر معجب من العلى والدين والتأدب
وكل فضل من دقيق العلم في اهلها وكل أمر فخم
وفيهم بسالة وقوة لكنهم ليس لهم مروة
وفي أنائيهم جمال ظاهر يعرفه المقيم والمسافر
وفيهم بغض لاهل الحق فيا لهذا من لئيم الخلق

« ذكر همذان »

وان ترد في همذان خيرا عز ولو انك كنت طيرا

مدينة في طبعهـا فظاظة وفي بنيها الشر والغلاظة
الجهل فيهم شائع مشهور والعقل بهم خامل محقور
وفيهم دناءة ولوم وترف شيطانه رجيم
قدسلبوا الغيرة والسدادا والفوا الخصام والعنادا
وفيهم تعاشر في الذنب فيا لهذا من قبيح الادب
وفيهم محاسن وظرف لـكنها ليس عليها عطف

«ذكر الاهواز»

وعند اهل الخوز والأهواز جماع كل الشـر والمخازي
وفيهم علي دني الانفس بأس ولـكن ليس عن تفرس
وفيهم من الجمال والمقه خليقة لـكنهـا مستخلقه
وفيهم لباقة وشـكل لـكنها عم عليها الجهل
وقد سبى النساء للرجال في الحسن والعفة والاشـكال

«ذكر مازندران»

مازندران في بنيها ظرف وعندهم رياسة ولطف
لـكنهم في خلقهم شراسة وحدة أزرت على الرياسة
وفيهم تكرم وجود يعتاده الاحرار والعبيد

«ذكر البصرة»

وعند اهل البصرة الرداءة واللوم قـد ضما الى الدناءة
في تربة الارض وفي الهواء جبلة للفهم والذكاء
وفيهم شر وفيهم لوم شعاره عليهم معلوم
وفيهم سماحة الاخلاق قـد جبلت بالرقع والشقاق
وفيهم نتائج النفاق وكلها يجمع في الفساق

«ذكر الـكوفة»

والـكوفة الحمراء في هوائها عجائب وتربها ومائهـا
الغدر في ترابهـا مجبول والخير عن مياهها مشغول

وما لهم عهد ولا وفاء لكن عليهم غلب المراء
بالمبدعات عنهم سار المثل وطبق الارض سهولاً وجبل
وعندهم غوص على العلوم منثورها والمحكم المنظوم
وفيهم حسن الطلا معروف يعرف ذاك الفهم الظريف

« ذكر بغداد »

وعند بغداد اعتدال تام في ارضها ليس له اكتتام
مولودها افهم كل ناطق بالعلم والآداب والخلائق
وعندهم كيس وفضل شامل لكنه يشوبه مخائل
وفيهم عجب وتيه وصلف ودين كل ما حووه من لطف
وعندهم سوء وفسق زائد وفطنة لكنها مكائد
وعندهم من المراء والرما (١) ماليس يحصيه سوى رب السما
قد جبلوا على السرور والطرب والسعي بين الناس بالامر العجب
ليس لهم عهد ولا ميثاق خص بهذا الخلق العراق

« ذكر بابل »

وبابل شر البلاد والقرى تكسب طبع اهلها شر الأرا
فيهم خلاف وبهم شقاق وعندهم في دينهم نفاق
وفيهم دين ونسك شامل وفيهم الخداع والتحايل

« ذكر الموصل »

والموصل الحدباء خير منزل قليلة الاسواء والتعالل
لهم خواص في الغناء والطرب وكلما يكون من شرط اللعب
وعندهم سماحة وجود لكنها يفسدها التنكيد
لاهلها تيه وعجب زائد اكثره لفضلهم معاند
والدين في عرصتهم غريب والظلم والبغي لهم حبيب

(١) الرما لغة في الرياء .

« ذكر الجزيرة »

واسمع هديت صفة الجزيرة   وماسرى عن اهلها من سيرة
ترابها وماؤها المنساب   ليس به علم ولا آداب
لكنه أشيب بالجهالة   والحمق المعجون بالرذالة
ما فيهم عقل ولا صباحة   وجلهم صنعتــه الفلاحة

« ذكر نصيبين »

صاب نصيبين عذاب الحمى   وخص فيهم ضرها وعما
فما ترى في ربعها صحيحا   ولا فتى مهذبًا مليحــا
دأبهم الخصام والمهاترة   والشر والتكذيب والمكابرة

« ذكر سنجار »

وارض سنجــار فشر ارض   لطالب العلم وباغي العرض
أخلاقهم سيئة ردية   وكلهم في قبحهم سوية
لا يعرفون الجود والتكرما   ولا الملذات ولا التنعما
قد شغلوا بتعب الأشغال   عن العلى وكرم الخلال

« ذكر حران »

واهل حران فشر الناس   في الوصف والتقدير والقياس
البخل فيهم أظهر الاوصاف   بلا مماراة ولا خلاف
وفيهم من غلظ الاخلاق   ما جل عن حكاية الحذاق
تقاصروا عن شرف الفضائل   وانهمكوا في أرذل الرذائل

« ذكر الرها وماردين وآمد »

وفي الرها وآمد عجائب   وماردين عندهم غرائب
كل اهاليها لئام بكم   عن العلى والمكرمات صم
ليس لهم في الدين والعلوم   حظ ولا في الشرف القديم
فيهم جفــاء وشرور ونزق   وعندهم في الود والحب مذق
وكل مولود من الغلمان   في ارضهم يعيش كالحيران

ومن تربى فيهم صغيرا لم يك في رياسة كبيرا

« ذكر الرافقة »

لا سيما ان حل ارض الرافقه وحل في تربتها علائقه
وكان من ماء البليخ مشربه ومن ثراها أكله ومكسبه
فابك علي ذكائه وفطنته وكيسه وعلمه وحكمته
كذا حكى الرواة عن هارون في وصفها ثم عن المأمون

« ذكر الشام »

والشام عين الارض والبلاد وخير دار وأجل ناد
يكسب من يحله جلادة وعزمة يعضدها نجادة
وفيهم ميل الى الولاة ومن له شأن من الكفاة
وفيهم قناعة وصبر لا سيما ان حل يوماً أمر
لكنما الحدة فيهم عادة وغفلة نتاجها بلادة

« ذكر منبج »

فمنبج طيبة البراري لاهلها رغيدة القرار
لكنها مفسدة للرائي مبيرة للفهم والذكاء
فيها جمال ولها بهاء وفي بنيها منطق هراء
طالعها ليس له سيادة ونجمها ما عنده افادة
وفي بنيها قوة وشدة لكنها ليس عليها عمدة

« ذكر حلب »

وحلب خزانة الذكاء وموطن العفة والحياء
طالعها للغرباء سعد وهي لمن فيها شقا وكد
لكنها تعطي دقيق العلم لأهلها من بعد لطف الفهم
لكنها نتيجة التلاحي وموطن المراء والكفاح
والعصبيات لديهم وافرة وعلقة الحذق عليهم ظاهرة

« ذكر حماة »

وفي حماة حمق وخفة وفيهم للمكرمات كلفة
لكنهم فيهم ذكاء ظاهر يعرفه من لهم يعاشر
وفيهم غلاظة الطباع معروفة في سائر الاصقاع

« ذكر شيزر والمعرة »

في شيزر واختها المعرة خلائق الجهل وطبع الشرة
فشيزر جهل بلا مضرة والفهم والضر لدى المعرة

« ذكر حمص »

وعند حمص كل أمر معجب من نجدة وفطنة وأدب
لكنها منزلة الرقاعة وموطن الخفة والفراغة
وفيهم الحدة والبسالة وفيهم القوة والجهالة

« ذكر دمشق »

وفي دمشق منظر أنيق يعرفه العدو والصديق
وفي بنيها منظر عجيب وخلق نتاجه غريب
لهم رواء حسن وبر لكنه عن باطن يغر
وفيهم شكاسة الاخلاق وغلظة تنبو عن الشقاق
ودادهم اما شهدت وافي فان تغب فالود منهم خاف
وفيهم نجابة وباس لكنها ليس لها ايناس
وفيهم غلاظة وحدة وفيهم على الغريب شدة

« ذكر فلسطين »

وفي فلسطين وارض الأردن والشام الاعلى كل طبع حسن
هواؤه وماؤه والترب لأهله فيه معان عجب
تكسب من حل به او نزلا نجابة تدرأ عنه العللا
تنتج حب الدين والعبادة لأهله والصبر والزهادة

لكنه يغلظ الاكبادا ويعظم الفطنة والسدادا
وفيه إمساك وبخل زائد وفطنة لكنها مكايد

ذكر مصر »

وعند مصر كل أمر معجب تحار فيه فكرة المهذب
طالعها باللعب والمزاح وخفة الأنفس والأرواح
وقلة الغيرة والوفاء والحب للآراء والاهواء
لكنها قرارة الفراعنة وخطة الأراذل الصفاعنة
وفيهم رياسة وهمة وشبق عند النسا وغلمة
والعشق فيهم والبذاء فاشي ليس لهم عن قبحه تحاشي
وفيهم علم وفهم وأدب وهمة الى العلاء والرتب

« ذكر المغرب »

وعند أهل المغرب الجفاء وقوة ليس بها مراء
وفيهم بخل شديد وقحة عندالجدال المرا مستقبحة
وفيهم شجاعة عند اللقا خليقة ليست لهم تخلقا
وعندهم علم وفهم وافر وهمة تعرفها العشائر
والعصبيات لديهم جمه لكنهم آراؤهم ملتمه

« ذكر الحجاز »

في الحجاز العلم والذكاء واللطف والنجدة والعزاء
وفيهم دماثة الأخلاق والبأس يوم الخلف والشقاق
وفيهم الغصب وسلب المال والسوء والمكر على الرجال
لهم وداد ولهم جمال وفيهم الاعطاء والافضال
وفيهم ميل الى اللذات والعشق والغناء والفرحات

« ذكر اليمن »

وعند اهل اليمن القباحة موجودة وقلة الرجاحة

وقلة العقل لديهم فاشية   لكنما طباعهم مواتية
وعندهم فصاحة وعلم   وعزمة صادقة وفهم
وفيهم السخاء والتكرم   وفيهم غدر وشر يعلم

***

فهذه نتائج البلاد   وكنه ما يختص بالعباد
نقلتها عن كل طب ندس   رحب العلوم صادق التفرس
ظاهرة الدليل والبرهان   واضحة المنار والتبيان
تنفع من يرغب في السياسة   ويمتطي غوارب الرياسة
ويعتني بخبرة الانام   من الأجلا ومن العوام
وقد أتت من حسن التهذيب   تلقح رأي الفطن اللبيب

الاسماء العربية للثمار النباتية

—(()—

نشر العالم المحقق الدكتور امين باشا المعلوف في هذه المجلة بحثاً مستفيضاً في اصطلاحات النبات[1] بدأه بالبزرة وأنهاه بالزهرة وترك الثمرة وأشكالها دون ان يتعرض لها. ولاشك ان الألفاظ التي استقر عليها الدكتور المشار اليه سواء أكانت من وضعه أم من وضع الذين تناولوا هذا البحث من قبله هي على ما رأيت أصلح ما يجب على المؤلفين اقتباسه لكتب علم النبات وكتب الزراعة وما اليها .

ولما كانت معرفة الاسماء العربية لمختلف الثمار تهم جميع الذين يتدارسون العلوم النباتية والزراعية جئت بهذه المقالة لحقاً لبحث أمين باشا الذي له فضل السبق في هذا المضمار .

ولا يظن احد انني وضعت لأشكال الثمار أسماء لم يسبقني اليها العلماء من قبل . فالحقيقة ان عملي في هذا البحث يقتصر على تمحيص الألفاظ التي وضعها السابقون واختيار ما أراه منها أصلح من غيره . وربما لم يزد ماهو من وضعي (والأصح ما أنبه اليه قبل غيري) على لفظة واحدة أو لفظتين .

والكتب التي راجعت فيها الاسماء الموضوعة لأشكال الثمار هي الآتية :

أولاً كتاب الدر اللامع في النبات وما فيه من الخواص والمنافع تأليف انطون فيجري بك طبع سنة ١٢٥٧ ﻫ في مصر .

ثانياً كتاب مبادىء علم النبات تأليف جورج بوست طبع سنة ١٨٧١ في بيروت .

ثالثاً كتاب علم النبات الزراعي تأليف جون برسيفال ، نقل الى العربية في وزارة الزراعة المصرية وطبع سنة ١٩٣٠ م .

---

(١) أنظر م ٧ ص ٢٨٩ وم ٨ ص ٣٢١ و ٤٦٥ من مجلة المجمع العلمي العربي .

رابعاً معجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد بك شرف ·

خامساً أهم كتب النبات المدرسية التركية ككتاب الدكتور اسعد شرف الدين · طبع في القسطنطينية سنة ١٩١٢ وكتاب حسين رمزي بك ، طبع سنة ١٣٢٠ مالية في القسطنطينية وكتاب الدكتور شرف الدين مغمومي ، طبع سنة ١٩٠٩ في مصر · وغيرها وهي أربعة كتب أخرى ·

سادساً مفردات ابن البيطار ومعاجم اللغة الأصلية ·

***

لايخفى على الذين لهم إلمام بمبادئ علم النبات ان الثمار تقسم ثلاثة أقسام أساسية وهي البسيطة والمركبة والمؤتلفة (أوالمدغمة أوالمشتركة) · وان الاولى اي البسيطة على ثلاثة أشكال : جافة ولحمية ومابينهما · وان الشكل الاول اي الثمار الجافة منها التي لاتتفتح عندما تنضج ومنها التي تتفتح ·

فمن الثمار الجافة التي لاتتفتح ثمرة يسمونها بالفرنسية (Achaine) تكون بزرتها منفصلة عن الغلاف الثمري وقد سماها جميع المؤلفين المار ذكرهم « فقيرة » الا الدكتور محمد بك شرف فانه عرب اللفظة الأعجمية فقال اخينيوم واخين : وأرى انه يلزم الاحتفاظ بلفظة الثمرة الفقيرة التي شاعت منذ نحو قرن الى يومنا هذا ·

ومنها ثمرة تدعى بالفرنسية (Caryopse) تكون بزرتها وغلافها الثمري متلاحمين كحب الحنطة والشعير والذرة وأشباهها · وقد سماها فيجري بك «الثمرة اليابسة» · وسماها بوست وشرف «الحبة» ووردت في كتاب علم النبات الزراعي بلفظة « البرّة » أما الاتراك فانهم أطلقوا عليها لفظ « الثمرة القلوية » و « الثمرة المحوّزة » وأرى ان « البرة والحبة » هما أصلح لفظ لهذا الشكل من الثمار ·

ومنها ثمرة تدعى (Samare) لها زائدة كالجناح منهم من عرب اسمها الاعجمي فقال «سمارة» ومنهم من سماها ثمرة مجنحة وثمر جناحي · اما بوست فدعاها بالمفتاح · وأظن ان لفظ « الثمرة الجناحية » أرجح ماتسمى به ·

ومن الثمار الجافة التي تتفتح ثمرة تدعى (Capsule) لم أجد لها اسماً في معجم شرف ولا في كتاب بوست · وجاءت في كتاب فيجري باسم «الثمار الجونية» وكذا في كتب الاتراك

الا واحداً منهم سماها « العلبة » كما سماها مترجموا كتاب علم النبات الزراعي . وعندي ان أصلح لفظة لهذه الثمرة هي الجرو ج. جراء . فقد ورد في اللسان ان الجرو « وعاء بزر الكعابير وفي المحكم بزر الكعابير التي في رؤوس العيدان » . وجاء في المخصص « ... وكأن سنابله جراء الخشخاش ... » . قلت وثمرة الخشخاش هي كبسول نباتياً .

اما لفظة العلبة فيرجح استعمالها لثمرة أخرى جافة ينفتح نصفها الأعلى كما يُفتح غطاء العلب ويسمونها بالفرنسية (Pyxide) . وسميت في معجم شرف وفي كتاب علم النبات الزراعي « الثمر الحق » ودعاها الأتراك باسم « الثمر الصوني ؟ » اما بوست فأطلق عليها لفظة العلبة وهو أرجح اسم لها على ما أرى .

ومن الثمار الجافة التي تتفتح تلك التي تدعى (Follicule) وهي ذات غلاف ثمري واحد يتصدع على امتداد تدريز واحد ايضاً . وقد سماها جميع من ذكرنا من المؤلفين « ثمرة جرابية » الا مترجمي كتاب جون برسيفال فقد أسموها « الحوصلاء » واللفظة الاولى أرجح لانها متفق عليها .

ومنها ثمار نباتات الفصيلة القرنية كالفول والفاصولياء وأشباهها وتسمى بالفرنسية (Gousse) وغلافها الثمري ينفتح على امتداد تدريزين . وقد سماها المؤلفون ثماراً قرنية وثماراً بقلية ونسب الدكتور شرف الى الجمع فقال « ثمر بقولي » . وأصلح لفظة لها هي السنفة والحُبْلة . فلفظة السنفة استعملها ابن سيده وابن البيطار لهذه الثمار . وورد في اللسان « يقال لأكمة الباقلاء واللوبياء والعدس وما أشبهها سنوف واحدها سنف » . ومن البديهي ان الكم في هذه الجملة هو الغلاف الثمري بعينه اي ما يدعى بالفرنسية (Carpelle) والسنفة تطلق على ذلك الغلاف وعلى البزور التي هي ضمنه اي على الثمرة كلها .

وجاء في اللسان « الحُبلة ثمر السَّلَم والسيَّال والسَّمُر وهي هنة معقّفة فيها حب صغار أسود كأنه العدس . وقيل الحبلة ثمر عامة العضاه وقيل هو وعاء حب السلم والسمر واما جميع العضاه بعدُ فان لها مكان الحبلة السنفة » .

ومنها الثمار المسماة (Silique) كثمار الخردل واللفت والملفوف والمنثور وقد وردت في كتاب فيجري وكتب الاتراك باسم « الثمار الخرنوبية » وسماها بوست « الجبية ؟ » وجاءت في كتاب جون برسيفال بلفظة « الثمر الخردلي » اما الدكتور شرف فقال « ثمر

خردلي ، ثمر بقولي ، حبلة » قلت وأصلح الجميع « ثمر خردلي »، اما ألفاظ « ثمر بقولي وحبلة » فغلط ٠

هذا في الشكل الاول من الثمار البسيطة وهي الثمار الجافة اما الشكل الثاني اي الثمار اللحمية فهي ايضاً تحتوي على أصناف عديدة نكتفي بذكر أصلح الألفاظ العربية لها دون الخوض في بحث تفريق بعضها عن بعض نباتياً لان ذلك من متناول كتب النبات ٠

فمن الثمار اللحمية التي يكون فيها الغلاف الثمري الداخلي ملتحماً بالغلاف الأوسط ثمرة تدعى (Baie) كالعنبة وقد سماها الأتراك وبوست وشرف « الثمار العنبية » ووردت في كتاب فيجري وكتاب برسيڤال باسم «الثمار اللبية» ولعل الاولى أصلح ٠ ومما يدخل في هذا الباب الثمار التي تدعى (Péponides) وهي الثمار البطيخية كثمار البطيخ والخيار والقرع وأشباهها ٠

ومن الثمار اللحمية التي يكون فيها الغلاف الثمري الداخلي منفصلاً عن أجزاء الثمرة السائرة تلك التي تدعى (Hespérides) وهي الثمار البرتقالية والأتراك يسمونها الثمار النارنجية ٠

ومنها الثمار التفاحية (Mélonides) وقد أجمع كلهم على تسميتها بهذا الاسم ٠

ومنها التي تدعى (Drupe) كثمرة المشمش واللوز والخوخ فقد سماها الترك « عجمة » وهي في اللغة شجرة الزيتون البري ٠ ولست أرى لهذه اللفظة مبرراً في هذا المقام ٠ وكذا لفظة فصاة التي جاءت في معجم الدكتور شرف لان القصى في كتب اللغة حب الزبيب واحدته فصاة ٠ ولعل أصلح لفظة تلك التي استعملها بوست وشرف وهي « ثمرة نووية » ٠

والشكل الثالث من الثمار البسيطة هي التي بين الجافة والطرية كالثمار الرمانية (Grenade)

اما القسم الثاني من الثمار اي الثمار المركبة فان منها الثمرة التوتية (Sorose) والثمرة التينية (Sycone) والثمرة الصنوبرية (Cône) وهي كلها لاخلاف فيها ٠

واما القسم الثالث من الثمار اي الثمار المؤتلفة فكثمر العليق (Fruit des Rubus) الذي يسميه الأتراك « ثمر نواتى » خطأ وكاجتماع فقيرات في ثمار بعض الانواع النباتية ٠

وبعد يلخص بحثنا هذا على الشكل الآتي :

أصلح الالفاظ العربية	« اللفظة الفرنسية »
الثمرة الفقيرة	Achaine
البرة ، الحبة ، الثمرة الحبية	Caryopse
الثمرة الجناحية	Samare
الجرو	Capsule
العلبة	Pyxide
الثمرة الجرابية	Follicule
السنفة ، الحبلة	Gousse
الثمرة الخردلية	Silique
« العنبية	Baie
« البطيخية	Péponide
« البرتقالية	Hespéride
« التفاحية	Mélonide
« النووية	Drupe
« الرمانية	Grenade
« التوتية	Sorose
« التينية	Sycone
« الصنوبرية	Cône
« العليقية	Fruit des Rubus

مصطفى الشهابي

آراء وافكار

—(()—

الخط العربي

[النقط . الشكل — الحركات . علامات الفصل الخ]

للعلاّمة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري مصنّف نفيس اسمه « توجيه النظر الى اصول الأثر » عثرنا فيه على بحث ممتع في الخط العربي وعلائم الفصل والوقف والحركات المشوبة بغيرها وغير ذلك مما يستدعيه إصلاح الخط حسبما يتمناه أفاضل هذا العصر . البحث طويل يستغرق نحو عشرين صفحة وقد لخصنا منه بعض ما له علاقة بالموضوع مباشرة قال :

علم قوانين الكتاب أو الخط معروف : وهناك علم يسمى علم قوانين القراءة وهو علم تعرف منه العلامات المميزة بين الحروف المشتركة في الصور والعلامات الدالة على الادغام والمد والقصر والفصل والوصل والمقاطع الخ . وهذا العلم وعلم قوانين الخط متلازمان لغاية واحدة وهي معرفة دلالة الخط على اللفظ . وقد ذكر بعضهم ان شدة الاحتياج الى هذين الفنين وفرط عناية النفوس الانسانية بمعرفتهما وتعلمها أغنت عن التصنيف فيهما .

وقال بعضهم الخط علامة فكلما كان أبين كان أحسن . وأهل العلم وان لم يستقبحوا إغفال الشكل في المكاتبات فانهم يعدون ذلك في كتب العلم مستقبحاً . وكثيراً ما دعا حسن الخط الى المطالعة في كتاب لا يميل المطالع اليه . ومن تتمة جودة الخط مراعاة المناسبة بين الحروف بعضها مع بعض وبين الكلمات كذلك . ومن تتمة ذلك مراعاة الفواصل وحسن التدبر في فصل الكلمات . وللخط استمداد من الهندسة ولذلك قال بعض الحكماء الخط هندسة روحانية وان ظهرت بآلة جسمانية . والخط العربي يمكن فيه من السرعة ما لا يمكن في غيره ويحتمل من تكبير الحروف وتصغيرها ما لا يحتمل غيره ويقبل من التنوع ما لا يقبله غيره . والمشهور من أنواعه : (المونق) (الثلث) (النسخ) (التوقيع) (الريحان) (المحقق) (الرقاع) .

ولكل منها شيء يختص به : (فالمحقق) و (الريحان) يختص بالمصاحف والأدعية · و (النسخ) بالتفسير والحديث ونحوهما · و (الثلث) بالتعليم · و (التوقيع) بالتواقيع الكبار التي للامراء والقضاة والاكابر · و (الرقاع) بالتواقيع الصغار والمراسلات · و (المؤنق) بكتابة الشعر · والخط الدقيق لا ينتفع به احد بل ربما ضعف نظر صاحبه فلا يعود ينتفع به هو ايضاً · وقال ابو حكيمة كنا نكتب المصاحف بالكوفة فيمر بنا علي بن ابي طالب فيقوم علينا فيقول أجل قلمك قال فقططت منه ثم كتبت فقال : هكذا : نوّروا ما نوّر الله عز وجل · وقد يكون في تدقيق خط الكتب فائدة كأن يكون صاحبها رحالاً يحمل كتبه معه · قال محمد بن المسيب الارغياني : كنت أمشي في مصر وفي كمي مئة جزء في كل جزء الف حديث · وقيل لابي بكر عبدالله الفارسي وكان يكتب خطاً دقيقاً لم تفعل هذا ؟ فقال : «لقلة الورق والورق · وخفة الحمل على العنق» ·

وقد اختلفت خطوط الامم من حيث الحركات واتصالها بالحروف وعدمه فكان الخط العربي والعبراني والسرياني مما توضع حركته فوق الحرف أوتحته وبذلك تيسر لهم ان يجروا على مقتضى الحال من الشكل عند الاشكال وتركه عند عدمه أو عند شدة الاستعجال ·

وللخط العربي مزايا منها وضع علائم الوقف بحيث يُقرأ فيها بدون توقف · وعابه بعضهم بان فيه من الاشتباه مالا يوجد في غيره من الخطوط لكن الشكوى تزول اذا التزم فيه الشكل وعلائم الوقف ونحوه ·

والعربية أخت السريانية وحروفها أخوات حروفها · واتفق ان وجد في العربية حروف ستة زائدة : هي حروف (ثخذ ضظغ) فلم يخترعوا لها صوراً جديدة بل صوراً مناسبة لأخواتها القديمات فصارت الثاء مع التاء والخاء مع الحاء والذال مع الدال والضاد مع الصاد والظاء مع الطاء والغين مع العين على صورة واحدة ·

وقد اخترعوا النقط للحروف فزال ما كان يقع من الاشكال بين المتشابهات منها : كالحاء والخاء والدال والذال والسين والشين الخ فصاروا لا يكتبون الا بالنقط سوى بعض الكتب القديمة فانها كتبت بدون نقط جرياً على الطريقة القديمة ثم روعي النقط تماماً الا التواقيع فانهم اعتادوا كتابتها بدون نقط كما في الشهادات والصكوك وهذا أيضاً مما لا ينبغي ان يقع ·

وكانت الحروف العربية قديمًا من دون شكل كسائر الخطوط السامية ثم اخترعوا الحركات تحتها أو فوقها لا في صفها كالخطوط السامية الاخرى . وجعلوا للمد علامة أو حرفًا خاصًا داخلاً مع الحروف الممدودة في الصف مما لا يوجد نظيره في الخطوط الأخرى . والحركات ست : حركة محضة : ضمة فتحة كسرة . وحركة مشوبة وهي التي تكون بين حركتين غير خالصة الى احداهما كالحركة التي بين الفتحة والكسرة وهي الالف المالة الى كسرة — وكالحركة التي بين الفتحة والضمة وهي الالف المالة الى ضمة — وكالحركة التي بين الكسرة والضمة وهي الياء المالة الى ضمة أو الضمة المالة الى ياء .

ويتولد منها حركات أخرى لكن هذه الست هي الاصول . وقد رأى كثيرون من فضلاء العرب اليوم وجوب إحداث علامات تدل على الحركات المشوبة ليكون الخط العربي وافيًا بالغرض فإذا كتبنا كلمات أجنبية فيها شيء من تلك الحركات الفرعية والاوقع تحريف في تلك الكلمات يؤدي أحيانًا كثيرة الى تغيير المعنى ولو دعا داعٍ الى هذا في عهد الخليل ابن احمد لبادر هو أو أحد تلاميذه الى تلبية الداعي .

وقد يقال لماذا لم يضع الأسلاف علامات لهذه الحركات المشوبة وأجاب بعضهم بان السبب هو كون تلك (الحركات المشوبة) ليست في لغة قريش التي هي المقصود الاول وعليها عند اختلاف اللغات المعول . ويضم الى هذا ما كان لهم من شدة العناية بالرواية والتلقي من الأفواه فلم تبق ثمة حاجة الى إحداث علامات للحركات الفرعيـة . على ان من بحث وتتبع وجد أنهم وضعوا علامات للحركات المشوبة ايضًا وقد ذكرها سيبويه في كتابه كما ذكرت في كتاب (المحكم في نقط المصاحف وكيفية ضبطها) لابي عمرو الداني فاستحسن بعضهم جعل علامة الفتحة المالة الى الكسرة — الفتحة الاصلية نفسها لكنها مقلوبة بحيث يكون طرفها متجهًا الى جهة اليمين هكذا (ـ) وقد جعل بعضهم هذه العلامة مشتركة بين الإمالة الصغرى والإمالة الكبرى الا انه فرق بينهما فجعل في الإمالة الكبرى تحت الحرف . وربما زاد بعضهم على ذلك فوضع فوق الألف نقطتين هكذا (أ) وجعلها في الإمالة الصغرى فوق الحرف وقد التزم هؤلاء ان يكتبوا ذلك بالمداد الأحمر .

وأما الفرس ونحوهم فان الأولى لهم أن يضعوا علامة الإمالة تحت الحرف وذلك

لأمرين : أحدهما ان الإمالة ليست من الامور الطارئة في لغتهم ولذا كتبوا حرف المد الذي بعدها بصورة الياء : الثاني أنهم وان عدوا من كسر نحو سير وشير مما أمالوه — لاحناً فانهم يعدون من فتحه أشد لحناً . والظاهر أنه ينبغي لمن أراد أن يكتب نحو قس وزن وكل بالإمالة كما ينطق به العامة وهو في الاصل مكسور — أن يجعل علامة الامالة تحت الحرف رعاية لما ذكر . وقد التزم بعض الكتاب ان يجعل الفتحة اذا تلاها مدٌّ قائمةً وبعضهم لم يلتزم ذلك الا في بعض المواضع نحو يرقى ويروى ويهوى والمرتقى والمنتقى ونحو راس وياس واستاذن اذا خففت فيه الهمزة بخلاف مثل كاتب وكتابة حتى ان بعضهم يرى عدم لزوم الفتحة فيه مطلقًا لدلالة الالف عليها وخصها بعضهم بالمواضع التي حذف فيها حرف المد نحو هٰذا وهٰؤلاء وهٰهنا والاٰله والرحمٰن والسمٰوات ولٰكن ونحو ذلك . وكما التزم بعضهم أن يجعل الفتحة اذا تلاها مدٌّ قائمةً — التزم بعضهم ذلك في الكسرة فجعلها قائمةً اذا تلاها مدٌّ سواء أكان ذلك في موضع لا يخشى فيه الاشتباه نحو كريم وحليم وكبير وجليل أو كان في موضع يخشى فيه الاشتباه نحو (أدني وأقصي وأعطي وأولي وأبدي وأخفي) فانها أفعال مضارعة للمتكلم وهي اذا فتحت ياؤها صارت أفعالاً ماضية للغائب الا ان الداعي هنا أضعف من الداعي فيما قبله والأولى للكاتب أن لا يلتزم شيئًا لا يلزم خشية أن لا يقوم بحقه . هذا وقد يظن ان الفتحة والكسرة قد وضعتا من أول الأمر على صورة واحدة غير أنه فرق بينهما بجعل الفتحة من فوق والكسرة من تحت وليس الامر كذلك فان الخليل لما وضع العلائم جعل علامة الضمة واواً صغيرة توضع فوق الحرف — وعلامة الفتحة ألفاً صغيرة فوق الحرف الا أنه جعلها مضجعة وعلامة الكسرة ياء توضع تحت الحرف واختار لذلك الياء المردودة وهي التي يرجع بها الى الجهة اليمنى هكذا (ــے) الا انها تغيرت فيما بعد حتى صارت كالفتحة . وقد اختار بعض العجم وضعها فوق الحرف علامة على الامالة الا أنه اختصر فيها حتى صارت هكذا (ــے) ومناسبة الياء للامالة لا يخفى ولو وضعت تحت الحرف لم يكن في ذلك بأس لتميزها . بصورتها ويمكن التصرف فيها على أوجه شتى مختلفة الوضع هكذا (ﮮ ﮯ ﮮ) وينبغي لمن أراد ذلك اختيار أسهلها عليه . وأما الضمة المشوبة بالفتحة فالأولى أن تجعل علامتها نفس الضمة المشهورة بدون زيادة شيء عليها الا أنها تجعل مقلوبة بان يكون طرفها متجهًا الى الاعلى

هكذا (ۥ) وذلك مثل (الصلوٰة والزكوٰة والحيوٰة) في العربية عند من يكتبها بالواو ويجعل حركة ماقبلها ضمة مشوبة بالفتحة مثل زور وآشوب في الفارسية وينبغي تسمية هذه الحركة بالضمة المشوبة وبزيادة هاتين العلامتين يتيسر كتابة الفارسية بدون إخلال بشيء من حركاتها وذلك ان الفرس وكثيراً من الامم لا يوجد في لغتهم الاخمس حركات وهي الضمة والفتحة والكسرة والفتحة الممالة الى الكسرة والضمة المشوبة بالفتحة واما الضمة المشوبة بالكسرة فالأولى ان تجعل علامتها نفس الضمة المشهورة بزيادة خط تحتها متصل بها هكذا (ۥ) وهذه الصورة مناسبة لما وضعت له لان وضع شبه الكسرة تحت الضمة يشعر بأن هنا حركة ممتزجة من حركتين هما الضمة والكسرة وان الضمة متقدمة على الكسرة وعالية عليها وان كان التقدم هنا والسبق على طريق المجاز . مثال ذلك مررت (بمذعور وابن بور) وهذه الحركة وان كانت قليلة في العربية فهي كثيرة في بعض اللغات المشهورة وينبغي تسميتها بالضمة الممالة لأن في لفظ الامالة بحسب العرف اشعاراً بوجود الميل الى الكسر ومما يترك لهذه الحركة رد ونحوه من المضاعف المبني لما لم يسم فاعله . وقد أشار الى ذلك سيبويه حيث قال : أما ما كان من بنات الياء فتمال ألفه لانها في موضع ياء وبدل منها فنحوا نحوها كما أن بعضهم يقول قد (رُد) وقال الفرزدق :

وما (حُل) من جهل حبا حلمائنا ولا قائل المعروف فينا يعنف

فيشم كأنه ينحو نحو فعل فكذا نحوا نحو الياء : وأما الكسرة المشوبة بالضمة فالاولى أن تجعل علامتها نفس علامة مقابلتها وهي الضمة المشوبة بالكسرة لكونها أشبه الحركات بها الا أنها توضع مقلوبة هكذا (ۥ) ومثال ذلك قيل وجيء وخيف وهيب وانقيد واختير وخفت وهبت وينبغي أن يكتب مثل قيل وجيء على هذه اللغة بالياء دون الواو وذلك لأن الحرف الذي ينشأ عن هذه الحركة هو الى الياء أقرب منه الى الواو : وقد ذهب بعض الناس الى كتابته في غير العربية بصورة الواو وذلك لكونه مشوباً به وجعل الحركة التي إنشأ عنها نوعاً من أنواع الضمة لكونها مشوبة بها وهو مخالف للظاهر فان الظاهر كون هذه الحركة نوعاً من أنواع الكسرة لان الكسر أغلب عليها وكتابة الحرف الذي نشأ بصورة

الياء لكونه أشبه بها · وأما في اللغة العربية فيتعين كتابته بالياء لثلاثة أمور : (أحدها) ماذكر وهو كونه أشبه بها · (الثاني) ان أشهر اللغات فيه هي لغة من يلفظ به بالياء · (الثالث) رعاية الاحتياط فانه اذا كتب على هذه اللغة بالواو ولم ينتبه القارئ للاشمام وأتى بالضم الخالص يكون قد ترك اللغة الفصيحة وهي لغة من يشم الكسرة ضمة الى لغة غير فصيحة وهي لغة من يقول فيه قول وجوء بالضم الخالص · وأما اذا كتب بالياء فانه اذا لم ينتبه للاشمام وأتى بالكسر الخالص يكون قد ترك اللغة الفصيحة وهي لغة من يشم الكسرة ضمة الى اللغة التي هي أفصح منها وهي لغة من يقول قيل وجيء بالكسر الخالص · واكثر الناس في أمر العلائم اما مفرّط واما مفرط · فمن المفرطين في ذلك من لا يكاد يضع علامة في موضع من المواضع · ومن المفرطين فيه من لا يكاد يترك موضعاً بغير علامة وقد رأيت بعض قراء الفرس جعل لما ونحوها علائم فجعل لما الشرطية الطاء وللاستفهامية الميم وللموصولة الخاء اشارة الى أنها خبرية لا انشائية وللزائدة الصاد اشارة الى انها صلة في الكلام وللكافة الكاف وجعل ذلك فوق ميم ما وكتبه باحرف صغيرة بمداد أحمر وجرى على مثل ذلك في كثير من الاشياء والاولى في أمر العلائم أن لا توضع الا حيث يضطر اليها أو يبعث عليها باعث ·

وهاك جدولاً في الحركات ومايتعلق بها :

أسماء الحركات	العلامات	مثالها بالعربية		مثالها بالفارسية	معناها
الضمة	ُ	ou	جُدْ	پُرْ	ملآن
الضمة المشوبة	ُ	o	صأُوة	خودْ	نفسه
الضمة الممالة	ُ	u	رُدّ	.	.
الكسرة	.... ِ	i	صِلْ	چِه	أي شيءْ
الكسرة المشمة	....	eu	هيتْ	.	.
الفتحة	َ	a	هَبْ	سَرْ	رأس
الفتحة الممالة	....	é	دَرَجهْ	سه	ثلاثة

وهذا المبحث واسع الأطراف جداً وفيما ذكرنا كفاية للطالب المتنبه والله الموفق .

* * *

ومن إجادة الخط مراعاة علائم الوقف . وقد اصطلح كتّاب القرآن الكريم على علائم مختلفة لأقسام الوقف المختلفة : فجعلوا (التاء أو الميم) للوقف التام و(الحاء) للحسن و(الكاف) للكافي و (الصاد) للصالح و (الجيم) للجائز . وقد التزموا كتابة هذه العلائم بالأحمر ووضعها فوق موضع الوقف . وللسخاوي تقسيم آخر للوقف وجعل لكل قسم علامة خاصة غير ماذكر توضع فوق محل الوقف وتكون بالمداد الأحمر والأقسام الخمسة هي : (اللازم) و(المطلق) و (الجائز) و (المجوز لوجه) و (المرخص للضرورة) : فعلامة اللازم (الميم) وعلامة المطلق (الطاء) وعلامة الجائز (الجيم) وعلامة المجوز (الزاي) وعلامة المرخص (الصاد) . وهناك وقف قبيح جعلوا علامته (لا) .

وللكتاب اصطلاحات أخرى في العلامات (فالسين) علامة السكتة وهي الوقف اللطيف من غير التنفس . و(القاف) علامة الوقف الذي نال به بعض العلماء دون بعض . و (قف) علامة على ان الوقف مستحب لا واجب .

ومن جملة علامات الوقف ما اصطلح عليه المحدثون من وضع (دارة) بين الحديثين للفصل بينهما . وكان بعضهم يدع بقية السطر أبيض ليكون البياض مؤكداً للفصل . ومنهم من جعل البياض علامة الفصل وهو مختلف المقادير حسب المقتضيات من تعلق المعاني بعضها ببعض قلة وكثرة وقد أشار الى ذلك ابن السيد حيث قال : والفصل انما يكون بعد تمام الكلام الذي ابتدئ به واستئناف كلام غيره . وسعة الفصول وضيقها على مقدار تناسب الكلام فان كان القول المستأنف متشاكلاً للقول الاول أو متعلقاً بمعنى منه جعل الفصل صغيراً وان كان مبايناً له بالكلية جعل الفصل أكبر من ذلك فاما الفصل قبل تمام القول فهو من أعيب العيوب على الكاتب والوراق جميعاً . وترك الفصول عند تمام الكلام عيب ايضاً الا انه دون الاول اه . وكان الصحابة لا يعرفون شيئاً مما أحدث في المصاحف الا النقط الثلاث على رؤوس الآيات . وقيل اول ما أحدثوا النقط عند آخر الآيات ثم الفواتح والخواتم . وقال قتادة بدأوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا . أي كتبوا الأعشار والأخماس وأسماء السور وعدد الآيات . وقال بعض المقرئين : لا أستجيز النقط بالسواد لما فيه من التغيير لصورة الرسم . وأرى أن تكون الحركات والتنوين والتشديد والسكون والمد بالحمرة والهمزات بالصفرة . واول من فعل الشكل في الصدر الاول بطريق النقط هو ابو الاسود الدؤلي . واما الشكل المتداول الآن فمن وضع الخليل فالفتحة عنده الف صغيرة فوق الحرف والضمة واو صغيرة فوقه ايضاً والكسرة ياء صغيرة مردودة تحته ووضع لكل من الهمزة والتشديد والروم والإشمام والسكون علامة .

وينبغي ان يتخذ للوقف اربع علائم :

(١) علامة السكت وهي خط هكذا (—) يوضع بعد الحرف المسكون عليه والمراد بالسكت الوقفة الخفيفة مثال استعمالها ما تراه في هذا الشعر من قول بعض القضاة :

[فما خفض الأعادي قدر — شاني ولا قالوا فلان قد — رشاني]

وقول الكميت :

[وما أنا ممن يزجر الطير — ؞؞؞ أصاح غراب أم تعرض ثعلب]

فالسكتة الخفيفة في المواضع الثلاثة لازمة لتساعد على فهم المعنى المراد .

(٢) علامة الوقف الحسن وقد اختلفوا فيها : فمنهم من جعلها كتابة الكلمة الاولى بالحبر الأحمر . أو كتابة الحرف الأول ولاسيما ان كان واواً او بوضع خط أحمر فوق الكلمة الاولى — كل ذلك إشارة الى ان تلك الكلمة مما يسوغ الابتداء بها وان ماقبلها يسوغ الوقف عليه . ومنهم من يجعل العلامة نقطة صغيرة ومنهم من يجعلها واواً مقلوبة هكذا (،) وهذه العلامة هي التي نختارها مثال استعمالها :

« سوسوا أحرار الناس بمحض المودة ، والعامة بالرغبة والرهبة ، والاسافل بالمخافة . »

(٣) علامة الوقف الكافي واو مقلوبة يزاد عليها نقطة أو خط تمييزاً بينها وبين علامة الوقف السابقة هكذا [؛ او ، —] .

(٤) علامة الوقف التام نقطة كبيرة هكذا (◉) ومنهم من يجعلها ثلاث نقط على هيأة نقط الشين (∴) أو دائرة مطبقة (O) أو منفرجة (∩) . واذا كان الوقف التام أنواعاً فيحسن أن يجعل لكل منها علامة من هذه العلامات الأربع ومنهم من جعل للوقف التام علامات غير هذه .

ومن العلامات التي اصطلح عليها الكتّاب رقم (اهـ) المختزلة من (انتهى) حينما يريدون ان الكلام المنقول قد انتهى وتم . واذا حذفوا جملة في خلال الكلام يقولون (قال) وينتقلون الى ذكر مايريدون بعد حذف المحذوف ثم نحتوا من (قال) حرف القاف فيكتبون هكذا (ق) . واصطلح المتأخرون على وضع علامة للاستفهام واخرى للتعجب وهو حسن اذا روعي وضعها في محلها المناسب لا أن يخبط في وضعها خبط عشواء . واما وضع علامة قبل مقول القول للدلالة عليه فيحسن اذا خيف التباس أو نحوه . ومبحث العلامات مبحث واسع الاطراف جدير بان يفرد بالتأليف اهـ ملخصاً .

مطبوعات حديثة

—()—

ديوان الحلاج

[ترجمه الاستاذ لويس ماسينيون]

« طبع في باريز في المطبعة الأهلية — ص ١٥٨ من القطع الوسط »

الاستاذ لويس ماسينيون أحد أعضاء مجمعنا العلمي متفرغ لدراسة الصوفية ، وله في هذا الباب كتاب : الحسين بن منصور الحلاّج بحث فيه عن الحلاّج من جامع نواحيه بحثاً مستفيضاً مبنياً على القواعد الحديثة في التنقيب وله كتاب آخر بحث فيه عن اصول مصطلحات الصوفية . وله كتاب فيه أربعة نصوص تتعلق بترجمة الحلاّج .—

وآخر ما أهداه الى المجمع العلمي : ديوان الحلاّج فقد رتب هذا الديوان ونقله الى اللغة الفرنسية ونشره .—

قد يكون نقل الشعر من لغة الى لغة من أصعب الاشياء لما في كل لغة من الخصائص والاسرار التي لا تكون في لغة غيرها ، ففي لغة استعارات اذا نقلت الى لغة ثانية كانت ضرباً من السخرية .—

أما نقل المصطلحات الفلسفية من لسان الى لسان فليس فيه من المصاعب ما في نقل صور اللغة الشعرية وخاصة ان كانت اللغة المنقول اليها مشتملة على المصطلحات المجرّدة أي على خصائص اللغة الفلسفية .—

وشعر الحلاّج انما هو شعر فلسفي ليس فيه الاّ القليل من الصور الشعرية وانما احتوى على صور مجرّدة بعيدة عن الاستعارات وأمثالها فألفاظ العلم والايمان والتجاريب والجسم

والروح والخاطر والوهم والفكر وأشباهها مما اشتمل عليه شعر الحلاّج انما هي ألفاظ مجردة غير لاصقة بالمادة فلا بدعب وجود أمثالها في اللغة الفرنسية تدل عليها الدلالة الواضحة دون شيء من كد الذهن ٠—

من أجل هذا السبب كان نقل الاستاذ ماسينيون لشعر الحلاج من العربية الى الفرنسية نقلاً واضحاً حرص فيه صاحبه على خصائص لغة الحلاج وأسرارها ٠—

شفيق جبري

الموجز التاريخي

[للصف الثالث الابتدائي]

« قررته وزارة المعارف في مصر سنة ١٩٣١—١٩٣٢ »

ألفه هنري الشماع مدير مدارس جمعية الايمان القبطية بشبرا ويوسف فهمي أستاذ الآداب والتربية بالقسم العالي بالأزهر الشريف ٠—

طبع بمطبعة رعمسيس — ٤١ شارع الظاهر — مصر ٠

رسالة مدرسية صفحاتها ٣٨ ٠—

جاء فيها كلام مختصر على العرب وعلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الخلفاء الراشدين : رضي الله عنهم ٠—

وعلى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ٠—

وعلى معاوية بن ابي سفيان وعلى هرون الرشيد ٠—

وعلى احمد بن طولون وعلى المعز لدين الله الفاطمي وعلى الحاكم بامر الله وعلى صلاح الدين الايوبي وعلى شجرة الدر وعلى الظاهر بيبرس وعلى قانصوه الغوري وعلى سليم الاول وعلى محمد علي بك الكبير

وفي الرسالة خرائط وصور بعض المساجد في مصر كجامع عمرو بن العاص وجامع بن طولون وجامع الغوري وصلاح الدين وسليم الاول .—

وفي آخر كل فصل أسئلة تتعلق بالفصل ذاته .—

توخى المؤلفان في رسالتها سهولة اللغة ولكن هذه السهولة قد خرجت بهما في بعض المواطن عن متانة التركيب فلا يقال : تالب شيق ، ولا يقال تحقق من موته ولا يقال : اشترك في حروب ضد الروم الى أشباه هذه التراكيب الضعيفة فقد يكون الكلام سهلاً من غير ان يكون ضعيفاً في مبناه .

شفيق جبري

بحث لغوي في الراء

« بمعنى الرأي »

[بقلم جبران النحاس]

كرّاسة صغيرة صفحاتها اربع عشرة أُثبت فيها صاحبها طائفة من الأقوال التي جاءت فيها كلمة الراء بمعنى الرأي .

اما الشعراء الذين استشهد بأشعارهم فهم : مطيع بن أياس وأبو العتاهية وأبو نواس وابن الرومي وابن الهبّارية وعمرو بن عثمان القيني والبحتري والمعتز وابن نباتة السعدي وأبو الفرج الببغاء والشريف الرضي ونجم الدين بن صابر المنجنيقي .

وأما الكتّاب فهم : أبو اسحق الصابي ، أبو منصور الثعالبي ، القاضي عبد القادر الجرجاني وقد أورد صاحب الكراسة أبياتاً لابي تمام وردت فيها كلمة الراء منها :

فاذا رأيت أسى امرئ أو صبره   يوماً فقد عاينت صورة رائه

فقال الصولي في شرحه على هذا البيت : هذا شيء استعمله الطائي وغيره فأما مذهب سيبويه في ذلك فاذا حمل عليه كان كالعيب لأنه لا يجعل همزة حوبائه وما كان مثلها اذا

خفف ياء خالصة ولكن تكون بين بين وياء رأيه ياء خالصة لايجوز قلبها الى الهمزة في هذا الموضع فيقع الاختلاف في الروي وأما غير سيبويه فلا يبعد في مذهبه أن يجعل همزة حوبائه ومثلها اذا خفف ياء وهو مذهب ضعيف ونحو من ذلك ماجاء في شعر أبي النجم لأنه قال :

هل تعرف الربع عفت جواؤه

وقال فيها :

وعزة شأو المغربين شاؤه

فواو شاؤه لايجوز ان تهمز . همزة جواؤه لايجوز أن تجعل واوا خالصة .

شفيق جبري

مصطلحات علمية

« والترجمة والتعريب »

كنت منذ شرعت تدريس العلوم الطبيعية والرياضية في المدارس العربية بدمشق ، أي منذ عشرين عاماً ، أرجح ان آخذ هذه العلوم عن الكتب الغربيــة ، اذ لامشاحة في أن بلاد الغرب هي منبع هذه العلوم في هذا العصر ، لكنني كنت ألاقي في سبيل الوصول الى غايتي عقبات جمة في ترجمة المصطلحات الأعجمية الى اللغة العربية ، فان نفسي كانت — ولا تزال — تأبى استعمال تلك المصطلحات على علاتها أو تعريبها لاعتقادي بان كلا الحالتين لايخلو من الدلالة على احد امور اربعة : (الاول) عدم المبالاة باللغة العربية من ان يعتريها الفساد والتشوه فتصبح بمرور الزمن مزيجاً من لغات مختلفة محرفة الألفاظ مكسرة الحروف بحيث لايجدر أن يقال عنها انها «اللغة العربية» بل يجب أن تسمى باسم آخر ، فتبقى اللغة الأصلية مدفونة في ضرائح الكتب كاللغة اللاتينية وغيرها من اللغات المهجورة لا يعرفها ولا يقوم بذكرها سوى أفراد قلائل من محبي التفكه بها والولعين بالاطلاع على قديمها ، ثم ان هؤلاء يأخذ عددهم في النقص كلما أخنى الدهر عليها وأفناها الى ان تندرس وتتلاشى ، فتصبح نسياً منسيا ، (والامر الثاني) من الامور الاربعة التي يدل عليها تحبيذ التعريب : التكاسل عن بذل شيء من الهمة في التفتيش عن ألفاظ عربية تقوم مقام المصطلحات الأعجمية المراد تعريبها ، (والثالث) العجز عن ذلك ، (والرابع) العمد الى إفساد اللغة لسوء قصد بها .

فلما كنت اعتقد بما تقدم من ان الميل الى التعريب لاتخرج أسبابه عن الامور الاربعة المذكورة ، ولما كنت أعتمد على سعة اللغة العربية معتقداً بان كل معنى يجول في الذهن لابد من أن يكون له فيها لفظ ولو كان كامناً في أغوار معاجمها — كنت آخذ على نفسي أن

لا أجتاز عقبة من عقبات تلك المصطلحات دون تذليلها بترجمتها الى العربية ولو تكبدت في ذلك أعظم المشقات وفاديت باعز الأوقات . وقد وفقت ولله الحمد الى ترجمة جميع المصطلحات التي لاتيتها في نقل ما نقلته الى العربية من العلوم الغربية حتى الآن وخطتي في تلك الترجمة مبنية على ما يلي :

اولاً : ان لاأتقيد بالترجمة الحرفية بل كنت أترجم بعض الآلات مثلاً بالفاظ تفيد فعلها أو خاصة من خواصها كترجمتي Coupe - circuit « بالحارزة » وهي الآلة المعروفة عند العامة (بالبوشون) تجعل في مسير التيار الكهربائي حتى اذا اشتد التيار الى درجة الخطر احترقت فانقطع التيار فاندفع الخطر فهي إذن تحرز من خطر الحريق ولذا سميتها بالحارزة ، فلو أردنا ان نترجم أعجميتها بالحرف للزم ان نسميها (قاطعة الدارة الكهربائية) ففي تسميتها بالحارزة منفعتان الاولى استعمال لفظ واحد بدلاً من ثلاثة الفاظ والثانية ان يفهم من اسمها ماخاصتها وما فائدتها ، وذلك كما ترجم بعض الأفاضل (بالون) بالمنطاد و (صُومارن) بالغواصة و (اوتوموبيل) بالسيارة مع ان كلمة بالون لا يفهم منها الانطياد بل يفهم شيء منتفخ كروي الشكل و (صومارن) معناه (تحت البحر) لا (الغواص) واوتوموبيل معناه (المتحرك من نفسه) لا (السيار) مع انه لايتحرك من نفسه فيتضح من ذلك ان هذه الأسماء العربية أقرب الى فهم حقيقة مسمياتها من أسمائها الأعجمية نفسها ، وهذا من جملة محاسن نقل الاسماء الأعجمية الى العربية بالفاظ عربية دون تعريبها كما سنبين ذلك في مقال آخر ان شاء الله .

ثانياً : ان أتجنب في الترجمة الصيغ غير القياسية كاسم الآلة والصفة المشبهة وان اختار الصيغ القياسية كاسم الفاعل ومبالغته واسم المكان أسوة بالمتقدمين الذين ولدوا كلمات كثيرة على هذه الأوزان فان اسم الآلة سماعي لايصح ان نصوغ على وزنه مانشاء من الاسماء لان أوزانه كثيرة فالعرب اتخذوا لكل آلة وزناً من الأوزان المعلومة وهكذا جاءت أسماء الآلات مسموعة عنهم فكما انه لايسوغ لنا ان ننقل أحد هذه الأسماء من وزنه الى وزن غيره من سائر الآلات ، فلايجوز لنا مثلاً ان نقول بدلاً من ملعقة ملعق وزان مثقب او ملعاق وزان مفتاح أوأن نشتق احد تلك الاسماء من فعل غير الفعل الذي اشتقه منه العرب فنقول (مثكلة) بدلاً من (ملعقة) ، كذلك لا يجوز لنا أن نصوغ اسماء جديدة

على أوزان اسم الآلة ، واما اذا كان ثمت اضطرار الى وضع اسماء لمسميات حديثة لم تكن عند العرب فالمجال أمامنا واسع لاستعمال كثير من الصيغ القياسية كاسم الفاعل واسم المفعول واسم المكان ومبالغة اسم الفاعل وهي صيغ لاخلاف في قياسيتها وليس لكل منهما سوى وزن واحد خلافاً لاسم الآلة الذي كثرة أوزانه لابد من ان تؤدي الى الخلاف بين المترجمين واللغويين فاذا ترجم احدنا (مكرسكوب) مثلاً بالمجهر (بالكسر) كان لغيره الحق ان يترجمه بالمجهار ولآخر بالمجهرة ومن هنا الخلاف في وضع المصطلحات واتساع الفوضى اللغوية التي نسعى الى إزالتها ، اللهم الا اذا انعقد مؤتمر لغوي عام منتخب من جميع البلاد العربية مفوض اليه توليد ما يرتئيه من الاسماء ، يقر اللفظ ثم ينشره بين العرب دائماً فيكون استعماله شبه إجباري بالتواطوء بحيث لا يصح لمؤلف اومترجم او كاتب ان يستعمل غيره[1] وا ذا لم يعقد هذا المؤتمر فان ترجمة الاسماء الحديثة على الصيغ القياسية الآنفة الذكر خير من ترجمتها على أوزان سماعية لاينشأ من السير عليها الا الخلاف والتفرق في الرأي .

ثالثاً : اذا كان اللفظ الأعجمي كلة واحدة ولم تمكن ترجمته بكلمة عربية واحدة فاني لاأتقيد بذلك إذ لاضرورة اليه بل يمكن ان تترجم الكلمة الأعجمية الواحدة بكلمتين عربيتين على ان يكون ذلك موافقاً لقواعد اللغة كما ترجمت (الكترود) بالمنفذ الكهربائي و (مترونوم) بميزان الغناء و (ترمومتر) بميزان الحرارة « وان يكن ترمومتر مركباً في الاصل من كلمتين فانه في الظاهر كلمة واحدة » وكذلك كل ما كان مركباً من (متر) وكلمة أخرى نحو بارومتر (وهو ميزان الجو) ومانومتر (وهو مقياس الضغط) وإغرومتر (وهو مقياس الرطوبة) ، وما المانع لهذه الترجمة ؟ فان قيل ان المصطلح العربي صار كلمتين مع ان مقابله الاعجمي كلمة واحدة فالأرجح ان يبحث عن كلمة عربية واحدة تقوم مقام كلمتين —

(١) ومما يجدر بهذا المؤتمر ان يعرض الكلمات التي يستحسنها على أنظار الناس في المدن العربية الكبرى على صفحات جرائدها وان ينظر فيما يرد عليه في تلك الكلمات من الملاحظات وذلك الى مدة معينة ثم يقرها ، وبذلك يمكن التواطوء على ان يكون استعمال كلماته والأخذ بآرائه شبه إجباري فينتظم الحال وتزول الفوضى ، والا فان اعماله تذهب من هذه الوجهة سدى على ما نظن .

قلت فان وجدت تلك الكلمة فهي مرجحة على غيرها بلاريب ولكن على ان تفيد المعنى المراد وان تكون موافقة لقواعد اللغة ، لا كما أراد بعضهم ان يترجم ترمومتر (بالحرار) ومانومتر (بالمضغاط) وإغرومتر (بالمرطاب) فهب اننا تواطأنا على توليد أسماء جديدة على أوزان اسم الآلة فان (مضغاط) مثلاً لا يفيد المعنى المراد من مانومتر وهو « الآلة التي يقاس بها الضغط » بل يفهم من مضغاط « الآلة التي يفعل بها الضغط » كما يفهم من مفتاح الآلة التي يفعل بها الفتح لا التي يقاس بها الفتح ، وشتان ما بين المعنيين . فما الذي يضيرنا من استعمال كلمتين ترجمة لكلمة واحدة اذا لم تساعد سليقة لغتنا على غير ذلك . ألم يكن كثير من الكلمات العربية يقابلها في اللغات الاعجمية كلمتان او اكثر كقولهم Face antérieure (وهما كلمتان) مع ان عربيتها مُقدّم (وهي كلمة واحدة) وقولهم Pendant deux jours (وهي ثلاث كلمات) وعربيتها يومين (وهي كلمة واحدة) وقولهم Un morçeau de fer (وهي اربع كلمات) وعربيتها حديدة (وهي كلمة واحدة) وقولهم Il est venu (وهي ثلاث كلمات) وعربيتها جاء (وهي كلمة واحدة) ، فهل غبطنا بذلك أصحابُ هذا اللسان وقاموا يسعون الى التفتيش عن كلمات مفردة تقوم مقام هذه العبارات ؟ كلا ، فان لكل لغة قوالب فالترجمة هي ان يؤخذ المعنى من اللغة المترجم منها ويفرغ في قوالب من اللغة المترجم اليها ، وعكساً لما تقدم فان سليقة لغتنا كثيراً ما تساعد على ترجمة المصطلح الاعجمي المركب من كلمتين او اكثر بكلمة عربية واحدة كما ترجمتُ Ultra - microscope (وهي مركبة من ثلاث كلمات) بكلمة عربية واحدة وهي (الجهّارة) .

وان قيل أن (ميزان الجو) مركب إضافي وهو مما تصعب النسبة اليه فكيف نترجم Hauteur barométrique مثلاً ؟ قلت لاضرورة لترجمة النسبة بالنسبة ، بل يمكن ترجمتها بمركب إضافي فلك ان تقول في ذلك « ارتفاع ميزان الجو » (مجازاً اي ارتفاع زئبقه) فتكون دالة على المعنى المراد من العبارة الاعجمية مفرغاً في قالب عربي .

فهذه هي القواعد التي بنيت عليها خطتي في ترجمة كثير من مصطلحات العلوم وحيث ان بعض أصدقائي طلب اليّ ان أنشر تلك المصطلحات على صفحات هذه المجلة ، فنزولاً عند رغبتهم ، سأقوم بنشرها تباعاً مبتدئاً ببعض مصطلحات جاءت في كتابي المطبوع «القطوف

الينبعة في علم الطبيعة » وقد درجتها كما يلي جاعلاً أرقاماً في حذاء ما لم يسبقني احد اليه منها والله الموفق ٠

***

١ — [Calorie — حُرَيْرة]

ان كل ماقبل الزيادة والنقصان يقال له في علم الطبيعة (قدْر) افرنسيته Grandeur كالطول والمال والحرارة ولاجل مقايسة كل قدر من الأقدار اضطر البشر الى ان يتخذوا من ذلك القدر جزءًا معيناً ليقايس به سائر أجزاء القدر وقد اصطلح علماء الطبيعة على ذلك الجزء (بالواحدة) — افرنسيتها Unité [1] — غير ان اكثر الواحدات تختلف باختلاف الامم فواحدة الطول مثلاً عند العرب الذراع وعند الافرنسيين المتر وعند غيرهم الاصبع والأنش والميل الخ حتى ان بعض الواحدات يختلف عند الامة الواحدة ايضاً بحسب استعماله ، فالافرنسيون اذا أرادوا قياس طول معتدل اتخذوا له المترَ واحدةً وفي قياس الأطوال الصغيرة يتخذون السنتمتر وهو جزء من مائة جزء من المتر وفي قياس الطرق الطويلة يتخذون الكيلمتر وهو الف متر ولما لم يكن لبعض الواحدات المستعملة عند الغربيين في العلوم الحديثة ،مقابل عندنا قد اضطررنا الى ان نقتبسها منهم ونستعملها في علومنا وصنائعنا التي طالما أخذناها عنهم ٠ فلاقيت اثناء ترجمتي بعض كتبهم طائفة من هذه الواحدات أردت ان استعمل لها الفاظاً عربية فلم أجد أوفق من طريقة قد أتتني بالفاظ عربية فيها من الفوائد ما لم يكن في أصلها الأعجمي وهذه الطريقة هي :

ان آخذ مصدر المرة من مادة القدر المراد قياسه ثم أصغر ذلك المصدر ، مثال ذلك : عندما أردت أن أضع لفظاً يقابل Calorie [2] وهي الواحدة التي تقاس عليها كمية الحرارة

---

(١) وقد ترجم بعضهم Unité بالوحدة وهي ترجمة حرفية لامبرر لها لان الوحدة مصدر مع ان المراد من Unité هنا ليس المصدر بل الاسم وكذلك كثير من اسماء المصادر الافرنسية يرد بمعنى الاسم المطلق أو اسم المفعول نحو Radiation فانه اسم مصدر بمعنى الاشعاع مع انه يرد بمعنى الشعاع وكذلك Solution وهو الحلّ فهو يرد بمعنى (المحلول) ٠

(٢) Calorie مشتقة من كلمة لاتينية وهي Calor او Caloris ومعناه الحرارة ٠

— أخذت مصدر المرة من الحرارة وهو (حَرّة) ثم صغرته فصار (حُرَيرة) ففي ذلك فائدتان : الاولى كون مصدر المرة يفيد الوحدة والثانية كون التصغير يفيد ان الكمية المفهومة من ذلك اللفظ هي جزء صغير متخذ للقياس عليه فهاتان الفائدتان غير موجودتين في معنى اللفظ الاعجمي وزد على ذلك انهم يضطرون أحياناً الى اتخاذ واحدة للحرارة اكبر من الواحدة المذكورة الف مرة فيسمونها Grande calorie مما يجعلهم في حاجة الى تقييد الاولى بـ Petite calorie واما انا فقد سميت Grande calorie بالحرّة و Petite calorie بالحريرة . فلا يخفى ما في ذلك من الاختصار وخفة اللفظ .

٢ — [Dyne — أُيَيْدة]
٣ — [Mégadyne — أَيْدة]
٤ — [Sthène — آد]

Dyne واحدة متخذة لقياس القوة تساوي جزءاً من ٩٨٠ جزءاً من ثقل الغرام في دمشق[1] فترجمتها بالأُيَيْدة تصغيراً للأَيْدة وهو مصدر مرة من آد الشيء اذا قوي واشتد وصلب لأن Dyne كلمة مشتقة من Dunamis اليونانية ومعناها القوة ، ثم ان عندهم للقوة واحدتين أخريين احداهما ما يسمونه Mégadyne وهي مركبة من كلمتين يونانيتين وهما [Mégas — اي كبير] و [Dunamis اي قوة] فمعنى هذه الواحدة أيدة كبيرة وهي تساوي الف الف أييدة[2] فسميتها (أيدة) والثانية ما يعبرون عنه بـ Sthéne وهي من Sthénos اليونانية ومعناها القوة ايضاً وهي تساوي مائة أيدة فترجمتها بـ (آد) بمعنى القوة ايضاً .

---

(١) او جزء من ٩٨١ جزءاً من ثقل الغرام في باريز لان الاشياء في باريز أثقل منها في دمشق لكون باريز أقرب من دمشق الى مركز كرة الارض وهو مركز الجاذبة التي تولد ثقل الاشياء وهكذا كلما بُعِد عن خط الاستواء تقرباً من أحد قطبي الارض ازدادت الجاذبة الارضية فازدادت الاشياء ثقلاً لان القطبين أقرب الى مركز كرة الارض من خط الاستواء لانضغاط هذه الكرة في قطبيها كما هو معلوم في علم الجغرافية .

(٢) اذا جعلوا في القياسات Méga في صدر الكلمة أفاد معنى الف الف مرة واذا جعلوا Micro أفاد معنى جزء من الف الف جزء .

٥ — [Dioptrie — كُسَيرة]

هي واحدة لقياس درجة كسر العدسات البلورية لأشعة الضوء وقدر هذه الواحدة قوة عدسة اذا ورد على أحد وجهيها حزمة أشعة متوازية خرجت هذه الحزمة من وجهها الآخر متقاربة بعضها من بعض حتى تتلاقى في بعد عن العدسة قدره متر . واصل Dioptrie، (Dioptron) وهي كلمة يونانية مؤلفة من Dia بمعنى من بين و Optesthai بمعنى رأى ، فتكون كسيرة ليست ترجمة Dioptrie بالحرف ولاضرورة الى ذلك كما كنا قدمنا .

٦ — [Barye — ضُغَيطة]

٧ — [Pièze — ضغطة]

Barye واحدة متخذة لقياس الضغط وتدرها ضغط أُبيدة[1] على سنتمتر مربع واحد وهي كلمة يونانية أصلها Barus ومعناه (الثقل) فترجمتها بالضُغَيطة لأنها واحدة قياس الضغط ، و Pièze كلمة يونانية ايضاً أصلها Piézein ومعناه (ضغط) تستعمل لقياس الضغوط الكبيرة وتساوي الف مليار ضُغَيطة فترجمتها (بالضغطة) .

٨ — [Lumen — ضُوَيّ]

٩ — [Lux — نُوَير]

Lumen كلمة لاتينية معناها الضوء سموا بها واحدة اتخذوها لقياس شدة الضوء فترجمتها (بالضوي) و Lux كلمة لاتينية معناها النور سموا بها واحدة اتخذوها لقياس درجة تنور الاشياء بالضوء فترجمتها (بالنوير) ولا يسع المقام هنا تعريف هاتين الواحدتين .

١٠ — [Erg — عُمَيلة]

Erg كلمة مأخوذة من Ergon اليونانية ومعناها السعي اتخذوها لقياس مايقال له في علم المكانيك (العمل المكانيكي) فسميت هذه الواحدة (عُمَيلة) جرياً على القاعدة التي قدمت بيانها .

١١ — [Loupe — مكبِّرة]

١٢ — [Microecope — جاهرة]

١٣ — [Ultra - microscope — جهّارة]

(١) راجع الكلمة رقم ٢

[نظّارة — Lunette]
١٤ — [راصدة — Télescope]
[مصوِّرة — Photographe]

Microscope كلمة مؤلفة من الصدر Micro وهو يفيد جزءًا من الف الف جزء من المتر او Micros بمعنى (صغير) ومن Scope وهي مشتقة من Skopein اليونانية ومعناها (فحص) فيكون المعنى «آلة صالحة لفحص الاشياء الدقيقة» فترجمتها (بالجاهرة) بمعنى (كاشفة) من جهر الشيء اذا كشفه وفي الحقيقة ان الآلة المذكورة تكشف ما لا تستطيع العين ان تراه من دقائق الاشياء وقد ترجم بعضهم مكرسكوب بالمجهر (بكسر الميم على صيغة اسم الآلة) مع ان اسم الآلة سماعي لا يسوغ لنا ان نبني على أوزانه اللهم الا بالتواطوء كما قدمت ذلك في اول المقال .

ومما يحسّن لنا ترجمة مكرسكوب بالجاهرة دون المجهر كون المجهر له معان في اللغة العربية « فالمجهر من الكلام والصوت : الجهير ويقال رجل مجهر اذا كان من عادته ان يجهر بكلامه » فلا يخفى ما في استعمال المجهر بمعنى (مكرسكوب) من الالتباس بين هذه المعاني وزد على ذلك انه اذا ترجمنا Microscope بالجاهرة تسنى لنا ان نترجم Ulta-microscopc بالجهّارة (بصيغة المبالغة) وهي آلة تكشف ما لا تستطيع الجاهرة ان تكشفه من دقائق الاشياء فما أجمل المناسبة التي بين اللفظين العربيين (جاهرة وجهارة) بالنظر الى اللفظين الافرنجيين Microscope و Ulta - microscope ولولا هذه المناسبة بين الصيغتين العربيتين لحرنا بماذا نترجم اللفظ الثاني ومعناه «ماوراء الجاهرة» .

[العينية — Oculaire]
١٥— [الجرمية — Objectif]

للجاهرة عدستان مكبرتان احداهما مايضع الناظر عينه عليها فيقال لها عينية ترجمةً لـ Oculaire والثانية التي توجه الى المادة المفحوصة ، وقد عبّرت عن هذه المادة بالجرم ترجمةً لـ Objet وان لم تكن ترجمة حرفية غير ان قلة استعمال لفظ الجرم تساعد على ان يجعل له شبه تخصيص بالمادة التي تفحص بالجاهرة اوغيرها من الآلات البصرية وكان الحق

ان يترجم Objet بالشخص لانه ضد الخيال غير ان كثرة استعمال الشخص لا سيما في غير معناه الاصلي لاتساعد على التخصيص المذكور وعلى ذلك ترجمت Objectif بالجرمية ٠

١٦ — [Revolver — دوّارة]

في الجاهرة آلة يعلّق بها بضع جرميات فتدار على محورها لتجعل الجرمية المراد استعمالها امام الجرم المفحوص فتشبيهاً لها بالآلة التي تبدّل فيها القذائف في المسدسات سموها Revolver فترجمتها بالدوارة لدورانها على محورها ولاشتقاقها من Eo revolve الانكليزية ومعناها قلَبَ ولَفّتَ ٠

[Lame — الصفيحة]
١٧— [Lamelle — القَراشة]

يجعل الجرم المراد فحصه بالجاهرة على صفيحة رقيقة من زجاج ثم يستر بصفيحة أخرى من زجاج أرق من الاولى كثيراً فالاولى معروفة «بالصفيحة» ترجمة لـ Lame اما Lamelle فكان حقها ان نترجم «بالصُفَيحة» بصيغة التصغير لكن مشابهتها للاولى في الرسم تؤدي الى الالتباس فاضطررت الى ترجمتها بالقَراشة (بفتح الفاء وتخفيف الراء) وهي في الأصل كل رقيق من عظم أوحديد ٠

١٨ — [Diaphragme — الحِظار]

في الجاهرة تحت عدستها الجرمية صفيحة مستديرة في وسطها ثقبة لتحديد حزمة أشعة الضوء التي ترد على الجرمية فسموا هذه الصفيحة Diaphragme من كلمة يونانية Diaphragma ومعناها الحجاب فترجمتها بالحظار (بالكسر) وهو كل شيءٍ حجز بين شيئين وانما رجحت الحظار على الحجاب ليكون أقرب الى التخصيص بالصفيحة المذكورة لانه أقل استعمالاً من الحجاب ٠

[Alcool — الغَوْل]

Alcool كلمة تستعمل بمعنى ما يستقطر من الخمر وتعبر عنه العامة بالاسبرتو ووجود الالف واللام في صدر كلمة Alcool يدل على انها عربية الاصل لكنه قد تضاربت الآراء في أصلها فمن قائل كحل أوكحول ومن قائل كؤول أو كهول أو قلي الى غير ذلك ، اما الكحل فليس من وجه شبه بينه وبين المائع المبحوث فيه إذ ان الاول جامد والثاني مائع والاول

أسود والثاني بلالون اللهم الا اذا قلت انالأصل كُحيل (بضم ففتح) وهوالنفط « زيت الكاز » فهو يشبه الاسبرتو في أمرين : السائلية وسرعة الاحتراق . وأما كؤول فأقرب لفظ عربي اليه الكؤولة ومعناها أن يشتري الرجل أوأن يبيع ديناً له على رجل بدين لذلك الرجل على آخر وهذا المعنى ايضاً لاعلاقة له بمعنى Alcool ، وأما كهول فمعناه ان يصير الرجل كهلاً وهذا ايضاً بعيد عما نبحث فيه ، وكذلك لم أر مناسبة بين الاسبرتو وبين القلي والحاصل اني لم أجد لفظاً أوفق للمطلوب من الغول (بفتح الغين) من غاله يغوله اذا ذهب بعقله أوبصحة بدنه ، ولاجرم أن الاسبرتو يذهب بعقل شاربه وبصحة بدنه وتسميته بالمصدر للمبالغة لانه هومادة الإسكار في كل شراب مسكر ، وقد جاء في القرآن الكريم « لا فيها غول ولا هم عنها يُنزَفون » أي ليس في كأس الشراب التي يطاف بها على أهل الجنة خمار يغتال عقولهم ولا يصدرون عنها سكارى .

١٩	Rayon	شعاع
	Radiation	شعاعة
	Rayonement	اشعاع او تشعشع
٢٠	Vecteur	شُعّ
٢١	Radiant	مُشِعّ
٢٢	Radiateur	مُشِعّة
٢٣	Roue	شعيع

الشعاع ضوء الشمس الذي تراه كأنه حبال مقبلة عليك وفي الاصطلاح الشعاع الخط الهندسي الذي ينتشر عليه الضوء افرنسيته Rayon وقد دل علم الطبيعة على ان شعاع الضوء الابيض ليس بسيطاً بل هو مؤلف من ألوان لاتحصى أشهرها سبعة معلومة في ذلك العلم فسموا كل لون منها Radiation فترجمتها بالشعاعة لان الشعاعة واحدة الشعاع .

وأما Vecteur فهي كلمة اصطلحوا بها في علم الهندسة على كل خط ممتد بين محرق الشكل الدوراني [كالقطع الناقص والقطع الزائد] وبين محيطه ومعنى Vecteur الشعاع ايضاً فترجمته بالشُعّ [بضم الشين وتشديد العين] لانه بمعنى الشعاع .

وأما Radiant فهو من مقاييس محيط الدائرة في علم الهندسة ترجمته بالمُشِعّ .

وأما كلمة Radiateur فقدعبروا بها عن آلة تستعمل لتدفئة المكان بهواء حار يجري فيها فترجمتها بالمُشِعّة لان هذه الآلة تنشر حرارتها كما تنشر الشمس أشعتها .

وأما Rone — وهو ماتُرجم بالدولاب أو بالعجلة — فأرى الافضل ان يترجم بالشعيع وهو في اللغة العجلة لاسيما وان قضبانه تكون ممتدة من وسطه الى محيطه كالأشعة .

٢٤ — [Incandescence — التوهّج]

٢٥ — [Luminescence — التلألؤ]

٢٦ — [Phosphorescence — البصيص]

٢٧ — [Fluorescence — البريق]

يصطلحون بـ Incandescence على إضاءة الشيء ساخناً وبـ Luminescence على إضاءته بارداً وبـ Phosphorescence على نشره أشعة في الظلام وبـ Fluorescence على نشره أشعة في الضوء وهو ينار فخصصت التوهج بالحالة الاولى والتلألؤ بالحالة الثانية والبصيص بالحالة الثالثة والبريق بالحالة الرابعة .

٢٨ — [Projecteur — النوّارة]

٢٩ — [Projecteur — المُوقِعة]

يعبر الافرنسيون بكلمة Projecteur عن آلتين مختلفتين في الشكل وفي الاستعمال وكان الأجدر ان يعبروا عن كل منهما بلفظ خاص به . أما الاولى فتستعمل لاجل إنارة المواضع البعيدة وتبادل اشارات المخاطبة بتقطيع الضوء بفترات معينة فسميتها بالنوّارة (بالتشديد) لشدة نورها ولقوة ارسالها أشعة الضوء الى بعد شاسع . وأما الثانية فهي تستعمل في إيقاع الأخيلة[1] على ستار ابيض في غرفة مظلمة كإيقاع الصور المتحركة[2] وغيرها فسميتها بالموقعة (بضم الميم وكسر القاف) ويقال لها « الفانوس السحري » .

« للبحث صلة »

الطبيب : محمد جميل الخاني

(١) الأخيلة جمع خيال وأما خيالات فجمع خيالة . (٢) سينما .

الف ليلة وليلة

تاريخ حياتها

—()—

« المحاضرة الثانية »

ليس من اليسير على الباحث الكشف عن حقيقة كتاب كألف ليلة وليلة أصله مفقود ، ومؤلفه مجهول ، وزمان وضعه مبهم ، ومكان حوادثه مشتبه ، لاننا اذا فزعنا الى التاريخ نسأله قال : إن ما يتصل بالأقاصيص والأساطير كان خارجاً بطبيعته عن اختصاص الاديب ومنهاج المؤرخ ، واذا رجعنا الى نص الكتاب ندرسه لنتبين من لغته وأسلوبه وأسماء أبطاله ومواطن رجاله وعقائد أهله — نصيب كل جنس وجيل في تكوينه وجدناه من هذه الجهة ضعيف الحجة خادع الرأي قليل الغناء ، لان كثيراً من النساخين والقصاصين في البلاد المختلفة قد اعتوروه فنقلوه على وفق لهجاتهم ، وعبثوا به على مقتضى شهواتهم ، حتى لا تجد نسختين منه تتفقان لا في الترتيب ولا في النص . ففي حكاية البنات مع الحمال والصعاليك الثلاثة مثلاً يقول الصعلوك الثاني : انه قرأ القرآن بالروايات السبع وحفظ الشاطبية ، والشاطبية في علم القراآت كالألفية في علم النحو ، وفي بعض النسخ لا يذكر الشاطبية ويكتفي بذكر الروايات السبع . فلو ان ذكر الشاطبية كان عاماً في جميع النسخ لحكمنا بان هذه الحكاية كتبت بعد سنة ٥٩٠ وهي السنة التي توفي فيها الشاطبي . وفي حكاية مزين بغداد يذكر المزين الفيلسوف سنة ٧٦٣ في نسخة وسنة ٦٥٣ في نسخة أخرى ، فعلى اي الرقمين نعتمد في تاريخ هذه الحكاية ؟ إذن لم يبق للباحث غير الاعتماد على النقد المبني على تاريخ الحضارات المقارن وعلى ما بقي في الكتاب من صور الاساليب ورسوم التقاليد التي لم يشوهها الناسخ ولم يعف عليها الزمن .

كان أول من ذكر الف ليلة من المؤرخين علي بن الحسين المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ في كتابه مروج الذهب فقد قال حين عرض لأخبار إرم ذات العماد « ان هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب من الملوك برواياتها وان سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية (وفي رواية أخرى الفلهوية بدل الهندية) مثل كتاب هزار أفسانه ، وتفسير ذلك بالفارسية خرافة ويقال لها (أفسانه) . والناس يسمون هذا الكتاب الف ليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها شهرزاد ودنيا زاد » ثم جاء بعده محمد بن اسحق المعروف بابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ فقال في الفهرست: « اول من صنف الخرافات وجعل لها كتبًا وأودعها الخزائن الفرس الاول ، ثم أغرق في ذلك ملوك الاشغانية وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس ونقلته العرب الى اللغة العربية وتناوله الفصحاء والبلغاء فهذبوه ونمقوه وصنفوا في معناه ما يشبهه ، فأول كتاب عمل في هذا المعنى كتاب هزار أفسانه ومعناه الف خرافة .

وكان السبب في ذلك أن ملكاً من ملوكهم كان اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد فتزوج بجارية من أولاد الملوك لها عقل ودراية يقال لها شهرزاد ، فلما حصلت معه ابتدأت تخرفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على إستبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى أن أتى عليها الف ليلة ٠٠٠٠ رُزقت في اثنائها منه ولداً أظهرته وأوقفت الملك على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها ، وكان للملك قهرمانة يقال لها دنيا زاد فكانت موافقة لها على ذلك . وقد قيل ان هذا الكتاب ألف لحميا ابنة بهمن » .

ثم قال ابن النديم في موضع آخر : « والصحيح ان شاء الله ان اول من سمر بالليل الاسكندر وكان له قوم يضحكونه ويُخرّفونه لا يريد بذلك اللذة وانما كان يريد الحفظ والحرس ، واستعمل لذلك بعده الملوك هزار افسانه ويحتوي على الف ليلة وعلى دون المائتي سمر لان السمر ربما حدث به في عدة ليال . وقد رأيته بتمامه دفعات ، وهو بالحقيقة كتاب غث بارد الحديث » .

فالرجلان كما ترون متفقان على ان الكتاب منقول عن هزار افسانه الفارسي وانه موضوع في خبر الملك والجاريتين شهرزاد ودنيازاد وان اسمه في عصرهما كان الف ليلة لا الف

ليلة وليلة « ولا عبرة بمجيء اسم الكتاب كاملاً في الطبعة الحديثة المصرية لمروج الذهب فان ذلك من زيادة المصحح » . ويختلفان في نسب البنت والجارية فيقول المسعودي ان شهرزاد بنت الوزير ودنيازاد جاريتها وهو الصحيح ، ويقول ابن النديم ان شهرزاد من أولاد الملوك وان دنيازاد قهرمانة الملك ، ويزيد ان الكتاب يحتوي على الف ليلة وعلى دون المائتي سمر وانه ألف لحميا أو هميا أو حماني أو حمانة أو جمانة أو خماني على اختلاف الروايات وهي بنت الملك بهمن بن اسفنديار .

هاتان هما الوثيقتان الخطيرتان في تاريخ هذا الكتاب ولا يوجد غيرهما فيما نشر علينا من كتب مؤرخينا القدماء اللهم الا إشارة الى وثيقة ثالثة مفقودة نقل عنها المقريزي في الخطط والمقري في نفح الطيب وعزواها لمؤرخ مصري اسمه القرطي الف كتاباً في تاريخ مصر على عهد الخليفة العاضد الفاطمي ذكر فيه الف ليلة وليلة وقايس بين قصصه وبين ما يتداوله الناس في عصره من الحكايات المشهورة . وفي هذا دليل على ان الكتاب على أي صورة من الصور كان معروفاً في مصر على عهد الفاطميين ، وان اسمه كان إذ ذاك الف ليلة وليلة ، وان عنصراً من القصص العربي قد دخل في هيكله . ثم تجاهله بعدئذ ادباؤنا ومؤرخونا فلم يحققوا مصدره ، ولم يسجلوا نموه وتطوره ، حتى جاء رأس المستشرقين البارون سلفستر دساسي ، فبدأ البحث العلمي في أصله بمقالين نشرهما في جريدة العلماء Journal des savants أولهما في سنة ١٨١٧ والآخر بعده باحدى عشرة سنة . وجملة رأيه أن الكتاب تأليف جماعة لا تأليف واحد ، وانه مؤلف في العهد الاخير ، وانه عربي الوضع من فاتحته الى خاتمته ، ودفع قول المسعودي ان فيه عناصر أجنبية من الهندية أو الفارسية . فناقش أدلته قوم آخرون أشهرهم الاستاذ (يوسف فون هامر) الالماني فقد نشر في سنة ١٨١٩ مقالاً في احدى المجلات الالمانية ، وفي سنة ١٨٢٣ مقالاً آخر في المجلة الاسيوية أيد فيهما رأي المسعودي تأييداً لا سبيل عليه لآخذ . وفي سنة ١٨٣٩ ترجم الاستاذ (وليم لين) الانجليزي قسماً من الف ليلة وليلة وقدم له مقدمة حاول ان يثبت فيها ان الكتاب تأليف رجل واحد وانه ألف فيما بين سنتي ١٤٧٥ و ١٥٢٥ للميلاد . ثم استأنف هذا البحث في هذا العصر طائفة من ثقات العلماء أشهرهم : كوجي ومولر ونولدكي واوستروب وكريمسكي وشوفان وكارادفو ، فاستجلوا على قدر إمكانهم ما غمض من أصل هذا الكتاب حتى أصبح

من الممكن بعد تمحيص ما قالوه وتصحيح ماجهلوه أن نثبت في هذا الأصل رأياً يقارب الصواب ان لم يكنه ٠

[أصل الكتاب وطبقاته] — أصل هذا الكتاب نواة من الأقاصيص الهندية والفارسية تسمى هزارافسانه ترجم الى العربية من الفهلوية في أواخر القرن الثالث للهجرة بعنوان « الف ليلة » وهو الذي رآه المسعودي وانتقده ابن النديم ٠ ثم تجمع حول هذه النواة في الازمنة الواقعة بين القرن الرابع والقرن العاشر من الهجرة طبقتان طبقة بغدادية صغيرة وطبقة مصرية كبيرة ٠ فأما النواة او الأصل او الاطار كما يسميه الباحثون فمؤلف من الحكايات الباقية الآتية : حكاية الملك شهريار وأخيه شاه زمان وهي مقدمة الكتاب وحكاية التاجر والجني ، وحكاية الصياد والجني ، وحكاية حسن البصرى ، وحكاية الحصان الآبنوس ، وحكاية الامير باسم وجوهر السمندلية ، وحكاية أردشير وحياة النفوس ، وحكاية قمر الزمان بن الملك شهرمان والأميرة بدور ، وحكاية سيف الملوك وبديعة الجمال ٠

وقد اختلفت كلمة الباحثين في أصل هذا الأصل كما ألمعنا الى ذلك من قبل ، ففريق يرى ورأيه الأرجح ان المقدمة وبعض حكايات الاصل هندية ويبني هذا الرأي على المشابهة في الموضوع والطريقة والأسلوب ، فأما المشابهة والموضوع فان في حكاية الملك شهريار واخيه مشابه من « كثاسارت ساجارا » الهندية ٠ وأما المشابهة في الطريقة فان إدماج حكاية في حكاية وتوليد قصة من أخرى احدى خصائص الأدب القصصي الهندي وهي ملحوظة في قصة (مهابهاراته) و (بنجه تنتري) اصل كليلة ودمنة ، لان الباعث الاول على القصص في أدب الهند كان ابتناء الفرصة واكتساب الوقت حتى يؤفك المتهور عن عزمه ، ويحجز المتسرع عن وجهه ، كما فعل الببغاء مثلاً مع زوجة صاحبه في حكاية (سوكاسابتاتي) فقد كان يقص عليها كل يوم أحسن القصص ليعوقها بلهو الحديث عن زيارة خليلها في غيبة حليلها ويقطع حديثها دائماً بقوله : سأقص عليك البقية غداً اذا بقيت في البيت ٠ وهذه الطريقة وذلك الباعث نجدهما في كثير من حكايات الف ليلة وليلة فلا نزاع إذن في انها هندية ٠ وأما المشابهة في الأسلوب فان من لوازم القاص الهندي ان يقول : لا تفعل ذلك وإلا أصابك ما أصاب فلاناً فيسأله السامع وكيف ذلك فيجيب القاص على هذا السؤال برواية

القصة . وهذا الأسلوب نفسه مستعمل في تلك الحكايات من الف ليلة ، وقولهم فيها و كيف ذلك ؟ ترجمة حرفية لهذه الجملة السنسكريتية (كاثام إتات) ثم يمضي هذا الفريق في تطبيق نظريته على بعض الحكايات وينتهي الى ان هناك طائفة من الأقاصيص لاشك في انها فارسية وهي حكاية الحصان الآبنوس وحكاية حسن البصري وحكاية سيف الملوك وبديعة الجمال وحكاية قمر الزمان والاميرة بدور وحكاية بدر باسم والاميرة جوهر السمندلية وحكاية أردشير وحياة النفوس .

وفريق آخر يرى ان الأصل كله فارسي تأثر بالعقائد اليهودية والإغريقية والاسلامية ويريد أحدهم وهو الاستاذ كوچي ان يجعل بين هيكل الف ليلة وليلة وبين قصة استر اليهودية صلة ونسبة . ذلك لان ابن النديم في الفهرست يقول ان هزارافسانه أُلف لحميا بنت بهمن ، والطبري يقول ان استر هي زوج بهمن ، والمسعودي يجعل استر زوجة لبختنصر ويسميها دنيازاد ، ثم يطلق اسم شهرزاد ايضاً على أم حميا بنت بهمن اي على زوجة بهمن وهي التي سماها الطبري استر . ويقول المسعودي ايضاً في موضع آخر ان أم حميا يهودية ، ويعود الفردوسي والطبري والمسعودي فيطلقون اسم شهرزاد على حميا نفسها وهي بنت الملك بهمن وزوجه على عادة الفرس الاولين . أما وجه الشبه بين قصة استر المذكورة في التوراة وبين مقدمة الف ليلة فهو أن الملك أسريوس كان كالملك شهريار لا يرى المرأة الا ليلة واحدة ، فتزف اليه البكر مساء ليطردها من قصره صباحاً دون ان يقتلها كما يفعل شهريار واستر كانت كشهرزاد تستهوي الملك وتخلب لبه فيستبقيها ، وهي بنت الوزير وشهرزاد بنت الوزير ، وهي تغرر بنفسها لتنقذ بنات جنسها من شر الفضيحة والذل ، وشهرزاد تفعل ذلك الفعل لتدرأ عن بنات قومها خطر السباء والقتل .

أما علة هذه الآراء المتناكرة التي تجعل هذا الاصل عربياً بحتاً اوفارسياً بحتاً اوهندياً مشوباً — فهي ان القصاص العرب قد عبثوا به عبثاً شديداً فبدلوا أسماءه وغيروا أسلوبه وموهوا لونه واخترعوا بعضه وطبعوه بطابع اسلامي محض ثم بعثروه في جوانب الكتاب وثنايا القصص حتى التاث على المقاييس الفنية فرزه وتحديده .

واما الطبقة البغدادية فتتألف من أقاصيص غرامية صغيرة انتزعت من حياة العرب واتسمت بسمة الاسلام وفاضت بنعيم الحب والترف . تمثل حياة الطبقة الوسطى باسلوب

صحيح عذب وتصور حضارة بغداد في ايام العروس[1] بخيال قوي خصب ، وتشهدكم سورة الغنى في الأسواق ، وضجة الغلمان في الافنية ، وقصف الجوازي في المقاصير ، ومداعبة الزوارق اللاهية في دجلة ، وتجعل من الخليفة الرشيد ملاك رحمة ورسول عناية يجيء متنكراً وظاهراً في كل مكان بالثروة للمحروم والعدل للمظلوم والوصل للعاشق البائس .
ولا أقصد بذلك الى أن كل حكاية يتدخل فيها الرشيد تكون بغدادية ، فان افتتان الناس بمجده ، وازدهار العراق في عهده ، جعلاه رمزاً للرخاء والعدل حتى في زمن غير زمنه ووطن غير وطنه .

تجمعت هذه الطبقة في مدى القرنين الرابع والخامس مما أثر عن الرواة ودون في الكتب مستقلاً وغير مستقل . فهي على ما أرجح بقايا القصص التي نشرها الادباء البغداديون ثم طواها الزمن ، وقد عد ابن النديم في الفهرست عشرات منها كقصة علي بن اديم ومنهلة ، وقصة عمرو بن صالح وقصاف ، وقصة ابي العتاهية وعتب ، وقصة وضاح وأم البنين ، وقصة احمد بن قتيبة وبانوحة ، وقصة ريحانة وقرنفل وقصة سكينة و لرباب الخ ...

وأشهر حكايات هذه الطبقة حكاية علي بن بكار وشمس النهار ، وهي قصة شهيدين من شهداء الحب تشعر النفوس حرقة الأسى على جدهما العاثر ونهايتهما المحزنة ، وقد صيغت في أسلوب رقيق وعبارة مهذبة واشتملت على نوع من الأدب يكاد يخلو منه أدب الخاصة وهو الرسائل الغرامية التي تجري بين العاشقين اذا عز اللقاء وعيل الصبر . ثم حكاية أنس الوجود وورد الأكمام وهي قطعة حب وشعر وغزل . تجدون من فيها : اما محباً أو حبيباً أو واصلاً بينهما ، والشعر الذي تضمنته انما أنشئ لها خاصة فهو مطابق لمقتضى أحوالها ، مشتمل على أسماء أبطالها ، وذلك قليل في سائر الكتاب كقوله من أبيات :

ماخاب من سماك أنس الوجود   يا جامعاً ما بين أنس وجود
يا طلعة البدر الذي وجهه   قد نور الدنيا وعم الوجود

ثم حكاية البنات الثلاث مع الحمال والصعاليك الثلاثة . ثم حكاية النائم اليقظان أو أبي الحسن الخليع . ثم حكاية بدور وجبير بن عمير الشيباني . ثم حكاية الرشيد مع الخليفة الثاني محمد بن علي الجوهري . ثم حكاية المعتضد مع ابي الحسن الخراساني وهي تدور

(١) ايام العروس اسم كان يطلقه البغداديون على عصر الرشيد . (المسعودي)

على السرف والترف والحب وتقص علينا مصرع المتوكل · ثم حكاية الشاب البغدادي مع جاريته · ثم حكاية الجواري الضرائر · ثم حكايات السندباد البحري وهي وصف جذاب شائق لسبع سفرات مخطرات في مياه الهند والصين قام بهن السندباد في عهد بلغت فيه بغداد والبصرة غاية لم تدركه يومئذ في العمران والعظمة ·

ومما لاجدال فيه أنها كانت في الاصل رحلة حقيقية شوهها الناس بالمبالغة ، وزيفها القصاص بالافتعال والتزيد ، ولعل صاحبها هو الذي نحا بها هذا المنحى من الاغراب كما فعل بزرك بن شهريار في كتابه عجائب الهند · فلو صفيتناها من سخف الأساطير وصرف الحديث كالسمكة العملاق التي يظنها الملاحون جزيرة ، وبيضة الرخ التي يحسبها الراؤن قبة إذن لتكشفت عن تفاصيل دقيقة تطابق ما كتبه الرحالون في هذا الموضوع كوصف جزر المهراجا أو المهرجان كما يسميه السندباد ، والبحث عن الماس بواسطة النسور في سيلان ، وماذكر عن الفيل والكركدن وشجر الكافور وتجارة القرنفل الخ ···

وأصدق ما في حكايات السندباد تصويرها لنفسية الرحالة الذي يشغف قلبه حب الأسفار ومصارعة الأخطار وجهاً لوجه ، فهو في كل سفرة يخوض غمرات الهول ويكابد غصص الغرق ويأخذ على نفسه الموثق الغليظ الا يزمع رحلةً بعد هذه المرة · فاذا ما عاد سالماً غانماً الى دياره ، ونعم حيناً بالعيش الرخي بين ندماه وسماره ، عاده الوله الشديد الى البحر الغادر ، ونازعته نفسه الطلعة الى الأفق البعيد ، فيجتوي الراحة ، ويعاف النعيم ، ويبتاع البضائع ، ويكتري السفينة ، ثم يقلع من البصرة !!

واما الطبقة المصرية فهي أوسع الطبقات وأجمعها وأصلحها للبحث وأصدقها في اللهجة وأقلها في البلاغة · تألفت في مدى خمسة قرون بين القرن الخامس والقرن العاشر من القصص العربية والتقاليد الاسلامية والسير اليهودية والاساطير الفرعونية · وقد قسمتها حين حللتها الى طبقتين قديمة تنتهي بالقرن الثامن وحديثة تنتهي بالقرن العاشر · فالطبقة القديمة حسنة الأسلوب مطردة السياق شريفة الغرض تدور على المغامرة والحرب ، وتعارض الأخلاق وتضارب العواطف ، وتعتمد على الطلاسم والأرصاد والجن والسحر والقدر كحكاية جودر التاجر وإخوته ، وحكاية الوزيرين نور الدين وشمس الدين ، وحكاية مسرور وزين المواصف ، وحكاية قمر الزمان الثانية ، وحكاية الخياط والأحدب ، وحكاية مزين

بغداد وهي قطعة فنية قوية رائعة ، ثم حكاية علي شار او بشار مع زمرد . والطبقة الحديثة على الجملة عامية اللغة ركيكة الأسلوب جريئة العبارة تدور تارة على حيل المحتالين ومكايد العيارين ومخاطر اللصوص ، وتارة على تصوير الأخلاق وتذكير النفوس الغافلة بالعبر . وظهور القصص المحتال الشاطر بجانب القصص المتصوف الزاهد في هذه الطبقة — إنما اقتضته طبيعة المجتمع المصري يومئذ من التجاء فريق من الناس الى الله وانصراف فريق آخر الى الشيطان . وقد كان من الممكن ان تبدو هذه الظاهرة ايضاً في قصص بغداد لولا ان مغامرات اللهو والحب فيها قد غلبت في نفوس القصصيين على كل شيء وهم الى ذلك كتاب يتأبهون عن حياة العامة . فقد كان في بغداد على عهد الخليفة المعتضد بالله رجل اسمه العقاب وكنيته ابو الباز شهر بالكيد والحيلة حتى قال فيه المسعودي في الجزء الثاني من مروج الذهب ص٤٧٩ من طبعة مصر « أنه برز في مكائده وماأورده من حيله على دالة المحتالة وغيرها من سائر المكارين والمحتالين ممن سلف وخلف منهم » ثم ذكر بعض حوادثه وهي غريبة .

وكان في بغداد كما كان في القاهرة نظام (التوابين) وهم اللصوص الذين اذا أقعدهم الكبر عن السرقة تابوا ورسمهم الخليفة شيوخاً لأصناف اللصوص فاذا حدثت حادثة عرفوا فعل من هي . ذكر ذلك المسعودي ايضاً في ص٤٧٣ من الجزء نفسه وكانت بغداد والقاهرة تتبادلان هذا الصنف من الزعماء والشيوخ كما يقصه علينا الف ليلة وليلة .

تأثر القصاصون المصريون في حكايات الحيل إذن بطبيعة العمران فضلاً عن تأثرهم بما بقي مذكوراً على بعض الألسنة من أساطير العهود الفرعونية ، فان قصة علي بابا واللصوص الاربعين مثلاً تشبه قصة وردت في (كتاب الأقاصيص الشعبية في مصر القديمة) لكبير الأثريين الاستاذ (ماسبيرو) . ثم تأثروا في أقاصيص العبر والعظات بالاسرائيليات كحكاية مدينة النحاس وقصة حاسب كريم الدين وبلوقيا وجانشاه ، وذلك مادعا الاستاذ (فكتور شوفان) الى ان يقول ان القصص المصرية الاخيرة إنما وضعها يهودي مصري أسلم ، وذلك بالطبع وهم من الاستاذ لان علم العرب بالاسرائيليات منذ ظهر الاسلام لايقل عن علم اليهود بها .

وأشهر أقاصيص هذه الطبقة حكاية علي بابا واللصوص الاربعين ، وحكاية علاء الدين

ابي الشامات والمصباح العجيب ، وهي التي اقتبسوا منهـا لص بغداد للسينما ، ثم حكاية معروف الاسكاف ، وحكاية ابي قير وابي صير ، وقصة حاسب كريم الدين وملكة الحيات وقصة مدينة النحاس ، وحكايات احمد الدنف وحسن شومان وعلي الزيبق ودليلة المحتالة وزينب النصابة ، وحكاية الملك الناصر والولاة الثلاثة ، وحكاية الرجل الصعيدي وامرأته الافرنكية .

وفوق هذه الطبقات الثلاث أو الاربع تراكم في العصور الحديثة عدد من القصص الكبيرة والأقاصيص الصغيرة ليبلغ الكتاب الغاية التي حددها له اسمه . وفي هذه الزيادة تختلف النسخ اختلافاً شديداً . من تلك القصص طائفة حائلة اللون من أثر التقليد كقصة عجيب وغريب وسمير الليل وهي من قصص البطولة والحرب تستعير وقائعها في العراق بين العرب والعجم أو بين دين الحنيفية والمجوسية ، وتستعير صورها من قصة عنترة وسيرة ابن ذي يزن ، ثم قصة عمر النعمان وأولاده وهي مضروبة على قالب أردشير وحياة النفوس ، ثم قصة تاج الملوك والاميرة دنيا وهي كسابقتها تقليد لقصة أردشير ، ثم حكاية جانشاه وهي تقليد سخيف لحكاية حسن البصري ، ثم حكاية وردخان والملك جليعاد وهي ملفقة من أمثال كليلة ودمنة .

وطائفة أخرى يغلب فيها أثر التجديد كحكاية هكتار الحكيم ، وأقصوصة شول وشمول ، وحكاية الجارية تودد وهي حكاية ثقافية تعليمية كتبها فقيه مصري في العهد الأخير على الرغم من وقوع الحادثة ببغداد ، وقيام المناظرة برياسة النظام المتكلم في مجلس الرشيد ، فان الجارية كانت تجيب السائل في الفقه على المذهب الشافعي وتصرح بذلك ، وتذكر في التقويم الزراعي الشهور القبطية ككيهك وبرموده وبشنس ومسرى وأمشير ، ثم تقول في حضرة الرشيد : الويل ثم الويل لمصر والشام من جور السلطان . ومن الغريب ان الاستاذ اوستروب يقول في دائرة المعارف الاسلامية ان هذه القصة نشرت في اسبانيا بعنوان (لادون زلا تيودور) أو تودور . ويظن ان تودد تصحيف تودور . ولم يتح لي الاطلاع على هذه القصة لارى كيف تتفق مع قصة كل مافيها مناظرة في علوم الثقافة الاسلامية البحتة .

وهناك عدا ماذكرت مجموعة من أقاصيص الفرسان والأجواد ونوادر الاولياء والزهاد

نقلت من العقد الفريد والمستطرف وعروس المجالس ومناقب الصالحين لم يقصد بها الا توسيع الكتاب .

[مؤلف الكتاب وزمن تأليفه وسبب تسميته] — ذهبت جهود الباحثين باطلاً في تحقيق هوية المؤلف ، لان هزارافسانه نقل الى العربية غفلاً لم يسم واضعه ، ثم غشيته الطبقتان البغدادية والمصرية على التدريج ، فكان كل قصاص يكتتب لنفسه ماسمع وجمع في عصره من ثمرات القرائح وقطرات الأقلام دون ان يسندها الى راو اويعزوها الى مؤلف . ولماذا يفعل ذلك وهو يريد ان يحفظ ويقص لا أن يروي وينشر ! فلما هيأت الاحوال أسباب تدوينها في العهد الذي ذكرته قيض الله لها من ضم شتات الفتها ونسق نظام وحدتها ثم دونها على هذه الصورة . ولم يستطع ذلك الجندي المجهول ان يلي اسمه على الخلود ، إما لتواضع فيه حمله على إنكار ذاته ، وإما لتواطوء من النكران والنسيان أمات اسمه بعد مماته ، ومن التوافق الغريب ان أسماء الكتاب الذين وضعوا القصص الفرنسوية الكبيرة في العهد الذي دون فيه الف ليلة وليلة قد سحب النسيان عليها ذيله كذلك ، كأغاني رولان وقصص المائدة المستديرة وقصص الحكماء السبعة مثلاً .

وقد اختلف العلماء في أن يكون المؤلف واحداً أوجماعة ولست أرى لهذا الخلاف وجهاً فان الكتاب تكون على اليقين من أعمال مستقلة ثم نما بالاتفاق على توالي الحقب ، فوضعه وتكوينه إذن عمل جمع ، وجمعه وتدوينه عمل فرد ، وتحليله الى الاعمال الفردية المتعاقبة أمر فوق القدرة ومن وراء الإمكان . أما التاريخ الذي قر فيه على هذا الوضع الأخير فهو النصف الاول من القرن العاشر من تاريخنا ، ومن الممكن ان نحصر منه في السنوات العشر الواقعة بين سنتي ٩٢٣ و٩٣٣ وهما توافقان سنتي ١٥١٧ و١٥٢٦ من التاريخ المسيحي . وقد حصره الاستاذ وليم لين الانجليزي بين سنتي ١٤٧٥ و١٥٣٥ للميلاد اي في مدى خمسين سنة فوافقناه في الغاية وخالفناه في البدء ، ولم نر هذا الرأي اعتباطاً من جهة ، ولا استنباطاً من النص الظنين من جهة أخرى ، وانما اعتمدنا في تحقيقه على دليل مادي وهو ان الاستاذ الفرنسي (جلان) قد أخذ ينشر ترجمة الكتاب لبلاط الملك لويس الرابع عشر سنة ١٧٠٤ وقد نقله عن نسخة عربية مخطوطة في ثلاثة مجلدات أرسلت اليه من سورية بعد سنة ١٧٠٠ وهي مكتوبة بمصر غفلاً من التاريخ ، ولكن الذي نقلها الى الشام وهو من

طرابلس كتب عليها بخطه انه امتلكها سنة ٩٤٣ للهجرة ثم انتقلت من يده الى يد آخر من حلب فكتب عليها ايضاً تاريخ هذا الانتقال وهو سنة ١٠٠١ فيكون تأليف الكتاب إذن قد تم قبل سنة ٩٤٣ بزمن نقدره كما قدره (لين) بعشر سنين .

هذا من جهة الطرف الاعلى اما من جهة الطرف الادنى فانا نجد ذكر القهوة المعروفة يتردد في بعض الحكايات كحكاية ابي صير وابي قير وحكاية علي نورالدين ومريم الزنارية مثلاً وذلك لا يكون قبل العقد الاول من القرن العاشر لان القهوة لم تنتشر في الشرق الا في هذه المدة ، ثم نجد لفظ الباب العالي وبعض النظم العثمانية تذكر من حكايات أخرى كحكاية معروف الاسكاف وهي مصرية قطعاً والعثمانيون لم يستولوا على مصر قبل سنة ٩٢٣ فيكون الكتاب إذن قد دوّن بعد هذه السنة وقبل سنة ٩٣٣ .

ذلك تحقيق الزمن الذي صنف فيه الكتاب جملة ، اما تحديد التاريخ لكل حكاية وكل طبقة فذلك عمل ان تيسر في حكاية تعذر في أخرى ، وبعض الباحثين قد حاول ذلك في شيء من التوفيق كالاستاذ وليم بوير الامريكي فانه نشر سنة ١٩٢٤ بحثاً في ٤٤ صفحة من المجلة الاسيوية جزم فيه بان حكاية الوزيرين شمس الدين ونورالدين قد كتبت بعد حكم الظاهر بيبرس أي بعد سنة ٦٧٦ ويرجح انها كتبت سنة ٧٠٦ وان قصة الخياط والاحدب بما تشتمل عليه من الحكايات الاخرى كمزين بغداد قد أُلفت سنة ٨١٩ للهجرة والدخول في هذا الموضوع يخرج بنا الى التفصيل الذي يملّ في الروح ويخمد نشاط الحديث .

سمى العرب هزار افسانه الف ليلة ولو أرادوا الترجمة الامينة لقالوا الف خرافة أو أسطورة ، فعدولهم عن العنوان الصحيح يدلنا على أحد أمرين : إما ان الليلة كانت في اصطلاحهم ترادف الاسطورة باعتبارها زمناً لها وذلك ما نستطيع استنباطه من قول محمد ابن اسحق الوراق : « ابتدأ ابو عبدالله الجهشياري صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه الف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لا يتعلق بغيره وأحضر المسامرين فأخذ منهم أحسن مايعرفون ويحسنون ، واختار من الكتب المصنفة في الأسمار والخرافات مايحلى بنفسه .. فاجتمع له من ذلك اربعمائة ليلة وثمانون ليلة كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة وأقل وأكثر ، ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه من تتميمه الف سمر ... » وإما ان يكون عدد الالف في الاصل إنما أُريد به التكثير

لا التحديد على حد قوله تعالى : « ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » وأحر به ان يكون كذلك فان ابن النديم قد رآه بتمامه مراراً وقال ان فيه دون المائتي سمر وهو اليوم بطبقاته وزياداته واستطراداته لا يتجاوز ٢٦٤ حكاية قسمها المؤلف على الف ليلة وليلة تقسيماً فيه عبث الهزل أوسخف الصناعة فان شهرزاد يدركها الصباح دائماً ولما يمض على حديثها غير بضع دقائق على انه لم يبق مما رآه ابن النديم الا تلك الحكايات التي سردناها عندما تحدثنا عن الأصل ·

إما زيادة الليلة على الالف فمن عمل القرن السادس لان النسخة التي رآها القرطي بمصر على عهد الخليفة العاضد الفاطمي كانت تحمل اسم الف ليلة وليلة · ويقول (رجا ندمستر) في تعليل زيادة الليلة ان العرب يطيرون بالأعداد الزوجية وهو زعم غريب ما رأيت في تاريخنا ولا في أدبنا ما يؤيده · ولقد ظل الكتاب اكثر من قرنين يسمى الف ليلة وكان الجهشياري يريد أن يسمي كتابه الف سمر وعندنا الفية ابن معطي والفية ابن مالك ، وأغرب من هذا الزعم ان يؤيده اوستروب في دائرة المعارف ويزيد عليه ان ميل الناس في تلك العصور الى التسجيع في عناوين الكتب كان من البواعث ايضاً على هذه التسمية ! وليس في قولنا الف ليلة وليلة كما تعلمون تسجيع ولا مزاوجة · والغالب في رأيي أن الليلة انما زيدت فوق الالف لافادة الكمال كطفحة الإناء ورجحة الميزان ، لان الالف عدد تام بالنسبة الى هذا الكتاب فاذا زيد عليه الواحد كان كاملاً · والكمال درجة فوق التمام ، وان في لغة التخاطب ما يشبه ذلك فقد يقال في المن قضيت لك الف حاجة وحاجة وفي المبالغة زرتك الف مرة ومرة وهلم جراً ·

« للبحث صلة »

احمد حسن الزيات
عضو المجمع العلمي العربي

رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

—(ـ)—

تمهيد · — محمد ظلي افندي المعروف باوليا جلبي اي الولي الفاضل سائح تركي شهير من رجال القرن الحادي عشر الهجري (ولد في سنة ١٠٢٠ وتوفي في سنة ١٠٩٠) زار أكثر الامصار التي كانت تتألف منها السلطنة العثمانية المترامية الاطراف في ذلك العهد ووضع في وصف رحلاته العديدة بضعة مجلدات لم يطبع منها الا القليل وهي تعد عند الترك من الآثار القيمة لما تضمنته من بيان عمران البقاع والبلدان التي شاهدها ووصف مناظرها ومبانيها وأحوال سكانها وصفاً لا بأس فيه تتخلله طائفة من النبذ الجغرافية والتاريخية والاجتماعية لولا أن فيها شيئاً غير يسير من شوائب المبالغة والاحاديث الخرافية وذكر الاضرحة والكرامات التي كان يهتم الجلبي بها كثيراً شأن رجال تلك الايام ·

قيل ان اوليا جلبي لم يوفق في صباه في تلقي العلوم وان جمال صوته ساقه للولع بفنون الادب والموسيقى الى ان كان ذات يوم في رمضان سنة ١٠٤٥ يتلو القرآن في جامع اياصوفيا فأعجب السلطان مراد الرابع بصوته ورفعه الى قصره وجعله من ندمائه · الا أن تلك الابهة والنعمة اللتين صادفهما أوليا جلبي في القصر كانتا محاطتين بضروب التقييد والحصر · فلم تروقا لعينيه ولم تنفقا

مع خفته وظرفه وحبه للحرية والانطلاق وشغفه بالسفر وجوب الآفاق . فغادر القصر بعد مكوث سنتين وراح يجول في الامصار تارةً منفرداً وتارةً مع كبار الوزراء والقواد لاسيما مع خاله ملك احمد باشا احد صدور ذلك العهد البارزين . ورافق أهم الجيوش التي ساقتها الدولة العثمانية إذذاك في الشرق والغرب وحضر الحروب ووصفها وبهذا تسنى له ان يرى اكثر بلاد الاناضول والروم ايلي ووصل الى جزيرة كريت وجال ايضاً في أجزاء بعض ايران والقفقاس وجنوبي روسية ومولداويا وترانسلفانيا ودالماتزيا وهنغاريا والنمسا والمانيا وهولاندة .

وقد زار هذه البلاد الاوربية وهو في بطانة السفير العثماني المرسل الى هولاندة . ولم تفته من البلاد العربية الشام ومصر والحجاز . جاء مرة الى دمشق صحبة مرتضى باشا المعين نائباً على الشام وذهب مرة أخرى معه لما جرد جنده لجباية الاموال الاميرية من الدروز وغيرهم في جنوبي جبل لبنان وجبل الجليل وأرسله الباشا في غيرها بمهمة الى غزة فمر باكثر مدن الشام الشمالية والجنوبية وعرفها ووصفها . وقد استرعت رحلة هذا السائح التركي أنظار علماء المشرقيات في اوربا فترجموا منها مايختص ببلادهم الى اللغات الالمانية والانكليزية والمجرية . لذلك أحببت ان أحذو حذوهم فأنقل الى لغتنا وصف البلاد العربية التي زارها لحسباني ان في ذلك ما يفيد معرفته من الأوضاع الجغرافية والحالات الاجتماعية التي كانت قبل ثلاثة قرون . وقد تصرفت في عبارة الجلبي وحذفت منها مالبس في ذكره نفع وعلقت عليها نبذاً في ترجمة

الاشخاص وذكر أسماء المدن والقرى التي كانت في طريقه اوحولها مما فاته بيانه ووصفت منها بعض ماتسنى لي زيارته ورؤيته أوالعثور على ذكره في الكتب الجغرافية والتاريخية والرحلات القديمة والحديثة وعنيت بسرد الفرق بين حالتها حينما مر بها الجلبي وحالتها الحاضرة ليكون ذلك تكملة لهذه الرحلة واقتداء بما يكتبه مؤلفو كتب الأدلة للسائحين في بلادنا كايز امبر وشوفه ومونمارسه وبيديكر وغيرهم من أفاضل الفرنج الذين لم يقتف أثرهم احد من كتابنا بعد حتى أصبح هؤلاء الغربيون الغرباء يعرفون بلادنا ومسالكها وخططها ومصانعها وعادياتها وحالات أهلها وطبائعهم معرفة تامة ليس لأكثر مفكرينا نصيب منها وماذلك الا لوفرة ماعندهم من هذه الكتب وأشباهها وفقدانها لدينا بالكلية ·

وقبل الشروع بسرد الرحلة لابد من التنويه بان المحبي صاحب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر وقد ترجم كثيراً من فضلاء الترك وأعيانهم في ذلك العهد لم يذكر اسم أولياجلبي على الرغم من ان هذا جاء الشام وساح فيها ومكث في دمشق مدة ولم يترجم ايضاً مرتضى باشا الذي جاء الجلبي في حاشيته وظل والياً في دمشق نحو سنة وقد تحريت فلم أعثر على ذكر هذا الوزير الاعرضاً في صدد ترجمة عبدالسلام المرعشي احد أعيان الجند بالشام وصاحب الحول والطول في ذلك العهد · قال المحبي : وكان عبدالسلام لما وجهت نيابة الشام لمرتضى باشا الكرجي ثانية في سنة سبع وستين والف وتصرف بها متسلمه اضطرب لذلك اضطراباً شديداً لما كان قد وقع له من المعاداة في توليته الاولى فأخذ يدبر أشياء لمدافعته ثم أداه اجتهاده الى ان جمع جمعاً عظيماً في الجامع

الأموي وأحضر أكثر اهل البلدة وذكر لهم ظلمه وأشار عليهم بان لا يرضوه حاكماً عليهم وكان نائب الشام السابق المعروف بالسلاحدار لم يخرج بعد من دمشق وكان مقيماً بالميدان الاخضر فذهب القوم اليـه وأبرموا عليه ان يبقى نائباً وكتبوا في هذا الشأن عروضاً ومحاضر وأرسلوها الى الابواب السلطانية وخرج متسلم مرتضى باشا هارباً ولما وصل اليه وهو في الطريق ارسل الى الباب السلطاني يعلمهم بما وقع فقرر في نيـابة الشام بخط شريف فلم يمكنوه واظهروا الممانعة وجمعوا جمعاً عظيماً من أوباش الشام وعزموا على محاربته وطلعوا الى قرية دوما وهم في جيش عرمرم وكان مرتضى باشا وصل الى القطيفة فلما سمع بخبرهم ولى راجعاً ولم يدخل دمشق » اه . فيظهر من هذا ان مرتضى باشا عين لنيابة الشام مرتين الاولى في سنة ١٠٥٨ حينما جاء معه أولياجلبي ودخل بموكب عظيم واستقبلته جنود دمشق وأعيانها استقبالاً فخماً كما سيأتي ذكره . على ان هذا الباشا كان على ما يظهر جباراً عاتياً فعزل بعد سنة لكنه عاد للمرة الثانية في سنة ١٠٦٧ فلم ترض به جنود دمشق وأهلها واضطروه للرجوع فنقمت الدولة بسبب ذلك على عبد السلام المذكور ورفقائه الذين قادوا هـذه الفتنة وكان من جملتهم الامير منصور الشهابي وابن عمه الامير علي فقتلتهم جميعهم تباعاً وصادرت أموالهم وأملاكهم وفاقاً لعوائد تلك الايام .

أما الرحلة فهي كما يأتي :

كان أولياجلبي يتدبر قضاء فريضة الحج فانتهز فرصة سفر مرتضى باشا المعين نائباً على الشام فالتحق بقافلة الباشـا المؤلفة من مئات الحواشي والاتباع

والجند والوف الركائب والبغال المثقلة بالعتاد والامتعة وغادر مدينة اسكدار في غاية شهر شعبان سنة ١٠٥٨ (١) وراح يتنقل مع تلك القافلة في بلاد الاناضول كأزنيق واسكي شهر وآق شهر وقونيـة وآذنة ومسيس « المضيصة » وغيرها الى أن أشرف على خليج الاسكندرونة وسار موازياً شاطئ البحر الرومي فوصل الى «ييّاس» وهي الآن آخر بليدة تركية متاخمة لبلاد الشام الحالية(٢) .

(١) في هذه السنة جلس السلطان محمد خان الرابع على كرسي آل عثمان وهو صبي ابن سبع سنوات .

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان : ييّاس مدينة صغيرة شرقي انطاكية وغربي المصيصة «وصحيحه انها شمالي انطاكية وجنوبي المصيصة» بينهما قريبة من البحر بينها وبين الاسكندرية «وصحيحه الاسكندرونة» فرسخان قريبة من جبل اللكام . قال البحتري :

ولقد ركبت البحر في أمواله ... وركبت هول الليل في ييّاس
وقطعت أطوال البلاد وعرضها ... ما بين سندان وبين سجاس

والى الشمال الشرقي من ييّاس الكنيسة السوداء والهارونية نسبة الى هرون الرشيد الذي اختطها وكانتا من الثغور في طرف جبل اللكام قاله ياقوت الحموي في المشترك . وكذلك كان في هذه الكورة التي تدعى قيليقية التابعة الآن لجمهورية تركية قلاع عديدة ذكرت مراراً في التاريخ الاسلامي كانت تتعاورها أيدي المسلمين والأرمن والروم في حروبهم وغاراتهم مدة قرون الى ان ثبتت في يد الترك ذكر منها ابو الفداء في تقويم البلدان أسماء سيس التي كانت عاصمة ملك الارمن والمصيصة «مسيس» على جانب نهر جيحان بناها ابو جعفر المنصور واياس على الساحل وبرس برت شمالي سيس وتل حمدون بالقرب من جيحان وفي شرقي هذا التل حصن حموص ومرفند كار وفي شمالي جيحان عين زربة «آناوارزا» هذا عدا عن آذنة وطرسوس وهذه على مقربة من الثغور أو الدربندات في جبال طوروس التي كانت تفصل بين المسلمين والروم .. وهذه البلاد كان يدعوها المسلمون الثغور ثم دعوها ببلاد ابن لأون ملك الارمن . وقد تغيرت اسماء أكثر هذه القلاع الآن واصبحت تعرف باسماء تركية كطوبراق قلعة وييلان قلعة وفرهسيس قلعة الخ ..

وقد وصف قلعة بيّاس ودورها وبساتينها ودارمكسها وميناها وخانها وجامعها الذي بناه محمد باشا الصوقوللي الصدر الاعظم الشهير وأثنى على اهلها لانهم كانوا يردون عادية قرصان البحر ويحرسون المسالك والمضائق الممتدة شمالي بياس وجنوبها من شر لصوص الجبال ويسهلون سبيل الحجاج والتجار المارين ببلدتهم من بر الترك الى بر الشام وبالعكس ونوّه بشدة حرها في الصيف ورداءة هوائها واضطرار أهلها الى الاصطياف في النجود والهضاب المحيطة بهم وذكر ان الوفا من الاكراد والتركمان أصحاب قطعان الغنم والماعز يتسلقون هذه النجود في فصل الصيف ويطلقون مواشيهم ترعى أعشابها الغضة وتشرب مياهها النميرة(١) .

---

(١) هذه نجود جبل اللكام الذي يدعوه الافرنج آمانوس وعامة الترك كاورطاغي ودعته حكومتهم جبل البركات ، وسلسلة اللكام تعد عند اكثر الجغرافيين التخم الطبيعي بين الشام والاناضول ويمر الآن في وسطها من الغرب الى الشرق الحد الذي اعتبر رسمياً بين جمهورية تركيا وبلاد الشام الواقعة تحت الانتداب الافرنسي ، وهي تنفصل في الشمال عن جبال مرعش وسيس بنهر جيحان وتتجه بخط مستقيم الى الجنوب حتى مضيق بيلان الذي يفصلها عن جبل الاحمر الممتد شمالي انطاكية وغربيها ، وفي هذه السلسلة الشامخة أودية ووهاد سحيقة ونجود ومرابع عالية صالحة للاصطياف ورعي الماشية لجودة هوائها وغزارة مياهها وروعة مشاهدها وطيب أعشابها ووفرة حراجها مما لا نظير له في لبنان أو غيره ، وفيها قمم شاهقة أعلاها الصخرة البيضاء (آق قيا) ٢٥٠٠ متر ومغبر اروموغر ٢٢٦٧ متراً يجللها الثلج في معظم أيام السنة وتشرفان على سهول حلب وآذنة على السواء ، وفيها مضائق كانت تعبر منها في العصور الغابرة جيوش الغزاة والفاتحين من الشمال الى الجنوب وبالعكس ، وكان القدماء ولاسيما الارمن أقاموا في النقاط الحاكمة على هذه المضائق الوعرة قلاعاً كانوا يشحنونها بالمقاتلة لمنع الاعداء من المرور ، منها في الشمال وفي منتصف الجبال « قلعة حجر

قال اوليا جلبي : وبعد ان مكثنا في بياس يومين غادرناها واجتزنا في جنوبها جسراً متقن الصنع ذا أربع منافذ من آثار محمد باشا الصوقوللي ووجدنا في قربه على شاطىء البحر تكية باسم الشيخ عبد القادر الكيلاني عامرة الاركان

شغلان» صعبة المرتقى تشبه عش النسر بمنعتها ورفعتها تعلو عن سطح البحر ١٢٥٠ متراً ومثلها في الشمال وعلى مقربة من اسكندرونة «قلعة المركز» وفي الشرق على حاشية سهل العمق « قلعة دربساك » ومثلها في الجنوب «قلعة بغراس» • ولما جاء الصليبيون استولوا على هذه القلاع وأقاموا فيها الفرسان الهيكليين وظلت تتعاورها أيدي الارمن والروم وصليبيو انطاكية الذين لم ينفكوا يتنازعون أمرها فيما بينهم كما ان المسلمين في عهد بني حمدان وبني أيوب والمماليك لم يتوانوا عن مهاجمتها حينما كانوا يغزون بلاد الارمن والروم ويقابلهم هؤلاء بالمثل فيتخذ كل منهم هذه القلاع نقاطاً للاستناد عند زحفه شمالاً أو جنوباً وظل هذا الأخذ والرد مستمراً الى ان جهز الملك الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٤ هـ جيشاً لغزو سيس قاعدة بلاد الارمن اذذاك وولى قيادة هذا الجيش الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر محمود صاحب حماة فجاء فاستولى على هذه القلاع وأباد الفرسان المرابطين فيها ودمرها ثم أتم غارته على سيس وحواليها ورجع ظافراً • هذا وكان جبل اللكام في اول عهد الاسلام موطناً لقوم عرفوا « في كتب العرب بالجراجمة نسبة لمدينة جرجومة عند معدن الزاج فيما بين بياس وبوقة قرب انطاكية وقد صالح الجراجمة المسلمين على ان يكونوا أعواناً لهم وعيوناً ومسالح في جبل اللكام وكانوا يستقيمون للولاة مرة ويعوجون أخرى فيكاتبون الروم يمالئونهم على المسلمين وخرج قوم منهم في حرب مصعب بن الزبير الى الشام مع قائد الروم فتفرقوا في نواحي الشام لا سيما لبنان وعرفوا بالمردة فاضطر عبد الملك بن مروان الى أن صالحهم » ذكره في معجم البلدان • وسكان هذه الجبال الشاهقة في يومنا تركمان سنيون لا يزالون على الفطرة معروفون بصدق المعاملة يقطنون في الشتاء في قراهم المخبأة في بطون الفجاج قرب السهلين الغربي والشرقي وفي الصيف يصعد أكثرهم كما قال أوليا چلبي — الى المرابع والنجود المرتفعة لرعي الماشية وقطع الحطب ويحذو حذوهم جم غفير من أكراد حرة النجاة في شمالي العمق وهم أهل وبر واكارون • وجبال اللكام كانت وماتزال

آهلة بالدراويش · ثم استأنفنا المسير نحو القبلة فمررنا بتكية ثانية أصغر من الاولى فيها بضعة دراويش ينتسبون الى الطريقة البكتاشية ثم اجتزنا جسراً نصب على نهر تجتمع مياهه من الاودية المنحدرة من أعالي الجبال التي ذكرناها وتصب في البحر · وعلى مقربة من هذا الجسر مررنا بقلعة تدعى «قلعة المركز» تبعد عن البحر رمية سهم بنيت في سفح جبل عال مربعة الشكل ذات بناء جميل قيل أنها من عهد القياصرة(١) · ولما مر السلطان سليم من هذا المكان سنة ٩٢١

غنية بالحراج (١٥٠٠٠ هكتار) على الرغم من انكباب الامم الغابرة على قطعها لبناء الاساطيل والمعابد والقصور وهي قد اشتهرت بوفرة ما في منحدراتها الشرقية والغربية من الصنوبر الحلبي والارز والشوح والسنديان والبلوط والزان والقيقب والاشجار المثمرة البرية كالتفاح والاجاص والزعرور ويكثر الدلب والصفصاف المستحي والجوز والدردار في الأودية الرطبة كما ان الزمزريق والقطلب ولاسيما اللبنة منتشرة وكثيفة في اكثر الاماكن وفي قرب بياس في لواء اسكندرونة منجم كبير يحوي معادن مختلفة كالحديد والكروم والآميانت والمانغانز والنحاس لكنها بنسبة قليلة لا تفي بنفقات الاستخراج · وقد عرف القدماء هذه المعادن واستثمروا منها معدن الزاج الذي ذكر المؤرخون وجوده بين بياس وبوقة ·

(١) اذا خرج السائح من بياس موازياً شاطئ البحر يصادف على بعد كيلومتر منها نهر بياس الذي ذكر أوليا چلبي جسره وفي ضفته اليسرى يبدأ التخم الذي اعتبر الآن رسمياً بين بلاد الشام وبلاد الترك وهذا التخم يسير شرقاً بموازاة ذلك النهر متسلقاً قمة مغير هابطاً ضفة نهر الاسود اليسرى · ويصادف السائح في طريقه سهلاً كثير الحصى والبلان منبسطاً بين سفوح جبل اللكام والبحر وفيه يمر النهر المسمى (دكرمن دره) وقد ذكر اوليا چلبي جسره · ويرتأي بعض الباحثين ان معركة ايسوس الكبرى التي وقعت بين دارا ملك الفرس واسكندر المكدوني وغلب فيها دارا وكانت سبباً لاستيلاء الاسكندر على بلاد الشام حدثت في هذا السهل الواقع جنوبي بياس والذي عليه اكثر المحققين بانها وقعت

وهو ذاهب للاستيلاء على مصر افتتحها بالامان وهي الآن تابعة لنيابة ياس وفيها قائد وعدة جنود وحولها كروم وبساتين وفي داخلها جامع وبضعة بيوت لسكنى الجنود ·

وبعد ان اجتزنا هذه القلعة مررنا في ساحل البحر بمضيق يدعى صقال طوتان (قابض الذقون) لاتنقطع والعياذ بالله منه اللصوص وقطاع الطريق وجلهم من أشرار الاكراد الذين يهبطون من ناحية الجومة من أعمال حلب · لذلك يجدر بالمجتازين من هنا ان يكثروا من الحيطة والحذر · وبعد ان مررنا بمكان يدعى آجي جاي (النهر المر) وصلنا بعد ساعتين ونصف الى قلعة اسكندرون (١) ·

شمالي ياس بالقرب من نهر دلي شاي · اما التكايا التي ذكرها الچلبي فقد دثرت · وبعد مسير عشرة كيلومترات يصادف السائح أطلال «قلعة المركز» التي ذكرها الچلبي ماثلة بجدرانها وبعض أبراجها الضخمة وهي احدى قلاع جبل اللكام المنيعة التي نوهنا بها وبمصيرها وقل من يعرفها الآن بهذا الاسم بل باسم القرية القريبة منها «صاري سكي» وكان الصليبيون يسمونها حصن كاستيم أوحصن كودفروا وثمة في شمالي هذه القلعة أطلال جدار يمتد من الغرب الى الشرق يدعوه الفرنج جدار السلوقيين لايزال قسم منه قرب البحر سالماً في الجملة وقسم آخر في سفح الجبل وكان هذا الجدار على مايظهر لسد الطريق في وجه الجيوش الزاحفة من الشمال الى الجنوب او بالعكس ·

(١) بعد مغادرة قلعة المركز يضيق السهل الممتد في الساحل تدريجاً الى ان يقترب ذيل جبل اللكام من البحر فيؤلف معبراً ضيقاً كان يسميه الرومانيون باب قيليقية والعلميون Portella وكان يعتبر هذا المضيق في العصور الغابرة الحد الفاصل بين سورية وقيليقية وكان فيه للوك الارمن دار للمكس · وقبل الحرب العامة مد الالمان في وسطه سكة الحديد الآخذة من اسكندرونة الى (طوبراق قلعة) لحلب · ويعلو الصخور التي عن يمين

وصف اسكندرونة — سميت هذه البليدة باسم بانيها اسكندر الكبير وبعد ان خربتها عوادي الزمن عمرت في اول عهد الاسلام(١) ثم خربت مرة أخرى وصارت ملجأ لقطاع الطرق وقرصان الافرنج فاسترعى هذا

المضيق ويساره أعمدة رخامية أثرية يعرفها الملاحون باسم أعمدة يونس ويزعمون ان الحوت الذي ابتلع النبي يونس عاد فلفظه على شاطئ هذا المضيق . على حين انها ليست الا بقايا باب كبير من آثار اليونانيين او الرومانيين كان معداً لسد المضيق وفتحه في وجه المارين والعابرين او للاشارة اليه . وفي رواية ان جسد الاسكندر بعد موته وضع فوق هذا الباب ومرت من تحته قواده وجحافله . وقلعة المركز على قيد غلوة من هذين العمودين ولا يزال سكان هذه البلاد وهم أتراك يدعون المضيق والقلعة معاً باسم صقال طوتان .

(١) قال ابو الفداء : باب اسكندرونة من جند قنسرين . قال احمد الكاتب : وباب اسكندرونة مدينة على ساحل البحر الرومي بالقرب من أنطاكية بناها ابن ابي دؤاد الايادي في خلافة الواثق . قلت ان اسكندرونة كانت موجودة قبل الاسلام . وقد ذكرها المؤرخان اليونانيان هرودتس وكسنفون باسم ميرياندروس . الا ان هذه كانت خارج البلدة الحالية والى الجنوب الشرقي منها وكانت مستعمرة لفريق من الفينيقيين . وقد اكتشفوا في الايام الاخيرة كثيراً من آثار ميرياندروس وفسيفسائها . اما اسكندرونة الحالية فهي بلا ريب من عهد الاسكندر شيدها خلفاؤه وسموها باسمه لتمجيد النصر الباهر على دارا ملك الفرس في وقعة ايسوس : ولعل ابن ابي دؤاد الذي ذكره احمد الكاتب رممها بعد خراب قد يكون أصابها في ذلك الحين . يبلغ عدد سكانها الآن ثلاثة عشر الفاً وهم بازدياد اكثرهم من الأرمن اللاجئين من بلاد الترك بعد سنة ١٣٤٠ . وقد جعلت منذ احتلال الافرنسيين قاعدة لمتصرفية شبه مستقلة تتبع حكومة دمشق في بعض الامور وتشمل الجزء الشمالي الغربي من ولاية حلب القديمة وألحق بها ثلاثة أقضية اسكندرونة وأنطاكية وقرق خان وألحق بالقضاء الاول ناحية اسكندرونة وعرسوز وبالثاني نواحي أنطاكية والسويدية وعواقية وجبل موسى وكسب والاوردو وقصير الفوقاني والوسطاني والتحتاني والحربية وبالثالث نواحي قرق خان وحاجيلر والريحانية وبيلان .

الحال نظر نصوح باشا الذي كان صدراً أعظم في زمن السلطان احمدخان فشرع ببناء قلعة حصينة في اسكندرونة ولكن السلطان نقم عليه بعد حين لتهامل بدى منه فقتله وبقيت القلعة دون اكمال . وحبذا لو أكملت هذه القلعة وجدد عمران اسكندرون لأنها فرضة بحرية ذات مكانة وقريبة من حلب نحو مرحلتين . وقد علمت انه يزورها في كل عام من سفن المسلمين والافرنج اكثر من مائتي غليون . هذا وحرمان هذه الفرضة من قلعة جعل الافرنج يتقاعسون عن دفع المكوس الى الملتزم الذي التزمها بمائتي حمل(١) . ولاسكندرونة قاضي يجبي من قراها خمسة أكياس(٢) ولها ميناء لطيف لولا ان غربيه مكشوف يأتي بالرمل فيحول دون اقتراب السفن من الشاطئ ويضطرها للرسو على بعد رمية مدفع . والى الغرب من ميناء اسكندرونة وعلى بعد ٢٦٠ ميلاً بحرياً(٣) يوجد رأس اندراوس في جزيرة قبرص وقد قيل لي انه اذا اعتدل الهواء وصفا أديم السماء ترى من هنا جبال قبرص المجللة بالثلوج . اما انا فلم يتسن لي رؤية ذلك . ويكثر وجود الافرنج والروم في اسكندرونة لهذا لاتجد فيها جامعاً او خاناً او حماماً او سوقاً سوى الحانات فانها كثيرة . وقد اعتاد الصادي والغادي الى اسكندرونة ان يمكث ليالي الشتاء في هذه الحانات حتى صارت تشبه الخانات . ويجلب الماء الى اسكندرونة على ظهور الحمير من

---

(١) اذا كان الحمل مائة الف قرش فالمائتا حمل تعادل عشرين مليوناً من القروش ولعل الجلبي مبالغ بهذا المبلغ . (٢) الكيس خمسمائة قرش . (٣) صحيحه مائة وخمسة أميال .

نبع في خارجها يدعى نبع القوافل(١) وقد اعتاد الداخلون الى هذه البلدة والخارجون منها ان يضربوا خيامهم قرب هذا النبع . وفي اسكندرونة وكلاء اوقناصل لسبع دول . اما القناصل الاصليون فمركزهم في خان الافرنج في حلب . ولما كانت الاسكندرونة فرضة بحرية وباب تجارة لحلب وضواحيها تجد بجانب جمركها مخازن عظيمة يقوم فيها تجار الافرنج بالبيع والشراء دون انقطاع . حتى انه لما مر مولانا مرتضى باشا من هنا بموكبه الحافل كان من سفن الافرنج ستة وعشرون غليوناً راسياً في الميناء فأطلق كلها المدافع ترحيباً بجنابه ودام الاطلاق مدة غير يسيرة حتى كادت الغلايين لا ترى من كثرة النار والدخان . وتحيط باسكندرونة مستنقعات(٢) . ثم قمنا من هنا مع الركب فمررنا بنبع القوافل وسرنا نحو القبلة نحاذي الساحل تارة ونصعد في الجبال أخرى وكان المطر ينهمر علينا بشدة الى ان وصلنا الى بليدة تدعى بيلان(٣) .

---

(١) يدعى هذا النبع الآن رأس العين ومذ ما تقدمت اسكندرونة في العمران مدت الانابيب الحديدية من رأس العين الى البلدة وأسيلت فيها المياه واستراحت الحمير من النقل .

(٢) كانت هذه المستنقعات ذات مساحة عظيمة تحيط باسكندرونة وتتخلل أحياءها وأزقتها وتجعل هواءها وبيلاً والاقامة فيها خطرة لشدة الوبالة الناشبة في سكانها . دام هذا الحال الى أوائل القرن الحاضر اذ مدت الحكومة العثمانية سكة حديدية صغيرة كانت تنقل بها التراب من الآكام القريبة وتطمر بها تلك المستنقعات وظلت العناية بالطمر قائمة الى الآن حتى زال كثير منها وحسن المناخ عما قبل وازداد عمران الاسكندرونة .

(٣) الطريق بين اسكندرونة وبيلان وطوب بوغاز (٢٧ كيلومتراً) معبدة ومعتنى بها وهي من أنزه الطرق وأجملها . يغادر السائح مستوى البحر في اسكندرونة حيث الحرارة

وصف بيلان ٠ — وبيلان مركز قضاء يتبع أيالة حلب فيها نحو ثلاثة آلاف من السكان ودورها مبنية من الطين على طرفي جبلين متقابلين بينهما واد ٠ وهذه الدور يركب بعضها فوق بعض وتتخللها أزقة ضيقة ٠ وهواء

والرطوبة شديدتي الوطأة فير من أمام رأس العين وعلى قيد غلوة منه المكان الذي يظن انه كانت فيه مدينة ميرياندروس ثم يشرع بتسلق أعضاد جبل اللكام وكلما اعتلى يجد الهواء العليل والمشهد النضر وفي الكيلومتر العاشر يرى على يمينه الطريق الصاعدة الى قرية صوغوق اولوق (علوها ١٠٠٠ متر وسكانها أرمن) وفي غربيها قرية النار كيزلك (علوها ٥٠٠ متر وسكانها أتراك) ويقصد اهل اسكندرونة وحلب هاتين القريتين للاصطياف حيث يجدون المناخ الطيب والمنظر الجيل والحراج الغبياء والفنادق الجميلة ناهيك عن زرقة البحر ومرآه الرائع وفي الكيلومتر (١٠١) مفترق الطريق الصاعدة الى قرية عاتق الارمنية (علوها ١٠٠٠ متر) وهي وان لم تضارع جارتها بالحراج والفنادق لكنها تفوقها بالينابيع الباردة وجمال المناظر في الصرود الشاهقة بقربها كثنية كوزبل (١٦٠٠ متر) وقمة شاكشاك (١٨٣٥) وفيها مشاهد تأخذ بمجامع القلوب حقاً ٠ فالواقف اذا تطلع الى الشرق يرى آكام جبل اللكام تنحدر أمامه نحو سهل العمق ومستنقعاته وبحيرة أنطاكية الزرقاء وما في شرقها من الجبال والهضاب كجبل الزاوية والاعلى وباريشا وسمعان والكرد وغيرها الممتدة في الأفق البعيد حتى سهول حلب الغربية واذا تطلع نحو الشمال يرى قمماً في جبل اللكام تناطح السحاب كألماطاغ (١٨٣٥) ودازتبه (١٧٠٧) وآق قيا (٢٥٠٠) ومغبر (٢٢٦٧) ويرى بينها نجاداً ومرابع متسعة انتشرت فيها الوف من قطعان الغنم والماعز ترعى الاعشاب والانجم الغضة وفي الغرب سلسلة جبال طوروس التي تنفصل عن آمانوس بسهول قيليقية الفسيحة والبحر الخضم وقد سترت الغيوم البيضاء زرقته فزادت في روعة المشهد ٠ وهذا ماحمل ياقوت في معجم البلدان ان يذكر جبل اللكام قائلاً : هو الجبل المشرف على انطاكية وبلاد ابن ليون والمصيصة وطرسوس وتلك الثغور اهـ ٠ هذا وفي الكيلو متر (١٣) يصل السائح الى بيلان ٠ وهي بليدة جميلة المنظر ، طيبة الهواء ، غزيرة المياه (علوها ٥٠٠ متر) يشطرها الوادي السحيق الفاصل مابين جبل اللكام وجبل الاحمر الى شطرين بنيت

بيلان جيد وماؤها عذب وصحة أهلها حسنة وفيها مسجد جميل له قبة مكسوة بالرصاص وامامه خان عامر وفيها ايضاً حمام وحوانيت عديدة وينتج فيها فواكه وأعناب لذيذة فهي صالحة في الجملة للاصطياف ثم ان في الجبال التي تعلوها نجود اشتهرت بنقاء هوائها وطيب مراعيها (١) ثم غادرنا بيلان وسرنا

دورها كما قال الچلبي في سفحي الوادي بعضها فوق بعض ، سكانها ٣٠٠٠ ثلثاها من الترك والثلث من الارمن . لم يذكر جغرافيو العرب بيلان اذ لم تكن عامرة في زمنهم وربما هي التي كانت تدعى باب اسكندرون . قال ابو الفداء : باب اسكندرون في زماننا هو دربند بلاد سيس من جهة حلب وهو على دون مرحلة من بغراس وليس هناك مدينة بالاصالة ولا قرية وبين بغراس وباب اسكندرونة اثنا عشر ميلاً اهـ . قلت والعمران كان منحصراً بقلعة بغراس التي سمى العرب المضيق اوالدربند بها في حين ان الافرنج سموه باب سورية (Pylea Syriae) ومنه مرت في العصور الغابرة اكثر جيوش الفاتحين الواردين على الشام اوالخارجين منها . وبيلان تقع في مبدإ هذا المضيق العظيم الذي يفصل جبل اللكام عن جبل الاحمر وربما كان اول من سعى في عمران بيلان هو السلطان سليمان القانوني فقد أعجبته مكانتها من الوجهة الحربية والتجارية فبنى فيها في سنة ٩٦٠ هـ الجامع والخان اللذين ذكرهما أوليا چلبي ووضع جنوداً لحفظ المضيق وأسكن عدداً من التركمان جلبهم من الاطراف ومازال هؤلاء يزدادون وبيلان تتقدم في العمران وصارت ممر القوافل والجيوش بعد ان كان الممر بعيداً عنها قليلاً الى الشمال وصار اهل اسكندرونة يلجأون اليها في الصيف للتمتع بهوائها ومائها اللذين نوه سائحنا بجودتهما . وما برحت بيلان في عهد بني عثمان مركزاً للقضاء الى ان وفدت في سنة ١٣٠٠ هـ ومابعدها جموع الارمن على اثر إخراجهم من بلاد الترك فاسكنت الحكومة الافرنسية طائفة منهم في موضع (قرق خان) في غربي سهل العمق وعلى طريق حلب المعبدة فعمروا هذا الموضع الذي لم يكن الى ذلك الحين شيئاً مذكوراً وجعلوه بليدة حافلة بالدور والحوانيت والفنادق والمقاهي وغيرها ثم نقلت مركز القضاء اليه في سنة ١٣٤٢ هـ وتركت بيلان قاعدة لناحية فأفل نجمها من ذلك الحين .

(١) يعني الچلبي نجود جبل الاحمر المعروف هنا بقزل طاغ ويعده البعض تتمة سلسلة

نحو الجنوب نصعد عقبات ونهبط أودية الى ان اجتزنا مضيقاً فيه جنود مكلفون بحفظ الدروب(١) وشاهدنا في يميننا على بعد رمية مدفع «قلعة بغراس» وهي

آمانوس ويحسبه آخرون مستقلاً عنه بمضيق بيلان . وهذا الجبل وفروعه الغربية الممتدة من جنوبي بيلان الى ميناء عرسوز ورأس الخنزير قد اشتهر مثل جبل اللكام بما في منحدراته وآطامه من حراج الشجر الغضيض والمرابع الغضراء والمشاهد الجميلة والينابيع السارية مع شيء من الضباب الذي يخفف وطأة الحر في الصيف . وأكثر حراجه مؤلفة من الصنوبر الحلبي والصنوبر الاسود والبطم والبلوط والقطلب والشوح والجوز وغيرها ويستخرج القطران من أشجار الصنوبر بكثرة . وفي هضابه المرتفعة آثار معادن مختلفة لم تستثمر بعد . ويقطن النصيريون في السهول الساحلية المصاقبة لسفوحه الغربية بين اسكندرونة وعرسوز وأشهر قراهم قره آغاج وهم فلاحون ويقيم التركمان في النجود والهضاب لاسيما حول غابات كسريك وقره كوز وجنكان وبش اولوق ومهنتهم قطع الحطب وصنع القطران وهم على الفطرة وصدق المعاملة وتربي قرى الارمن في جبل موسى غربي انطاكية الى الشمال دود الحرير ويصنع أهلها الامشاط من خشب القطلب . وفي سني الحرب العالمية لما أجبرت الحكومة العثمانيــة هؤلاء على الهجرة كما جرى لبقية الارمن اعتصموا بجبلهم بين الحراج وحاربوا الحملة التي هاجمتهم واستبسلوا الى ان توصلوا للاتفاق مع سفن الحلفاء فركبوها رجالاً ونساءً وانتقلوا الى ساحل مصر وهنــاك الفوا كتائب الانتقام الارمنية التي زحفت مع جيش الجنرال اللنبي سنة ١٩١٨ ودخلت مدن الشام وكان منها ماذكره المؤرخون .

(١) بعد مغادرة بيلان يظل السائح صاعداً في طريق طوب بوغاز الى الكيلو متر (١٦) حيث يلاقي مضيق بيلان او دربند بغراس كما كان يدعى «علوه ٧٠٠ متر» فيشرف من هذه الروابي النضرة على منظر غاية في الروعة والبهاء فهو يرى في الشرق سهل العمق ومستنقعاته وبحيرته والجبال والآكام المحيطة به فيحلق في سماء التفكير ويتذكر كيف مرت من هنا جحافل الأشوريين والفرس والمقدونيين والرومانيين والبيزنطيين والمسلمين الأولين بقيادة ميسرة بن مسروق العبسي والحملة الصليبية الاولى وجيوش المماليك والتركمان والتتار وابراهيم باشا المصري الذي كسر فيه سنة ١٢٤٨ الجيش العثماني بقيادة

قلعة قديمة تعاورتها أيدي كثير من الملوك الى ان افتتحها السلطان سليم بالامان حينما مر بهذا الطريق وهو ذاهب لقتال الملك قانصو الغوري في مرج دابق . والقلعة صغيرة القد مخمسة الشكل مبنيـــة على هضبة اتخذت قضاءً تابعاً لايالة حلب وأقيم فيها كتخدا وقائد جند الانكشارية ومحافظ القلعة وجنود وفيها جامع وخان وحمام وسوق صغيرة(١) على انها لانحرافهـا عن الطريق ليست

السـردار حسين باشا . وبعد المضيق يبدأ الطريق بالانحدار ففي الكيلو متر ٢٠ موقع جقاللي وفيه مخفر للدرك يؤمنون السابلة في هذه المسالك الوعرة وهنا يلمح السائر على يمينه (قلعة بغراس) رابضة فوق رابية تشرف على هذا الطريق .

(١) قال ابو الفداء : بغراس من جنـــد قنسرين ذات قلعة مرتفعة ولها اعين وواد وبساتين قال ابن حوقل وبغراس على طريق الثغور وكان بها دار ضيافة لزبيدة وهي في الجبل المطل على عمق حارم وفي معجم البلدان لياقوت بغراس مدينة في لحف جبل اللكام بينها وبين انطاكية اربعة فراسخ ذكرها البحتري في شعر مدح به احمد بن طولون الذي حاصر سيما الطويل التركي صاحب انطاكية في سنة ٢٦٤ وجرت بينهما حروب كثيرة ببلاد جند قنسرين والعواصم قال البحتري :

سيوف لها في كل دار غداً ردى وخيل لها في كل دار غداً نهب
علت فوق بغراس فضاقت بما جنت صدور رجال حين ضاق بها درب

كانت تدعى هذه القلعة في زمن الروم حصن لوقا وهي في يومنا خراب في الجملة على ان اطلالها لا تزال ماثلة وهي اكبر مما ذكره الجلبي كانت تسع زهاء الفي جندي وكان لها سوران وكنيسة وبهو كبير واربع طبقات من القاعات المعقودة سقوفهـا وكثير من المستودعات والاصطبلات والغرف والآبار وكان لها قناطر علوها ١٨ متراً تأتي بالماء من الجبال الى القلعة والبناء الحالي اسلامي يتخلله بعض آثار للروم وللصليبيين . قال الكولونل جاكو مؤلف كتاب انطاكية ماخلاصته : ان لقلعة بغراس مآسي مفجعة في تاريخ المسلمين منها ان الروم لما جاؤا بقيادة القيصر نيكوفورفوكاس في سنة ٣٥٨ هـ وغزوا بلاد الشام

عامرة وانحصرت الآن شهرتها بزهورها الفيّاحة لاسيما بالسنبل والمسك الرومي وأهلها يقلعون من جبالها وحدائقها أبصال الزهور الجميلة فيحملونها ويبيعونها في بقية البلدان وقد يصلون بها الى استانبول . «للبحث صلة»

وصفي زكريا

حتى حمص وعرقة وطرابلس وجميع الساحل واعملوا فيها النهب والحرق والخراب عادوا ومعهم من السبي مئة الف صبي وصبية من ابناء المسلمين ولما ساقوا هؤلاء المساكين امامهم ليأخذوهم الى القسطنطينية اشتدت انواء الشتاء وسدت المسالك في جبال آمانوس وطوروس فاضطروا للوقوف بهم في قلعة بغراس . ولما لم تكن الأقوات ووسائل الايواء والتدفئة كافية حصدهم الجوع والبرد والامراض وصارت سهول العمق مقابر لهم اهـ. قلت وبعد ثلاث سنوات تمكن الروم من فتح انطاكية بخيانة اهل بغراس الذين بعد ان التجؤا الى انطاكية نقبوا الأسوار ومكنوهم من الدخول . وحينما جاء الصليبيون في الحملة الأولى اخذوا بغراس فيما اخذوه من بلاد الشام الشمالية وجعلوها مع قلعة دربساك وحارم وارتاح مخفراً امامياً لانطاكية الى ان جاء الملك الناصر صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٤ فحاصر بغراس ودربساك وقاتلها بشدة حتى افتتحها بالامان الا انه بعد بضعة اعوام جاءها مقدم الأرمن ابن لأون فدخلها وظلا بيده تارةً وبيد الصليبيين أخرى الى ان استولى الملك الظاهر بيبرس عليها نهائياً حينما فتح انطاكية عنوةً سنة ٦٦٨ ، هذا ولم يبق من القرية في اسفل القلعة من العمران الذي ذكره الچلبي سوى ٣٠ — ٤٠ دار منتشرة على طول الوادي والعيون والبساتين التي ذكرها ابوالفداء يسكنها فلاحون من النصيرية والتركمان ولم أدر اذا كانوا كما قال الچلبي يتاجرون حتى الآن ببصل الزهور أم لا .

عبقرية الجاحظ (١)

—(١)—

تبين لنا في كلامنا على عصر الجاحظ ان الجاحظ متصل بكل أفق من آفاق هذا العصر، فلئن استفاضت حرية التفكير في عصره فما غاب عن هذه الحرية فقد كان يرجع الى عقله في كل مذهب من مذاهبه، ولئن شاعت الزندقة والخرافات والاباطيل في أيامه فما غفل عن التنديد بها والتقذر منها، بقي أن نعلم مقدار اتصاله بالناحية الثالثة من نواحي عصره، وهي جهة الانقلاب الفكري فما هو نصيب الجاحظ من هذا الانقلاب .—

نقلت في أيامه كتب الهند وترجمت حكم اليونانيين وحولت آداب الفرس، فما هو حظ الجاحظ من هذا النشاط الفكري .—

قد كنت ذكرت لكم في بعض المواطن ان الجاحظ انما هو كامل من الكملة وأردت بكلمة الكامل ما يريده الافرنجة بكلمتهم Encyclopédiste فالجاحظ لخص معارف عصره على نحو ارسطاطاليس في القديم، وقد أشار بعض الافرنجة الى امتداد هذه العبقرية وانبساط مجالها فاستشهد أحدهم وهو البارون «كارادي ڤو» Baron Carra de Vaux في كتابه: أصحاب الفكر في الاسلام، بفصل الجاحظ في نفع الكتاب وهو الفصل الذي عقده في مقدمة كتاب الحيوان فدلّ على براعته في الانشاء فبعد أن ذكر البارون طائفة من هذا البحث قال:

«هذا بوجه التقريب نمط من أنمـاط فصول الجاحظ، ان في هذا كله مجموعاً قد يكون في بعض الأحيـان غير منسجم ولكنه ملآن بالحوادث والأفكار، اني لا أجسر على أن

---

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الاداب في دمشق سنة ١٩٣١ .

أؤكد أن كل فصوله قد تكون خصيبة مثل هذا الفصل ولكننا قد نلاقي في كلها بعض الشيء ، ولنذكر ايضاً أن في رسائله الصغيرة قطعاً جديرة باستيقاف الباحثين وخليقة بدراسة خاصة ففي رسالة التربيع والتدوير تعرض لنا ولا أدري كيف يكون ذلك سلسلة طويلة فيهامسائل في كل أنواع الموضوعات والعلوم ، في التاريخ والأساطير وطبقات الارض كأن هذا كله انما هو برنامج « موسوعة » تدل على روح التطلع في القرن التاسع وفي رسالة الأسود والأبيض كلام موجز على تاريخ الزنج وذكر أبطالهم وفتوحاتهم ، كل هذا مجموع حوادث قلّ من يعرفها وقد تنفع في البحث عن روح الامم والأجناس .—

ان هذا النوع من علم الروح كثيراً مايستهوي الجاحظ فهو يرجع اليه من حين الى آخر فان عقله الغريب الميّال الى النقائض يحمله على النظر في الأمم التي لم يكن لها على أيامه مقام عال ، وعلى هذه الصورة ان لرسالته في مدح الترك فائدة ومن الممكن ان تكون هذه الرسالة اول الكتب التي توسّع أصحابها في الكلام على الترك وجعلوا لهم بعض الشأن فان خصائص الامم تشغل ذهن الجاحظ فهو يأتي على ذكرها في عدة مواطن .— »

***

خاض الجاحظ في كل باب من الأبواب فلم يتعاظمه الكلام على الاجتماع أو على الأخلاق أو على التربية والتعليم أو على الطبيعة أو على التاريخ الطبيعي أو على فلسفة اللغة الى غير ذلك من المذاهب التي تدلّ على سعة عبقريته غير أن استقصاء هذه الغرائب والعجائب قد يطول أمره ولكننا لامندوحة لنا عن الإلمام ببعضها حتى نعرف شيئاً من امتداد عقل الجاحظ .—

يتنقل الجاحظ على نحو ماقال البارون « كارادي ڤو » من فكرٍ الى فكر ولكنه بطل في هذه التنقلات صاحب نكتة ، خفيف الروح ، محبوب النفس ، انه يلعب من دون ان يُضجر غيره في هذا اللعب .—

مرةً يخطر بباله باب من أجلّ أبواب الاجتماع في هذا العصر وهو الكلام على حقوق النساء فينبري للدفاع عن المرأة والمطالبة بتوفير حقوقها فكأنه نصير النساء في أيامنا

هذه (١) :

« ولسنا نقول ولا يقول أحد ممن يعقل أن النساء فوق الرجال أو دونهم بطبقة أو طبقتين أو باكثر ولكنا رأينا ناساً يَزْرون عليهن أشدالزراية ويحتقرونهن أشدالاحتقار ويبخسونهن اكثر حقوقهن وأن من العجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الآباء والأعمام الا بان ينكر حقوق الأمهات والأخوال فلذلك ذكرنا جملة ماللنساء من المحاسن ولولا ان ناساً يفخرون بالجلد وقوة المنة وانصراف النفس عن حب النساء حتى جعلوا شدة حب الرجل لأمته وزوجته وولده دليلاً على الضعف وباباً من الخور لما تكلفنا كثيراً مما شرطناه في هذا الكتاب . — »

وقد قال في مقام آخر (٢) :

« ونحن وان رأينا أن فضل الرجل على المرأة في جملة القول في الرجال والنساء اكثر وأظهر فليس ينبغي لنا أن نقصر في حقوق المرأة وليس ينبغي لمن عظم حقوق الآباء ان يصغر حقوق الأمهات وكذلك الإخوة والأخوات والبنون والبنات وأنا وان كنت أرى ان حق هذا أعظم فان هذه أرحم . — »

ومرةً يتغلغل في أعماق الجماعات فيقلّب النظر في أخلاقهم فلا يزال يمارس هذه الأخلاق ويدوّن في ذهنه نتائج مراسه وتجربته حتى يكشف الغطاء عن أسرارها فيقذف في هذا المعنى بالرأي الخمير الذي لا تزيده الايام الا قوةً وتمكناً من هذا الباب كلامه على السفلة والوضعاء والمحقَّرين الذين اذا صار اليهم شيء من الامر ظلموا وغشموا (٣) :

« والكِبْر في الأجناس الذليلة من الناس أرسخ وأعم ولكن الذلة والقلة مانعتان من ظهور كبرهم فصار لا يعرف ذلك الا أهل المعرفة ، كعبيدنا من السند وذمتنا من اليهود ، والجملة ان من قدر من السفلة والوضعاء والمحقرين أدنى قدرة ظهر من كبره على من تحت قدرته على مراتب القدرة ما لا خفاء به فان كان ذمياً وأحس بما له في صدور الناس تزيد في ذلك واستظهرت به طبيعته بما يظن ان فيه رقع ذلك الخرق

(١) رسائل الجاحظ على هامش كامل المبرد — الجزء الاول ص ١٥٢ .
(٢) 〃 〃 〃 〃 ص ١٦١ .
(٣) كتاب الحيوان الجزء السادس ص ٣٢ .

وحياض ذلك الفتن[١] وسد تلك الثلمة فتفقد ما أقول لك فانك ستجده فاشياً وعلى هـذا الحساب من هذه الجهة صار المملوك أسوأ ملكاً من الحر وشيء قد تتلمه علماً وهو اني لم أر ذا كبر قط على من دونه الا وهو يذل لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه ٠— »

ونحن اذا تفقدنا ماقاله وجدناه فاشياً كل الفشو حتى نكاد نلمس بايدينا هذه الأخلاق في كل جانب من جوانبنا فما أصدق قوله ، وما أبين رأيه ! لقد تعمق في روح الجماعات وأمعن في دراسة هذه الروح فبعد دراسته للحيوان وإظهاره لاخلاقه وطبائعه ومقابلته بين أصناف هذا الحيوان وكلامه على تعادي هذه الأصناف ، بعد هذا كله يرتفع الى أفق أعلى من أفق الحيوان فيصور عداوة الانسان ويوضح أسباب هذه العداوات فيقول[٢] :

« وأسباب عداوات الناس ضروب منها المشاكلة في الصناعة ، ومنها التقارب في الجوار ، ومنها التقارب في النسب والكثرة من أسباب التقاطع في العشيرة والقبيلة والمساكن عدو للمسكن والفقير عدو للغني وكذلك الماشي والراكب وكذلك الفحل للخصي وبغضاء السوق موصولة بالملوك وكذلك الوصلة بالمال الرغيب وكذلك الوارث والموروث وللجميع هذا تفسير ولكنه يطول ٠— »

ولو أحببنا أن نمتحن قوله في هذه الايام لما وجدنا فيه انحرافاً عن الحق فليس آراؤه في الاجتماع الا بنات تجربته وعيانه وكما انه درس أخلاق الجماعات العامة فكذلك درس أخلاقهم الخاصة وأمعن في هذه الدراسة في مثل كلامه على البخل أو على الفسق اوعلى الحسد فلم يفته لون من ألوانها أو حركة من حركاتها أو هيأة من هيآتها ، ومن قرأ كتابه في الحاسد والمحسود تجلّت له قدرته على تصوير الاخلاق الخاصة فيكاد يكون في هـذا الباب عالماً من علماء النفس يتصل باجزائها فيقاربها ويخالطها ويعرض لكل ناحية من نواحيها ويصف هذه الناحية أدق وصف ويصورها أتم تصوير حتى اذا فرغ من البواطن انتقل به الكلام الى الظواهر فراقبها وتأمل فيها واستخرج منها صفاتها البارزة وخصائصها الظاهرة ولولا اني اعتقد ان في نقل طائفة من هذا كله تشويهاً لمحاسنه لنقلتها لكم ٠—

ماذا أنقل ، أأنقل هذا التعريف الوجيز الذي صوّر فيه بكلمتين داء الحسد فقال :

« والحسد أبقاك الله من داء ينهك الجسد ويفسد الأود ، علاجه عسر ، وصاحبه

(١) كذا في الاصل ٠ (٢) كتاب الحيوان — الجزء السابع ص ٣٠ ٠

ضجر وهو باب غامض وامر متعذر وما ظهر منه فلا يداوى وما بطن منه فمداويه في عناء ٠— »

فمن كان له صلة بحاسد من الحساد تجلت له صحة هذا التعريف وشعر بقوته فأيُّ حاسدٍ لم تر جسده منهوكاً وصدره ضجراً لا يملكه غمض الليل ولا يذوق لذة البال فلا تقع عينه على صاحب نعمة الاّ اضطربت كل أعصابه وكأن الطبيعة عادلة فقد جعلت في قلب الحاسد عقابه وما هذا العقاب الا النار التي تأكله ٠—

أم أنقل لكم حالة الحاسد الظاهرة :

« وما لقيت حاسداً قط الاّ تبين مكنونه بتغير لونه وشخوص عينه واخفاء سلامه والاقبال على غيرك والاعراض عنك والاستثقال لحديثك والخلاف لرأيك ٠— »

أم حالته الباطنة وهي تنحصر في :

« تراكم الغموم على قلبه واستكان الحزن في جوفه وكثرة مضضه ووسواس ضميره وتنغص عمره وكدر نفسه ونكد عيشه ٠— »

أم تمكن الحسد من صاحبه وسلطانه عليه :

« ما خالط الحسد قلباً الا لم يمكنه ضبطه ولا قدر على تشحينه وكتمانه حتى يتمرد عليه بظهوره واعلانه فيستعبده ويستميله ويستنطقه لظهوره عليه فهو أغلب على صاحبه من السيد على عبده ومن السلطان على رعيته ومن الرجل على زوجته ومن الآسر على أسيره ٠— »

أم وصفه علاج الحسد :

« فاذا أحسستَ رحمك الله من صديقك بالحسد فأقللْ ما استطعت من مخالطته فانه أعون الاشياء على مسالمته وحصّنْ سرّك منه تسلم من شره وبوائق ضره واياك والرغبة في مشاورته ولا يغرنك خدع ملقه وبيان زلقه فان ذلك من حبائل نفاقه فان أردت ان تعرف آية مصداقه فأدنين اليه من يبينك عنده ويذمك بحضرته فانه سيظهر من شأنه لك ما أنت به جاهل ومن خلاف المودة ماأنت عنه غافل وهو الحُّ في حسده لك من الذباب وأسرع في تمزيقك من السيل الى الحدور ٠— »

أم وصفه الحاسد نفسه :

« فهو الكلب الكلب والنمر النمر والسم القشب والفحل القطم والسيل العرم وان ملك

قتل وسبي وان مُلِك عصى وبغى حياتك موته وموتك عرسه وسروره يصدق عليك كل شاهد زور ويكذب كل عدل مرضي لا يحب من الناس الاّ من يبغضك ولا يبغض الاّ من يحبك عدوك بطانة وصديقك علانية .— »

فاذا دققنا في هذه الأوصاف كلها تحقق عندنا ماقلته لكم من ان الجاحظ عالم من علماء النفس يبني عمله علي تجربته ثم يصف ماتوحي اليه هذه التجربة وصف صاحب صنعة وفن .—

ولما كانت التربية والتعليم لا تبعد كثيراً عن الأمور الاجتماعية لم يشأ الجاحظ أن يكون غريباً عنها فقد أدلى في هذا الباب بدلوه ، وعلى بعد عهده عنّا وعلى تقدم علم التربية والتعليم في عصرنا استطاع الجاحظ أن يأتي فيه بمذاهب تكاد تكون من احدث المذاهب ، انكم تعالجون التربية والتعليم علماً وعملاً فأظن أن من أحدث قواعده التي تطبقونها في مدارسكم تدريب الطالب علي الاستنباط من دون أن يلجأ الى الحفظ لان الحفظ يسدّ عليه سبيل الاستنباط فيجمد عقله ويبلد ذهنه فاليكم ما قاله الجاحظ في هذا الباب (١) :

« وكرهت الحكماء الرؤساء أصحاب الاستنباط والتفكير جودة الحفظ لمكان الاتكال عليه واغفال العقل من التمييز حتى قالوا : الحفظ عذق الذهن ولأن مستعمل الحفظ لا يكون الاّ مقلداً والاستنباط هو الذي يفضي بصاحبه الى برد اليقين وعز الثقة والقضية الصحيحة والحكم المحمود انه متى أدام الحفظ أضرّ ذلك بالاستنباط ومتى أدام الاستنباط أضرّ ذلك بالحفظ .— »

وكتابه في المعلمين قد اشتمل علي القواعد المتبعة في التعليم في أيام الجاحظ .فهو يصوّر لنا أساليب التربية والتعليم في العرب .

ولم يكن نصيب الجاحظ من علوم الطبيعة بأقلّ من نصيبه من بعض فصول في الاجتماع والأخلاق والتعليم وما شابه ذلك ، الاّ انه قد يكون في آرائه الاجتماعية أصح فكراً وأقلّ خطأ اما في علوم الطبيعة فالجاحظ علي جلالة بعض أقواله فيها قد لا يسلم من خطأ فان علوم الطبيعة قد تقدّمت في السنين الأخيرة ولكن الأخلاق واحدة في العصور قديمها وحديثها فالحسد الذي صوّره الجاحظ انما هو شبه الحسد الذي تقاسي شرّه في أيامنا .—

(١) رسائل الجاحظ علي هامش المبرد للكامل — الجزء الاول ص ١٩ .

خاض الجاحظ في كثير من علوم الطبيعة في الحكمة الطبيعية والكيمياء وتوسّع في التاريخ الطبيعي وخاصة في علم الحيوان .—

فلننظر الى بعض آرائه في هذه العلوم .—

انكم تعلمون انهم كانوا في عصر الجاحظ يمزجون الدين بالعلم معنى هذا أنهم اذا جادلوا في أمر من أمور الدين استعانوا في بعض الأحوال بمذاهب العلم من هذا الشكل مجادلة الجاحظ لمجوسي عارضه وقد قرأتم هذه المعارضة في كلامنا على عصر الجاحظ في فصل حرية الفكر ، فمن قول الجاحظ :

« والماء ليس يجمد للبرد فقط فيكون متى رأينا بلدة ثلجها أكثر حكمنا أن نصيبها من البرد أوفر وقد تكون الليلة باردة جداً وتكون متغيرة فلا يجمد الماء ويجمد فيما هو أقل منها برداً . وقد يختلف جمود الماء في الليلة ذات الريح على خلاف ما يقدرون ويظنون . وقد خبرني من لا أرتاب بخبره انهم كانوا في موضع من الجبل يستغنون به بلبس المبطنات ومتى صبوا ماءً في اناء وزجاج ووضعوه تحت السماء جمد من ساعته فليس جمود الماء بالبرد فقط . . . »

اما اليوم فاننا لا نرضى بهذا الرأي على علاته فاننا اذا بحثنا عن جمود الماء قلنا يجمد الماء ويزداد حجمه اذا وصل الى درجة من الحرارة تبلغ الصفر في الميزان المئوي وجموده على صورة قطعة من جليد مركبة من بللورات مسدسات الشكل كثافتها ٠٫٩١٨ .—

وكما تعرّض للحكمة الطبيعية فقد تعرّض للتاريخ الطبيعي فهو من أصحاب مذهب « التولد الذاتي » وله في هذا المعنى حكايات كثيرة من جملتها قوله [١] :

« والذباب من الخلق الذي يكون مرّة من السفاد والولادة ومرة من تعفن الاجسام والفساد الحادث في الأجرام والباقلاء اذا عتق شيئاً في الأقباء استحال كله ذباباً فربما أغفلوه في تلك الأقباء فيعودون الى الأقباء وقد تطاير من الكوى والخروق فلا يجدون في الأقباء الا القشور والذباب الذي يخلق من الباقلاء يكون دوداً ثم يعود ذباباً وما أكثر ما ترى الباقلاء مثقباً في داخله شيء كأنه مسحوق اذا كان الله قد خلق فيه الذبان وطيّره منه وما أكثر ما تجده فيه تام الخلق ولو تم جناحاه لقد كان طار .— »

(١) كتاب الحيوان — الجزء الثالث ص ١١٠

. وله من هذا الشكل آراء كثيرة في كتاب الحيوان فهو يؤمن بحدوث الخلق من غير ذكر ولا أنثى ويخلق الديدان من الجيف[1] ويخلق القمل من العرق والوسخ اذا علاهما ثوب أو ريش أو شعر[2] :

لقد أبطل العلم هذه الآراء بجامعها فقد دلت تجاريب « پاستور » Pasteur على ان «التولد الذاتي» أمر ممتنع فكل ججيرة مصدرها ججيرة مثلها وكل حي لا يلده الا حي مثله معنى ان الأحياء لا تلدها المواد العضوية أو المواد المعدنية .—

وقد كان للمتقدمين معتقدات غريبة في هذا الباب فقد زعموا ان القمل يلده لحم الانسان وان الديدان يلدها اللحم الفاسد وان البق ينشأ عن اختمار الروائح وماشابه ذلك .—

ان هذا كله قد ردّه العلم في أيامنا واذا وجدنا الديدان في اللحوم فمعنى هذا ان الذباب باض في هذه اللحوم فلو منعنا الذباب عن البيض لامتنعت الديدان فاذا ظهرت أحياء في مادة عضوية أو في مادة معدنية فهذه الأحياء ناشئة عن أحياء مثلها تغلغلت في هذه المواد وما أكثر تجاريب «پاستور» في هذا المعنى .—

والى جنب هذه الآراء الباطلة قد تجد للجاحظ آراء جليلة في العلم تكاد تكون من أحدث الآراء فالحيوان في بيئة مايكون تركيب خلقته مناسباً لهذه البيئة فمن قول الجاحظ في الضب[3] :

« قالوا : من كَيْس الضب ان لايتخذ جحره الا في كُدْيةٍ وهو الموضع الصلب أو في الارتفاع عن المسيل والبسيط ولذلك توجد براثنه ناقصة كليلة لانه يحفر في الصلابة ويعمّق الحفر .— » .

فانظروا كيف علّل نقصان براثنه وكلالتها فبراثنه ناقصة كليلة لانه يحفر في الصلابة ويعمق الحفر وهذا التعليل علمي محض .—

والى جنب هذا كله بحثه عن غريزة الحيوان وعن إحساسه وما أحببت ان استقصي هذه الآراء فادل على مابطل منها وعلى ما صح في عصرنا هذا فان هذا العمل انما هو عمل العالم

(١) كتاب الحيوان — الجزء الثالث ص ١١٤
(٢) 〃 〃 〃 الخامس ص ١١٢
(٣) 〃 〃 〃 السادس ص ١٢

لا الاديب فاذا تفرغ علماؤنا لتدوين أطوار العلم في العرب استطاعوا أن يجدوا للجاحظ مادة واسعة في هذا الباب وأما عملنا فاننا نقتصر فيه على ايجاز في الكلام على الجاحظ من حيث سعة عبقريته ..—

وبينا نجده يبحث أمثال هذه المباحث اذ يتفرغ لباب من أروع أبواب اللغة وهو باب : حياة الألفاظ ، انكم تعلمون أن لتغيير معاني الألفاظ أسباباً منطقية وأسباباً روحية وأسباباً أدبية ، فمن جملة الأسباب المنطقية الاستعارة فالاستعارة تنقل اسم الشيء الى شيء غيره لصفة من الصفات يشترك فيها الشيئآن فورقة الشجر تعير اسمها ورقة الكتابة بسبب الرقة التي تشترك فيها الورقتان فانظروا كيف يخوض الجاحظ في مثل هذا الفصل فيقول (١) :

« ثم سموا الآطام التي كانت بالمدينة للامتناع بها من الأعداء صياصي قال الله عز وجل : وانزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم والعرب تسمي الجارح وذا الجثة صاحب سلاح فلما كان اسم سلاح الديك ومايمتنع به صيصية سموا قرن الثور الذي يجرح صيصية وعلى انه يشبه في صيصية صورته بصيصية الديك وان كان أعظم ثم لما وجدوا تلك الآطام معاقلهم وحصونهم وجنتهم وكانت في مجرى الترس والدرع والبيضة اجروهما مجرى السلاح ثم سموها ضياصي ثم اسموا شوكة الحائك التي بها تهيأ السداة والحمة صيصية اذا كانت مشبهة بها في الصورة فان كانت أطول شيئاً ولانها مانعة من فساد الحوك والغزل ولانها في يده كالسلاح متى شاء أن يجأ به انساناً وجأه به وقال دريد بن الصمة :

نظرت اليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممدد

وقد تسمي العرب ابرة العقرب شوكة كما تسمي صيصية الديك شوكة وهي من هذا الوجه شبيهة بشوك النخل ويقال لمن ضربته الحمرة قد ضربته الشوكة لأن الشوكة اذا ضربت انساناً فما اكثر ما تعتريه من ذلك الحمرة .....—»

ثم توسع في هذا الباب على هذا النحو —.

هذا نمط من الأفكار التي عالجها الجاحظ يدلكم على شيء من سعة علمه وامتداد أفياء عبقريته ومن خصائص الذين يخوضون في أبواب كثيرة ويتعرضون لمذاهب شتى قلة التعمق فقد تعرض لهم أفكار كثيرة لانبساط ثقافتهم فيلمون بها إلماماً ولا يتعمقون فيها تعمقاً فهم

(١) كتاب الحيوان — الجزء الثاني ص ٨٥

يفهمون كل ما يقع عليه نظرهم ولكنهم قد لا يفهمونا إياها في بعض الاوقات على نحو فهمهم لها فالجاحظ من هذا القبيل في بعض مباحثه فهو يلهو بالمعاني لهواً فيخرج من فكر الى فكر ومن معنى الى معنى ولكنه يضرب في آفاق كل المعاني ويجول في ميدان كل الأفكار ، اي كتاب من كتبه بل اي سطر من سطوره لا يوطئ للقارئ مجال التفكير وسواء أتوسع في أفكاره أم ألمّ بها إلماماً انه عظيم ولست أدري هل أورثتنا عبقرية العرب أعظم منه فهل نعرف حياةً أوسع آفاقاً من حياته العقلية وذهناً أخصب تربةً من ذهنه وفكراً اشدّ انطلاقاً من القيود من فكره ، لقد ذاق لذّة الحياة العقلية وتقلّب في أعطافها تخالط عالم الأفكار واستأنس بهذا العالم فلم يستوحش من ناحية من نواحيه ، خاطب العقل في قرن متكامل ولكن هل تعلمون أي عقلٍ خاطبه ، لقد خاطب العقل الذي يكره كل باطلٍ من الاباطيل وكل قيدٍ من القيود ، فما كان عقله يأنس الا بضياء الأشياء وما كان هذا العقل ينقبض الا عن ظلامها ففي كل يوم كان يطلع على العالم بأفكار حديثة فما كان غذاؤه الا الأفكار والا المعاني ، لقد سكر كل حياته بألوان الأدب وبرنّات الفاظه وثمل كل عمره من لذّة العلم فجعل هذا الأدب وهذا العلم نزهة عقله ومشحذة طبعه وبهجة نفسه وعمارة صدره !

دمشق : في ٢ نيسان ١٩٣٢

شفيق جبري

صفي الدين الحلي

—((☆))—

هو الشاعر المطبوع أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا الشهير بصفي الدين الحلي .

والحلة المنسوب اليها الشاعر هي حلة بني مزيد ، وتسمى حلة بابل لوقوعها قرب بابل القديمة الى الجنوب ، الا أن أطلال بابل على شاطئ الفرات الشرقي ، والحلة على شاطئه الغربي شمالي أطلال الكوفة ولا تزال الحلة عامرة الى عصرنا ، وبنو مزيد أصحابها بطن من بني أسد بناها منهم الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس (بكزبر) ابن علي ابن مزيد الاسدي سنة ٤٩٥ في مبدإ الدولة السلجوقية . وكانت من أرقى مدن العراق غير أن توارد الأعراب عليها ونزولهم بها جعلها كثيرة الفتن والحوادث

الحالة السياسية والاجتماعية في عصره

نشأ المترجم في عصر الدول التركية التي كان سلطانها حينئذ يمتد من شواطئ المحيط الاعظم (الهادي) الى برقة غرباً ، ومن شواطئ المحيط القطبي الشمالي الى خوض الكنج واليمن ودنقلة جنوباً ، ولو كان هـذا الملك العظيم مستظلاً براية واحدة ومحكوماً بنظام واحد لنشأ في أحضانه أسمى حضارة شهدها سكان كوكب الارض ، ولكن سلطان هذا الجيل التركي لم يكن متوحداً الا في الجذم الطوراني وأصول اللغة ، وكان متقاطعاً في الدين والمذهب ، متدابراً في أصول الحكم والسياسة متفنناً في اختراع ضنوف الظلم والقسوة ، فلم يجر على العالم الا الفتن المبيرة واختفاء آثار الحضارات السابقة لحكمه ، فتكونت منه دول لا تحصى من التتار في الصين وشمال آسيا وأواسطها وشرقي أوربة ، ومن بقايا السلجوقيين في الجزيرة وآسيا الصغرى وشمالي الشام ، ومن المماليك التركمانية بالشام ومصر وبرقة والنوبة والحجاز . وكان ملوك كل دولة من هذه الدول الكثيرة يحكمون

البلاد بولاة وعمال من الترك مؤيدين بجيش من جنسهم وكان من الرعايا المقهورين كل رجال القضاء والادارة وجباية الاموال واعمال الري والعمارة . وفي الجملة أكثر أرباب الاقلام والادباء والمدرسين والمؤلفين ، ولذلك كان تأثير سلطانهم في اللغات الوطنية وآدابها ضعيفاً بالاضافة الى تأثيره في اضطراب الأمن وزعزعة أركان الحضارة القديمة ، ولذلك بقيت اللغة والآداب الصينية غالبة على مغول الصين ، والفارسية غالبة على مغول فارس وأواسط آسيا وعلى بقايا السلجوقيين فيها ، والعربية غالبة على الدويلات المتشعبة من السلجوقية في العراق والجزيرة وعلى دولة المماليك بمصر والشام ، ومن تلك الدويلات دويلة كان ملوكها سلالة مملوك تركي من مماليك (ملك شاه السلجوقي) يدعى (أرتق) .

صرف شاعرنا أكثر عمره في خدمة ملوكها . وكان الشأن في كل أسرة ملكية من الترك في العراق والجزيرة ومصر والشام اذا طال أمد حكمها في بيئة عربية أن يستعربوا أو يلموا بالآداب العربية ، فيروج عندها الادب العربي بعض الرواج ويعجبهم تأليف الكتب بأسمائهم ، وربما اتخذوا من أدباء العرب بطانة لهم وندماناً وسماراً ، بل ربما نظم بعضهم الشعر . لهذا نجد شاعرنا يتنقل أحيانا في العراق والجزيرة والشام ومصر ويعيش بالادب ، ونجده يكثر في شعره من وصف غلمان الاتراك لكثرتهم في زمنه وامتلاء اسواق الرقيق بهم مما يسببه المغول في غاراتهم على شمالي آسيا وشرقي أوربة ، وكثر في شعره الطرديات لولع الترك بالصيد .

نشأته .— ولد المترجم سنة ٦٧٧ هـ بمدينة الحلة من أسرة عربية من قبيلة سنبس احدى قبائل طيء ، وكانت عشيرته على اشتغال كبرائها بالفقه والأدب على حالة بداوة : تحمل السلاح ، وتشترك في الغارات والحروب ، وتطالب بالثأر ؛ فنشأ المترجم نفسه على هذه السجايا ، فتأدب على أهله وعلماء بلدته وعلماء بغداد لقربها منها وشب مطبوعاً على قول الشعر ينظمه تأدباً وتطرباً لا استجداء به وتكسباً كما قال هو عن نفسه .

وحدث في شبيبته ان شبت فتنة بين أسرته المسماة آل محاسن وبين أسرة أخرى تسمى آل ابي الفضل فاغتال آل ابي الفضل خالاً له يدعى صفي الدين ابن محاسن : قتلوه في مسجده ، وكانوا أقوى من أسرة المترجم ، فأعمل صفي الدين لسانه وقلمه وقصد أمراء النواحي ورؤساء العشيرة يستنجدهم على أخذ ثأر خاله من آل ابي الفضل ؛ وحدثت بين

الفريقين موقعة انجذل فيها آل ابي الفضل فافتخر صفي الدين هو وعشيرته باخذ ثأرهم من عدوهم . فذلك حيث يقول في مطلع قصيدته الشهيرة :

سلي الرماح العوالي عن معالينا   واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا

الا ان هذه الموقعة لم تكن خاتمة الفتن ، بل بقيت العداوة يحتدم أوارها ويشتد أذى آل ابي الفضل على المترجم وأسرته حتى أزعجوه عن المقام في بلده ، وخشي غائلتهم ؛ فخرج مهاجراً حتى ألقى عصاه في مدينة ماردين من إقليم ديار بكر بارض الجزيرة الفراتية مستظلاً بحماية ملوكها من بني أرتق « كفلفل » وهم ملوك دولة من فروع الدولة السلجوقية دخلوا في طاعة التتار وحاسنوهم فأبقوهم على حكم ماردين وإقليم ديار بكر . ومؤسس ملكهم أرتق الكبير وهو مملوك شجاع من مماليك آل سلجوق . وعاصر المؤلف منهم الملك المنصور نجم الدين غازي وولده الملك الصالح ، وعاملاه معاملة كريم مستجير بهما لا عاملة شاعر مستجد . وكتب الى أهله بالحلة عند وصوله الى ماردين يقول :

ألا بلغ هديت سراة قومي   بحلة بابل عند الورود
الا لا تشغلوا قلباً بعدي   فاني كل يوم في مزيد
لاني قد حللت حمى ملوك   ربوع عبيدهم كهف الطريد
فمن يك نازلاً بحمى كليب   فاني قد نزلت حمى الاسود

وبقي في كنف الملك المنصور غازي يمدحه وينادمه حتى مات المنصور سنة ٧١٢ ومدحه بجملة مدائح منها القصائد المسماة بالأرتقيات ، وهي تسع وعشرون قصيدة كل منها تسعة وعشرون بيتاً على حرف من حروف المعجم يبدأ في كل بيت منها بحرف وبه يختم أي يكون روياً ومبدأ وجعلها ديواناً سماه « درر النحور في مدائح الملك المنصور » ثم كان في خدمة ولده الملك الصالح فخف على قلبه ومزجه بنفسه واصطفاه وأسبغ عليه نعمته وجعله في خاصة بطانته ينادمه ويؤانسه ، ويخرج معه الى الصيد والوقائع ، وطاب له العيش في ماردين ، ووفرت نعمته واقبل على اللهو والطرب ونظم الشعر في الغزل والخمريات والدعابة والمجون حتى اذا ناهزت سنه الخمسين عزم على المتاب من شرب الخمر وارتكاب الآثام ، وجعل باكورة التوبة الرحلة لحج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام سنة ٧٢٤ هـ ودخل مصر بعد حجه سنة ٧٢٦ وسلطانها يومئذ الملك الناصر محمد بن قلاوون ووزيره و كاتب

سره القاضي علاء الدين بن الاثير الجزري الكاتب المؤلف المشهور ، فمدحه ومدح الناصر بقصيدة طنانة عارض بها قصيدة ابي الطيب « بابي الشموس الجانحات غواربا » ومطلعها:

اسبلن من فوق النهود ذوائبا   فتركن حبات القلوب ذوائبا

فأغدق عليه نعمه وهداياه . ثم رحل الى الشام فنزل بدويلة من بقايا آل أيوب مستظلة بحماية سلاطين مصر من آل قلاوون ، وتحكم مدينتين او ثلاثاً من مدن وادي العاصي وحاضرتها مدينة «حماة» وكان سلطانها في ذاك الوقت الملك المؤيد ابو الفداء عماد الدين اسماعيل مؤلف كتاب « تقويم البلدان » والتاريخ المسمى « المختصر في أخبار البشر » فنزل ضيفاً عليه فأكرمه ، وبقي أثيراً عنده مدة ، ويظهر من مراثيه ومدائحه ومكاتباته انه أقام بالشام عدة سنين ، ولقي بدمشق الشهاب محموداً الحلبي وابن نباتة المصري . وتكسب فيها بالتجارة . ثم لحق بمخدومه بماردين بعد غيبة طويلة . وصار يختلف الى بلاد الجزيرة وبغداد والشام ويراسل أدباءها ويمدح ملوكها ويرثيهم . ولم نعلم عن يقين البلد الذي مات به ونرجح أن تكون وفاته بماردين . ومات سنة ٧٥٠ هـ .

علمه وأدبه . — كان علم صفي الدين لا يعدو اللغة وآدابها وكان يحفظ كثيراً من شعر المتقدمين المجودين في اللفظ والأسلوب من أمثال ابي نواس والبحتري وابي تمام وابن الرومي وابن المعتز ، فأثرت فيه خمريات ابي نواس وغلامياته وأثرت فيه أوصاف ابن المعتز وطردياته ، وكثيراً ما أغار على معاني هؤلاء ، ولم يكن علمه بغريب اللغة ولا تاريخ العرب في جاهليتهم واسلامهم موازياً لشهرته بالادب ولا بافتخاره بالانتماء الى سنبس من طيء ، ومبلغ علمه من الادب واللغة أنه حفظ الكثير من الشعر فأكسبه ملكة قلما تهيأت لاحد في عصره .

ذكاؤه وتوقد خاطره . — كان صفي الدين على جانب عظيم من توقد الخاطر وسرعة البديهة يعرف ذلك من قرأ ديوانه فرأى فيه الكثير من غرائب الصناعة البديعية كالاكثار من عجيب التصحيف وما لا يستحيل بالانعكاس والاكثار من القصائد المهملة الحروف والمعجمتها المصغرة الالفاظ وذوات القافيتين وضوابط الشطرنج والعلوم ، ولو انه بذل بعض هذا الجهد في استخلاص لباب اللغة والغوص على المعاني الرائعة لبذّ المتقدمين ، ولكن هكذا كان ديدن أهل عصره ورغبتهم من الادب .

أخلاقه . — نشأ صفي الدين في الحلة على فطرة عربية من الشمم وإباء الضيم ، وحب الإنتقام والاخذ بالثار ، وشهود المعارك والرغبة عن ذل السؤال ، ونظم الشعر للتطرب والرياضة لا للاستجداء كما يتحدث بذلك عن نفسه في مقدمة ديوانه وكما يستخلص من قراءة شعره في شبابه غير انه لما لحق بخدمة متأخري آل أرتق قبيل انتهاء دولتهم ، وكانوا أهل ترف وانهماك في اللذات ومعاقرة للخمر ولهو بالصيد والقنص اعتاد من عاداتهم ، ونادمهم في مجالسهم ، وتغزل في غلمانهم . وأفحش وفجر . ولما علت سنه عزم على التوبة والنسك وحلف الا يشرب الخمر ، ولكنه نقض التوبة مراراً فعاد وشربها مرضاةً للامراء والرؤساء .

ومن الغريب في امره تصريحه في قصيدة خمرية ذكر فيها تنغيص شهر رمضان على الشاربين لذاتهم بان لا ينسك الا بعد ٦٨ سنة من عمره وذلك حيث يقول منها

فيه هجر اللذات حتم وفيه (غير مستحسن وصال الغواني)
وقبيح فيَّ التنسك الا (بعد ستين حجة وثمان)

ولا أدري سبباً لارجاء التوبة النصوح الى هذا السن المضبوطة بالعدد الا تضمينه شطري مطلع القصيدة التي بعث بها الشريف ابو ابراهيم موسى بن اسحق الى ابي العلاء المعري وهذا هو المطلع :

غير مستحسن وصال الغواني بعد ستين حجة وثمان

فأجابه ابو العلاء بنونيته الشهيرة التي مطلعها :

عللاني فان بيض الاماني فنيت والزمان ليس بفان

ولا ندري على اي حال انتهت حياته ، وكان الحلي يتشيع نوع تشيع يترضى عن الصاحبين ، وينكر على الأمويين والعباسيين حد الانكار ، وتلك نزعة قديمة العهد في أعراب الفرات والجزيرة منذ عهد علي ومعاوية وأرسخها فيهم وجود مشاهد النجف وكربلاء بين ظهرانيهم .

شعره . — نشأ صفي الدين في القرن الذين خلفوا قرن القاضي الفاضل وانتحلوا طريقته في التهافت على استعمال المحسنات البديعية والشغف بها شغفاً أخرجهم عن قصد البلاغة فكان معاصراً لكثير من كبار ادبائهم وشعرائهم ومؤلفيهم من أمثال شهاب الدين محمود

الحلبي وابن فضل الله العمري وابن نباتة المصري وصلاح الدين الصفدي وعلاء الدين بن الاثير والملك العالم المؤرخ الاديب مؤيد الدين صاحب حماة ، فكان صفي الدين علماً شامخاً بين هؤلاء الاعلام معترفاً له بالسبق في فنون من الشعر والاجادة في أخرى ، وكلهم كاتبه وراسله وعارضه وعابثه فاذا وازناه بهم واحداً واحداً من كل وجه طال بنا المقام ، ولكنا نشير اليك هنا بأن شهاب الدين كاتباً ومؤلفاً أرجح منه شاعراً وأن صناعته في الكتابة أروع من صناعة صاحبنا: فصفي الدين اشعر منه واكثر طروقاً لفنون الشعر وأبوابه وأن ابن فضل الله العمري امام لايجارى في الادب والتاريخ ووصف الارضين والشعوب والملل والنحل وكتابة الترسل ، وصفي الدين في غير الادب ليس هناك فهو يفضل ابن فضل الله في الشعر ويفضله في كل ما تقدم ، وأن الصفدي وان كان ذائع الصيت في الشعر وانتحال البديع الا أن التأليف غلب عليه ، فزاحمت ملكة التأليف وتقرير الحقائق ملكة الشعر وانتزاع الخيال وبذلك يكون صفي الدين أشعر منه وأطبع في الشعر ، وكذلك شأنه مع ابن الاثير . بقيت الموازنة بينه وبين ابن نباتة وهما متشابهان في كثير من الامور ، فهما شاعران مطبوعان غلبت فيهما ملكة الشعر على كل صناعة ادبية ، بل كانا أشعر شعراء المشارقة في عصرهما ويمتاز ابن نباتة برقة اللفظ ، ومراعاة الذوق الادبي ، ودقة النكتة ، ولطف الكناية والتعريض ، وليس ذلك فيه بعجيب ؛ فهو مصري صميم تخرّج بشعر القاضي الفاضل ، وابن سناء الملك ، والبهاء زهير ، وابن مطروح ، وابن قلاقس الاسكندري ، فانطبعت في شعره صورهم وتقمصت به أرواحهم ، وبرع ابن نباتة في التورية جد براعة حتى لم يبق لاديب معه فيها كبير نصيب ، ولم تقل كتابته على الطريقة الفاضلية عن شعره كثيراً ؛ فهو كاتب بديعي بارع متكسب بصناعة الكتابة والترسل في دواوين مصر والشام .

واما صفي الدين فشاعر بديعي صقيل اللفظ رائع الاسلوب متفنن في كل غرض صاحب مقطعات ومطولات ومسمطات وموشحات وينظم من أوزان العرب والمولدين ، ويقول الدوبيت ومجزو الدوبيت . وهو من الغلاة في البديع فيجيد المطولات المؤلفة كلماتها من الحروف المهملة تارة والمعجمة أخرى أو التي حرف منها مهمل وحرف معجم أو التي كلمة منها مهملة والاخرى معجمة أو التي كل أسمائها مصغرة ، أو لاتستحيل بالانعكاس ، ثم هو بعدُ غاية في الجناس ، الا أنه ليس له في التورية كثير غناء ولكن الاديب الحاذق يرى

أن كل ماامتازبه الحلي داخل في باب التكلف والتحذق لافي باب الانطباع والرقة والرشاقة ·
وبذلك يُفضّل ابن نباتة في جملته على الحلي في جملته ·

« للبحث صلة » احمد الاسكندري

آراء وافكار

استفهام

طالعت في الجزء الاخير من مجلة المجمع فصلاً للاستاذ المحقق الشيخ بهجة الأثري فيه لغة وأدب وتشريع وتاريخ وقد وافقت على كل ماجاء فيه تقريباً · وأسر ما سرّني منه إنكاره الحيل الشرعية واستهجانه تسمية كتاب الامام محمد بالحيل واستشهاده باقوال ابن قيم الجوزية على إبطال هذه الحيل من أصلها وذلك في كتابه القيم « اعلام الموقعين » ·

أماالذي لم أوافق عليه في هذا الفصل الممتع فهو قوله : « ومن مأثور أقوالهم ركب جنح نعامة » لمن جدّ في امر · فان المثل « ركب جناحي نعامة » أو « جناح نعامة » ولايخفى ان الجنح غير الجناح · فالجنح هو الجانب ويقال جنح الليل بضم فسكون أو بكسر فسكون أي جانبه وقيل اوله وقيل قطعة منه نحو النصف · ويقال كأنه جنح ليل يشبه به العسكر الجرار · ويقال جنح الطريق ايضاً أي جانبه · وعلى كل حال لم يرد «جنح نعامة» ولا جنح ايّ طائر وانما هو جناح · واما استشهاد الاستاذ الأثري بقول شاعر الحماسة :

كأن بصحراء المريط نعامة تبادرها جنح الظلام نعائم

فهو دليل على قولهم «جنح الليل» و « جنح الظلام » لا على « جنح النعامة » ولا أزال أحفظ ان اليازجي الكبير في مقاماته استعمل «الجنح» بمعنى «الجناح» مضافاً الى الطائر فأخذ عليه في ذلك احمد فارس صاحب الجوائب · فان كان عند الاستاذ الأثري نص أو شاهد يوثق به على ورود جنح بمعنى جناح مضافاً للطائر فليدل به فانما انا مستفهم ·

جنيف : شكيب ارسلان

ملاحظات

اطلعت في الجزء الثاني عشر من المجلد الحادي عشر من مجلة المجمع العلمي على مقال للاستاذ سليم عنحوري يحتوي على ترجمة الحلاج فرأيت فيه من المآخذ ما يجب التنبيه عليه . ذكر في ص ٧٤٦ و٧٤٧ ان الذي دعاه الى ترجمة الحلاج كونه أديباً متكلماً ينظم شعراً عربياً خالص العروبة لا مغمز فيه ولا لحن يذهب فيه مذهباً غريباً — الى ان قال : فالحلاج إذن شاعر له مزية على غيره هي تفرده بطريقة اختطها لنفسه .

والحقيقة اننا لم نر أحداً ممن ترجم الحلاج مع كثرة من ترجمه قال عنه إنه أديب أو شاعر لتكون له طريقة خاصة أو شاعرية خاصة . وغاية ما قالوا عنه انه نسبت اليه أبيات كان يتمثل بها . وجميع ما نسب اليه لا يتجاوز ثلاثين بيتاً من الشعر مع جواز انه لم ينظمها . ومثل هذا العدد الضئيل لا يحشره في جملة الشعراء حتى ولا النظامين . ويشهد لهذا ان صاحب المقال نسب الى الحلاج هذين البيتين (انا من أهوى ومن أهوى انا . الخ) مع ان ابن خلكان في تاريخه ذكرهما في ترجمة الحلاج ولم ينسبهما اليه ، ونسب اليه ايضاً : (أرسلت تسأل عني كيف كنت وما . الخ) ونسب ابن خلكان اليه ايضاً هذين البيتين ثم ذكر ان ممن تمثل بهما ايضاً سمنون بن حمزة الزاهد وهو من المعاصرين للحلاج . فهذا يؤيد ان ما نسب اليه لا يخرج عن حد النسبة أو التمثل وأي رجل عنده أدنى ملكة في العلم لا يتمثل باقوال الشعراء .

وجاء في ص ٧٤٤ ان الحلاج صحب حال حياته القاسم بن الجنيد والثوري والحسن البصري فصحبته للحسن البصري وللثوري لم نر احداً قال به قبله . كيف وبين وفاتيهما وولادته عشرات من السنين فوفاة الثوري سنة ١٦١ هـ ووفاة الحسن البصري سنة ١١٠ هـ فاذا ثبت ان الحلاج قتل سنة ٣٠٩ هـ وبالغنا في عمره وقلنا سنه يوم قتل ستون سنة فتكون ولادته عام ٢٤٩ وعليه فتكون وفاة الثوري قبل ولادة الحلاج بـ ٨٨ سنة . ووفاة الحسن البصري قبل ولادته بـ ١٣٩ سنة فكيف تسنى له الاجتماع بهما ؟

وقوله : القاسم بن الجنيد خطأ . وانما هو ابو القاسم الجنيد بن محمد .

وجاء في ص ٧٤٩ و ٧٥٠ ان الوزير حامداً أحضر القاضيين : ابا عمرو بن العلاء وجعفر

ابن بهلول في محاكمة الحلاج . فزيادة ابن العلاء وهم ايضاً لان اباعمرو بن العلاء توفي سنة ١٥٤ فيكون بين وفاته ومحاكمة الحلاج نحو من ١٥٥ سنة والذي في تاريخ ابن خلكان : القاضي ابو عمر بغير واو ولم يذكر اسمه ولا اسم ابيه .

وجاء في ص٧٤٤ سطر١٤ العباس بن سريج وانما هو ابوالعباس بن سريج كما في ابن خلكان .

هذا ما رأيته من المآخذ الجديرة بالذكر وهناك امور أُخر أضربنا عنها صفحاً .

دمشق : محمد احمد دهمان

مطبوعات حديثة

—(()—

آداب المعلمين

« مما دون محمد بن سحنون التنوخي عن أبيه . عني بنشره السيد حسن حسني »

« عبد الوهاب التونسي طبع بمطبعة العرب بتونس سنة ١٩٣١ ص٧٦ »

هذا الكتاب من مطبوعات اللجنة التونسية لنشر المخطوطات العربية نشرها صديقنا العلامة السيد حسن حسني عبدالوهاب الذي اشتهر بتآليفه وتحقيقاته الكثيرة باللغتين العربية والفرنسية قدم له مقدمة مستوفاة للتعريف بالمؤلف وهو من أهل القرن الثالث للهجرة وشفعها بلمحة عن الكتاتيب بافريقية في زمن المؤلف فقال : « ان الغزاة العرب من الصحابة وتابعيهم لما فتحوا إفريقية في أواسط القرن الاول للهجرة كان الكثير منهم في عيالهم وذراريهم فعندما أناخوا بمعسكرهم وخطوا (قيروانهم) كان أول ماأنشأوا الدور والمساجد ثم التفتوا الى تعليم صبيانهم فاتخذوا لهم محلاً — كتاباً — بسيط البناء يجتمعون فيه لقراءة كلام الله العزيز ... حكى غياث بن ابي شبيب قال : كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر علينا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا في الكتاب وتليه عمامة قد أرخاها من خلفه . » « ولم يزل شأن الكتاتيب في نمو وعددها في ازدياد وتكاثر في العاصمة وفي المدائن الإفريقية الكبيرة كتونس وسوسه وصفاقس حتى لم يخل منها درب من الدروب أو حي من الأحياء وربما تعددت الكتاتيب في الحارة الواحدة مثلما تعددت المساجد في الحارات . ولا عجب ان اعتبرت الكتاتيب في القديم كملحقات بالمساجد وتوابع لها بل انما وجدت ايضاً في دور الأعيان والاغنياء ، وبالاحرى في قصور الوزراء والامراء . » وقال: ان التعليم الابتدائي ما كان يختص بالولدان دون البنات بل

انه كان شاملاً للجنسين لا سيا عند المياسير وذوي الحيثيات وأرباب المناصب العالية . ومما لاريب فيه ان معلمات من فاضلات النساء كن يهذبن ويعلمن الجواري والبنات المقصورات في الدور والقصور في كل عصر من العصور . ثم ذكر طريقة التعليم في الكتاب وما الى ذلك من الفوائد التي حققها من التاريخ فكانت صورة صادقة لعناية المسلمين بتعليم أبنائهم .

أما متن الكتاب الذي علق عليه وقدم له هذه المقدمة البارعة وقفى عليه بآراء بعض علماء العرب في التربية كابي بكر بن العربي وابن خلدون الحضرمي — فهو على أسلوب الرواية عند المحدثين ، ذكر فيه ماجاء في تعليم القرآن وفي العدل بين الصبيان وفيما يجوز من الأدب ومالا يجوز وفي واجبات العلم واجارته ومايجب له من لزوم الصبيان الى آخره . فجاء الأصل والتعليق من جميل ما يقتنى ويستفاد منه على صغر حجمه . م . ك

تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

« الجزء الاول وفيه سيرة السيد جمال الدين الأفغاني تأليف السيد محمد »
« رشيد رضا . الطبعة الاولى في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥٠ — ١٩٣١ »
« ص ١١٣٤ »

كان قراء العربية أشوق مايكون لصدور هذا الكتاب بعد ان صدر الثاني والثالث منه منذ سنين . وهما في منشآت أستاذنا الشيخ محمد عبده وماقيل في تأبينه ورثائه . وهذا الجزء في سيرته توسع فيها صديقنا الاستاذ توسعاً عظيماً لم يترك معه من سيرة المترجم له مجالاً لقائل وشفعها بوثائق تاريخية أهمها ما كان من قلم المترجم له رحمه الله مثل ترجمته لنفسه منذ نشأته ومفكراته في الحوادث العرابية ، وقد اتهم بانه مشايع لرجال الثورة فحبس أشهراً ثم نفي الى الشام ثلاث سنين ، وقد توسع المؤلف ايضاً فيما وقع للاستاذ الامام في السياسة ، وذكر أثره في نهضة مصر العلمية ، وهذا أهم من حياته السياسية . فان في حياته العلمية عبراً كثيرة ودروساً مفيدة في الاصلاح الاسلامي ، تعلّم وتذكر وتثقف ، ولا يستغني

عن تدارسها من يضرب باصغر سهم في الحركة العلمية العصرية · وقد لحظنا من مجموع هذا التاريخ ان المترجم له زُجّ في السياسة زجًا فكان مضطراً الى ركوب مراكبها الخشنة ولذلك رأيناه بعد ان صفا له الزمن وكان مفتي مصر الاكبر يتخلى عن السياسة ولم يرض ان يدخل غمارها بالفعل مع أنه أُريد على الدخول فيها قائلاً في الاعتذار أنه خُلق معلماً ويرجو أن يموت معلماً · وهكذا كان الى ان ناداه ربه الى جواره · لاجرم ان نشر هذه الوثائق المفيدة برمتها قد أورث الكتاب تطويلاً ولكنه تطويل محبوب غير مملول ، وقد حفظ المؤلف بهذا الصنيع جانباً كبيراً من تاريخ مصر الحديث ومثالاً صادقاً عن وقائع يهتم لها أبناء هذا الشرق القريب عامة · وكأن المؤلف يستخدم أسلوب المعلمين في التدريس باسلوبه فيكرر العبارة لترسخ في أذهان الطلبة ويورد عليها الشواهد لبيان ما فيها من المقاصد · وقد يرى المطالع انه قد خرج من الموضوع كثيراً بما يقرأ من الاستطراد الذي قد ينفع الاستغناء عنه ثم لا يلبث المؤلف ان يعود بالقارئ أدراجه فيدرك انه في صدد قراءة سيرة عظيم من عظماء الاسلام ·

وهذا النمط من التأليف بما يحمل في مطاويه من متانة عربية شائقة لا نزاع فيها هو فيما اختص به فيما نرى الكاتب المدقق السيد محمد رشيد رضا وقد يكثر في كتابته من ذكر خصوصيات لا شأن لها في العموميات · وكان الموضوع يكتسب روعة وجلالاً اكثر لو خلت منها مكتوباته · وهذه النمشة الطفيفة لا تقدح في ذاك الوجه الجميل ·

ومما يجب ان يستفاد منه ان الرجل الحكيم الشيخ محمد عبده بدأ بتعلم اللغة الفرنسية في الرابعة والاربعين من عمره . وقد كالمناه قبيل وفاته فكان يتكلم بها مع أحد علماء المشرقيات برشاقة لا غبار عليها ولم نحص عليه مدة ساعة كاملة غلطة أوشبه غلطة · وقد بدأ بتعلمها على أستاذ فكان هو يتلو أمامه قصة لاسكندر دوماس وذاك يصلح له النطق ويفسر له الكلم ثم تعلم نحوها بالتدريج وكان يسافر كل سنة الى سويسرا وفرنسا ويحضر في جنيف دروس العطلة في كليتها فتعلم الفرنسية في أوقات الفراغ مع اشتغاله بالقضاء وقال عن نفسه في هذا الصدد : « ثم ان الذي زادني تعلقاً بتعلم لغة اوربية هو اني وجدت انه لا يمكن لاحد ان يدعي انه على شيء من العلم يتمكن به من خدمة أمته ويقتدر به على الدفاع عن مصالحها كما ينبغي إلا اذا كان يعرف لغة اوربية . كيف لا وقد أصبحت مصالح المسلمين

مشتبكة مع مصالح الاوربيين في جميع أقطار الارض وهل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم ان يشتغل للاستفادة من غيرهم أو للخلاص من شر الشرار منهم ٠ »

م ٠ ك

الرسالة النباتية

جردنا هذه الرسالة للاستاذ الامير مصطفى الشهابي من هذه المجلة وهي كما علم القراء في بعض نباتات زراعية لم ترد في معجم أسماء النبات للدكتور احمد عيسى ومعجم العلوم الطبيـة والطبيعية للدكتور محمد شرف وقصدنا بذلك ان يقف عليها من لا يطلعون على أجزاء هذه الصحيفة ٠ وأبحاث الاستاذ المؤلف على مايوقن العارفون لا تحتاج الى تقريظ لانهـا أثر من آثار البحث والدرس وله الفضل في استخراج مئات من الالفاظ من معاجم اللغة العربية في المعاني الزراعية وايجاد مايقابلها من الاسماء اللاتينية هذا الى غير ذلك من أبحاثه التي يعرفها قراء هذه المجلة ٠ م ٠ ك

طوق الحمامة

« في الألفة والألاف تأليف الامام ابي محمد علي بن حزم الاندلسي المتوفى »
« سنة ٤٥٦ هـ عنيت بنشره مكتبة عرفة بدمشق »

تمثلت الحياة لعين السلف بصورتها الحقيقية فخبروها وادركوا ماهيتها واجادوا وصفها فما تركوا لها ظاهرة الا وقد احصوها ولا خافيـة الا وقد نفذوا اليها ببصائرهم فجاءت مؤلفاتهم في هذا المبحث ضافية وافية تندفق بفضل غزير وسعة علم وعلو همة ٠

وقد اتى عهد طويل على كثير من هذه المؤلفات كانت فيه مهملة لا تعرف قيمتها ولا يقدر نفعها لما غشي بصيرة الخلف من جهل وضلالة حتى انها كادت تندثر لولا ان تداركها الغرب بحكمته فعني بجمعها وحفظها ونشرها ٠ ومن هذه الكتب القيمة التي طوتها العصور الى عهد قريب « طوق الحمامة » في الألفة والألاف للعالم الكبير الامام ابي محمد علي بن

حزم الاندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ فقد اتى فيه المؤلف على صفة الحب ومعانيـه واسبابه واعراضه وما يقع فيه وله مقتصراً في جميع ما اورده على الحقيقة المشاهدة والحوادث الواقعة والخبرة الشخصية فجاءت رسالته هذه صفحة ادبية اجتماعية أخلاقية تنير ناحية مظلمة من نواحي النفس البشرية وتجلى عقدة هي اشد عقد الحيـاة الاجتماعية تعقيداً الا وهي الحب الجنسي منذ النظرة الاولى حتى النفس الاخير على ما يتخلل هذين الأصلين المتقابلين من علامات وصفات وتعريض واشارة ومراسلة وسفير وطي سر واذاعة وطاعة ومخالفة ومساعد ورقيب وواش ووصل وهجر ووفاء وبين وقنوع وخنى وسلو وقبح معصية وفضل تعفف وذلك باسلوب لا يختلف عن مناهج العصر الحاضر في التأليف وعبارة سهلة ممتنعة يتخللها قطع شعرية من نظم المؤلف مما يجعل لهذا الكتاب شأناً ادبياً واجتماعياً وينم عن فضل مؤلفه وغزارة علمه وسمو خلقه وسعة خبرته وصدق فراسته .

وكنا نود لو اشار الناشر الى الاصل المطبوع في ليدن من هذه الرسالة البديعة لئلا يُغمط حق ناشره الاول . اسعد الحكيم

المجلد الثاني عشر الجزء ٥ و٦

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

أيار — حزيران
١٩٣٢

دمشق :
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي الدفع مقدماً { في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكا

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها
« ٣٠٠ « السادسة الى الحادية عشرة «
في الخارج ٦٠٠ « الاولى الى الخامسة «
« ٣٥٠ « السادسة الى الحادية عشرة «

كتب الأدب القديمة والحديثة

— ٢ —

كنا أسلفنا فيما سبق كلمة تحت هذا العنوان بينا فيها حالة كتب الادب وما منيت به في الطبع والشرح ووعدنا بتقديم مثالين على صحة ما قلناه وقد ذكر المثال الأول ونشر في الجزء ٩و١٠ والمجلد ١١ من هذه المجلة. ثم حيل بيننا وبين انجاز القول بما لاطاقة لنا برده ٠

والآن نقدم للقراء الكرام كلمة في المثال الثاني وهو زهر الآداب وفاء بما وعدنا ٠

كتاب زهر الآداب وثمر الالباب لابي اسحق الحصري القيرواني يغني اسمه عن التعريف به وشهرته في عالم الادب العربي تكفي مؤنة الاسهاب في مدحه واطرائه وقد طبع غير مرة ولم تسلم طبعة من الزيادة على سابقتها في التحريف والتصحيف حتى اصبح ذلك الزهر والثمر مسيجاً بشوك من الأغلاط والتشويه .لا يبلغ الا بشق الانفس ٠ ثم قيض الله لاحياء هذا الكتاب الجليل الاستاذ الفاضل الدكتور زكي مبارك فعني بطبعه وشرحه وصدر هذه الطبعة بما يأتي قال في الجزء الأول منه :

وقد ظل بين يدي نحو تسعة اشهر وانا معتقل في سنة ١٩٢٠ فقرأته ثم قرأته وعنيت بضبطه وتصحيح ما وقع فيه من الاغلاط ثم رأيت ان افصله ٠٠٠

ثم قال : كان زهر الآداب مطبوعاً على هامش العقد الفريد من غير ضبط ولا شرح وكان يكفي ان يطبع الكتاب طبعة ازهرية ليصبح مثالاً في المسخ والتشويه ولتقذى في قراءته العيون وتضل في فهمه العقول فأنفقت من جهدي ومن وقتي في تحقيق ماجناه من السنين وعبث الجاهلين ما لا أمن به على القارئ الا وانا آسف محزون ٠

ثم قال : في الطبعة القديمة كثير من الأغلاط ولا غرابة في ذلك فقد كان الأدب يوم ظهرت قليل الانصار وقد اعتمدت في ضبط هذه الطبعة على مراجعة الاصول التي أخذ

منها زهر الآداب وعلى ما اتى به من مختلف المعاجم والقواميس فان استطاع القارئ ان يلفتني الى خطأٍ فاتني اصلاحه فاني بشكره خليق · وقفت على هذه المقدمة فاخذتني نشوة الطرب لما جاء فيها وكدت أطير فرحاً بابراز هذا الكتاب الجليل الى عشاق الادب مصححاً منقحا مشروحاً وحمدت الله على ان لم يكن طبع طبعة ازهرية ولم يكن مثالاً للمسخ والتشويه ·

الا ان القدر لم يشأ ان يكون مدى سروري اكثر من لمح البصر ·

فلقد تصفحت بضع صفحات من كل جزء فسقطت على مالم اكن اتوقع · واصطدمت بما لم يقع في الحسبان ··

ولما كان الاستاذ الفاضل أذن للقارئ — ان استطاع — ان يلفته الى خطأٍ فاته اصلاحه · رأيت ان الفت نظره الى ما عثرت عليه عند نظري في هذا الكتاب نظرة عجلى · نزولا عند رغبته · ورغبة في تلافي ذلك في طبعة أُخرى وقد افردت ما جاء في كل جزء على حدة ليكون ذلك اقرب الى الرجوع الى الاصل عند ارادة ذلك ·

فما جاء في الجزء الأول :

في ذيل الصفحة ٢ · تفسيره النقد بالوزن والتحرير والتقدير بالضبط · وذلك غير سديد ·

وفيه ايضاً · قال في تفسير مدابرة · ذات سأم وملال والمدابرة في الاصل الهزيمة · والمذكور في كتب اللغة دابره اذا قاطعه واعرض عنه وعاداه · ولم اجد المدابرة بمعنى السأم والملال وفي ديوان ابي العتاهية · مدبّرة وفي نسخة · مصرفة ·

وفي ص ٦ زمن المروءة وفسر الزمن بالبالي والمشهور في هذه القصة زمر المروءة اي قليلها · ولا يخفى ما في تفسير الزمن بالبالي ·

وفيها · وان من الشعر لحكمة ويروى لحكماً · ضبطها بكسر الحاء وفتح الكاف · والصواب لحكماً بضم الحاء وسكون الكاف بمعنى الحكمة ·

وفي ص ٧ كان يزبرق عمامته اي يصفرها بالغين والصواب يصفرها بالفاء ·

وفيها · احدى النفثات في العقد · والصواب النفاثات ·

وفي ص ٩ وعقلة المستوفز فسر العقلة بالعقال والمستوفز بالمستعجل · وهو القاعد منتصباً غير مطمئن يقال اطمئن فاني اراك مستوفزاً ··

وهذا من كلام ابن الرومي · والذي في ديوانه وعلقة المستوفز · وفي امالي القالي ونهزة ما مثلها ·

وفي ص ١٣ وعقلة الظبي وحتف المتقل · وهذا من كلام المتنبي · وقد فسر المتقل بالظبية التي استبان حملها · وهو خطأ والصواب وحتف المتنفل كما في ديوان المتنبي ·

وفيها: وقد رعتها اذ كان شعري رائعاً وطرف مشيبي عن عذاري ارمد

ضبط شعري بكسر الشين والصواب الفتح ·

وفي ص ١٤ واسمه عمير بن شبيم بالباء الموحدة والصواب بالياء المثناة ·

وفيها : ويقال للصقر قطامي وقطاني والصواب قطامي في الموضعين ·

وفيها : حياء وتقيا · والصواب وبقيا كما في امالي القالي ·

وفيها : ما ظل مسلما · والصواب ما طل ·

وفيها : لغر الثنايا · والصواب كغر الثنايا ·

وفي ص ١٥ من كف ناظم · والصواب من سلك ·

وفيها : رمين فانفذن القلوب · والصواب فاقتدن ·

وفيها : الأجرى · وفي القالي الاجوى وعليه لا يصح تفسير المجزوم بما كتف الحلقوم ·

وفيها : الى هذا يتطرق : والظاهر · وهذا ينظر الى ·

وفي ص ١٦ لرنا للهجتها · والرواية · لرؤيتها كما في الديوان ·

وفيها : نظر السليم · والرواية السقيم كما ذكره في الذيل ·

وفيها : يعدي · ضبطت بكسر الدال · وهي بفتحها ·

وفي ص ١٧ ووافق فيه قطراً · والرواية ووافق منك فطراً كما في امالي القالي ·

وفيها : اوعصا زبد : ضبطت بكسر الزاي والصواب الضم ·

وفي ص ١٨ فمن لؤلؤ تجنيه : والرواية تجلوه كما في الديوان ·

وفيها : فسر الظلم بالثغر · وهو ماء الاسنان وبريقها لا الثغر ·

وفي ص ١٩ العناج ضبط بفتح العين والصواب كسرها ·

وفيها القعب ضبط بضم القاف والصواب فتحها ·

وفي ص ٢٠ انها لرشحاء · وفسرها في الذيل بانها كثيرة العرق وذلك من عيوب

النساء . والصواب رسحاء اي قليلة لحم العجز والفخذين .

وفي ص ٢١ الكتبة بضم الكاف وسكون الباء والصواب سكون التاء وفتح الباء .

وفي ص ٢٢ بقافية انفاذها وفي ديوان جرير بقارعة .

وفيها : فرى هندواني وفسر الفرى بالشق والصدع وفي الديوان قرى بالقاف وهو الصواب

وفي ص ٢٣ فسر الدمنة بمربط الخيل والابل . ولا يخفى ما فيه .

وفي ص ٢٤ فسر القوام بكسر القاف . بالتقويم ولم اره لغيره .

وفي ص ٢٥ قال : يفري الشعر بمحوه ومحو الشعر كناية عن غاية الايذاء . والمعروف فري الشيء قطعه وشقه .

وفيها : ولكن لئيم لا يقوم له زند . والرواية ولكن هجين ليس يورى له زند .

وفي ص ٣٦ فانك لم يفخر عليك كعاجز وفي ص ٣٧ كفاجر . والمعروف في البيت كفاخر .

وفي ص ٣٩ فسر الحجزة بالحضن . والصواب معقد الازار ومن السراويل موضع التكة .

وفي ص ٤٠ وسيف لا ينبو . قال في تفسيرها والنبوة عدم الاصابة ويقولون لكل جواد كبوة ولكل سيف نبوة . والصواب ان يقال نبا السيف عن الضريبة اذا كل وارتد عنها ولم يمض .

وفي ص ٤٢ وكان قد جزع المزاد ذكره في موضعين بالزاي والصواب المذاد بالذال .

وفي ذيلها . فسر الضراب بالمطاردة . وقال فيه . الدكادك جمع دكداك والظاهر ان الدكادك جمع دكدك واما دكداك فجمعه دكاديك .

وفي ص ٤٥ ونجل فحل لا يقرف . فسره في الذيل بقوله . لا يقرف من القراف بالكسر وهو داء يقتل البعير يريد انه قوي متين لا تقربه الادواء . وما ابعد هذا التفسير عن قول الاصل . ان العود من لحائه والولد من ابائه والله انه لنبات اصل لا يخلف ونجل فحل لا يقرف وظاهر انه من القرفة يقال اقرف الرجل دنا من الهجنة والاقراف من قبل الفحل والهجنة من قبل الام . والمقرف من الخيل الهجين وهو الذي امه برزونة وابوه عربي وقيل بالعكس والمقرف ايضاً النذل قال الشاعر :

فان يك اقراف فمن قبل الفحل .

وفي ص ٤٦ ان العباءة لا تكلك وان يكلك من فيها والصواب وانما يكلك .

وفي ص ٤٧ فصول القول والصواب فضول .

وفيها : والنقرى دعوة الفرد والمعروف دعوة بعض دون بعض .

وفيها : لا ترى الآدم فينا ينتقر . والصواب الآدب .

وفيها : قال في تفسير بيت زهير وهل ينبت الخطي الا وشيجه .

الوشيج عروق القصب . ومن البين ان المراد بالوشيج هنا شجر الرماح .

وفي ص ٤٨ مقامات حسان وجوهها . والرواية وجوههم .

وفيها : فلم يفعلوا او لم يلوا ولم يألوا والصواب ولم يليموا .

وفي ص ٥١ سرّك من ذمك . والظاهر . سرك من دمك .

وفيها : بدن لا يشتكي مثل مالاً يزكى . والظاهر مثلَ مال لا يزكى .

وفيها : هل تُعَدَّنَّ سالماً . الى آدم ام هل تُعَدّ ابن سالم ضبط تعد بالبناء للمفعول في الموضعين وظاهر انها بالبناء للفاعل .

وفيها : عن عدوٍ في ثياب صديقُ بضم القاف والصواب كسرها .

وفي ص ٥٢ العرانين الاوائل ، والاولى تفسيرها بالسادة والاشراف .

وفي ص ٥٣ وكيف ايجازها وتحسيرها وفسر التحسير بالايذاء والمناسب للمقام . وتحبيرها ، من حبر الكلام .

وفي ص ٥٧ في وصف الدنيا والمنزل تلعة والدار قلعة وقدفسر القلعة بالحصن، والصواب الانقلاع يقال الدنيادار قلعة بضم فسكون اي انقلاع وتحول وهو المناسب لأول الكلام ، خلق الدنيا للفناء فجديدها بال ونعيمها مضمحل .

وفي ص ٦٢ نظر الفتيق الى الهجان المصعب ، وقال في الذيل والفتيق السمين والهجان البيض ، والصواب الفنيق بالنون وهو الفحل المكرم الذي لا يركب ولا يهان لكرامته ، والهجان الكرام ، وهو المناسب للبيت وما قبله .

وفيها : اللعين الشنفرى ، والظاهر المنقري .

وفي ص ٦٤ وسلت سخيمات الصدور فعالك الكريم ، والصواب وسل .

وفيها ذيول العصب ضبطت بضم العين وهي بالفتح .

وفي ص ٦٥ تسح ترابه ، والصواب يسح .

وفي ص ٦٦ في وصف سيف .

وتراه معتماً اذا جردته بدم الرجال على الاديم الفاقع

فسر الفاقع بشديد الصفرة وقال معتم جمد الدم عليه ، والصواب ان الفاقع هنا الاحمر يخلط حمرته بياض او الخالص الحمرة .

وفيها : اذا جرته والصواب جردته .

وفي ص ٦٧ مزبد يجري بالزبد والأولى يقذف بالزبد .

وفيها : الرود الجميلة الوافرة الحياء والصواب الشابة الحسنة .

وفيها : الشواجر، القواطع او الروابط، والاولى متداخلة يقال رماح شواجر مختلفة متداخلة

وفي ص ٦٨ مالي رأيت تراكم بسالة ، والرواية يبساً به وهو المناسب .

وفيها : وابنة الرقم الحية والذؤلول السم ، ولم اجد الذؤلول ، والظاهر انها محرفة عن الدؤلول بالدال المهملة يقال وقعوا في دؤلول اي شدة وامر عظيم وبنت الرقم الداهية ، وفي تفسير الكلمات خطأ وفي تفسير المعنى خطأ آخر يظهر للمتأمل .

وفي ص ٧٢ للمارأة والصواب للماراة .

وفيها : المرو الحجارة السود والصواب البيض .

وفي ص ٧٤ ان رأيك اذا احتجب اليه ، والصواب احتجت .

وفي ص ٧٥ ولي نظر لولا التحرج عازم ، وقال في تفسير عازم اي طامع . والرواية عارم اي شديد حاد .

وفيها : فسر المهاة بالظبية ، وهي البقرة الوحشية .

وفي ص ٧٧ او ينأى عنها رفدك ، وسياق القول يدل على ان الاصل ، ولا ينأى .

وفي ص ٧٨ فاطعمني اولك في أخائك ، والصواب فاطمعني .

وفي ص ٧٩ وارمي من وراها ، والصواب من رماها .

وفي ص ٨٨ جذب بضبعه : نوه به ، والأولى انعشه .

وفي ص ٩٠ اذا عم بالسراء عم سرورها ، والصواب اذا مس بدليل الشطر الثاني وان مس بالضراء .

وفي ص ٩١ ورهن المتكلفين والصواب وهن ·

وفي ص ٩٢ في الف قرن ، والصواب قران ·

وفي ص ٩٣ تريد تخمير اللفظ وقال : المراد من تخمير اللفظ التروي في تخيره كما تخمر الخمر لتجود ، والصواب تحبير اللفظ كما ذكره الجاحظ في البيان والتبيين فلاحاجة الى هذا التخمير ·

وفي ص ٩٥ ومثله الجؤشوس ، والصواب الجؤشوش ؛

وفي ص ٩٦ وقال ابو داود ، وقد اعيد في ص ٩٧ والصواب ابو دواد كما في البيان والتبيين ·

وفي ص ٩٧ بجميع عدة السن الخطباء ضبط بكسر عدة عين والصواب ضمها ·

وفيها : وسعلة بكسر السين والصواب ضمها ·

وفي ص ٩٨ تلخص الملتبس والصواب تخلص ·

وفي ص ٩٩ مطرطا والصواب مطرحا ·

وفيها : افتته ما قرت حياضك والصواب افتاه ·

وفيها : قرت ، اخذت ، والصواب جمعت يقال قرى الماء في الحوض جمعه ·

وفيها : فيض العقول ، والرواية صوب العقول ·

وفي ص ١٠٣ في وصف النسخ ، ثم تستبرأ باعادة النظر فيها قال ، تستبرأ : تجفف ، والصواب ان يكون من قولهم استبرأ الأمر طلب آخره ليقطع الشبهة عنه ، ولامعنى هنا للتجفف باعادة النظر ·

وفي ص ١٠٤ ووصل جوهر معانيه والصواب وفصل كما في المفتاح وغيره ·

وفيها : الوذم : الدلو ، والصواب ان الوذم جمع وَذَمة وهي سير بين اذان الدلو واطراف العراقي ·

وفيها : الدخاريص فتحات الازرار ، والصواب ان الدخاريص ما يوصل به البدن ليوسعه وهي البنيقة ولم ار من ذكرانها فتحات الازرار ·

وفيها : الدروز : الاطراف الرقاق ولم ار من ذكرها كذلك ·

وفي ص ١٠٥ استطلقت طبيعة الغباوة فشفي من سوء التفهم واورث صحة التوهم ،

وصواب العبارة فاستطلقت طبيعته الغباوة فشفي من سوء التوهم واورث صحة التفهم ·

وفيها : انه لعجيب ان يرى السكاكي ان التخنث صنعة · · · واعجب منه ان يحكم الاستاذ المبارك على السكاكي بذلك مع ان هذه الجملة لم ترد في كلام السكاكي كما يظهر ذلك بادنى نظر في كلام السكاكي ·

واری ان اجتزيء بهذا القدر من الجزء الأول حتى لا يمل القاريء وانا على ثقة ان ما لم اذكره اكثر مما ذكرته وعسى ان اعود الى سرد ما فيه خدمة لهذا الكتاب ·

« الجزء الثاني »

في اول صفحة منه وهي رقم ٣ الكريم لا يحظر ضبطها بضم الياء وكسر الظاء والصواب فتح الياء وضم الظاء ·

وفيها : الفنيق الفحل الهائج ، وقد اسلفنا انه الفحل المكرم ، ولم نعلم من اين جاء الاستاذ بالهائج

وفي ص ٤ كالعود المطرى ، ضبطها بفتح الميم وسكون الطاء وكسر الراء ، والصواب المُطَرَّى ·

وفيها : الجزور السريع الى اكرام الضيف وهو خطأ فان المراد بجزور في هذا البيت رجل بعينه كان وكيل القاسم بن عبد الله على مطبخه وفيه يقول ابن الرومي الابيات ، كما ذكر ذلك صاحب التاج ·

وفيها : دمع العيان والصواب العيون ·

وفي ص ٥ فاستفزته حمة القرم ، قال في شرحها الحمة ابرة العقرب يلسع بها من يلمسه ، ومن البين ان الحمة هنا بمعنى الشدة ، اذ لا ابرة للقرم ولا لسع ·

وفي ص ٦ ويتسايل جوذابه مرقا ، فسره فقال الجوذاب خبز يوضع في التنور ومعه طائر او لحم ، وهذا لا مرق فيه ، وفي القاموس الجوذاب طعام يتخذ من سكر ورز ولحم وقال في التاج في مادة ذبج وقد جاء منها الذوباج مقلوباً عن الجوذاب وهو الطعام الذي يشرح ومنه ما اطيب ذوباج الارز بجآجيء الأوز ، يريد ما اطيب جوذاب الارز بصدور البط ونحو هذا في اللسان ، وليس فيه خبز ·

وفي ص ٨ غبا والصواب غيبا ·

وفي ص ١٠ وضروب النور والصواب وظروف النور ·

وفيها : في بيادق الذهب والصواب بنادق ٠ ٠

وفي ص ١١ على ابي محذر والصواب محرز ٠

وفي ص ١٤ النحيرة في موضعين ، والصواب النحيزة ٠

وفيها : منشد التقريض والصواب القريض ٠

وفي ص ١٧ يندس بكسر الدال والصواب ضمها ٠

وفيها : صفن بكسر الفاء والصواب فتحها ٠

وفيها : ان استوقف فطن وان رعى ابن ، قال ابن قوى والصواب قطن بالقاف وابن ، كلاهما بمعنى اقام ٠ .

وفي ص ١٨ ام النجوم الشوابك ٠ هي الشمس ٠ وفي التاج واللسان ام النجوم المجرة لانها مجتمع النجوم ٠

وفي ص ٢٠ وصلت اصلت والصواب وصلب صلّب ٠

وفيها : متوحش والصواب متوجس ٠

وفيها : الدقيقتان ٠ صفة للساقين والصواب للأذنين لان التوجس تسمع الصوت الخفي وهذا يكون بالاذنين لا بالساقين ٠

وفي ص ٢١ نبات نعش ملبب ٠ ضبط نعش بفتح الشين وملبب بتشديد الباء الاولى، والصواب جر نعش وتنوينها وضبط ملبب بغير تشديد ، يقال الب الدابة فهي ملبب وملبّ كمكرَم ومحب ٠

وفيها : مداوك الصيقل : ادوات كالماون وغيره ٠ وفي كتب اللغة المدوك حجر يسحق به الطيب ٠

وفي ص ٢٢ وغذاره والصواب وعذاره ٠

وفي ص ٢٣ كخصوة العسيب والصواب كخوصة

وفيها : القارح الفرس القوي ، والقارح المسن

وفي ص ٢٤ حرة آذانها ، والصواب حشرة اي لطيفة

وفيها : السبج السواد ، والصواب خرز أسود

وفي ص ٢٥ اللهوات مجاري الحلق ، واللهاة اللحمة المشرفة على الحلق

وفي ص٢٦ ويوم كلون العاشقين ، والصواب كليل العاشقين

وفي ص٢٧ يحضر بضم الياء والصواب فتحها

وفيها : القلت البقرة في رأس الورك ، والذي في التاج والقلت مابين الترقوة والعنق ، والقلت المطمئن من الخاصرة ، وفيه وفي اللسان ، قلت الفرس ما بين لهواته الى محنكه ، ولعلها محرفة عن النقرة

وفي ص٢٨ لين المردعين ، ولامعنى لهذا اللفظ والظاهر انه محرف عن المردغتين والمردغة مابين العنق الى الترقوة

وفيها : لين الفرق ، والظاهر انه العرق

وفي ص٢٩ الجحفلة من ذوات الاربع هي الشفة من الانسان والصواب كالشفة أو مثل الشفة

وفيها : والشظا عظم لاحق بالذراع ، والصواب لاصق

وفيها : وأحوال عاذرة ، والاولى غادرة

وفي ص٣٠ تبادره ، بضم الراء والهاء وبه يختل الوزن ، فالصواب إسكان الهاء

وفي ص٣١ لم شيئاً ، والصواب لم يكن شيئاً

وفيها : وريء يونس ، والصواب ورؤي

وفي ص٣٤ سلسلة النظام ، والصواب سلسة

وفيها : ياابن القرم ضبط بكسر القاف ، والصواب الفتح

وفي ص٣٥ قال يزيد حوراء ، والصواب ابن حوراء

وفي ص٣٧ قدمت عتبة بيغداد ، والصواب بغداد

وفي ص٣٨ في سماع ، والصواب في سماح

وفي ص٤٠ ولا ترد الغربان الا وماؤه ، والصواب ولا ترد الغدران الا وماؤها

وفيها : ويوماً بالاسنة اكبها ، والرواية بالسنور اكبها

وفيها : تردي غواربها العدى ، والرواية تردي عواتقها القنا

وفيها : في يلاميع ، والصواب يلامع جمع يلمع

وفيها : حمل اللائمه ، والصواب اللائمة

وفيها : عن الصلة الي القطعية ، والصواب القطيعة

وفي ص ٤١ من القضية الدالة ، والصواب النصبة الدالة
وفيها : الحاجد ، والصواب الجاحد
وفي ص ٤٢ عكف الدهر بهم فثوروا . وبه يختل الوزن ، والصواب عليهم
وفيها : الحر تحل الشكر ان اجتناه ، والصواب نحل
وفي ص ٤٣ وهي تلفهم ضبطت بفتح الفاء ، والصواب ضمها
وفي ص ٤٤ فحرج ، والصواب نخرج
وفيها : يبض بائقه ، والصواب بنائقه
وفي ص ٤٦ وروى حاضراً ، والصواب وروض حاضر
وفيها : لقد انست سلوى ، والصواب انست مساوي
وفيها : وما اشتبهت سهيل المجد ، والصواب طريق كما في ديوان ابي تمام ، ولعل أصلها سبيل
وفيها : عابر الانباء ، وفي الديوان عائر الانباء
وفيها : ثنا خير كأن القلب منه يجربه ، وهو خطأ وأصل البيت ثنا خبر كان القلب امسى يجربه
وفي ص ٤٧ ابن دواد ، والصواب ابن ابي دواد
وفي ص ٤٨ لم يكن فرضه ، والرواية فرصة
وفيها : وليس لقولة ، والصواب لرهبة
وفيها : تهايمي ، والصواب تهائمي
وفي ص ٤٩ على أيدي ، والصواب يدي
وفيها : لعنة الله ، والصواب لعنه
وفي ص ٥١ واما لمختار ، والصواب المختار
وفيها : ابن نهراق ، والاولى مهران
وفي ص ٥٣ ورجع الى العترة وابناء المودة ، والصواب وآب الى المودة
وفيها : ولا يستحن ، والصواب يستحسن
وفي ص ٥٤ ومتع من عضل الامات كما متع من وأد البنات ، والصواب منع في الموضعين

وفيها : تعالى حده ، والصواب جده
وفي ص٥٥ كمثل هذي ، والصواب كمن فقدنا
وفيها : قال الرومي ، والصواب ابن الرومي
وفيها : فان يجن بعهد ، وفي الديوان فان تبعن
وفي ص٥٦ وشتهم ، والصواب وشتتهم
وفيها : تضرَّع ، والصواب ضم الراء
وفي ص٥٩ يهزئون ، والصواب يهزأون
وفي ص٥٩ في عيني اليمن ، والصواب اليمنى
وفيها : ان اللائمة ، والصواب الأئمة
وفيها : من وحشيه ، والصواب وحشية
وفي ص ٦١ لا احسبه كما وصف ، والصواب لأحسبه
وفيها : شرمخ ، والصواب شرمح
وفيها : اذا كنت في القوم الطوال فطلتهم ، والصواب فضلتهم كما في امالي القالي
وفي ص٦٢ ونصيف من الرجال . ولامعنى له ، والظاهر انه محرف عن قضيف وهو الدقيق العظم القليل اللحم
وفيها : دعوا التجاجؤ ، والصواب التخاجؤ
وفيها : يحذى نعام السبت ، والصواب نعال
وفيها : وكنا اذا ماالخائن الجد غره . سنى برق غاد ، والصواب الحسائن الجد . سنا برق غاو . كما في كامل المبرد
وفي ص ٦٤ وبالقوادم والخوافي قوة النجاح . والصواب الجناح
وفيها : والجزع على الاموات غناء . والصواب عناء
وفي ص ٦٥ وعلى الصفو من ذربته ، والاولى وعلى الصفوة
وفيها : ومفزع الورى وحسنة العالم . والصواب وجنة العالم
وفي ص ٦٦ في نظام من النهى ونضاح . والصواب ونصاح
وفي ص ٦٧ يلثمه بفمه تفضله والصواب بفضله

وفيها : يتسم المجد بسميته ، والصواب بسيته
وفي ص ٦٨ الذي يد في الفضل والصواب في يد الفضل ·
وفيها : قال في شرح الادحي : الادصي بيض النعام والصواب مبيض النعام ·
وفي ص ٦٩ طبقة المتكلمن · والصواب المتكلمين ·
وفي ص ٧٠ ضبط لحاقه بكسر اللام والصواب فتحها ·
وفي ص ٧١ لا يذهب الخبر ماله · والصواب لا يذهب الخمر ·
وفيها : لا ينفذ فيها ماله · والصواب ينفد ·
وفي ص ٧٢ ثقابة المعرفة والظاهر اتقانه المعرفة ·
وفيها : في المهامة · والصواب في المهامه
وفي ص ٧٣ شفاء نفسي منك تخميشة · والصواب تجميشة
وفي ص ٧٤ تمت بهن شمائل · والصواب نمت
وفي ص ٧٦ وريم على السكر خمشته · والصواب جمشته
وفيها : ونسب لا يخفى · والصواب لا يجفى
وفي ص ٧٧ لم ينس علم ما · والصواب ما علم
وفي ص ٧٨ عشر بنين والصواب عشرة
وفيها : عبيد او موالي · والصواب موال
وفي ص ٨١ رأى السطان · والصواب السلطان
وفي ص ٨٢ وذو عينين بفتح احدهما والصواب احداهما
وفيها : فلا رأي للمحمول الا ركوبها والمعروف فلا يسع المضطر
وفي ص ٨٣ كما تتأيى · والصواب تتأيا
وفيها : اذا عض متنيه الثقاف تأدوا · والصواب تأودا
وفيها اذا ازدت والصواب ازددت

سليم الجندي

مصطلحات علمية

– ٢ –

٣٠ — [Aberration — الكدورة]
٣١ — [Stigmatisme — الرّشاد]
٣٢ — [Astigmatisme — الطّوح]

الأشعة الضوئية التي تصدر من نقطة مضيئة واحدة وتنكسر في عدسة بلورية فهي لا تتلاقى في نقطة واحدة ولذا لا يكون خيال النقطة نقطة صافية مثلها وانما يكون بقعة كدرة تزيغ البصر فعبروا عن ذلك بـ (Aberration) بمعنى التيه والضلال لأنه ينشأ من ضلال الأشعة وعدم تلاقيها في نقطة واحدة وحيث ان المراد من التعبير نعت الخيال لا نعت الأشعة فقد ترجمت هذا الحال «بالكدورة» والمراد كدورة الخيال . ثم عبروا عن حالة الآلات التي تستطيع ان تجعل خيال النقطة نقطة مثلها بـ Stigmatisme من Stigmatos اليونانية ومعناها «النقطة» فعبرت عن ذلك «بالرّشاد» لرشاد الأشعة اذ ذاك بتلاقيها في نقطة واحدة ، واما الآلات التي لا تستطيع ان تجعل خيال النقطة نقطة مثلها (ومنها عين الانسان) فقد عبروا عن حالتها بـ Astigmatisme فالصدر a في هذه الكلمة لفظ يوناني يفيد العدم فترجمتها «بالطّوح» وهو ضد الرشاد .

٣٣ — [Punctum remotum — نقطة المدى]
٣٤ — [Punctum proximum — نقطة الكثب]

Punctum كلمة لاتينية معناها النقطة و Remotum معناها البعيد فيراد بـ Pumctum remotum أبعد نقطة تستطيع العين ان تراها بلا تعب فترجمتها بـ« نقطة المدى» تقول مدى البصر اي منتهاه وغايته واما proximum فمعناه «القريب» ويعبرون

بـ Pnnctum proximum عن أقرب نقطة تستطيع العين رؤيتها فترجمتها بـ « نقطة الكثب » ٠

[اعتدال البصر — Emmétropie] — ٣٥
[الحسور — Myopie] — ٣٦
[الطمس — Hypermétropie] — ٣٧
[الادرهمام — Presbytie] — ٣٨
[الطوح — Astigmatisme] — ٣٩

Emmétropie كلمة مركبة من Emmétros اليونانية ومعناها «المطابق للقياس» ومن ôps اليونانية ايضاً ومعناها النظر فيكون المعنى « النظر المطابق للقياس » فعبروا بـ Emmétropie عن حالة العين السليمة فترجمتها « باعتدال البصر » و Myopie أصلها Myopia اليونانية وهي مركبة من Myein ومعناها غمّض عينه ومن ôps ومعناها النظر فيريدون بـ Myopie حالة العين التي لا ترى الاشياء البعيدة واضحة بل تكل اذا نظرت اليها فترجمتها «بالحُسور» (بالضم) ، يقال حَسَرت العين (بفتح السين) اذا كلت لبعد الشيء الذي حدقت اليه ، والمصدر حُسور لاحَسَر كما جاء في بعض الكتب لان الحسر مصدر حسِر (بالكسر) بمعنى تلهّف ٠

و Hypermétropie مركبة من الصدر Hyper وهو يفيد شيئاً من الإفراط ومن Métron ومعناه المقياس ومن ôps ومعناه النظر كما تقدم فيعبرون بـ Hypermétropie عن حالة العين التي تكل من النظر الى الاشياء القريبة فيضطر صاحبها الى النظر الى تلك الاشياء من بعيد فعبرت عن هذه الحالة بالطمْس ، لانه يقال طمَسَ بعينه اذا نظر نظراً بعيداً ، والطمْسُ النظر الى الشيء من بعيد (تاج العروس)

و Presbytie مأخوذة من Presbûtès اليونانية ومعناها الشيخ الكبير وقد عبروا بهذه الكلمة عن حالة العين التي ترى الاشياء القريبة كدرة والبعيدة واضحة ولما كانت هذه الاشياء تحدث في الشيوخ سموها بذلك وقد ترجمتها الى العربية بالادرهمام لانه يقال ادرهمّ فلان اذا كبر سنه ويقال ادرهم بصره اذا أظلم ومن حسن الصدف ان اللفظ العربي يفيد من اللفظ الأعجمي معنييه اللغوي والاصطلاحي ٠

و Astigmatisme حالة العين التي ترى الخطوط الأفقيــة مشوشة والقائمة واضحة او بالعكس فعبرت عن هذه الحالة بالطوح (بالفتح) (راجع الكلمة رقم ٣٢) .

٤٠ — [Poêle — المصطلى]

٤١ — [Calorifère — المَحَرّ]

٤٢ — [Radiateur — المُشِعَّة]

Poêle هو المعروف عند عامتنا (بالصوبية) المعربة من التركية وقد ترجمته بالمصطلى من اصطلى بالنار اذا استدفأ بها وقد ورد هذا اللفظ في كتب اللغة فاستعماله خير من توليد لفظ جديد .

و Calorifère مركبة من Calor اللاتينية ومعناها الحرارة ومن Ferre اللاتينية ايضاً ومعناها أقلّ ويعبرون بـ Calorifère عما تتولد فيه الحرارة في طريقة التدفئة المسماة بالتدفئة المركزية فترجمت الكلمة المذكورة بالمَحَرّ على صيغة اسم المكان .

ولاجل Radiateur (راجع الكلمة رقم ٣٢) .

٤٣ — [Pendule — النوّاس]

Pendule عبارة عن ثقل معلق يترجح[1] فعبرت عنه بالنواس (بصيغة المبالغة) من ناس الشيء اذا تذبذب متدلياً (لسان العرب) .

٤٤ — [Force centripète — القوة الجابذة]

٤٥ — [Force centrifuge — القوة النابذة]

٤٦ — [Centrifugeur — الخَذّاضة]

اذا ربطت حجراً بطرف خيط واخذت في تدوير الخيط كالمقلاع تولد هناك قوتان : قوة تجذب الحجر نحو يدك وقوة تدفعه الى بعد فعبروا عن الاولى بـ Force centripète من Centrum اللاتينية ومعناها المركز و Petere ومعناها الكسب فترجمت Force centripète بالقوة الجابذة من جبذ الشيء اذا جذبه لان هذه القوة تجذب الحجر نحو المركز وهو طرف الخيط مما يلي يدك وانما اخترت الجبذ دون الجذب ليكون خاصاً بهذه القوة فالجذب أعم وعبروا عن القوة الثانية بـ Force Centrifuge من Centrum

(١) اي يتذبذب .

اللاتينية وقد تقدم ذكرها و Fugere بمعنى الفرار فترجمت Force centrifuge بالقوة النابذة من نبذ الشيء من يده اذا طرحه ورمى به ·

و Centrifugeur آلة تستخدم فيها القوة النابذة لاجل سرعة ترسيب ما يكون في المائع مما هو أثقل منه فعبرت عنها بالخاضة (بالتشديد) ·

٤٧ — [Mire — المستهدَف]
[Voyant — الشاخص]

Mire عند المهندسين مسطرة طويلة ينصبها أحدهم لينظر اليها الآخر من وراء آلة التسوية فعبرت عن تلك المسطرة بالمستهدَف من استهدف له الشيء انتصب وذلك تخصيصاً بهذا المعنى لان Mire يطلق على غير ذلك ايضاً و Voyant لوح مربع في ظهره حلقة تُدخل في المستهدف فيشد اللوح فيه فترجمت ذلك اللوح بالشاخص ·

[Balance — الميزان]
[Balance romaine — القبَّان]
٤٨ — [Peson — المِرزان]
٤٩ — [Bascule — القذّاف]
٥٠ — [Dynamomètre — الربيعة]
٥١ — [Barorsope — الرائزة]

Balance و Balance romaine معلومان · اما Peson فهو آلة ذات نابض (١) يعلّق بها ما يراد وزنه فيقدر ثقله على حسب امتداد نابضها به فعبرت عنها بالمرزان (بالكسر) من رزنه اذا رفعه لينظر ما ثقله واما Bascule وهو ميزان الاثقال فقد ترجمته بالقَذّاف (بالتشديد) وهو الميزان وذلك تخصيصاً به ٪ واما Dynamomètre فاصلها من Dunamis اليونانية ومعناها القوة ومن Métrons ومعناها المقياس والمراد مقياس القوة فعبرت عنها بالربيعة لان الربيعة في الأصل حجر تمتحن باشالته القوى ·

وأما Barorsope فهي مركبة من Baros اليونانية ومعناها الثقل ومن Skopein ومعناها فحَص وقد اصطلحوا بـ Baroscope على آلة تكشف القوة الدافعة التي تقع

(١) نريد بالنابض ماتقول له العامة زنبرك المعرب من الفارسية ·

من الهواء (أو من أي غاز كان) على الأجسام الغائصة فيه ولما كان المعنى اللغوي من كلمة بارسكوب «فاحص الثقل» ترجمتها «بالرائزة» من رازه روزاً اذا رفعه ليعرف ثقله ·

٥٢ — [Dialyse — الميز]

٥٣ — [Dialyseur — المائزة]

٥٤ — [Osmose — التنوح]

Dialyse من Dialusis اليونانية ومعناها الانحلال أو الحل ويريدون بها انفصال المواد الكيمياوية بعضها عن بعض وهي منحلة في الماء مثلاً وذلك بان ينفذ بعضها الأغشية ذات المسام والآخر لا ينفذها فترجمت هذه الكلمة بالميز (بالفتح) من مازه ميزاً اذا عزله وفرزه عن غيره وترجمت Dialyseur بالمائزة ·

واما Osmose فهي من Osmos اليونانية ومعناها الدفع ويصطلحون بهذه الكلمة على خاصة يتخالط بها المائعان المنفصلان بعضها عن بعض بغشاء ذي مسام بان ينفذ أحدهما أو كلاهما الغشاء ليصل الى الآخر فعبرت عن هذه الخاصة بالتنوح وهو الرشح تقول نتح الماء من الاناء اذا تحلب وخرج من مسامه وقد عبر بعضهم عنها بالحلول على اني لم أجد مناسبة بين معنى الحلول والمعنى المقصود ·

٥٥ — [Fontaine avec jet d'eau — النضّاخة]

يقول بعضهم للعين التي ينبع ماؤها من سفل الى علو فوّارة وبعضهم نافورة وغير ذلك مع انه ليس في هذه الألفاظ ما يفيد نبعان الماء من سفل الى علو فأوفق تعبير لها «النضاخة» على ما أرى لانه جاء في معاجم اللغة نضخ الماء ما كان منه من سفل الى علو ·

٥٦ — [Casse - noix — البدّاغة]

Casse - noix آلة لكسر الجوز أو اللوز ترجمها بعضهم بالمرضاح أو بالمرضاخ أو الفهر أو مكسر الجوز أو عدفور الجوز مع ان المرضاح الحجر يكسر به الحصى أو النوى والمرضاخ كالمرضاح وزناً ومعنى والفهر الحجر قدر ما يدق به الجوز وليس لاحدى هذه الكلمات معنى يلائم المراد فرأيت أن تترجم Casse - noix بالبدّاغة لانه يقال بدغ الجوز واللوز كسره ·

٥٧ — [Diézer — الصدح] .
[Bémoliser — الترخيم]
٥٨ — [Si dièze — مي صادح]
٥٩ — [Si bèmole — مي رخيم]
٦٠ — [Harmoniques — مدروجة]
٦١ — [Musical — رنيمي]

من المعلوم في علم الغناء ان ارتفاع الأصوات الغنائية يزداد في تدريج فيكون بين كل صوت والذي أرفع منه فرق في الارتفاع يقال له مسافة وهي اما كبيرة فيقال لها «بردة» واما صغيرة فيقال لها «عربة» وهي تكاد تكون قدر نصف بردة الا انه يضطر المغني أحياناً الى ان يحدث بين صوتين بينهما بردة صوتاً متوسطاً ينفرق عن كل منهما قدر عربة ولاجل الحصول على هذا الصوت اما ان يرفع أغلظ الصوتين قدر عربة واما ان يخفض أرفعهما قدر عربة فيقال للطريقة الاولى Diézer فعبرت عنها بالصدح من صدح صدحاً اذا رفع صوته بغناء والصدح حدة الصوت (المخصص) .

ويقال للطريقة الثانية Bémoliser فعبرت عنها بالترخيم من رخم الصوت لان وسهل فعليه يترجم Si dièze مثلاً بـ (مي صادح) و Si bémole بـ (مي رخيم) .

واما Armoniques فقد اصطلحوا به على الأصوات الغنائية التي يأخذ ارتفاعها في الازدياد بنسبة كنسبة ازدياد الأعداد من الواحد فصاعداً فعبرت عن هذه الأصوات «بالمدروجة» . وترجمت Musical بالرنيمي .

٦٢ — [Ampoule — الحَبَابة]

يعبرون بـ Ampoule عن زجاجة صغيرة يحصر فيها الدواء الذي يحقن تحت الجلد فعبرت عنها في العربية بالحَبَابة (بالفتح) استعارة من حَبَاب الماء وهي نُفاخاته التي تعلوه وحبابة تجمع على حَبَاب .

٦٣ — [Chloroqhille — الخَضْب]
٦٤ — [Hémoglobine — النعانية]

Chlorophille كلمة مركبة من Khloros اليونانية ومعناها « اخضر » ومن

Phullon ومعناها ورق الشجر فيريدون بـ Chlorophille المادة الخضراء التي في الشجر وخصوصاً في ورقه فترجمتها بالخضب (بفتح فسكون) اذ جاء في اللغة « الخضب خضرة الشجر » .

و Hémoglobine مركبة من Haima اليونانية ومعناها الدم ومن Globus اللاتينية ومعناها الكرة ويقصدون بـ Hémoglobine المادة الملوّنة لكريات الدم فعبرت عنها «بالنعمانية» لان النعمان من أسماء الدم والمراد «المادة النعمانية» .

٦٥ — [Capsule surrénal — الكُظْر]

اذا أردنا ان نترجم التعبير الافرنجي بالحرف لزم ان نقول « الحقة التي فوق الكلية » على اني كنت عثرت في كتب اللغة على لفظ عربي واحد يفيد مدلول هذه الكلمة وهو «الكُظْر» (بضم فسكون) ومعناه الشحم على الكلية وقد كنت نشرت ذلك في مجلة الصحة العمومية التي كانت تصدر في دمشق منذ ١٢ سنة .

٦٦ — [Volant — المَحَالة]
٦٧ — [Arbre de couche — الجُزْع]
٦٨ — [Tiroir — الجَرور]
٦٩ — [Excentrique — المُخرف]
٧٠ — [Courroi — المِجَرّ]
٧١ — [Hélice aérienne — المحّارة الهوائية]
٧٢ — [Turbine atmosphérique — العنفة الهوائية]

Volant دولاب جسيم يدور على محور المحرك للماكنة فاستعرت له المحالة (بالفتح) وهي في الأصل الدولاب الكبير أو البكرة الكبيرة .

و Arbre de couche المحور الذي يدور عليه ذلك الدولاب فترجمته بالجُزْع (بالضم ويفتح) وهو في اللغة المحور الذي تدور عليه المحالة .

و Tiroir شيء في ماكنة البخار كالعلبة يجر ذهاباً واياباً ليتناوب بذلك ضغط البخار وجهي المكبس فعبرت عن تلك العلبة بالجرور (بالفتح) وهو فعول من الجر .

و Excentrique لوح صغير في ما كنة البخار مستدير او غير مستدير يدور على محور غير مار بوسطه بل منحرف عنه ولذا سميته « بالمنحرف» .

و Hélice آلة تدور في مؤخر الباخرة لتدفعها ومعنى Hélice في الأصل نوع من الأصداف فاستعير الى الآلة المذكورة لشبهها به فعبرت عن هذه الآلة بالمحارة (بالفتح) وهي في الأصل الصدفة أونحوها من العظم ثم استعرتها لما يدور في مقدم الطيارة مع تقييدها بالهوائية كما في أصلها الافرنسي .

و Turbine يراد به دولاب قائم المحور يدوّره الماء فترجمته بالعَنَفة (بفتح العين والنون) فقد جاء في اللغة العنفة الذي يضربه الماء فيدير الرحى[1] .

و Courroie يطلق في فن المكانيك على رباط من جلد أوغيره يعقد طرفاه ويطوّق به دولابان لينتقل به الدوران من أحدهما الى الآخر تقول له العامة كشاط وترجمه بعضهم بالأسار أو السير أوالبند مع ان في العربيـة كلمة يمكن تخصيصها بمدلوله وهي المِجَرّ (بكسر الميم وتشديد الراء) فقد جاء في اللغة المجرّ خيط غليظ يطوّق به الدولاب ليدور بواسطته .

[شفّاف — Transparent]
[شافّ — Translucide] — ٧٣
[الظل — Ombre]
[الشعشاع — Pénombre] — ٧٤

يريدون بـ Transparent ما ترى الأشياء من ورائه باشكالها فهو الشفّاف وبـ Translucide ما ترى الأشياء من ورائه دون ان تدرك أشكالها فترجمه بعضهم بنصف شفاف مع انه لاحاجة الى هـذا التكلف فالأرجح ان يترجم بالشافّ لانه أقل شفوفاً من الاول فيخص به اسم الفاعل وتخص المبالغة بالأول .

واما Ombre فهومعلوم واما Pénombre فيريدون به الظل اللطيف فترجمه أحدهم بشبه الظل وترجمه غيره بالظُليل (بالتصغير) مع ان عربيته الشعشاع اذ جاء في اللغة الشعشاع الظل غير الكثيف .

---

(١) تقول له العامة فرّاش .

٧٥ — [Pédal — الموطئ]
٧٦ — [Grade — المرقاة]
٧٧ — [Diffusor — الناشر]
٧٨ — [آرما — الرقيم]

Pédal مايجعل عليه الحائك او شاحذ السكاكين[1] قدمه فترجمه بعضهم بالمداس أوالرجلية أوالدوّاسة الىغير ذلك مع ان المداس الحذاء والدواسة الأنف فأصح مايلائم المعنى على ماأرى « الموطأ أوالموطئ » اذ هو في اللغة موضع القدم ·

و Grade من مقاييس محيط الدائرة في علم الهندسة فعبرت عنه بالمرقاة ·

و Diffusor بوق من الورق المقوى يستعمل في الحاكي (الفنغراف) فعبرت عنه بالناشر ·

و «آرما» — وهي تطلق في الشام على اللوح يعلّق على الحانوت أو غيره مكتوباً فيه (أي اللوح) اسم صاحب المحل وصنعته الخ — هي كلمة ايطالية الأصل استعملها الترك ثم انتقلت الينا · فأرى ان مرادفها العربي « الرقيم » اذ جاء في القرآن الكريم « أم حسبت ان أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا » قال المفسرون المراد بالرقيم لوح رصاص نقش فيه أسماؤهم ونسبهم الخ ·

٧٩ — [Moment — ناتج]
٨٠ — [Collimateur — موجّه]

يعبرون بـ Moment في علم المكانيك عما ينتج من فعل القوة وغيرها فترجمته بالناتج ومن مركباته Moment de la force (ناتج القوة) و M. de l'inertie (ناتج العطالة) و M. du couple (ناتج المزدوجة) الخ فعليه ترجمت Résultante بالحاصلة ·

واما Collimateur فهو آلة تدير أشعة الضوء الى جهة من الجهات فعبرت عنها بالموجّه ·

[Propagation de la lumière — انتشار الضوء]
[Reflexisn » — انعكاس »]

(١) المعروف عندنا بالجلّاخ ·

[انتثار الضوء — Diffusion de la lumière]
[« انكسار — Réfraction »]
[« انحراف — Déviation »]
[« تبدد — Dispersion »]
٨١ — [« كدورة — Aberration »]
٨٢ — [« انعراج — Diffraction »]
[« تداخل — Interfèrance »]
[« استقطاب — Polarisation »] .

كل ذلك مصطلحات تتعلق بخواص الضوء في علم الطبيعة لا يسع المقام شرحها وفي بعضها شيء من التخصيص وانما سنذكر كلمة عن Polarisation فقد جاء عن هذه الكلمة في لاروس مامفاده ان مدلول Polarisation الإصطلاحي ليس فيه معنى القطب اصلاً وقد كان المراد ان تشتق الكلمة من Polein اليونانية ومعناها الدوران لان البلور الذي شوهدت فيه خاصة الضوء هذه لأول مرة كان يدار على نفسه لاجل مشاهدتها ، لكنه قد خطئ في الاشتقاق فجاءت الكلمة على هذا اللفظ اه ثم ترجمها بعض المصريين بالاستقطاب وأخذها الترك عنهم فانتقلت الينا وشاعت حتى صار تغييرها متعذراً ولذا اضطررت الى ابقائها .

٨٣ — [Psychromètre — مقياس الخَصَر]

هو آلة تستعمل في قياس الرطوبة التي في الجو و Psychro كلمة يونانية أصلها Pusukhros ومعناها البرد فترجمت Psychromètre بمقياس الخَصَر (بفتح الخاء والصاد) وهو البرد .

٨٤ — [vaséline — دهن النفط]
٨٥ — [Lanoline — دهن الصوف]

كل من Vaséline و Lanoline مادة دهنية تستعمل في المراهم فالاولى تستخرج من النفط فسميتها بدهن النفط والثانية تستخرج من صوف الغنم فسميتها بدهن الصوف .

٨٦ — [Sillon — النُقبة]

يعبر الافرنسيون عن أول مايظهر من الجرب بـ Sillon ومعناه التلم لان الجرب ينبعث عن حشرة دقيقة تنقب بشرة الجلد فتدخل فتمشي تحتها فتحفر تلماً يؤدي الى الحك فترجم بعضهم Sillon بالتلم أو بالأُخدود لكن الأصح ان يترجم — بالنظر الى مدلوله هذا — بالنُقبة (بالضم) اذ جاء في اللغة النقبة أول مايظهر من الجرب[1] ومما يستدعي النظر في ذلك ان العرب كانوا يفقهون ان الجرب ينشأ من حشرة تنقب الجلد ٠

٨٧ — [Tarlatane — السَحْل]

[Gaze — الشَفّ]

٨٨ — [Ouate — السبيخ]

٨٩ — [Hydrophile — نَشِف]

يراد بـ Tarlatane كساء من قطن كثير الخفة واللمعان فأرى ان يترجم بالسحل (بفتح فسكون) جاء في المخصص السحل الثوب من القطن وجاء السُحُل ثياب بيض واحدها سَحْل ٠ و Gaze كساء رقيق يحكي ماتحته عربيته «الشَفّ» (بالفتح وبكسر[2]) فاستعمالها خير من التعريب ٠ و Ouate يراد به في الطب قطن منـدوف معرّض مطبّق بعضه فوق بعض يستعمل في تضميد الجراح فأرى ان يترجم بالسبيخ وهو في اللغة المعرّض من القطن ليوضع عليه الدواء ويوضع فوق جرح ٠و Hydrophile مركبة من Hudôr اليونانية ومعناها الماء ومن Phylos ومعناها الحب فيكون المعنى محب الماء فيقال Coton hydrophile و Gaze hydrophile فعليه تترجم Hydrophile بالنَشِف (بفتح فكسر) وهو ماينشُفُ الماءَ اي يشربه ٠

٩٠ — [Gant de Caoutchouc — الخِتاع]

٩١ — [Doigtier de » — الختيعة]

Gant de caoutchouc قفاز من المطاط — (كَوتشوك) — يلبسه الجرّاح حين العمليات الجراحية فأرى ان يترجم بالخِتاع (بالكسر) وهو في الأصل كف من جلد يلبسه البيزار خوفاً على يده من مخالب البازي الواحدة خِتاعة ٠ و Doigtier هنـة من

(١) فقه اللغة للثعالبي ٠ (٢) عاميته شاش ٠

المطاط كاصبع القفاز يلبسها الطبيب ليسبر بعض أجواف البدن فيمكن ان تستعار لها كلمة «ختيعة» وهي في الأصل قطعة من ادم يلفها الرامي على اصبعه ·

٩٢ — [Chape — الخُطّاف]

من معاني Chape الافرنسية خشبتان أو حديدتان يستند اليهما طرفا محور البكرة أوالميزان أوغيرهما فالكلمة العربية التي تفيد هذا المعنى هي الخُطّاف (كرُمّان) اذجاء في التاج الخطاف حديدة حجناء [1] تكون في جانبي البكرة فيها المحور وفي المخصص الخطاف الذي تجري البكرة فيه · «للبحث صلة» الطبيب

محمد جميل الخاني

---

(١) أي معوجة

الف ليلة وليلة

تاريخ حياتها

— ٢ —

« من المحاضرة الثانية »

طريقة الكتاب وأسلوبه . — كانت طريقة العرب في القصص ان يسردوا الاسمار والاحاديث على نمط يجعل كل حكاية قائمة بذاتها لا يربطها بما يسبقها ولا بما يلحقها علاقة . وترون ذلك واضحاً في أمثال لقمان وكتب النوادر فلما نقلت الأقاصيص الهندية الى العربية في القرن الثالث عن طريق الفارسية ادخلت في ادبنا القصصي طريقة طريفة تجعل الحكايات سلسلة متماسكة الحلقات متعاقبة الخطوات متتابعة النسق ، وذلك على ضربين : الأول ان تتعلق جميع الحكايات بحكاية أصلية تكون فاتحة لبدايتها وسبباً لروايتها ابتغاء التعويق عن فعل ما لا يحل ، وذلك في العربية مذهب كتاب الوزراء السبعة وكتاب كليلة ودمنة واغلب كتاب الف ليلة وليلة ، وهو في الفارسية مذهب بختيارنامه وقصة جهار درويش وقصة نوروز شاه وكتاب طوطي‌نامه وانوار سهيلي مثلاً . والضرب الثاني ان تروى الحكايات موزعة في الكتاب على عدة ابواب بحيث تكون الحكاية في أي باب من هذه الأبواب مقدمة لحكاية الباب الذي يليه . ومن هذا الضرب في أدبنا كتاب سلوان المطاع في عدوان الاتباع لابن ظفر الصقلي المتوفى سنة ٥٦٥ ، وكتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لاحمد بن عربشاه الدمشقي المتوفى سنة ٨٥٤ ، وفي ادب الفرس كتاب مرزبان نامه لمرزبان بن رستم بن شروين ، وقد ترجمه ابن عربشاه واستمد منه ، ذلك فضلاً عن الطريقة الفارسية التي احتذيناها في الاقاصيص الغرامية المطوله . فالف ليلة وليلة إذن يجري على ثلاث طرق : يجري على الطريقة الهندية في الحكايات المتداخلة المتسلسلة

كحكايات الأصل وحكاية البنات الثلاث والصعاليك الثلاثة وحكاية الخياط والاحدب والطبيب وحكاية جان شاه وحكاية وردخان . . . الخ

ويجري على الطريقة الفارسية في الحكايات المفردة المجردة كحكايات العشاق في بعض اقاصيص الأصل وما جرى مجراها من حكايات الطبقة البغدادية فانها مضروبة على قالب القصص الفارسي في الاعتماد على الحب الوهمي الذي يصيب ظرفاء الشباب على اثر طيف يزور في الكرى ، او صورة تعرض في الطزبق ، او حكاية تلقى في المجلس . ثم يجري على الطريقة العربية الخالصة في الاقاصيص الصغيرة المقتبسة من كتب الأدب كحكاية حاتم الطائي وحكاية معن بن زائدة وحكاية ابراهيم بن المهدي وحكاية خالد بن عبدالله القسري مثلاً ، اما أسلوبه فيختلف باختلاف الزمان والمكان والجنس والشخص ، فاذا حكمنا عليه فانما نحكم على جملته لا تفصيله ، ونتوخى الصفات العامة في نقده وتحليله ، فهو في عمومه أسلوب سهل المأخذ مطرد السياق ، سوقي اللفظ مبسوط العبارة كثير الفضول كثير التضمين جريء الاشارة لا يعرف الكناية ولا يتقي الحياء ولا يصطنع التحفظ ، لأن سبيله سبيل العامة فهو يسايرهم في ثرثرتهم وفضولهم وسذاجتهم وصراحتهم وبلادتهم ولا يستطيع ان يكون الا كذلك . يسير سير الأعرج المفلوج وراء المذهبين الكتابيين اللذين راجا على التعاقب في عهده وهما مذهب ابن العميد في العراق ومذهب القاضي الفاضل في مصر . فهو يسرف في السجع ويكثر من اقتباس الأمثال وتضمين الملح ، ويتظرّف أحيانًا بذكر مصطلحات النحو على سبيل التشبيه أو التورية كقوله في قصة قمر الزمان الثانية : « باتا على ضم وعناق ، وإعمال حرف الجر باتفاق ، واتصال الصلة بالموصول ، وزوجها كتنوين الإضافة معزول » وهو يغالي في تضمين الابيات في خلال الحكايات ويمعن في ذلك غالبًا حتى يمل . وترصيع النثر بالشعر اسلوب لا يألفه الأدب العربي ولا الأدب الفارسي ، وانما هو ميزة من مزايا الأدب الهندي ايضًا .. اقتبسه الفرس ثم نقله كتابهم الينا في منتصف العصر العباسي وروّجه في عهد بني بويه مؤلفو القصص ومنشئو الرسائل والمقامات كابن العميد والصاحب والبديع والخوارزمي ومن ترسم خطاهم أو سار على هداهم . وموضع هذه الاشعار يكون عادة في مواقف السرور والحزن والوصف وثوران العواطف . ولكن القصاص يسيء في الغالب استعمال التضمين فيخطيء مواضع الاشعار ،

او يجهل محل المناسبة ، أو يردد الابيات نفسها في كل موقف . وقد تدفعه السماجة الى الاستطراد الغث فيقول :

وقال الشاعر ايضاً في المعنى ثم يورد ابياتاً لا يصلها بالموضوع سبب كما فعل في مقدمة علي نورالدين ومريم الزنارية مثلا فانه حين وصف البستان لم يترك نوعاً من انواع الفاكهة الا ذكره وروى ما قيل فيه من الشعر حتى استغرق في ذلك خمس صفحات من الكتاب !

ان خير ما يمتاز به اسلوب الف ليلة وليلة هو الوضوح والصدق والصراحة والجاذبية ، فالمعاني تسبق الالفاظ الى الذهن ، والصور تسبق الوصف الى الخاطر ، والشوق يبعث اللذة ويثير الاهتمام ويحرك الانتباه ويربط السامع او القارئ بموضوع القصة . على ان القصاص يعالج التصوير والحوار بدقة وبراعة في كل مايتصل بأحوال الشعب واخلاق العامة ، فاذا سما الى مقام الملوك والخاصة خانته قدرته وغلبت عليه بيئته وطبيعته ، فيفقد ما يسمى في الفن الكتابي بالصبغة المحلية وهي ان يسند الى الشخص مايلائم طبيعته وطبقته وبيئته من قول أو فعل . فالأقاصيص الهندية والفارسية تشوبها روح القصاص الاسلامية كحكاية قمر الزمان بن الملك شهرمان والحكايات البغدادية تظهر فيها اللهجة المصرية كحكاية ابي الحسن الخليع ، ثم تراه يجري على لسان الخليفة الرشيد ما يأبى عليه جلاله وكماله ان يقوله ويحمله يفعل مالا يجوز في العقل ان يفعله ، كأن ينادي وزيره جعفراً بقوله : يا كلب الوزراء ويكلفه في قصة الفتاة المقطعة بالعثور على القاتل في مدى ثلاثة ايام والا شنقه هو واربعين من بني برمك . وكأن يخلع في حكاية علي نورالدين مع انيس الجليس حلة الملك ليرتدي مرقعة بالية قذرة لكريم الصياد فيفيض قملها على اطرافه ، ويسيل قذرها على منكبه وأعطافه ، ولو أن ما كلف به الرشيد من التعب المزري كان لضرورة ملجئة لوجدنا له مساغاً من الفن ولكنه جشمه ما جشمه ليتسنى للخليفة ان يسمع غناء انيس الجليس وهي في قصر من قصوره وفي ضيافة خادم من خدمه ! فهو يدخله في هذا الزي الزري على الحبيبين والبستاني ليقدم اليهم ما معه من السمك فيكلفوه شيه في المطبخ ويشويه ! !

وكثيراً ما تدفع القصاص شهوة الإغراب الى تجاوز المبالغة المعقولة فتفوته من الفن صفة الامكانية وهي ان يلبس القصصي الحوادث الخيالية ثوب الحقيقة فيقرب ماينها من الظروف ويمهد لها اسباب الوقوع حتى لاتتنافر مع العقل والعلم والعرف والتقاليد . والامثلة

على هذا العيب مستفيضة في كل قصة . وفي الكتاب طائفة من الحكايات قد استوفت شروط الفن القصصي كلها كقصة الصياد والجني وقصة مزين بغداد ومقدمة حكايات السندباد وقصة علي بن بكار وشمس النهار .

هذا اذا نظرنا الى الاسلوب في جملته وعمومه ، اما اذا تتبعناه باللمح الخاطف في نواحي الكتاب وجدناه فيما بقي من الاقاصيص الهندية والفارسية وما جرى مجراها من الحكايات المحدثة المقلدة بين السذاجة أبله الاشارة لأنها من نوع الخوارق التي تدخل على القلوب الغريرة ، ولا تظفر الا بتصديق العقل البسيط ، فهو جارٍ مع طبيعتها متفق اللون مع صورتها ، وفي الطبقة البغدادية تراه متين العبارة عفيف اللفظ حسن السبك دقيق الوصف كثير السجع تليل الفضول لأنه في الغالب مكتوب يحذى على المثل العليا من قصص الفرس وتاريخ العرب ، وقد يسف في بعض الاقاصيص اسفافاً قبيحاً فينقل بسخفه على الطبع ويعتدي بضعفه على الذوق ، كما نراه في قصة الخليفة مع النائم اليقظان مثلا ، اما الاسلوب في الطبقة المصرية فهو في قسمها الأول وخاصة الاقاصيص المكتوبة منه اشبه شيء باسلوب الطبقة البغدادية مع اتساع في السجع وجرأة على الحشمة ، والغالب عليه التقليد فتارةً يجري على منهاج الطريقة الهندية كما نرى في حكاية وردخان والملك جليعاد وتارةً ينسج على منوال الطريقة الفارسية كفعله في قصة قمر الزمان الثانية وحكاية مسرور وزين المواصف وقد يجرى في مجراه الخاص من التهكم الساخر والمزاح المضحك فيكون رقيقاً كما نراه في قصة الأحدب وخاصة في مزين بغداد ، ولكنه في القسم الثاني وفي سائر القصص الالقائية التي الفها القصاص ليلقوها في السوامر مهلهل النسج عامي اللفظ مرزول المبالغة سيء التلفيق شديد الوطأة على الحياء والمروءة لصدوره عن قصاصين محترفين جهلاء يتملقون فيه شهوات العامة بالاخاش ، ويستفزون فضول الجمهور بالمبالغة ثم يكثر فيه ترداد الجمل المحفوظة الملتزمة فيقال دائماً في وصف القينة العازفة : (فعملت على العود من غرائب الموجود الى ان طرب الحجر الجلمود وصاح العود في الحضرة ياداود) وفي ايثار البعد : « بعدك عن الحبيب اجمل وأحسن . عين لا تنظر وقلب لا يحزن » وفي غرابة الحادثة « لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن يعتبر » وفي وصف الشيخ الفاني « قد ابقى ما ابقى وعركه

الدهر فما استبقى ، كأنه مُمزق مُلقى ، في خرقة زرقاء تمر بها الارياح غرباً وشرقاً ، كما قال فيه الشاعر :

أرعشني الدهر اي رعش والدهر ذو قوة وبطش
قد كنت امشي ولست اعيا واليوم اعيا ولست أمشي

وفي وصفه ساحة الحرب ومجالس الأنس ورياض الأرض وأثاث البيت لا يكاد يغير شيئاً من الاسجاع والاوضاع ومقطوعات الشعر .

ذلك ياسادتي ما استطعت استشفافه من صور الاساليب الاثرية في الكتاب وسترون حين تعيدون قراءته أن القصاص والمصنفين والمصححين في مصر قد اخضعوه اخضاعاً شديداً للهجاتهم واساليبهم وأمثالهم حتى جعلوا البحث اللغوي الفني من البعد بحيث لا تبلغ اليه وسيلة .

فلسفته ومراميه . — سيداتي وسادتي إن من يطلب من الف ليلة وليلة فلسفة خاصة وفكرة عامة ووجهة مشتركة كان كمن يطلب من كافة الناس عقيدة واحدة وطبيعة ثابتة واغراضاً متفقة ، فهو كما قلنا من قبل كتاب شعبي يصور الحياة الدنيا كما هي لا كما ينبغي ان تكون ، فاذا رأينا مذاهبه تتناقض ومراميه تتعارض وآراءه تختلف ، فذلك لأن المجتمع الذي يصوره كذلك .

ولم يكن الكتاب نتاج قريحة معلومة ولا نتيجة خطة مرسومة حتى نتلمس في جوانبه الدوافع والنوازع والغاية ان هو الا صدى يتردد خافتاً لعقائد الشرق القديم وعقلياته وعاداته ففي الفلسفة نراه يتأثر بالأفلاطونية الحديثة والأخلاق الاسلامية فيدعو الى القناعة باليسير والعزوف عن الدنيا والاعتدال في اللذة والمبالغة في الحذر والتفويض المطلق للقدر ، فروحه من هذه الجهة تتنافر مع صوره البراقة ووسائله الطامحة وحوادثه المغامرة ، ثم نراه في اقاصيص اخرى ولا سيما الحديثة يزين الأنانية ، ويرتضي القسوة ، ويتشوف الى المكاسب الدنيئة ، ويشره الى اللذة الخسيسة ولا يكاد يعتقد بالعواطف الكريمة . . وقد يصور المتاع الحسي واللهو الجموح بما لا يتمثل في الذهن الا على سبيل الخيال كالذي يحكيه عن فتى من ابناء الملوك رما الى جزيرة كل من فيها من تجار وصناع نساء كأنهن اللؤلؤ المكنون فقضى بينهن في هذا النعيم اياماً اقل ما أصاب فيها من اللذة انه

كان يلقي الشبكة في الماء على سبيل اللهو فتخرج اليه من الاصداف خريدة من بنات الجان كأنها حورية من حور الجنان الخ . . فاذا اختبرناه في السياسة والاجتماع رأيناه ملكياً يقيم في كل مدينة عرشاً وينصب على كل مجمع من الاحياء ملكاً حتى الحيات والحشرات والطيور والوحوش والقردة ، ديمقراطياً يشرك الملك والصعلوك في متع الحياة ومعالي الانس عائلياً يبني نظام البيت وتأثيل المجد على الزوجة والولد . لذلك تجدونه يستهل معظم اقاصيصه بحنين الوالدين الى النسل ، وفزعهما الى الله أو الى المنجم من داء العقم . وقد يسمو مغزاه الى الفلسفة الاجتماعية العالية ، مثال ذلك حكاية السندباد والحمال . فالحمال يؤوده الحمل الفادح ، وينهكه الحر اللافح ، فيلقي حمله على مصطبة امام بيت من بيوت التجار يتردد اليه النسيم الرطيب ، وتضوع منه روائح العطر والطيب ، ثم يرى عظمة ذلك التاجر في كثرة خدمه وغلمانه ، ويسمع تغريد البلابل والفواخت في بستانه . ويصغي الى رنين أوتاره وغناء قيانه ، وينشق افاويه الطعام الشهي من صحافه والوانه ، فيرفع طرفه الحائر الى السماء ويقول سبحانك يارب لا اعتراض على حكمك ولا معقب لأمرك ! أين حالي من حال هذا التاجر ؟؟ انا مثله وهو مثلي ، ولكن حمله غير حملي ! !

على أن أسوأ ما سجله الف ليلة وليلة من ظلم الانسان وجور النظم هو القسوة الجائرة على المرأة ، فان حظها منه منكود وصورتها فيه بشعة ، وكيف تنتظر من كتاب بني على خيانة المرأة ان ينصف المرأة ؟ ان شهرزاد المسكينة انما تسهر جفنها وتكد ذهنها لتقص على الملك شهريار أعجب القصص ابتغاء الحظوة لديه حتى تدرأ القتل عن نفسها والخطر عن بنات جنسها ، ومن الخطل الأليم ان يسند القصاص كل هذه النقائص الى النساء على لسان واحدة منهن في مقام الدفاع عنهن ، وان يجري على فمها في حضرة الملك تلك الكلمات الجريئة المخزية في وصف بهيمية الرجل ! !

الف ليلة وليلة يصور لنا المرأة في القسم الهندي الفارسي خطالة خائنة تبيع عرض الملك للعبد في قصة شهريار وأخيه ، لجوجة جموحة أنانية في قصة الحمار والثور تصر على ان يبوح لها زوجها بسره ، وهي تعلم ان في افشائه ضياع عمره ، حاقدة كائدة منتقمة في قصة الوزراء السبعة ، قاسية عاتية مرهوبة في حكاية قمر الزمان الاولى ، وهي في بغداد سجينة في قصرها ، مغلوبة على أمرها قد انتبذها زوجها وألقى زمامه في أيدي الجواري

والقيان ، وعلى كلتا الحالتين من حرية ورق نراها وسيلة لذة وغرض شهوة وأداة خدمة ، أما هي في مصر والشام فوجودها عدم ، لا تسمع لها صوتاً في بيت ولا ترى لها أثراً في سوق ، فاذا خرجت من ظلام الستار الى ضوء النهار كانت طاغية جاهلة كزوجة معروف الاسكاف ، أولصة حيالة كدليلة وبنتها زينب ، أوقوادة مرتادة كأولئك العجائز اللاتي ينقلن الفتنة من مكان الى مكان ويصلن المنكر بين فلانة وفلان .

اما تصوير الكتاب لمظاهر الاجتماع الشرقي في القرون الوسيطة من العادات والاخلاق والمراسم في السوامر والولائم والأعراس والمآتم والأسواق والمحاكم فقد بلغ الغاية من ذلك كله ، الا ان الطبقة المصرية في هذا الباب كما قلنا أصدق وأجمع لان القصاص وهم مصريون تكلموا عن علم ووصفوا عن رؤية ونقلوا عن سماع ، فاذا قرأتم مثلاً حكاية نور الدين وشمس الدين وجدتم المصريين كانوا في حفلة العقد يطلقون البخور ويشربون السكر وينضحون الوجوه بماء الورد ، وفي زفاف العروس ينقطون المواشط والقيان بالقاء النقود في الدف اوالأطار كما يسميه الف ليلة أوالطار كما يسمى الآن في مصر ، وفي جلوتها على المنصة يجلسونها بين صفين من كرائم السيدات في يد كل منهن شمعة موقدة ، ثم يلبسونها حلة بعد حلة في فترة بعد فترة حتى يخلع عليها سبع حلل ، ومع كل سيدة من المدعوات الى الحفل صرة من الثيـاب المعدة لذلك الزفاف يحملها خادم ، فكلما خلعت العروس حلة خلع المدعوات كذلك حلة الى تمام السبع ، ولاتزال هذه العادات باقيـة في بعض البلاد وبعض الأسر في مصر .

واذا قرأتم حكاية علاء الدين ابي الشامات وجدتموهم كانوا يستعملون الحشيش قوة للزوج ويتخذون المحلل خلاصاً من الطلقة الثالثة وهما خلتان شائعتان اليوم في الطبقة الدنيا اقرأوا حكاية معروف الاسكاف تجدوه مثالاً صادقاً لبعض الناس هنـاك في ضعف الارادة وسلامة الصدر وحب الأبهة وتبذير مافي الجيب اتكالاً على الغيب واهتضاماً للحق وتجدوا زوجه فاطمة العرة التي فر من جبروتها وجفوتها وقسوتها وعنادها الى أقصى مجاهل الارض فتبعته لايزال لها شبه في الباقيات الطالحات بمصر من عهد الجهالة .

اما الطبقة البغدادية فقد عبث بها القصاص وشالوها بلهجاتهم وعاداتهم ولكنهـا مع ذلك حرية بثقة الباحث اذا استطاع تنقيتها من شوائب البهرج والدخيل :

بقي علينا ان نعرف وجهة كتابنا في الدين ، وليس من العسير على القارئ العادي ان يتبين تلك الوجهة فان في كل صفحة من صفحاته دليلاً على انه مسلم صادق الايمان قوي العقيدة يأخذ تقاليد الدين صحيحة أو مشوبة مأخذ العامي الواثق المطمئن فلا يبحث ولا يستنبط ولا يطبق حتى في مقام الحكمة والموعظة لا يكاد يذكر حديثاً أو آية وانما يستند في ذلك الى مأثور الشعر ومنثور الحكم ، فسبيله في الدين إذن أن يدعو اليه ويهتف به ويتعصب له ، لذلك نراه لا يتحدث الا عن المسلمين ، ولا يتخذ أشخاصاً لقصصه حتى الاجنبية منها الا من المسلمين ، فاذا كان احد الجنة أو الناس غير مسلم واضطر الى الحديث عنه انتهى به الى الاسلام أو دبر له عقبى سيئة وذلك نادر ، كما فعل في حكاية مسرور المسيحي وزين المواصف وزوجها اليهوديين ، فالحبيب والحبيبة أسلما فورفت عليهما ظلال النعيم والحب وظل الزوج يهودياً فدفننه امرأته حياً ، والف ليلة وليلة بعد ذلك سني لا يكاد يعرف فرقة أُخرى من فرق الاسلام حتى الشيعة وكان لهم على عهده في مصر دولة الفاطميين ، وفي العراق نفوذ البويهيين لم يذكرهم الا في حكاية علاء الدين وهي مكتوبة بمصر على عهد المماليك ، ولقد دل حين تعرض لهم في هذه القصة على جهالة قبيحة أو دعاية سيئة فقد أشار في موضع منها الى ان الروافض كانوا يكتبون اسمي الشيخين على بواطن الأعقاب ، وقال في موضع ثان ان اهل بغداد كانوا يغلقون الأبواب خوفاً من الروافض ان يلقوا الكتب في دجلة ، وقال في موضع ثالث : ان الرشيد سأل الرجل الذي هم باغتياله وهو يلعب الكرة والصولجان فجاء أصلان بن علاء الدين : أما أنت مسلم؟ فقال كلا وانما انا رافضي .

مخطوطاته ومطبوعاته وترجماته . — صنف المنقبون ماعثروا عليه من مخطوطات الف ليلة وليلة فكان ثلاث مجموعات مختلفة : مجموعة أسيوية ومجموعتين مصريتين ، فأما المجموعة الأسيوية وهي أقدمهن فلا تشتمل الا على القسم الاول من الكتاب واحدى نسخها مبتورة ، وأشهرها نسخة كلكوتا وهي تحتوي على مائتي ليلة وقد شرع بطبعها الشيخ اليمني في جزءين بمدينة كلكوتا سنة ١٨١٤ م وأتمها سنة ١٨١٨ م فكانت أول مخطوطة طبعت من هذا الكتاب في الشرق والغرب ثم نسخة (برسلو) وهي التي طبعها الاستاذ (هبكت) في اثني عشر جزءاً ، ظهر الجزء الاول في سنة ١٨٢٥ والأخير سنة ١٨٤٣ ، واما المجموعتان المصريتان فهما أحدث من الاولى وبين نسخها اختلاف شديد في الأسلوب والترتيب والعدد والقصص

ومن هاتين المجموعتين نسخة كلكوتا الثانية التي جمعها وطبعها الاستاذ (ماك نوكتن) في أربعة مجلدات من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤٢ ، ثم نسخة بولاق التي طبعتها الحكومة المصرية في مطبعتها بالقاهرة سنة ١٨٣٥ في مجلدين وهي أكمل النسخ جميعاً وأصحها وعنها صدرت جميع الطبعات في مصر والشام وبومباي ، ونقلت جميع الترجمات الى جميع اللغات ماعدا ترجمة (جلان) : فأما الطبعات فكلهن سواسية في قبح الشكل وسوء النقل وقلة العناية لصدورهن عن أرباب المكاتب وأصحاب المطابع وهؤلاء يبتغون أوفر ربح في أيسر كلفة . على ان أديباً من الآباء اليسوعيين قد طبعه ببيروت طبعاً جميلاً في اربعة مجلدات بعد ان قص من قصصه واقتضب من جمله وهذب من عبارته ، ثم جاء منشئ الهلال فأربى عليه في الحذف والبتر والاختصار وطبعه بمصر في خمسة أجزاء صغار ، وهاتان الطبعتان ولا سيما الاولى أليق الطبعات باخلاق الفتى وحياء الفتاة ولكنهما لا تنقعان غلة الأديب الباحث .

واما الترجمات فأولها في الوجود ترجمة الاستاذ جلان وهي أنيقة الأسلوب رائعة السبك الا انها غير دقيقة ولاأمينة ولاوافية ، على ان لها اليد الطولى على الكتاب في التعريف به والتنويه باسمه والدلالة على فضله ، طبعت هذه الترجمة بباريس في اثني عشر مجلداً ابتداء من سنة ١٧٠٤ الى سنة ١٧١٧ ونقلت عنها سنة ١٧٠٧ ترجمة انكليزية مختصرة في ستة مجلدات بعنوان الليالي العربية ، وأشهر الترجمات بعد ذلك في السعة والدقة والصدق ترجمة بورتن بالانجليزية وترجمة ماردروس بالفرنسية وترجمة هبكت بالالمانية .

***

ذلكم ياسادتي ما يتحمله المقام والوقت من تاريخ الف ليلة وليلة ، وانكم لترون من هذا الإجمال فعل القريحة العربية فيه ، ومظهر العقيدة الاسلامية في جميع نواحيه ، وطابع العقلية السامية في أخيلته ومراميه ، حتى أصبح الكتاب عنواناً عريضاً من عناوين آدابنا ، وشاهداً جديداً على الحيوية القاهرة والشخصية الآمرة في آبائنا ، والآن فبما ذا نفسر هذا ؟

لقد خالفوا اليهود على الدين فظهر عربياً رائعاً في رسالة محمد ، وخلفوا اليونان على

العلم فعاد عربياً ساطعاً في فلسفة ابن رشد ، وخلفوا الرومان على الحضارة فبهرت العالم بالعمران والعدل في عصر الرشيد ، وخلفوا الفرس على الأدب فأخضعوا ألسنتهم وأفئدتهم لأدب القرآن ، وخلفوا الهنود على القصص فأروهم روعة الخيال وقوة الإلهام في ألف ليلة وليلة ، وخلفوا الامم العظمى على اكثر الارض فأوشكوا ان يعرّبوا العالم ! فليت شعري أتغيرت الصحراء ، أم فسدت الدماء ، أم ضويت الأبناء ، أم هي ربضة الأسد واستجمامة المتعب واستجماعة الواثب ، ثم استئناف الهجمة الاولى على الموقع الأول في الحياة .

لقد أعقتكم طويلاً وأتعبتكم كثيراً وكدت أخرج من المحاضرة الى الخطابة فعذراً ياسادتي وشكرا .

احمد حسن الزيات

عضو المجمع العلمي

صفي الدين الحلي

— ٢ —

صفة شعره ٠— ونوضح ما أجملناه من وصف شعره بما نقول :

أغراض شعره ٠— نظم الحلي الشعر في أكثر أغراضه فأجاد في بعضها وقصر في بعض :

(١) فاما باب الفخر والحماسة الذي صدر به ديوانه فاكثر ماقاله منه في صباه وجرى في أكثره على طبيعة شعر المتقدمين ؛ فقلل من البديع ، وآثر الجزالة وظهرت فيه صورة البداوة التي شب عليها في بلدته الحلة ، وهي من مدن الاعراب ٠ فمن ذلك قوله من قصيدة يفتخر فيها بانتصاره في الموقعة التي أخذ فيها بثأر خاله :

لمن الشوازب كالنعام الجفّل ... كسيت جلالاً من غبار القسطل

يبرزن في حلل العجاج عوابساً ... يحلمن كل مدرع ومسربل

شبه العرائس تجتلى فكأنها ... في الخدر من ذيل العجاج المسبل

فعلت قوائمهن عند طرادها ... فعل الصوالج في كرات الجندل

فتظل ترقم في الصخور أهلة ... بشبا حوافرها وان لم تنعل

يحملن من آل العريض فوارساً ... كالاسد في أجم الرماح الذبّل

تنثال حول مدرع بجنانه ... فكأنه من بأسه في معقل

مازال صدرالدست صدرالرتبة الـ ... ـعلياء صدر الجيش صدر المحفل

وهي طويلة ومثلها قصيدته التي أسلفنا أولها ، ونختار منها الابيات الآتية :

سلي الرماح العوالي عن معالينا ... واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا

وسائلي العرب والاتراك ما فعلت ... في أرض قبر عبيد الله أيدينا

يا يوم وقعة زوراء العراق وقد ... دنّا الاعادي كما كانوا يدينونا

بضمّر ما ربطناها مسوّمة الا لنغزو بها من يات يغزونا
وفتية أن نقل أصغوا مسامعهم لقولنا أو دعوناهم أجابونا
قوم اذا استخصموا كانوا فراعنة يومًا وان حكموا كانوا موازينا
اذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة وان دعوا قالت الايام آمينا
أن الزرازير لما قام قائمها توهمت انها صارت شواهينا
انا لقوم أبت اخلاقنا شرفًا أن نبتدي بالاذى من ليس يؤذينا
بيض صنائعنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا
لا يظهر العجز منا دون نيل منى ولو رأينا المنايا في أمانينا

(٢) وأما المدح فهو جل صناعته وزعم في مقدمة ديوانه انه كان لا يتكسب به في نشأته . ثم أعوزته ضرورة الفرار من وطنه الى انتجاع الملوك والتكسب به . وله مدائح جيدة في الملوك ومدائح نبوية منها بديعيته التي فتحت للشعراء بعده باب نظم البديعيات ؛ فهو أول من نظمها . وبديعيته التي تعتبر الاولى من هذا النوع واستعمل فيها كل أنواع البديع المعروفة في زمنه عارض بها بردة البوصيري في الوزن والقافية والموضوع ، اذ كانت الغاية في عصره بين المدائح النبوية ، ولانها حوت من أنواع البديع الكثير مع انسجام لفظ وبراعة معنى ، فلم يبلغ شأو البوصيري فيها ، ولكنها أصبحت في الغرض الصناعي الذي وضعت من أجله فاتحة البديعيات ، فعارضه بادئ بدء عز الدين الموصلي ، وزاد عليه تسمية النوع ، ولكنه تكلف لذلك تكلفًا غير يسير ، ثم جاء ابن جابر الهواري الضرير الاندلسي مهاجراً الى الشرق ، ودخل الجزيرة ، ومدح ابن الصالح ملك ماردين بعد وفاة الحلي ، فعارضه بقصيدة بديعية جارى الحلي في عدم التصريح باسم النوع فجاءت بليغة في جملتها ، ثم جاء تقي الدين بن حجة الحموي ونظم بديعيته المشهورة مصرحًا فيها باسم النوع ، ولم تخل من تكلف ، ثم عارضها آخرون لا يحصون الى وقتنا هذا . ومطلع بديعية الصفي المسماة الكافية البديعية في المدائح النبوية هو :

ان جئت سلعًا فسل عن جيرة العلم واقر السلام على عرب بذي سلم

(٣) وأما المراثي فهو ممن يجيدها ، وكان يعارض في كثير منها مشهورات مراثي المتقدمين ومن ذلك قصيدة يرثي بها أخاه عارض بها نونية المعري التي رثى بها أباه والتي أولها :

نقمت الرضا حتى على ضاحك المزن   فلا جادني الا عبوس من الدجن

فيقول صفي الدين في أول مرثيته وأغار على كثير من معانيها وضمن بعض شطورها :

بكيت دماً لو كان سكب الدما يغني   وضاعفت حزني لو شفى كمداً حزني

وأعرضت عن طيب الهناء لانني   (نقمت الرضا حتى على ضاحك المزن)

ومن أغرب مراثيه تخميسه لقصيدة ابن زيدون النونية وصرف غزلها الى رثاه ٠

وباب المراثي في ديوانه حافل بالشعر الجيد فراجعه ٠

(٤) الطرديات — وقد كاد يلحق في هذا الباب أبا نواس وابن المعتز وشعره فيها جزل بليغ خال من سفساف البديع ، لان المقام مقام فروسية وتبدّ وإصحار ٠ وقد اقتبس هذه الحلة من بيئته البدوية الاولى ومن خدمته لملوك من الترك والكرد كملوك ماردين وحماة وكان يشهد معهم المصايد ويصف لهم آلات الصيد من أقواس السهام وأقواس البندق وكلاب الصيد وفهوده وشواهينه وبواشقه وصقورته كما يصف المصيد من الكراكي والتم الخ ٠

وله في الطرد مسمطة خماسية من الرجز لا أدري ان كان عارض بها ابن نباتة في طرديته أوهذا الذي عارضه ، غيرأن طردية ابن نباتة ، من نوع الرجز المزدوج بشطورين فقط ومطلع طردية صفي الدين هو :

أما ترى الانواء والسحائبا   قد أصبحت دموعها سواكبا

فاكتست الارض بها جلاببا   فاظهرت أزهارها عجائبا

غرائباً أضحت لنا رغائبا

ومطلع ابن نباتة هو :

أثنى شذا الروض على فضل السحُبْ   واشتملت بالوشي أرداف الكُثُبْ

ما بين نور مسفر اللثام   وزهر يضحك في الأكمام

ان كانت الارض لها ذخائر   فهي لعمري هذه الأزاهر

قد بسطتها راحةُ الغمائم   بسطَ الدنانير على الدراهم

أحسنْ بوجه الزمن الوسيم   تعرف فيه نضرة النعيم

وكأنك معي تشعر بان طردية ابن نباتة المصري أرق وأرشق ٠

(٥) الخمريات — وهو في وصفها خليع مستهتر يعترض على تحريمها ، ويؤنب اللائمين في معاقرتها وطالما تاب عنها ثم عاد اليها ، وكثيراً ما جعلها محل النسيب من مدائحه السلطانية كقوله في مطلع مدحه للملك المنصور :

دقّ شوال في قفا رمضان | وأتى الفطر مؤذناً بالتهاني
فجعلنا داعي الصبوح لدينا | بدلاً من سحوره والأذان

الى أن قال :

شملتنا من ناصر الدين نعمى | نصرتنا على صروف الزمان

(٦) الغزل — وهو فيه رقيق القول جيد المعنى يبتدئ به المدائح المطولات وينظم فيه المقطعات ، واكثر مايكون غزله بالمذكر ، وبخاصة غلمان الاتراك . وقد يبلغ به الاستهتار أن يعقد موازنة بين الغلمان والجواري ، ولم يكن هذا ديدنه وحده بل كان دأب أدباء زمانه ، ولولم يقارفوا منكره . وكأن ذلك كان يعجب ملوك الترك والكرد فيستملحونه ، ويستمعون اليه لمصادفته أهواء من أفئدتهم . ومن أرق قوله فيه :

يا ضعيف الجفون أضعفت قلبا | كان قبل الهوى قوياً مليا
لا تحارب بناظريك فؤادي | فضعيفان يغلبان قويا

وقوله :

قيل إن العقيق قد يبطل السحـ | ـر بتختيمه بسر حقيقي
فأرى مقلتيك تنفث سحراً | وعلى فيك خاتم من عقيق

وقوله :

ما زال كحل النوم في ناظري | من قبل اعراضك والبين
حتى سرقت الغمض من مقلتي | ياسارق الكحل من العين

(٧) الوصف — وهو فيه حسن التخيل بديع التصوير ، فاذا وصف الازهار ومجالس الانس سهل شعره ورقت ديباجته واذا وصف الوحش والفرس وسرى الليل ونحوه اتى بالمتين والجزل ؛ فمن ذلك قوله في فرس أدهم محجل :

ولقد أروح الى القنيص وأغتدي | في متن أدهم كالظلام محجل
رام الصباح من الدجى استنقاذه | حسداً فلم يظفر بغير الأرجل

فكأنه صبغ الشبيبة شبابه وخط المشيب لجاءه من أسفل

وقوله في وصف عود الطرب :

وعودٍ به عاد السرور لأنه حوي اللهو قدماً، وهو ريان ناعم
يغرّب في تغريده فكأنه يعيد لنا ما لقنته الحمائم

راجع ديوانه في الطرديات والزهريات . ولقد خاض صفي الدين في أغراض أخرى من الشكوى والالغاز والمعاياة فراجعها في ديوانه .

اسلوب شعره . — يغلب على شعر الحلي الاوصاف الآتية :

(١) سهولة اللفظ وانسجام الاسلوب في جملته . وقد قصد الى ذلك واعتد به في أكثر شعره حتى انه ربما أسفّ الى استعمال الاساليب العامية الصورة . « ونقل عن نفسه في ديوانه أن بعض الادباء سمع شعره فاستحسنه ، وقال لاعيب فيه سوى قلة استعماله للغريب فكتب اليه ابياتاً الخ » ثم اتى بقصيدة ذكر فيها جملة ألفاظ من غريب اللغة من الخماسية الاصول الصعبة المخارج كأن الغرابة عنده بطول الكلمات وصعوبتها ، وكأنه غفل عن أن العرب انما تطيل اللفظ لزيادة المعنى إما في الحسن والقبول ، وإما في القبح والاستفظاع . على أن ما ورد في اللغة من الخماسي لا يعدو خمسين كلمة . وكذلك تضع العرب الكلمة ذات الحروف الصعبة المخارج للمعنى الفظيع كالعجوز والحجارة والداهية الخ وهاك ابياتاً منها :

انما الحيزبون والدردبيس والطخا والنقاخ والعلطبيس
والخرافيج والشقحطب والصقـ ـعب والعنقفير[1] والعنتريس
والغطاريس والعقنقس والفر نق والخربصيص والعيطموس
لغة تنفر المسامع منها حين تروى وتشمئز النفوس

وهو احتجاج بارد لا يقصد اليه منتقده ؛ فهل كان غريب مسلم بن الوليد وأبي تمام والمتنبي بل المعري من هذا النوع على أنه — كما قدمنا — اذا قال الشعر في الطرديات أو الفخر والحماسة اتى بالغريب المراد ونسي البديع وتكلفه .

(٢) الاستكثار من استعمال البديع اذ كان من المبتدعين لبعض انواعه وأول من نظم البديعيات وله كتاب في الجناس ومن انواع البديع التي يستعملها في شعره الجناس

(١) ذكر اللفظين المزهر في الاسماء التي جاءت على فنعليل .

والتضمين ويكثر منه ويجيده وقد ضمن كثيراً من شطور قصائد المتقدمين المشهورة كمعلقة امريء القيس ومقصورة ابن دريد ولامية العرب والاقتباس من القرآن — والمراجعة ٠ وما لا يستحيل بالانعكاس والتوجيه باصطلاحات العلوم واهمال الحروف واعجامها على أنواع شتى والتصحيف والسجع في الشعر وهو ممن لا يحفل بالتورية كما قال ابن حجة وصدق في قوله على انه قد وقع له منها بعض المقبول ٠

معاني شعره ٠— ليس الحلي من أولي الابتداع في المعاني والغوص علي نفائسها وأكثر معانيه مسبوقة أو فطرية ، ولكن الذي جعل له هذه الشهرة الذائعة سترها في أغلب الشعر برقيق اللفظ ودماثة الاسلوب ويقل اختراعه وربما كان منه قوله من قصيدة يمدح بها الصالح :

لولا كم لم يكن في الشعر لي ارب ولا برزت به من خزن تامور
فضيلة نقصت قدري زيادتها كالاسم زادت به ياء لتصغير

وقوله منها يصف صب الخمر :

وللاباريق عند المزج لجلجة كنطق مرتبك الالفاظ مذعور
كأنها وهي في الاكواب ساكبة طير تزق فراخاً بالمناقير

وقوله في تأخر منزلته :

كأنني من رقوم الهند أوجب لي علو مرتبتي افراط تاخيري

(باعتبار أن كتابة الارقام ككتابة الحروف العربية من اليمين الى الشمال كالنطق بها)

عيوب شعره ٠—

(١) منها تكلفه لدرجة المقت والبرد إيثاراً لصناعة البديع من امثال التجنيس والقلب والاهمال والاعجام ونحو ذلك ٠

(٢) كقوله في ممدوح :

مهذب محبب مجرب للمجتني والمجتلي والمجتدي
فقوله وطوله وطوله للمقتني والمعتفي والمعتدي

وقوله في قصيدة كل اسمائها مصغرة :

وذيباك الأويمع في الضُحيا وُجَيهك أم قُمير في سُعيد

(٣) وتوع كثير من اللحن لغة ونحواً في شعره مثل قوله من قصيدة منصوبة الروي يصف الدروع :

مرواتها خزر العيون فأوجست جزعاً وكادت بالكماة تميدا

وقوله وقد استعمل همزة القطع موصولة ولا يجوز ذلك حتى في الضرورة :

وابلُغ الرملةَ الانيقة (وابلِغ) معشراً لي بربعها وأهيلا
كنت جلداً فلم يدع بينكم لا جسم حولاً ولا لقلبي حيلا

(٤) فساد معانيه واستعاراته وتشبيهاته في كثير من المواضع كقوله في تشبيه خمسة بخمسة لجمع البدر والهلال في آن واحد في وصف فارس يلعب بالصولجان :

ملك بروض فوق طرف قارع كرةً بجوكان حكاه ضرابا
فكأن بدراً في سماء راكباً برقاً يزحزح بالهلال شهابا

القاهرة : احمد الاسكندري

فن الجاحظ (١)

—(١)—

قد تعتق طائفة من مذاهب الجاحظ في العلم أو قد تبلى جملة من آرائه في الفلسفة فالعلم لم يثبت على حال من الأحوال والفلسفة لم تجمد على شكل من الأشكال فهما عرضة للتغيير في كل عصر من العصور فلكل زمن معتقداته وآراؤه ولكن الجاحظ إن لم يخلّده علمه أو فلسفته خلّده فنه ولغته .—

لقد قضيت أياماً وأنا أفكر في فن الجاحظ كيف أشرع في الكلام على هذا الفن وكيف أفرغ من هذا الكلام واشتدت حيرتي لما طالعت طائفةً من كتب الإفرنجة ورأيت كيف يبحثون عن فن شعرائهم أو كتّابهم أو خطبائهم وأظن انه سيمضي على أدبنا حين من الدهر قبل أن نصل الى ما وصلوا اليه في هذا الباب .—

ان لهم أسلوباً في البحث عن الفن لم يعهده أدبنا بعدُ فلا يكتفون بالاشارة الى جزالة الكلام أو الى رقته أو الى محاسن التشبيهات والكنايات وغير هذا من الصور ولكنهم يعرضون لألفاظ الكاتب فيبحثون عن هذه الألفاظ بحثاً مستفيضاً من حيث دلالتها على المعنى من طريق الحقيقة أو من طريق المجاز أو من حيث رنات هذه الألفاظ أو من حيث دلالتها على لون من الألوان أو على صوت من الأصوات أو من حيث انها مجرّدة أو محسوسة الى غير هذا من دقائق البحث ثم يبحثون عن النعت والمنعوت ثم يبحثون عن الفعل الى اشباه هذه المباحث التي لا أجد لها في أدبنا نظيراً .—

قضيت أياماً وأنا أفكر كيف أشرع في الكلام على فن الجاحظ وخاصة بعد أن

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي شرع في المحاضرة بها في كلية الاداب في دمشق سنة ١٩٣١ :

تراءى لي تقصيرنا في هذا المجـال وقلت في نفسي : وما أنت قائل في هذا المعنى و كيف أنت داخل هذا البـاب أم كيف أنت خارج منه وخاصة فانه أجل أبواب الجاحظ التي تدل على خلوده في الأدب ٠—

أحبّ الجاحظ الحياة حبًا جمًا فصوّر كل معرض من معارضها ولوّن كل صورة من هذه الصور بحقائق ألوانهـا فكان إفصاحه عن شعوره بالحياة خالصًا من كل تصنع فألبس كل معرض من المعارض ضربًا من اللباس وجعل لكل صورة من الصور نوعًا من الخطوط والألوان جريًا على قاعدته الغالبة : لكل مقام مقال ٠—

ومن ولعه بهذه القاعدة وحرصه على أصولها تعلّق الجاحظ بحرية الصيغ وبمرونتها فهو يتوخى الأساليب التي يخاطب بها الناس على مقادير عقولهم فمرة يخاطب بلغـة العقل ومرة بلغة الحواس وهذا كله دليل على حرية عبقريته وحرية فنه ٠—

لقد عرفتم كيف كانت حياة الجاحظ العقليـة ووقفتم على نشاط فكره وعلى رغبته في التطلع ورأيتم كيف يميل الى ذوق الأفكار والى تمحيصها و كيف يسلك الى التمحيص مسالك شتى ، مرة يستظهر بعقله ومرة بالتجربة والعيـان ، فكل همه مصروف الى معرفة الحق وقد دفعه شغفه بهذه المعرفة الى اجتناب كل كلفة وكل صيغة شعرية في علمه مما يبعد الاشياء عن حقائقها ٠—

فلذلك كان فنه في أبواب العلم والفلسفة مبنيًا على العقل وحده فهو في هذه الأبواب قليل الاستعارات قريب العبـارات منقاد لعُريان الكلام يستعمله نفور من معتاصه يهمله على نحو ماقاله فيه البديع في مقامته الجاحظية لانه في العلم والفلسفة يخـاطب العقل وحده ولغة العقل مجرّدة والتجريد من خصائصها فالجاحظ قليل الصور في علمه وفلسفته حتى اذا اضطر الى تشبيه في أثناء كلام له على بعض الحيوان قرّب تشبيهاته ولم يغلُ فيهـا بحيث تكون على مقربة من حواسنا تدركها هذه الحواس دون شيء من النصب والكلفة ٠

من هذا الشكل تشبيهه النمر بالخيط الأسود الممدود ، قال[1] :

« فلا يلبث ذلك الانسان أن يراها قد أقبلت وخلفها كالخيط الأسود الممدود ٠—»

فانظروا الى هذه الصورة المحسوسة فانه لم يغلُ في المشبه به ولا في لونه ولا في هيأته

(١) كتاب الحيوان — الجزء الرابع ص ٣ ٠

فالخيط والسواد والمدّ كل هذا من الصور التي تراها العين لأول وهلة .—

ولو عرضنا طائفة من تشبيهاته لوجدناها بمجامعها على هذا النمط واليكم بعض الامثال :

البعوضة مع صغر جسمها تفسخ الانسان في أسرع من الإشارة باليد — والحية تسقط أسرع من اللمح — والشعر الذي يكون تحت حنك الكلب كأنه طاقة —. وساقا الكلب كأنهما خشبة من صلابتهما — والحية انتصبت كأنها رمح مركوز أوعود ثابت — والخصي كأن السيوف تلمع في لونه وكأنه مرآة صينية وكأنه وذيلة مجلوة وكأنه جمّارة رطبة وكأنه قضيب فضة قد مسه ذهب وكأن في وجناته الورد .—

واذا أحب في غير أبواب العلم أن يبرز بعض صفات في معارض مدوّرة لجأ الى تشبيه الموصوف باشخاص معروفين مشهورين حتى يكون المشبه به على مقربة منا كوصفه أحد البخلاء (١) :

« وكان يستعمل على خُوانه من الخدع والمكائد والتدبير ما لم يبلغ بعضه قيس بن زهير والمهلّب بن ابي صُفْرة وخازم بن ابي خزيمة وهرثمة بن أعين وكان عنده فيه من الاحتيال مالا يعرفه عمرو بن العاص ولا المغيرة بن شعبة .— »

انه لا ينزع في تشبيهاته الاّ الى ما يقرب من طريقته التي لجأ اليها كل حياته في كل مذهب من مذاهبه وما هذه الطريقة الاّ الطريقة الحسية حتى انه كثيراً ما يشبه بحاسة من الحواس كاليد أو كاللمح فكل صوره محسوسة .—

لم يكن فنّه في العلم والفلسفة الاّ فنّ الفلاسفة والعلماء الذين ينصرفون الى حلّ الأفكار والتنقيب عن صيغ العالَم فهم لا يلتمسون من الألفاظ الاّ دلالتها على الأفكار دلالةً وجيزة فالجاحظ يجرّد كلامه من العناصر التي تجعل للكلام خصائص فنية فهو لا يجعل للصور مقاماً في كلامه وانما المقام للعقل وللتمييز فكل تمديقه صحة البيان .—

ان فن الجاحظ العلمي انما هو فن الرجل الذي يخاطب العقل وأسلوبه فيّاض بالمعنى وبالمادّة فهو يقذف بأفكاره كما هبطت عليه فكأن كتاب الحيوان ضرب من احاديث في العلم والفلسفة ولكنها أحاديث يفيؤها عقل رجل فتان ، خفيف الروح فكأن الجاحظ

(١) كتاب البخلاء ص ٨١ .

في هذا الكتاب رجل مكسال فهو يخاف روح الترتيب فلا يريد الا الحديث من دون أن يستفرغ جهده في الترتيب حتى يكاد القارئ يضيع في كثرة الاستطرادات وتعاظل الموضوعات وكما انه لم يتعب في قذف أفكاره فكذلك لم يتعب في قذف ألفاظه فألفاظه تنفجر من ينبوع لغته التي لا تنضب كما تنفجر أفكاره من ينبوع عقله الذي لا ينشف ٠

ولهذا الميل المستحكم فيه وأعني به الميل الى الصيغ العقلية كان شعر الجاحظ بعيداً عن أن يكون ضربًا من الشعر فالجاحظ على نحو ماقاله فيه البديع في أحد شقي البلاغة يقطف وفي الآخر يقف ، فمن شعره قوله :

يطيب العيش أن تلقى حليماً غذاه العلم والرأي المصيب
ليكشف عنك حيرة كل ريب وفضل العلم يعرفه الأريب

فاذا دققتم في الفاظ هذين البيتين كالعلم والرأي والحيرة والريب تبين لكم انها ألفاظ مجرّدة والشعر لا يعرض علينا الأفكار المجرّدة كما يفعل النثر ولكنه يعرض علينا حقائق هذه الأفكار المحسوسة حتى نكاد ندرك الأفكار ذاتها وظواهر صيغها ، كل هذا في شكل مرصوص كأنه بناء مبني لا خلل فيه فالشعر غرضه أن يعرض الفكر في معرض ظاهر فهو يتحامى التجريدات ومصطلحات العلم واستدلالات الفلسفة التي هي من خصائص النثر فهي تجعل الشعر في عالم يختلف عن عالم الخيال وعالم الصيغ المحسوسة[1] وفن الجاحظ ممزوج بهذا الاصطلاح العلمي والاستدلال الفلسفي فما أبعده عن أفق الشعر واذا مال في شعره الى شيء من التصوير كالتشبيه بوشي البرود وما شاكله فلا نجد في تصاويره نوعًا من الإبداع وانما يصب فيها على قوالب محفوظة ويذهب فيها مذاهب مألوفة ٠—

غير أن الجاحظ لم يحبس نفسه على مذاهب العلم والفلسفة فقد أحبّ الحياة كما قلت لكم وصوّر كل مشهد من مشاهدها وانما جعل لكل صورة خصائصها فاذا أعطى الفلسفة والعلم مقاديرهما من الفن فهل قصّر عن إعطاء غيرهما من معارض الحياة ما يستحقه من لوازم الفن ٠—

إذا جاوزنا أفق العلم والفلسفة الذي جال فيه الجاحظ كل مجال وبنى فنه فيه على أصول العقل وجدنا أنّ فن الجاحظ قد دخل في طور آخر ٠—

(١) راجع كتابي : المتنبي — سحر العبقرية ٠—

هل كان الجاحظ مصوراً .—

يقولون : المصور يبحث عن الالفاظ الدالة على المعاني من طريق الحقيقة دون المجاز المصور يبحث عن الألفاظ المحلية والألفاظ الفنية وعن صحة النعت .—

فلنعمد الى صورةٍ من صور الجاحظ ، كصورة قاضي البصرة عبد الله بن سوار ، قال الجاحظ(١) :

كان لنا بالبصرة قاضٍ يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكماً قط. ذمياً ولاركيناً ولاوقوراً حليماً ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك ، كان يصلي الغداة في منزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكئ فلايزال منتصباً لايتحرك له عضو ولا يلتفت ولايحل حبوته ولا يحل رجلاً على رجل ولا يعتمد على أحد شقيه حتى كأنه بناء مبني أو صخرة منصوبة فلايزال كذلك حتى يقوم الى صلاة الظهر ثم يعود الى مجلسه فلايزال كذلك حتى يقوم الى العصر ثم يرجع لمجلسه فلايزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ثم ربما عاد الى محله بل كثيراً ما كان يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق ثم يصلي العشاء وينصرف ، فالحق يقال لم يقم في طول تلك المدة والولاية مرة واحدة الي الوضوء ولااحتاج اليه ولا شرب ماء ولاغيره من الشراب كذلك كان شأنه في طوال الايام وفي قصارها وفي صيفها وفي شتائها وكان مع ذلك لايحرك يده ولايشير برأسه وليس الا ان يتكلم فبينا هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه وفي السماطين بين يديه إذ سقط على أنفه ذباب فأطال المكث ثم تحول الي مؤق عينيه فرام الصبر في سقوطه على المؤق وعلى عضه ونفاذ خرطومه كما رام من الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته أو يغض وجهه أو يذب باصبعه فلما طال ذلك عليه من الذباب وشغله وأوجعه وأحرقه وقصد الى مكان لايحتمل التغافل أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض فدعاه ذلك الى أن يوالي بين الأطباق والفتح فتنحى ريثما سكن جفنه ثم عاد الى مؤقه باشد من مرته الاولى فغمس خرطومه في مكان كان قد أوهاه قبل ذلك فكان احتماله وعجزه عن الصبر عليه في الثانية أقل فحرك أجفانه وزاد في شدة الحركة وألح في فتح العين.وفي تتابع الفتح والإطباق فتنحى عنه بقدر ما سكنت

(١) كتاب الحيوان — الجزء الثالث ص ١٠٦ .

حركته ثم عاد الى موضعه فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فلم يجد بداً من أن يذب عن عينيه بيده ففعل وعيون القوم اليه ترمقه وكأنهم لا يريدونه فتنحى عنه بقدر مارد يده وسكنت حركته ثم عاد الى موضعه ثم ألجأه الى انذب عن وجهه بطرف كمه ثم ألجأه الى ان تابع بين ذلك وعلم ان فعله كله بعين من حضره من أمنائه وجلسائه فلما نظروا اليه قال أشهد أن الذباب ألح من الخنفساء وأزهى من الغراب وأستغفر الله فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله عز وجل أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً وقد علمت اني عند نفسي من أضعف الناس فقدغلبني وفضحني أضعف حلقه ، ثم تلا قوله تعالى وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . وكان بين اللسان قليل فضول الكلام وكان مهيباً في أصحابه وكان أحد من لم يطعن عليه في نفسه ولا في تعريض أصحابه للمنالة .— »

فلنرجع بعد ان قرأنا هذا الوصف الى كل دقيقة من دقائقه .—

للصورة في عصرنا هذا شروط خاصة فمن خصائص الصورة أن يفصل المصور على وجه عام هيأة الموصوف كالكلام على قامته وعلى لونه وعلى عينيه وعلى شعره وعلى أسنانه وما شابه ذلك فيتكلم على محاسن هذه الهيأة أو على مساويها فاذا فرغ من هذا كله تكلم على خصائص عقله فوصف محامد هذا العقل أو مقابحه ما بطن منها وماظهر فاذا فرغ من هذا تكلم على قلبه فوصف مختلف عواطفه وأهوائه .—

ليس في هذا الرسم شيء من المصاعب وانما المصاعب ان يفصح الواصف عن كل شكل من الأشكال بلهجة من الكلام خاصة تباغت القاريء فتسليه وتسره .—

أهمل الجاحظ الكلام على هيأة القاضي فلم يصف لنا شيئاً من قامته أو لونه أو عينيه أو شعره أو غير ذلك من ظواهره ولكنه لم يهمل الكلام على جلسته ، كيف يجلس هذا القاضي :

« يأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكئ فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولايحل رجلاً على رجل ولا يعتمد على أحد شقيه الخ . . . »

قلت لكم : المصور يبحث عن الألفاظ الدالة على المعاني من طريق الحقيقة لا من طريق المجاز فاذا دققتم في هذه الألفاظ التي لجأ اليها الجاحظ وجدتم انها بعيدة عن المجاز

ولما اضطر الى تشبيه هذا القاضي في وقار جلسته رجع الى عادته في التشبيهات المحسوسة فشبهه ببناء مبني وبصخرة منصوبة فلم يغلُ في هذا التشبيه وانما كانت الصورة على مقربة من حواسنا فهي مثل قوله : كالخيط الأسود الممدود .—

فالجاحظ في تصويره يعمد الى الألفاظ التي تفصح عن المعاني من طريق الحقيقة واذا لجأ الى المجاز وقليلاً ما يلجأ فانه يقرّب ولا يبعّد .—

وكما يبحث المصوّر عن هذا الضرب من الألفاظ فكذلك يبحث عن الألفاظ الفنية فلما قال الجاحظ : ثم ربما عاد الى محلّه بل كثيراً ما كان يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق ، لما قال الجاحظ هذا القول استعان بالألفاظ الفنية ، ما هي هذه الألفاظ : العهود والشروط والوثائق ، هذه هي مصطلحات القضاة .—

وكما لم يهمل الجاحظ الكلام على جلسة القاضي فكذلك لم يهمل الكلام على محاسن صفاته ، في ثلاث كلمات وصف هذه المحاسن فقال : لم يرَ الناس حاكماً قط ذمياً ولا ركينا ولا وقوراً حليماً ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك .—

وبعد أن فرغ من الكلام على صفات عقله تكلم على بعض صفات قلبه : ما هي هذه الصفات : الشعور الديني البارز في صلاة الظهر وصلاة العصر وصلاة المغرب وصلاة العشاء في أوقاتها .—

لا شك في ان الجاحظ لم يطل الكلام على هذه الصفات كلها وانما وصف منها ما له متعلق برجلٍ قاضٍ ، قد لا يكون للصورة في عصر الجاحظ القواعد التي لها في عصرنا ولكن الجاحظ لم يغفل عن الكلام على الأشكال بلهجة تباغت فتسلي وتسرّ ، فمن هذه التسلية ومن هذه المسرة : سقوط الذباب على أنف القاضي وإطالته المكث وتحوله الى موق عينيه والمباغتة فيهما صبر القاضي على عضه وعلى نفاذ خرطومه من غير أن يحرك أرنبته أو يغض وجهه أو يذب باصبعه ،

ومن هذه التسلية ومن هذه المسرّة إطباق القاضي جفنه الأعلى على جفنه الأسفل وموالاته بين الإطباق والفتح وتحريكه أجفانه وزيادته في شدة الحركة والمباغتة فيها ذب القاضي عن عينيه بيده وبطرف كمه .—

فالجاحظ مصوّر من أكبر المصوّرين وتكاد تكون قصة القاضي عبد الله بن سوار

مثال التصوير في أدبنا فقد جرّ الجاحظ الى هذا القاضي انتباه القارئ فثبّت انتباهه هذا في مختلف أوضاعه وولّد عن هذه الأوضاع أفكاراً وألّف بين هذه الأفكار فالصورة لم تكن حلاً مجرّداً وانما هي رسم حقيقي ، انما هي معرض من معارض الحياة ليس فيها شيء من اوصاف العقل أو العاطفة مما لا تقع عليه عين وانما فيها وصف شيء تراه العين فهي صورة واضحة قوية صوّر فيها وضع من الأوضاع في مختلف حالاته .—

لا شك في انكم قد لا حظتم انّ من أساليب الجاحظ في هذه القطعة الترديد فمن ترديده قوله : فلا يزال كذلك حتى يقوم الى صلاة الظهر ... فلا يزال كذلك حتى يقوم الى العصر ... فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ...

والترديد وسيلة من وسائل الفن فان الكلمة المردّدة توضّح الفكر أحسن توضيح فتوحي المعنى الى الذهن وتستثير هذا الذهن فان اللفظة اذا ردّدت كان لترديد جرسها تأثير في تثبيت العناصر في الذهن .—

وكثيراً ما يلجأ الى هذا الباب فمرّة يردّد النعت ذاته كقوله في قصة محمد بن أبي المؤمل في البخلاء :

« ولم يكن أكله الا على قدر أكله اذا أتى بذلك في طبق نظيف مع خادم نظيف عليه منديل نظيف . »

ومرّة يردّد الفعل كقوله في وصف سحابة(١) :

« فاذا سحابة ضحياء تكاد تمس الأرض وتكاد تمس قمم رؤوسهم ... ثم قوله : ثم انها دفعت باشد مطر ... ثم اندفعت بالضفادع العظام ... ثم اندفعت بالشبابيط . »

أو قوله(٢) :

« ومن العجب في قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله ويصيد الثعلب القنفذ فيأكله ويريغ القنفذ الأفعى فيأكلها ... »

فكرّر كلمة : تأكله ثماني مرات في خمسة سطور وما يقال في الترديد يقال في لجوء الجاحظ الى استعمال اللفظ وضده إظهاراً للمعنى فالغاية التي يؤدي اليها ترديد النعت أو

(١) كتاب الحيوان — الجزء الاول ص ٦٨

(٢) 〃 〃 〃 السادس ص ١٠٢

الفعل أو الاسم انما هي شبه الغاية التي يؤدي اليها استعمال اللفظ وضده فكل هذه الوسائل انما المقصد منها تثبيت الفكر في الذهن .—

هذه عناصر يسيرة يتركب منها بناء الجاحظ ، أما جملة البناء فان لها أشكالاً شتى .

مرةً تتموج عبارته فتنبسط ثم تمتد حتى تغيب عن النظر فلا يقف بك كلامه الا بعد شيء من التعب ونماذج هذه العبارة كثيرة منها قوله في وصف الكتاب(١) :

وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ويذهب العقل ويبقى أثره ولولا ما أودعت لنا الاوائل في كتبها وخلّدت من عجيب حكمتها ودوّنت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ماغاب وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا مالم نكن ندركه الا بهم لما حسن حظنا من الحكمة ولضعف سببنا الى المعرفة .— »

ومرةً يقطعها تقطيعاً كأنها ألحان موسيقى كل لحن له رنته (٢) :

« اللهم انّا نعوذ من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ونعوذ بك من السلاطة والهذر كما نعوذ بك من العي والحصر .— »

فيأخذ كلامه في مثل هذا التقطيع نصيبه من الراحة ويمهد للقارئ مثل هذا النصيب :

ومرةً يرسل الكلام إرسالاً لا يبالي بتموجه وتقطعه ، من هذا القبيل كلامه في البخلاء وفي كثير من كتاب الحيوان .—

من كل ماتقدم يتبين لكم أن الصور التي يعرضها علينا الجاحظ قليلة وهي صور قريبة لاتتعب الحواس في إدراكها وانما الجاحظ اذا أراد أن يصبغ فنه عمد الى صباغ من غير الجنس الذي نعهده فهو يحيي فنه وينفخ فيه روحاً بلجوئه الى توضيح حقائق التفاصيل انه يصوّر الأفكار بريشة الحوادث نفسها فيختار لها أحوالاً وخصائص ترينا هذه الأفكار فاذا أردتم أن تعرفوا نموذجاً من هذا الفن فارجعوا الى كلامه على ذرء الحمام وطلبه الولد(٣) .

(١) كتاب الحيوان — الجزء الرابع ص٤٢ .

(٢) مقدمة البيان والتبيين .

(٣) كتاب الحيوان — الجزء الثالث ص ٤٦ .

ليس في هذا الكلام شيء من الصور وانما فنّ الجاحظ فيه تصوير الأفكار ذاتها بتفصيل دقائقها وأكثر كلام الجاحظ على هذا النمط ٠—

واذا شاء الباحث ان يستوفي خصائص فن الجاحظ أوشك أن ينقطع به الكلام ٠ وأظن ان في هذا القدر إشارة الى فنه بقي علينا أن نعرف كيف عالج الجاحظ لغة هذا الفن وكيف زاولها ٠—

دمشق : في ١٤ أيار سنة ١٩٣٢ شفيق جبري

آراء وافكار

—(O)—

اصل بناء حلب الشهباء

لقد اضطرب قول المؤرخين في أصل بناء مدينة حلب الشهباء ، وقد خبطوا في الامر خبط عشواء ، فمنهم من جعلها من بناء ابراهيم الخليل ، ومنهم من جعلها من بناء العمالقيين وآخرون جعلوها من بناء الحثيين أو الروطانوس ، الذين تشهد الكتابات الهيروغليفية بانهم كانوا يسكنون سورية الشمالية ، وهم من ذرية (لود) وقد ملكوا سورية قروناً طوالاً ، ولم يقوض سرادق ملكهم الا الحثيون الذين دفعوا لهم الجزية ، وهناك قوم عزوا بناءها الى بلكورس أو بلوكوسكس ملك الموصل ، الذي ملك في القرن الخامس عشر قبل المسيح فبناها ودعاها بهذا الاسم ، على شرف حلب بن مهر بن خاب الذي كان متسلطاً على قنسرين .

على ان علائق الشهباء مع الحثيين هي بينة فان أقدم عصر ذُكرت فيه هو القرن العشرون قبل المسيح ، أما تاريخ تأسيسها واسم بانيها ، فهذا مااستسرّ علمه على المؤرخين ، ولكن الاب (دورم) البحاثة الاثري الشهير نشر في مجلة سورية العلمية سنة ١٩٢٥ خلاصة مابلغ اليه في هذا الشأن فقال : لم يعلم الباحثون شيئاً يذكر من تاريخ حلب القديم ، حتى هذه الأعوام الاخيرة . ولكن الكتابات الهيروغليفية تذكر حيناً بعد آخر مدينة حلب في النصوص المتعلقة بامينوفيس الثاني أورعمسيس الثاني في عهد الدولة السابعة عشرة أو التاسعة عشرة ، فالوثائق التاريخية المصرية لاتدل على وجود مدينة حلب قبل القرن الخامس عشر قبل المسيح . اما الكتابات المسمارية فانها لاتبدأ بذكر اسمها الا في عهد (سلما ناصر) الثاني الذي ملك من سنة ٨٥٩ حتى سنة ٨٢٤ وهي تدعوها (Halman)

أوحلوان — كذلك الكتاب المقدس فان مدينة « حلبون » المذكورة فيه ليست سوى قصبة «حلبون » التي تقع على ثلاث ساعات من دمشق ، وهي عاصمة بلاد الحلبونيين التي اشتهرت بخمرها الجيد . أما المؤرخون اليونانيون والرومان فانهم كانوا يدعونها « بيروه) وكذلك الملك سلوقوس نيكاتور كان يسميها بهذا الاسم ، وقد تلا تلوهم المؤرخ اليهودي « يوسيفوس» .

فلاريب إذن في وجود مدينة حلب منذ القرون الاولى لتاريخ بلاد سورية، وكانت تعقد المعاهدات التاريخية مع ملك الحثيين وكان الشعبان كفرسي رهان ، وان سجلات « حاتوزا » الملكية تتضمن ماجلّ ودقّ من تاريخ مملكة حلب وماطرأ عليها من الكوارث والتقلبات منذ عهد حاتوزيليس الاول الذي حكم في القرن العشرين قبل المسيح فلم تبق شبهة في ان مدينة حلب قد ذُكرت لأول مرة في التاريخ في القرن العشرين قبل الميلاد.

ولكن ماهي ياترى تلك الكوارث والتقلبات التي تسردها سجلات حاتوزا الملكية ، وكيف يبتدئ تاريخ مدينة حلب ؟ تمكن معرفة هذا من الكتابة المذكورة التي صُورت باحرف بابلية .

وكان ملك حلب في ذاك العهد (١٣٣٦ قبل المسيح) « ريمشرهاما » وملك الحثيين « مورشيليشو » الثاني عم ريمشرهاما . اما الكتابة فليست سوى نص معاهدة وُقعت بين الملكين المتحاربين ، وليس لدينا سوى نسخة منها نُقلت بامر «موفاتاليش» بن «مورشيليش» وقد فقدت النسخة الاصلية . وقد جاء في تلك المعاهدة ما نصه :

« كان لملوك بلاد مدينة حلب (Halaap) قديماً السلطان على مملكة عظيمة وكان حاتوزيليس الملك الكبير ، ملك بلاد مدينة حاطي قد جعل تلك المملكة تزحم منكب الجوزاء وتعلو جناح النسر » وفيها ايضاً بعد بضع عبارات : « بعد حاتوزيليس ملك بلاد مدينة حاطّي هدم مورشيليش الملك الكبير حفيد حاتوزيليس الملك الكبير مملكة بلاد مدينة حلب (Halaap) وبلاد مدينة حلب » .

ونقرأ في وصية تليبينوش السياسية (قرب سنة ١٧٧٥ قبل المسيح) ، ان مورشيليش قد أتى الى مدينة الحاتوزيين بجيوشه «حالابا» وبخيراتها .

وعليه فلا إشكال في حدوث حرب في تلك الأعصر بين الحثيين وبين الحلبيين

الأولين . وكانت الوقائع التي سردناها نتيجة تلك الحرب . لا بل ان دخول مورشيليش الاول مدينة حلب واستيلاءه عليها لم يكن سوى مرحلة من مراحل التوسع الحثي . فان التاريخ والوصية المشار اليهما يقولان ايضاً « ان مورشيليش الاول قام من حلب على بابل وأوقع في بابل البوار والدمار » .

مع ان كبار الباحثين جعلوا هذا الهجوم على مدينة بابل نحو عام ١٨٧٠ قبل الميلاد ، فكان الشاهد الصادق على ان الحرب بين الحثيين والحلبيين قد نشبت في أواخر القرن العشرين قبل المسيح .

فقد ظهر ان مدينة حلب في ذاك العهد كانت قطب مملكة زاهرة تسمي (بلادمدينة حلپاس) ومنها جاء اسم حلب ، فيكون اسمها لم يزل ثابتاً منذ تأسيسها حتى عهد العرب الذين سموها هم ايضاً به .

ولكن مملكة حلب ومدينة حلب ، بعد ان دمرهما «مورشيليش» الاول ، عادتا الى الوجود اذ رجع احد الملوك فبنى المدينة من جديد . ولا يدخل في علم التاريخ شيء من أطوارهما مدة اربعمائة سنة أوأكثر حتى أواخر القرن السادس قبل المسيح ، اذ نشاهد الحلبيين في عهد «توداليش» الاول ملك الحثيين ، قد لف شملهم بسكان «هانيكالباد» في جنوبي شرقي نهر الفرات واتحدت وجهتهم في مقاومة الحثيين ، فأصبحوا لهم حرباً وعليهم إلبًا . وكان من وراء ذلك العصيان تقويض مدينة حلب بامر « توداليش» الاول . وقد بنيت مرة ثانية ولكنها مافتئت على خلاف مع الحثيين ، بل كانت تثور عليهم أحياناً . فمن تصفح نص المعاهدة التي عقدت بين مورشيليش الثاني وريميشرما ، ثبت له ما سبق وعرف تاريخ حلب حتى الى مابعد الحرب التي نشبت في أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد .

اما المصريون فانهم حكموا حلب في عهد توطمس الثالث ، الذي ملك من سنة ١٥٠١ قبل المسيح حتى عام ١٤٤٧ . ومنذ ذلك الحين انجلت عن تاريخ حلب الشكوك والأوهام .

حلب : الخوري جبرائيل رباط

مطبوعات حديثة

كتاب الجزائر

« تأليف السيد احمد توفيق المدني طبع في المطبعة العربية في الجزائر »
« سنة ١٣٥٠ هـ ص٤٠٨ »

من أمتع الكتب التي نشرت في الجزائر على عهدها الاخير على أسلوب عصري بديع تام بتأليفه ووضعه وطبعه ، هذا السفر النفيس كتبه مؤلفه باسلوب رشيق وعبارة منسجمة فرسم لنا صورة الجزائر طبق الاصل بحيث من يقرأ كتابه يلم بتاريخ ذاك القطر وتقويم أرضه وعادات أهله وأخلاقهم وأصول إدارته وقبائله ومراكزهم وعناصره وسكانه . قال ان العربية العامية فيه هي أفصح اللهجات العربية وان من يتكلم بها العامة ومن دخلوا في الجيش فيمزجون العربية بالافرنسية بالبربرية بالايطالية الخ ، وأفاض في المعاهد الاسلامية وغيرها وجميع ماله علاقة بادارتها وصنائعها واقتصادياتها وحضارتها الحديثة والقديمة . وكان المؤلف على تحمسه الظاهر في بعض صفحات كتابه صادقاً في آرائه لم يسعه الا ان يقول قول المؤرخ الاجتماعي الصادق للجزائر بين ومما قال : « وبعد فالجزائر اليوم تسير خطوات شاسعة في ميدان النهضة العربية الاسلامية وانها بعلمائها وكتابها وشعرائها ومدرسيها ورجال العمل فيها تهيئ لنفسها مركزاً متيناً في عالم النهضة العربية ، انما الخطوة التي بقي عليها ان تخطوها هي ان يتشارك الشبان المتعلمون تعلماً فرنسياً عصرياً في الآداب والعلوم العربية ، وان يشارك علماء العربية وكتابها وشعراؤها في العلوم العصرية الحديثة حتى تتوحد الثقافة ويسير الفريقان يداً في يد في طريق واحدة وغاية الجميع رفعة شأن الوطن ورفع الجزائر الخالدة الى أسمى مقام . » (ص ١٠١) وقال (ص١٤٤) اننا نرى

طغيان اللغة العربية العامية على كل البلاد العربية والبربرية من جهة وترى ان هذه اللغة قد أخذت تترقى وتتهذب وتزداد كل يوم اقترابًا من اللغة الفصحى والفضل في ذلك راجع للمدارس والدروس والصحافة والمحاضرات . » والمؤسف ان خمسة في المئة من المسلمين هناك يعرفون القراءة والكتابة وينقسم التعليم فيها (ص٢٩٣) الى قسمين تعليم الفرنسيين والاوربيين وهو إجباري فلست تجد قرية أو دشرة أو مركزًا صغيرًا الا ورأيت فيه بناية المدرسة الجميلة وأطفال القرية اوالمركز يجبرون على التعليم ، والقسم الثاني تعليم المسلمين وهو يسير الهوينا . والتعليم في الجزائر يتبع مبدئيًا نظام التعليم في فرنسا وفي أمهات المدن مدارس لتخريج المدرسين والمدرسات ، وجملة الاوربيين الذين يتلقون علومهم في هذه المدارس يبلغون زهاء ١٣٦ الفًا من البنين والبنات (وجملة الاوربيين ٩١٣ الفًا) ويتعلم في مدارس الحكومة من المسلمين ٦٠ الفًا (وجملة المسلمين نحو ٦ ملايين) فيبقى ٧٨٠ الفًا من المسلمين لا يدخلون المدارس ، ومنهم من يتلقى علومه في نفس المدارس الفرنسية وعددهم ٩ آلاف و٤٨ الفًا يتلقون العلوم بالفرنسية في مدارس خاصة وعددها في القطر الجزائري ٥٤١ مدرسة منها ٥١٩ مدرسة للذكور وتلاميذها ٤٥ الفًا و٢٢ مدرسة للبنات تلميذاتها ٣٠٠٠ ، وفي الجزائر ثلاث مدارس للتعليم الثانوي في مدينة الجزائر وقسنطينة ووهران وثماني مدارس عليا (كوليج) وعشر مدارس حرة اوربية وثلاث مدارس تجهيزية للبنات ويزيد إقبال المسلمين على التعليم الثانوي . وللتعليم العالي في الجزائر (الجامعة) وفيها كلية الحقوق وكلية الطب والصيدلة وكلية الآداب وفيها تلقى دروس اللغة العربية الفصحى والمدنية الحديثة والفلسفة الاسلامية ويستفيد في العلوم الاسلامية الاوربيون وقليل من المسلمين ومن أبناء المسلمين نحو ٧٥ طالبًا يتلقون التعليم في مختلف الكليات . والتعليم الابتدائي العربي مهمل ويعنى بعض العناية بتعليم العربية في الثانوي والعالي ، وفي الجوامع مدرسون يدرسون الفقه والتوحيد والنحو وهم منبثون في ٣٣ بلدة من بلاد الجزائر ، ويعلم علماء الدين في ثلاث مدارس اسلامية وهي المدية وتلمسان وقسنطينة ومن هذه المدارس يؤخذ القضاة والمفتون وغيرهم ، وهنالك مدارس قرآنية حرة لتعليم العربية وهي ثلاثون مدرسة في القطر الجزائري تعلم ثلاثة آلاف من أولادها والإقبال عليها كثير وهي تقوم بمال المسلمين وفي استطاعة أهل كل قرية اودشرة اومدينة

أن تؤسس مدارس قرآنية والحكومة تشترط لهذه المدارس ان تكون أما كنها صحية وان يكون الشيخ او المؤدب محرزاً شهادة تثبت انه اهل للتدريس ولكن الجزائريين يهملون التوسع في هذه المدارس للبنين كما أهملوا البنات ، وهناك بعض المدارس الاسلامية التي يتخرج فيها الطلبة علي الاصول القديمة لكنها غير منتظمة وذلك لتهاون الجزائريين بها مع ان الحرية مطلقة لهم في ذلك . الى غير ذلك من المدارس الزراعية والصناعية والتجارية وكلها مفتحة الابواب لا تطلب غير الاقبال عليها من المسلمين كما أقبل عليها غيرهم من نزلاء الجزائر والغرباء عنها من القاصية فاستفادوا وأفادوا . وقصارى القول أن كتاب الجزائر من الكتب الخالدة المفيدة فيه روح الشباب والتجدد ولا تصح ان تخلو منه خزانة كتب شرقية فلمؤلفه الشكر على هذه التحفة البديعة التي أتحف بها المكتبة العربية .

م . ك

الصبح المنبي

— عن —

« حيثية المتنبي »

أعاد طبعه الشيخ ياسين عرفة بدمشق — مطبعة الاعتدال — ٢٩٢ صفحة من القطع الوسط .—

يتضمن هذا الكتاب جملة صالحة من أخبار المتنبي على ما هو متعارف ، غير أن عيبه انما هو عيب بعض كتبنا في القديم فلم يرو صاحبه الأخبار من مبادئها الى خواتيمها على صورة مرتبة فقد رواها على صورة مفرقة مبددة وانه ليروي لنا أخبار المتنبي عند سيف الدولة اذ ينقلب بنا فجأة الى أخباره عند ابن العميد على غير مناسبة فلو ذكر صاحب الصبح المنبي أنباء المتنبي دفعة واحدة من دون أن يتخللها شيء من نقد الشعر أو غيره مما لا محل له في فصل الأنباء لكفى القارئ كثيراً من العناء فأدبنا في القديم لا يزال فوضى ينقصه كثير من الترتيب .—

وقد تولى إصلاح خطأ المطبعة الإستاذ عز الدين علم الدين عضو مجمعنا العلمي وقدم

الكتاب بمقدمة أشار فيها الى فريق من الذين شرحوا ديوان المتنبي ولمح الى إسهاب صاحب كتاب الصبح المنبي في استطراداته وذكر بعض حسنات هذا الكتاب من جملتها صدق كثير من احكامه على المتنبي وإلمامه بكثير من حوادث بعض الابيات التي يستعين بها الدارس على فهمها ومفاضلته بين كثير من القصائد ·—

وأشار الى زيادات هذه الطبعة أي طبعة الشيخ ياسين عرفة ·—

والكتاب مطبوع طبعاً جيداً على ورق جيد وفيه بعض خطأ من هذا الخطأ اسم وزير كافور فقد سماه صاحب كتاب الصبح المنبي : ابن حرابه وبقي اسمه هكذا في الطبعة التي نتكلم عليها والصحيح ان اسمه : ابن حنزابة ·—

شفيق جبري

أحاديث الزواج في مصر

كتاب جيد الورق متقن الطبع طبعته مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر القاهرة وضعه مؤلف عالم ضليع من فلسفة الاجتماع لم يشأ — تواضعاً او لغرض من الاغراض — ان يذكر اسمه في فاتحته بل جعله غفلاً واستعار له اسم « رسول الزواج » واكرم به من رسول فصيح اللسان جلي البيان ، وجه رسالته بنوع اخص الى الفتى الناهض والفتاة العصرية يسليهما بما فيه من فلسفة وادب صحيحين ويضيء عقليهما بنور وحي الحكمة التي فيه حتى اذا اقبلا على الزواج ترسما رسم خطواته ·

قسم المؤلف احاديثه الى ابواب عالج فيها فلسفة الزواج ومنافعه ومشاكله وكل ما يتعلق به من اوليات وشروط ونتائج ومحص الاسباب في كل ذلك وردها الى عللها ومنابتها ووصف دواء ادوائها · وقد حلاه برسوم منتقاة كل واحد منها يوافق الفصل الموضوع فيه ويزيده بياناً فوق بيانه الادبي واللغوي · حري بهذا الكتاب ان يقرأه الكبير والصغير وان تكون له مكانته على مناضد العائلات الكريمة ·

عبد الله رعد

منابت الصهيونية

كتيب مطبوع في مدينة سان باولو احدى امهات مدن البرازيل وضعه السيد توفيق قربان ٠ وهو يحتوي على قصة ملفقة القصد منها تكريه الناس من اليهود الصهيونيين المستعمرين لفلسطين ولكنه بهذا التلفيق لم يصب الهدف بل حط فيه من كرامة المسيحيين واليهود عامة لانه اول في هذه القصة آيات التوراة على غير تأويلها والتوراة كتاب منزل في اعتقاد المسيحيين واليهود وله فوق ذلك اعتبار كبير عند سواهم من الشعوب ومكانة عظيمة في التاريخ ٠ وليته طرق غير هذا الباب فيما رماه اذاً لما طاش سهمه ٠

وتلي قصة منابت الصهيونية في هذا الكتيب قصص اخرى من تعريب السيد قربان الا ان تسميته لها « اجتماعية » في غير موضعها لان ما في كل منها من المغزى لا ينطبق على مبادئ الشرف والاستقامة ، وخصوصاً مغزى القصة التي اسماها بعنوان « رجل مستقيم » فلسفة الدين والاجتماع كثيرة التشعب والفروع عند الامم والشعوب ولكل شعبة منها انصار ٠ الا ان السيد قربان كتب ونقل باللغة العربية ، اذاً فكتابته موجهة الى قراء العرب ، ولا اظن ان الكثيرين بين هؤلاء يقولون قوله او يرون رأيه ٠ ٠ —

اما من جهة اللغة المكتوبة بها هذه القصص في هذا الكتيب فلا بأس بها ٠

عبد الله رعد

الاسلام

« للسيد هنري ماسي — طبع باريز سنة ١٩٣٠ عدد صفحاته ٢٢١ بقطع صغير »

Henri Masset - L' Islam , 221 pages . Paris 1930

يحتوي هذا الكتاب بالرغم من صغر حجمه على موجز تاريخ النهضة الاسلامية وقد افتتح كتابه بمقدمة عن العرب قبل الاسلام ثم بحث عن الاسلام وتطوره الديني والمدني منذ نشأته حتى تاريخنا هذا كما أنه بحث في اصول الادارة الاسلامية وتقدمها في القرن الاولى ٠

ومما لا نقر المؤلف عليه قوله بأن محمداً (ص) حط من شأن المرأة وسلبها الحرية التي

كانت تتمتع بها في زمن الجاهلية والحقيقة ان الاسلام هو الذي صان حقوق المرأة كما صان حياتها . ونرجو ان لا يكون المؤلف قد تأثر ببعض المصادر المتحاملة على الاسلام وتاريخه

جعفر الحسني

احصاء الابنية الاثرية

« في مدينة حلب »

للسيد ج سوفاجه — طبع باريز سنة ١٩٣١ عدد صفحاته ٥٦

Inventaire des Monuments Musulmans de la ville d' Alep .
56 pages . Paris 1931

يحتوي هذا الكتاب على وصف لأشهر ابنية حلب الاسلامية الاثرية وعاديتها وقد بين مؤلفه في مقدمته خطورة حلب الاثرية وما تمتاز به عن بقية المدن الاسلامية الشرقية من وفرة آثارها وتنوعها ويمتاز هذا الكتاب عن غيره باشارته الى مواضع الخلل في كل بناء وما يحتاج اليه من الترميم والاصلاح وقد زينه برسوم ومخططات بعض هذه الابنية ويصح ان يتخذ هذا الكتاب دليلاً لكل من يزور مدينة حلب فيستنير به وينتفع بفوائده وذلك لخبرة مؤلفه الواسعة في آثار سورية الاسلامية .

جعفر الحسني

أخبار دمشق عن الصليبين

The Damascus chronicle of the Crusades H. R. A. Gibb

كتاب نقله الى الانكليزية المستر (هـ أ ر جب) أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن عن كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي وهو ذلك الكتاب العربي الذي طبعه الاستاذ امدروز في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٠٨ . وأضاف اليه مقدمة وجيزة مشفوعاً بفهرس الأسماء الواردة في تلك الرسالة مرتبة بحسب حروف الهجاء والأسماء اللاتينية القديمة ومايقابلها باللغة الانكليزية . عدد صفحاته ٣٦٨ وهو مطبوع على ورق صقيل وبحرف جميل .

أشار الاستاذ في المقدمة الى قلة الكتب العربية القديمة الباحثة في حروب الصليبيين الاولى وأثرها في الشرق الأدنى وبحث عن الرسالة المخطوطة التي عثر عليها منذ بضع سنوات في مكتبة البولديانا وقد تناولت قسماً عظيماً من تلك الحوادث بقلم ابن القلانسي فأحب نقلها الى اللغة الانكليزية ليسهل درسها على المؤرخين ·

وقد جاء في مقدمته على ذكر حياة ذلك المؤلف العربي كما اقتبسها عن كتاب تراجم أعاظم الرجال الدمشقيين وأسفار التاريخ الكثيرة مما نوجزه فيما يلي لتتجلى منها قيمة هذا الكتاب الثمين الذي أُخذت معظم أخباره عن مصادر رسمية بالنظر لشدة ارتباط المؤلف العربي بدواوين الدولة ولتأييده الاخبار التي كان يسمعها من المحاربين بالوثائق ·

وابن القلانسي هو حمزة بن اسد المعروف بابي يعلى يمت بنسبه الى أُسرة دمشقية معروفة تنتمي الى قبيلة تميم ، وقد درس الأدب والدين والشريعة واستخدم في المصالح العامة امين سر ديوان الرسائل ثم انتهت اليه رئاسته · ووسدت اليه رئاسة المدينة وتوفي في ٧ ربيع الأول سنة ٥٥٥ هجرية الموافق لـ ١٨ آذار سنة ١١٦٠ ميلادية عن عمر بلغ التسعين سنة · والكتاب المذكور هو الأثر الوحيد الذي قام بتأليفه وسماه « ذيل تاريخ دمشق » مما يدل على انه وضعه كتتمة لكتاب المؤرخ هلال الصابي وبدأ في نقل الحوادث منذ وفاة المؤرخ المذكور سنة ٤٤٨ هجرية وأورد في كتابه فقرات منه حتى تاريخ وفاته سنة ٥٥٥ هجرية ·

ويقسم الكتاب الى أقسام عديدة يبحث كل منها في مدة معينة ابتداء من اول الحروب الصليبية حتى سنة ١١٦٠ ميلادية مع بيان الحوادث المهمة وما طرأ على دمشق اثناء ذلك من الامور وما تقلب عليها من ملوك وأمراء ·

عبد الرحمن الجوخدار

المخطوطات

« التي اقتناها المجمع العلمي حديثاً »

(تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة) مخطوط في مجلد لطيف الحجم يبلغ ٧٣ صفحة مؤلفه ابو بكر بن الحسين المراغي العثماني نزيل المدينة المنورة المتوفى سنة ٨١٦ أوله (الحمد لله الذي جعل المدينة الشريفة دار هجرة رسوله الخ) ويفهم من مقدمة المؤلف انه في تأليفه انما هو يلخص تاريخ الحافظ محب الدين النجار الموسوم (بالدرة الثمينة في اخبار المدينة) وقد ضم اليه بعد التلخيص (سوانح الشوارد وفرائد الفوائد) الى آخر ماقال والنسخة غير حسنة الخط ولا متقنة الضبط وقد كتبت عن نسخة المؤلف التي بيضها في ١٢ رجب سنة ٧٦٦ هـ وهي من (كتب سلمان بن محمد الشامي) وقد وقفها على طلبة العلم في المدينة المنورة سنة ١١٩٤ هـ .

كتاب الغنطير (كذا) كامل الصناعتين (كذا) المعروف بالناصري سمي به لان مؤلفه ابا بكر ابن البدر البيطار صنفه برسم خزانة الملك الناصر بن قلاوون وهو مجلد كبير تبلغ صفحاته ٤٥٠ صفحة حسنة الخط ومتينة الورق . ولا يفهم موضوع الكتاب من اسمه وانما يعرف من فهرسته المسهب المفصل وهو في الخيل واوصافها وامراضها ومحاسنها ومساويها وجميع ما يتعلق بها واوله (وما من دابة الآية الحمد لله الواسع العطا الذي اسبل الغطا) وقد قال في المقدمة انه لم يترك شيئاً مما يتعلق بالخيل حتى ذكره (ولاسرا للزراطقة والبياطرة والنخاسين (كذا) والركبين الاوا وقفته على حده الخ) والكتاب مركب من عشر مقولات وكل مقولة من عدة ابواب وليس في النسخة ما يدل على زمن كتابتها وانما شكل الخط يدل على انها كتبت من عهد قريب . ويظهر ان مؤلفه بيطار قدير وله اب حاذق في صنعة البيطرة فهو ينقل عنه اشياء كثيرة في هذه الصناعة وحبذا لو طالعه احد علماء البيطرة في دمشق ولخص عنه مقالاً فان فيه فوائد لغوية واصطلاحية تتعلق بزمن الملوك الشراكسة .

(بستان الفقراء ونزهة الامراء) كتاب في الوعظ صنفه الشيخ علي الكتامي الشافعي اوله الحمد لله الذي احكم الامور وقدرها وقد قال المؤلف انه جمعه من كتب عديدة

ورتبه على مئة وخمسة ابواب فجاء في نحو ٨٠٠ صفحة وقد فرغ من تأليفه سنة ٩٩١ هـ وقد كتبت المخطوطة سنة ١١٤٨ هـ وهي جيدة الخط مقروءة ٠ —

(نتيجة العقاد في معرفة الأوقات) هو مخطوط كل صفحاته جداول ودوائر مرقومة بالحبر الاسود والاحمر والاخضر احياناً وقد افتتحه مؤلفه بأرجوزة أبان فيها الغرض من تأليف نتيجته قال في اولها :

(يقول يوسف الحقير الملتجي لحرم الله وعوداً يرتجي)

ومنها : (أرختها رزنامةً هدية لها على امثالها مزية)

وقوله (رزنامة هدية) تبلغ أبجديته سنة (١١٢٧ هـ) وكاتب هذه المخطوطة مراد ابن الشيخ علي نور الدين القباني نقيب طائفة القبانية بمصر تلميذ الشيخ مصطفى ابي الاتقان الوفائي الخياط صناعةً كتبها في رجب سنة ١١٩٥ هـ وقوله (الخياط صناعة) راجع الى كاتب النسخة (مراد) لا الى الشيخ أبي الاتقان الوفائي ٠ والكتاب نفيس مفيد ولاسيما فيما يتعلق بالميقات المصري واعياد المصريين ومواسمهم المختلفة فهو لم يدع من الاعياد الاقباط شيئاً حتى ولا عيد (ابو شنودة) و(وابوبقطر) و (قاتل الحية) و (عيد مهرايا) و (عيد فلوطس) الخ الخ اما المآكل وما يختار منها في الفصول فهو ايضاً فصل فيه القول تفصيلاً وكذا الاستحمام والطعوم والشروب ومهاب الرياح واوقات الزرع والحصد والقطاف الخ الخ ٠

(شرح مقدمة قانون ابن سينا) مجلد ضخم حسن الخط مقروءه ملزوز الاسطر والكلمات لكنه كثير الغلط وعدد صفحاته (٦٧٠) واوله (الحمد لله الذي دقت حكمته في خلقة الانسان) ومؤلفه هو (محمد بن محمود الآملي) ذكر في مقدمته انه قدمه الى سلطان زمانه ولم يسمه وقد انتهى الكتاب بالفصل الحادي والثلاثين في الوصية بان الطبيب اذا تعددت الامراض في شخص فبأي مرض يبتدئ ؟ وبعدان وفي هذا قال مانصه (ولكن هذا القدر من كلامنا المختصر في الاصول الكلية لصناعة الطب كافياً ولنأخذ في تصنيف كتابنا في الادوية المفردة) ٠

وفي عبارة الكتاب اخطاء كثيرة فإما ان تكون من الناسخ او تكون من المؤلف نفسه لأنه يظهر من اسمه وأسلوب تقديمه الكتاب لسلطان عصره انه تركي عثماني ٠

« المغربي »

كتاب

التبصر بالتجارة

« للجاحظ »

توطئة للناشر

—(()—

الجاحظ بصري المولد والوفاة ، بالبصرة وُلد وبها شبّ ودرج ، وفيها دوّن غالب تآليفه .

مابين نصفي القرن الثاني والثالث نبغ الجاحظ حينما كان « العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق[1] » ، وكيف لا تكون كذلك وهي عندئذ باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا ، نظير مرسيلية اليوم بالنسبة الى فرنسا أوجنوة لايطاليا وليفربول لبلاد الانكليز ، بل امتازت البصرة على تلك المرامي بنصيب أوفر وحظ أكبر إذ كانت مقصد القوافل الواردة من كل حدب وصوب ، ومحط رحال الشرق والغرب ، من مجاهل الصين الى مفاوز الصحراء الكبرى ، ولذلك استفحل بها العمران وكثرت فيها المصانع والصنائع وصارت واسطة العرب والعجم وحق لها ان تتلقب « بقبة الاسلام » كما سماها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

ناهيتك ببلد جمع لحسن الموقع أضداد الأشياء وأشتات الأرزاق ومختلف المكاسب والمطالب .

(١) ثمار القلوب للثعالبي ص١٢٧ ومعجم البلدان لياقوت ٢ :

فاخر خالد بن صفوان البصري ببلده لدى عبدالملك بن مروان فقال :

« يغدو ساكنها قانصاً فيجيء هذا بالشبوط والشيم ، ويجيء هـذا بالظبي والظليم ، ونحن أكثر الناس عاجاً وساجاً ، وخزاً وديباجاً[1] . »

وباهى الجاحظ نفسه بمسقط رأسه فقال :

« ومن أتى وادي القصر بالبصرة رأى ارضاً كالكافور ، ورأى ضباباً تحترش ، وغزلاناً وسمكاً وصياداً ، وسمع غناء ملاّح في سفينته ، وحدا جمّال خلف بعيره[2] . »

وقد قال الخليل بن احمد البصري قبله[3] :

زر وادي القصر نعم القصر والوادي ‏ ‏ في منزل حاضر ان شئت او بادي
ترَ به السفن والظلمان حاضرة ‏ ‏ والضب والنون والملاح والحادي

اشتهر أهل البصرة من قديم بالتطوّح في الآفاق والترامي على الأسفار البعيدة والضرب في مناكب الارض طلباً للرزق والتماساً للثراء ما جعل الجاحظ يصرح : « بانه ليس في الارض بلدة واسطة ولا بادية شاسعة ولا طرف من أطراف الدنيا الا وانت واجد به البصري والمدني[4] » وقد اتفقت كلمة السائحين وأصحاب الرحلات على بعد همة البصريين في الترحال وغورهم في الاغتراب حتى قال ابو بكر الهمذاني — وناهيك به من خبير : « وأبعد الناس نجعة في الكسب بصريّ وحميَريّ ، ومن دخل فرغانة القصوى والسوس الأقصى فلا بد ان يرى فيهما بصرياً أو حميريا[5] . »

ومن البديهي ان من كان في ذكاء الجاحظ وفطنته الغريزية وحبه استطلاع الاشياء والبحث عن الجليل منها والحقير ، ويشاهد عياناً ما يجلب الى العراق من أطراف البلاد وما يصدر منه الى سائر الآفاق لجدير أن يفيدنا بكل حذق وتدقيق عن الاحجار الكريمة والأعلاق النفيسة والطرائف الثمينة والرياش الغالية وعن ماهيتها وأثمانها في عصره ، على

(١) معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٠٤

(٢) ثمار القلوب ص ٤١٩ . (٣) الكتاب المذكور ص ٤١٩ .

(٤) كتاب البخلاء (طبعة مصر سنة ١٣٢٣) ص ١٦٠

(٥) كتاب البلدان للهمذاني (طبعة ليدن سنة ١٣٠٢) ص ٥١

أنه لم يكتف بمجرد ذكر المتاجر ومصادرها بل زاد في البيان فنبه على المعمول من الجواهر واليواقيت والمغشوش من العطور والعقاقير ، وفرّق بين العالي منها والمتوسط والرديء فأضاف الى الخبرة التفنن والى المعرفة التبصر ، وهو عين موضوع كتابه « التبصر بالتجارة » الذي ننشره اليوم .

فلا عجب حينئذ ان اشتملت هذه الرسالة على فوائد جمّة تهم أرباب الصناعة والتجارة كما تفيد المشتغلين بعلم الاقتصاد والباحثين عن علائق العالم الاسلامي زمن غزارة حضارته وعنفوان تمدنه مع بقية الممالك .

وهي لعمري افادة ذات شأن ، ترشدنا الى ما وصلت اليه عواصم الاسلام الكبرى — لاسيما بغداد — من التبحر في العمران وتوسع سكانها في وسائل البذخ والترف . ماجعل تجارها في حاجة الى توريد نتائج أطراف المعمورة وان بعُدت وركوب الاخطار والمشاق في سبيل استجلابها وبذل النفس والنفيس في اقتنائها إجابة لرغبة الاغنياء وتسديداً لشره النساء إما لتأثيث القصور أو لزينة ربات الخدور !

نعم ! وضع المعتنون بتقويم البلدان من أبناء العربية تآليف عديدة هي عمدتنا الآن في معرفة العلائق التجارية قديماً وما اختص به كل صقع من أنواع النتائج ، منهم ابن الفقيه الهمذاني ، وابن رسته الاصبهاني ، وابو زيد البلخي ، والاصطخري ، وابن حوقل ، وابن البشاري المقدسي وغيرهم من كبار الجغرافيين وأصحاب الرحلات ، غير أنا لا ننس ان الجاحظ هو الذي فتح لهم باب التأليف في تقويم البلدان وخصائصها وشرع لهم هذا المنهج ، فهم في الحقيقة عيال عليه — وان توسعوا بعدُ — ومقتفو أثره ومقلدوه ، الامر الذي جعل أحدهم — وهو المقدسي — يقول : « واذا نظرتَ في كتاب الفقيه فكأنما أنت ناظر في كتاب الجاحظ[1] »

وهي لعمري شهادة اعتراف بأسبقية الجاحظ في خوض هذا الميدان ، وليس هو باول موضوع يطرقه ذلك المبدع الماهر بل البحر الزاخر الذي لا ساحل له .

حرر الجاحظ هذا البحث الاقتصادي برسم احد كبار أحبابه ممن سبقت عنايته

(١) راجع كتاب « أحسن التقاسيم ، في معرفة الاقاليم » للمقدسي — طبعة ليدن سنة ١٨٧٧ ص ٢٤١ .

بالتأليف والأهداء اليهم ، فهو — وان لم يسمه — احد الأربعة : محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ، وقاضي القضاة احمد بن ابي دؤاد ، والوزير الفتح بن خاقان ، وابراهيم ابن العباس الصولي ؛ وأراني في غنى عن إثبات نسبة هذه الرسالة الى الجاحظ ، وان لم يأت ذكرها بين مصنفاته الواردة في فهرست ابن النديم ومعجم الادباء لياقوت ، لكن أبو منصور الثعالبي [١] والعلامة النويري [٢] تكفلا بتعريفنا بها ونقلا جملاً منها بالحرف الواحد ونسبتها الى مؤلفنا الكبير حسبما نشير اليه في محله .

على ان « التبصر بالتجارة » ليس باول كتاب للجاحظ لم يذكر من بين مؤلفاته فان « خصائص البلدان له » — وهو غير « كتاب البلدان » — لم يرد اسمه بعدُ في قائمة مانسب اليه ياقوت في معجمه وقد نقل عنه أبو منصور الثعالبي كثيراً [٣] .

أجل ! كثيراً ما يستعمل الجاحظ الفاظاً دخيلة في غضون مصنفاته وقد وقع جانب عظيم منها في رسالته هذه في التعريف بمسميات أجنبية ، وهو أمر متعارف جرت به عادة الكتّاب والمؤلفين في عصر الدولة العباسية ، فلطالما استعملوا اصطلاحات ومعرّبات جلها فارسي المأخذ لقرب بلاد ايران من العراق ، ولقد تتبع صديقنا ساكن الجنان العلامة احمد تيمور باشا أثر بعض المعرّبات الواردة في كتاب «نشوار المحاضرة» للتنوخي فعقد لشرحها فصولاً ممتعة نشرها في مجلة المجمع العلمي الدمشقية [٤] .

وقد حاولنا شرح ما ورد ضمن هذه الرسالة من غريب الدخيل على قدر الاستطاعة والجهد ، ويا حبذا لو توفق من أبناء العربية من يضع لنا معجماً لغوياً يوضح لنا به السبيل الى فهم الفاظ الدخيل والمصطلحات التي كانت مستعملة في القرون الوسطى الاسلامية مثلما فعل المستعرب الهولاندي دوزي في « مستدركه على المعاجم العربية » ، وهي أمنية طالما أبداها كل من يعاني استقراء تصانيف الدور العباسي .

أما الاصل المنقول عنه فهو مثبت في ضمن مجموع خطي محفوظ بالمكتبة العمومية

(١) « ثمار القلوب » . (٢) « نهاية الارب » .

(٣) ثمار القلوب ص٣٨ و٢٣٥ وص ٤١١ . (٤) تفسير الالفاظ العباسية ، مجلة المجمع العلمي العربي ، جزء تشرين اول سنة ١٩٢٢ ص٢٨٩ وما بعده .

(مكتبة سوق العطارين) في حاضرة تونس ، وهذا المجموع يحتوي على أذكار وأدعية وذكر بعض الغزوات ، ثم رسالة حافلة في الخط وتصاريفه من تأليف الوزير العباسي الشهير ابي عبدالله علي بن مقلة ، ثم كتاب «التبصر» هذا ، ثم شرح قصيدة ابي الفضل ابن النحوي التوزري المعروفة بالمنفرجة من وضع الامام علاء الدين علي بن جمال الدين البصري الشافعي نزيل دمشق ختمه خلال سنة ٨٧٣هـ ، وفيما يظهر ان كامل المجموع بخط يد هذا الشارح وهو خط شامي معتاد تغلب عليه الصحة الا في الاعلام والدخيل والمعربات : وبالرغم من بحثي الشديد للوقوف على نسخة ثانية من كتاب (التبصر) فاني لم أظفر بها فاقتصرت على ايراد ما هو موجود هنا .

وقد بذلت جهدي في اكساء هذا الاثر الجليل الثوب الذي يليق به إحياء لذكرى واضعه الخالد ، وهو سبحانه ولي التوفيق .

المهدية الفاطمية (تونس) : ح . ح . عبد الوهاب الصمادحي

شعبان ١٣٥٠

وفي الصفحة التالية يرى القارئ ذلك الأثر الجليل :

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري :

سألت - أكرمك الله عن أوصاف ما يستظرف في البلدان من الامتعة الرفيعة ، والأعلاق النفيسة ، والجواهر الثمينة المرتفعة القيمة ، ليكون ذلك مادة لمن حنكته التجارب ، وعوناً لمن مارسته وجوه المكاسب والمطالب ؟ وسميته بكتاب « التبصر » والله ولي التوفيق .

زعم بعض المحصلين من الاوائل ان الموجود من كل شيء رخيص بوجدانه ، غال بفقدانه اذا مست الحاجة اليه .

وقالت الروم : اذا لم يرزق أحدكم في ارض فليتحول الى غيرها .

وقالت الهند : ما من شيء كثر الا رخص ما خلا العقل فانه كلما كثر غلا ، (١) :

وقالت العجم : اذا لم تربحوا في تجارة فاعتزلوا عنها الى غيرها ، واذا لم يرزق أحدكم بارض فليستبدل بها (٢) :

---

(١) نسب أبو منصور الثعالبي هذه الكلمة الى نصر بن سيار والي خراسان ، لكنه أورد لفظ « الادب » « بدل » « العقل » (كتاب الاعجاز والايجاز — طبعة مصر سنة ١٨٩٧ ص ٧٦) .

(٢) نقل ابو منصور الثعالبي جملاً من الفصول التي اوردها الجاحظ هنا ولم يعزها لاحد ولا شك انه اقتبسها من هذا التأليف ، قال الثعالبي في فصل « التجار والسوقة » من كتابه (التمثيل والمحاضرة) : اذا لم تربحك تجارة فاعدل عنها الى غيرها ، واذا لم ترزق بارض فاستبدل بها — وقال : الرابح في كل سوق ، البائع لما ينفق فيها — وقال : شاركوا الذي اقبلت عليه الدنيا فانه اجلب للرزق — وقال : من اشترى مالا يحتاج اليه باع مالا بد منه » ومن هنا يظهر ان ما نقله الثعالبي هو عين ما اورده الجاحظ بتغيير قليل في اللفظ

وقالت الفرس : الرابح في كل سوق هو البائع لما ينفق فيها .

وقالت العرب : اذا رأيتم الرجل قد اقبلت عليه الدنيا فالصقوا به فانه أجلب للرزق .

وقيل لبعض المياسير : بم كثر مالك ؟ قال : ما بعت بنسيئة قط ، ولا رددتُ ربحاً وان قل ، وما وصل الي درهم الا صرفته في غيرها (١) :

وكان يقال لا تشتروا ما ليس لكم اليه حاجة فيوشك ان تبيعوا ما لا تستغنون عنه .

وزعم بعض الحكماء انه وجد في وصية الفرس : أيها الانسان ليس بينك وبين بلد انت به نسب ، فخير البلدان ما وافقك (٢) . وخير الدهر ما أصلحك ، وخير الناس من نفعك ، وخير الماء ما أرواك ، وخير الدواب ما حملك ، وخير الثياب ما سترك ، وخير التجارة ما اربحك ، وخير العلم ما هداك ، وأحسن الحسن ما استحسنته وان كان قبيحاً ؛ وكان يقال : خير الصناعة الخز (٣) وخير التجارة البز .

« باب معرفة الذهب والفضة وامتحانهما »

قال الحكيم (٤) : يستحب من الذهب سبيكه وغير سبيكه ، وان يكون كنار خامدة وشعاع مركوم وكبريت قاني (٥) وانما دامت دولته لانه لا تدحضه خبث الكير ولا

---

(١) كذا بالاصل وكأن المؤلف أعاد الضمير الى التجارة ولذا جعله مؤنثاً .

(٢) نقل الشريشي (شرح مقامات الحريري ١ : ١٠٢) وكذا الصفدي (الغيث المنسجم شرح لامية العجم ٢ : ٧٦) هذه الجملة ولم يذكرا قائلها ، وكأن الجاحظ يشير الى كلام عثمان بن عفان — رضي الله عنه — حين سئل عن كثرة أرباحه فقال : لم أرد من ربح قط ولو قل (راجع كتاب البخلاء للجاحظ ص ١٦٢) .

(٣) بالاصل : الخرز — واظنه تحريفاً من الناسخ والصواب : الخز — لتحصل القافية والمعنى .

(٤) كثيراً ما يبتدئ الجاحظ الكلام بقوله : قال الحكيم — أو : قال — وفي ظني انه لا يقصد بذلك الا نفسه كما هو هنا ، يتضح ذلك لمن تتبع تآليفه لا سيما كتاب الحيوان .

(٥) هذا الوصف يشبه كثيراً ما ذكره المؤلف في كتابه الحيوان (ج ٥ ص ٣٣) حيث قال : واذا وصفوا حمرة الذهب قالوا ما هو الا نار . . . وشعاع مركوم . . .

يفسده مرّ الدهور ؛ وقيل انما صار الذهب ثميناً لقلة تغيره وازدياد نضارته وحسنه اذا عتق ولأن الاشياء تنقص عند المس والدفن ما خلا الذهب فانه لا ينقص البتة ٠

وخير الدنانير العتق الحمر الى الخضرة ، وزعم بعض الاوائل انما يمتحن الدينار بلصوقه الشعر واللحية وصعوبة استمراره فيهما ، والنبهرج(١) من الدنانير يعتبر بخفته وثقله ٠

وزعموا ان خير الذهب العقيان وخير الفضة اللجين ، ومذاق الفضة الصافية عذب ، ومذاق الزيوف مرّ صديء ، والنبهرج من الدراهم مالح جرسيّ الطنين ، والفضة صافية الطنين لا يشوبها صمم وهي تقطع العطش اذا مسكت في الفم ٠

« باب مايعتبر من الجواهر النفيسة ومعرفتها وقيمتها »

زعموا ان معرفة جوهر اللؤلؤ انك تجد مذاقته على ضربين : عذب المذاقة عُماني ، وملح المذاقة قلزمي كلاهما يرسب في الماء ؛ والمعمول منه تجده مرّ المذاق مع دسومة فيه وهو خفيف الوزن يطفو على الماء ٠

وزعموا ان اللؤلؤة اذا كان في باطنها دودة فانك تجدها حارّة المص واللمس فان ذلك للعلّة النفسانية ، واذا لم يكن بها دودة كانت باردة المص واللمس وامتحانها بذلك ٠

وزعم البحريون ان اللؤلؤ الكبار المتغير اللون تلف عليه الألية الطرية المشرحة وتؤخذ في جوف عجين ويدخل التنور ويبالغ في إحمائه فانه يصفو ويحسن ويعود اليه الماء ، واذا بخر بكافور كان ذلك ، واذا عولج بمخ العظم وبماء البطيخ فانه يصفو ٠

ومعرفة اللؤلؤ اللحمي الجوهري من الصدفي العظمي هو ان الجوهري يكون مستوي الصورة ليناً أملس ، والعظمي يكون خشناً غير مستوي الهيكل ٠

وخير اللؤلؤ الصافي العُماني المستوي الجسد الشديد التدحرج والاستواء ، واذا كانت

وهو الكبريت الاحمر — ومن هنا يستدل على ان الجاحظ كثيراً ما يعيد الكلام بعينه في تضاعيف تصانيفه من غير ان يشعر بذلك ، وانه كان قليل المراجعة لما يكتب ٠

(١) النبهرج — معرّب نبهره الفارسية — هو الدينار أوالدرهم المموّه الزيف الردي (راجع كتاب شفاء الغليل للخفاجي وغيره) — وفي كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٦٩) : دينار بهرج — وهو صحيح ايضاً ؛

حبتان متساويتين في الشكل والصورة واللون والوزن كان ارفع لثمنهما ؛ والعماني أنفس وأرفع من القلزمي لأن العماني عذب نقي صاف ، والقلزمي فيه ملوحة مع عيب كثير (١) :

واذا بلغت الحبة نصف مثقال سميت دُرّة ، والمدحرجة المعتدلة في التدور اذا بلغ وزنها نصف مثقال ربما بلغت في الثمن الف مثقال ذهباً ، والبيضية دون ذلك في الثمن ، واثمانها ترتفع على زيادة وزنها وتدحرجها ، واذا بلغ وزنها مثقالين ان شئت جعلت ثمنها عشرة آلاف دينار وان شئت مائة الف دينار ، والمدحرجة على هذا الوزن والصفة لا قيمة لها ، وهي فريدة ، وكلما كانت أصفى وأنقى كان أرفع لثمنها وأنفس ، والدرة اليتيمة قلزمية ، زعموا ان وزنها ثلاثة مثاقيل ، والصغار من اللؤلؤ مرجانه (٢) :

وخير الياقوت البهرماني (٣) ثم الاحمر المورّد ، ثم الاصفر ، ثم الاسمانجوني (٤) وأدونه الابيض ؛ والياقوت من جبل سرنديب بالهند ، وتعرف اليواقيت من المعمولات بخصال

(١) عن ذكر اللؤلؤ القلزمي قال ابو العباس احمد التيفاشي التونسي المتوفى سنة ٦٥١ في كتابه « أزهار الأفكار في جواهر الأحجار » (خط بمكتبتي) : ... وكذلك ما يوجد من الجوهر ببحر القلزم وسائر بحار الحجاز فردي ولو كانت الدرة منه في نهاية الكبر فانها لا يكون لها طائل في الثمن اذ ليس فيها شيء من أوصاف الدر النفيس .

(٢) قال التيفاشي في كتابه المذكور : والمرجان في لغة العرب صغار الدر وهو اللؤلؤ الدق ، واستشهد بابيات لامرئ القيس — وقيل انه اول شعر قاله — منها :

فاعزل مرجانها جانباً وخذ من درّها المستجادا

ولفظ المرجان معرب عن اليونانية وأصله (Marginto) وفي اللاتينية (Margarita) وأطلق اسم المرجان فيما بعد على العروق الحمر التي تطلع من البحر ويتخذ منها الحلي والأعلاق والسبح .

(٣) البهرمان : فارسي معرّب معناه : أحمر اللون ؛ قال التيفاشي : والياقوت البهرماني هو أحمر نقي الحمرة لا تشوبها شائبة ، والبهرمان اسم العصفر وبه سمي هذا الصنف من الياقوت .

(٤) الاسمانجوني : فارسي معرب مركب من كلمتين (آسمان) اي السماء و (گون) لون ، ومعناه أبيض بزرقة كلون السماء .

ثلاث : برزانتها في الوزن ، وبرودتها في الفم عند المص ، وعمل المبرد فيها ، لأن الياقوت حجر ثقيل الوزن بارد في الفم بطيء عمل المبرد فيه ؛ والمعمول منها يكون خفيف الوزن ، حار المص ، سريع المبرد فيه .

وخير الياقوت الصافي النقي المضيء من أي لون كان ، وارتفاع القيمة على قدر كبرها وصغرها [1] والياقوت الأحمر البهرماني الصافي اذا بلغ وزنه نصف مثقال ربما بلغ في الثمن خمسة آلاف دينار ؛

وكان وزن فص الخاتم الذي يسمى « الجبل » مثقالين قوّم بمائة الف دينار واشتراه ابو جعفر المنصور باربعين الف دينار [2] . والياقوت الاسمانجوني ربما بلغ الفص منه مائتي دينار .

وخير الزبرجد الشديد الخضرة ، الصافي الجوهر ؛ ومعرفة الزبرجد الفائق من المعمول المتخذ كمعرفة اليواقيت : برزانته وبرودة مذاقته وعمل المبرد فيه على مهل ؛ والمعمول منه رخو خفيف الوزن ، حار في المذاق ، يسرع المبرد فيه ؛

---

(١) كذا بالاصل ولعل ضمير المؤنث في قوله : كبرها وصغرها — عائد على ياقوتة .

(٢) نقل ابومنصور الثعالبي من هذا التأليف فصولاً وفقرات عديدة ببعض التصرف نسب بعضها الى الجاحظ وغفل عن كثير منها ، فمن ذلك قوله : زعم الجوهريون (؟) ان الياقوت لا يكون الا من جبل سرنديب بالهند ، وخيره الاحمر البهرماني ، ثم الوردي ، ثم الرماني ، واذا بلغ البهرماني نصف مثقال كانت قيمته خمسة آلاف دينار ، وكان وزن الفص الذي يسمى (الجبل) مثقالين قوّم بمائة الف دينار فاشتراه المنصور باربعين الفاً . » (كتاب ثمار القلوب ص ٤٢٤) — ونقل الصلاح الصفدي من تأليف لشيخه شمس الدين ابن ساعد الانصاري وسماه « نخب الذخائر في أحوال الجواهر » جملة مهمة جداً تتعلق بالياقوت وتكوينه وأصنافه وأثمانه جاء في ضمنها : وكان في خزانة الأمير يمين الدولة محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالاً قوّمت بعشرين الف دينار ، وكان للمعتصم العباسي فص يسمى «ورقة الآس» لانه كان على شكلها وزنها مثقالان الا شعيرتين اشتراه بستين الف درهم (كتاب الغيث المنسجم ١ : ٨٣) .

وزعموا ان خير الزبرجد الناضر الصافي النقي ، فاذا بلغ وزن قطعة منه نصف مثقال بلغ في الثمن الفي مثقال ذهباً ، وارتفاع القيمة على مقدار كبره وصغره ؛

وكان فص الخاتم الذي يسمى (البحر) وزنه ثلاثة مثاقيل اشتراه ابو جعفر المنصور بثلاثين الف دينار وهو اليوم في خزانة بعض الخلفاء .

وخير الفيروزج الشير بام[1] الاخضر الاسمانجوني الصافي العتيق ، والفيروزج حجر لا يعمل المبرد فيه ولا يتغير في النار والماء الحار ، وغاية ثمن فص فيروزج اذا بلغ وزنه نصف مثقال عشرون ديناراً .

وخير العقيق اليماني الشديد الحمرة الذي يرى في وجهه شبه الخطوط ، وكلما كان أصفى وأضوأ كان أجود في الثمن .

وخير البيجاذي[2] الأحمر الشديد الحمرة الملتهب لونه التهاب النار ، وكلما كان أصلب وأكبر كان أنفس وأثمن ، والمعمول منه رخو ، وامتحان جودته من رداءته انك اذا قربته من الريش احتمله ، وكلما كان أحمل للريش كان أجود ، وغاية ثمن فص بيجاذي فائق اذا بلغ وزنه نصف مثقال ثلاثون دينار . والجوهر النفيس لا قيمة له وذلك لاتساع ضوئه وانتشار شعاعه بالليل .

(١) شيربام : فارسي معرّب مركب من لفظين ومعناه (لون اللبن) .

(٢) البيجاذي : حجر كريم احمر اللون يشبه الياقوت فيه خاصية الكهرباء في جذب التبن ، واصله في الفارسية (بيجاده) وهو اسم الكهرباء ، وقد عرّب قديماً وورد في اشعار العرب ، قال الفرزدق (الاغاني ط بولاق ج ١٩ ص ٢١) :

أغرّك منها لونة عربية علت لونها إن البجاديّ أحمر

راجع معجم المجموعة الجغرافية العربية تأليف المستشرق دي خوي طبعة ليدن ص ١٨٤ (Indices, Glossarium - Bibl. Géogr. Arab., de de Goeje) وانظر ايضاً التعليق الجميل الذي وضعه صديقنا العلامة المحقق المغفور له احمد تيمور باشا على هذه الكلمة في تفسيره للالفاظ العباسية (مجلة المجمع العلمي الدمشقية ج٧ ص ٢٠٤ من سنة ١٣٣٩)

وقال ابن عبد ربه : ومدينة بلخ بخراسان بها معادن البجادي العتيق ، وهو جنس من الفصوص تسميه العامة البزادي (العقد الفريد ٣ : ٢٥٧) .

والبلور يُختار لصفائه وعظمه ، وخير الزجاج البلوري الصافي الأبيض النقي ، والفرعوني الفائق[١] . وخير الماس[٢] البلوري الصافي الابيض النقي ، ثم الأحمر ، واذا بلغ وزنه نصف مثقال يلغ في الثمن مائة دينار ، وكلما كان أكبر وأعظم كان أبلغ في الثمن وأرفع .

« باب معرفة الطيب والعطر والروائح الطيبة »

زعموا ان خير العود المندي المندلي[٣] الذي لا غش فيه ، وكلما كان أصلب فهو أجود وامتحان جودته بحدة أرجه وشدة رائحته ؛ وزعموا ان خير العود الهندي الثقيل الوزن الذي يرسب في الماء ، وأدونه الخفيف الوزن الذي يطفو على رأس الماء ، والخفيف الوزن عندهم ميت لا روح فيه وهو ضعيف الرائحة ، والثقيل الوزن منه له ذكاء وقوة أرج ورائحة .

وخير المسك التُّبَّتي[٤] اليابس الفائح وأرداه البَّدّي ، وغش المسك من

---

(١) ورد ذكر الزجاج الفرعوني في كتاب (الحيوان) للجاحظ ج٣ ص ١١٦

(٢) الماس : يوناني معرّب وهو الديامنت وقد ورد ذكره في الحديث الشريف (النهاية لابن الاثير ج ٤ ص ٧٩) — وقال التيفاشي : الماس نوعان : الزيتي والبلوري ، والزيتي أجودهما ، والبلوري أبيض شديد كلون البلور ، والزيتي مخالط ببياضه صفرة كلون الزيت ، وهو شبيه بلون الزجاج الفرعوني (كتاب ازهار الافكار — خط) .

(٣) المندلي : منسوب الى « مندل » وهو بلد بالهند يجلب منه العود الذكي الشذا (راجع معجم البلدان لياقوت — لفظ مندل — وشفاء الغليل) — وقال أبو منصور الثعالبي وفي كتاب « العطر » [للجاحظ] : وخير العود الهندي المندلي ، وكلما كان أصلب فهو أجود وامتحان جودته اذا كانت فيه رطوبة ، ومن خصائصه ثبات رائحته في الثوب اسبوعاً واكثر (ثمار القلوب ص ٤٢٣) .

(٤) بالاصل : التبي وهو تحريف وصوابه : التبتي نسبةً الى بلاد التبت ، وفي كتاب « الحيوان » للجاحظ (ج ٤ : ٤٦) ان المسك كان يجلب من التبت — وفي « المحاسن والاضداد » (باب محاسن الهدايا ص ١٧٩) : وكان مما تهديه ملوك الامم الى ملوك فارس

الآنك(١) وجندبادستر(٢) ودم الأخوين(٣) وسياه دارو(٤) وكلما خف وزنه وفاح فهو أجود ٠

وزعموا ان خير العنبر الاشهب الزابجي(٥) ثم الأزرق ، ثم الأصفر ، وأدونه

طرائف ما في بلدهم « فمن الهند الفيلة والسيوف والجلود ، ومن التبت المسك والحرير والاواني ، ومن السند الطواويس والببغاء ، ومن الروم الديباج والبسط ٠ » — ويؤيده مانقل الاصطخري وابن حوقل حيث قالا : ولهم [أي أهل ماوراء النهر] من المسك الذي يجلب اليهم من التبت وخرخيز ماينقل الى سائر الامصار فيفوق غيره من المسوك ثمناً وجودة (المسالك والممالك للاصطخري طبعة ليدن سنة ١٨٧٠ ص ٢٨٠ و ٢٨٨ — والمسالك والممالك لابن حوقل طبعة ليدن سنة ١٨٧٢ ص ٣٢٧ و٣٣٧) ٠

(١) آنك : فارسي معرّب وهو الرصاص ، وعند ابن البيطار : الرصاص ضربان أحدهما الرصاص الاسود وهو الآنك ، والآخر الرصاص القلعي وهو القصدير (جامع مفردات الادوية طبعة مصر ٢ : ١٤٠) ٠

(٢) جندبادستر : فارسي معرّب وهومثانة حيوان بري بحري يكون في الانهار العظام يسمى القندر (وعند الافرنج Castor) وخصاه هي الجندبادستر (الدميري ٢ : ٢١٧ وابن البيطار ١ : ١٧١) ٠

(٣) دم الاخوين : قال ابن البيطار بالنقل عن ابي حنيفة الدينوري : هو صمغ أحمر لشجرة يؤتى به من سقطرى ، ثم قال : وهو الأيدع عند الاطباء ، ويقال له الشيان ايضاً (جامع المفردات ١ : ٧٢ و ٢ : ٩٦) — قلت : والمعروف ان دم الاخوين هو العندم عند قدماء العرب ، وقيل هو البقّم ٠

(٤) سياه دارو : ويكتب ايضاً : سيادرو — وسيادروان ، وفي القانون لابن سينا سيادوان ٠ فارسي معرّب ، وهو صمغ الجوز الشامي (راجع كشف الرموز لابن حمدوش ط حجر بالجزائر ١٣٢١ ص ٩٩) ٠

(٥) الزابجي : سمى القلقشندي من انواع العنبر ستة أضرب اولها الشحري ثم الزنجبي [قلت : وهو لا محالة تحريف الزابجي أو الرابجي] وهو أجود العنبر وافضله ٠ ٠ (صبح ٢ : ١١٧ و١١٨) — وجاء في تاج العروس : (والرباحي جنس من الكافور) منسوب الى

الا .... [هنا ورقة كاملة من الأصل بها ثلاثون سطراً تعطلت قراءتها لانخرام كتابتها واستيلاء الزاج على أحرفها بحيث لم يتيسر نقلها باي وجه ولم يبق ظاهراً منها سوى ماهو مرسوم بالحمرة — في السطر السابع عشر — وهو : باب معرفة الثياب وما يستجاد منها]

.... وخير الوشي [في الثوب] السابري (١) والكوفي ، والابريسمي ، والمذهب

بلد كما قاله الجوهري وصوبه بعضهم أو الى ملك اسمه رباح اعتنى بذلك النوع من الكافور وأظهره (تاج ٢ : ١٤٠) — وفيه : ورباح موضع بالهند ينسب اليه الكافور ، وبسط بحثاً طويلاً في الغلط الحاصل في الصحاح للجوهري إذ نسب تارةً الرابجي الى بلد بالهند وتارةً الى دويبة يجلب منها الزبد — وذكر ابن البيطار — في مادة كافور وعنبر — ان الرباحي مشتق من اسم ملك هندي اسمه رابح (جامع المفردات ٢ : ٣٣٤) — وقال داود الانطاكي ويسمى الرياحي لتصاعده مع الريح ، وقيل الرباحي — بالموحدة — نسبةً الى رباح أحد ملوك الهند أول من عرفه (تذكرة — مادة كافور) — وقال دوزي في مستدركه على المعاجم العربية : ان بعض المصنفين يسميه ايضاً الزياحي Dozy, Suppl. aux diction. arabes, vol. I p. 499 — ومما تقدم يتضح ان الاختلاف في اسم الزابجي أو الرابجي قديم ولا يعرف على وجه التحقيق نسبته ، ولذا احترمنا هنا الصيغة الواردة بالاصل مع التنبيه عليه — ووقفنا اخيراً على فصل ممتع نشره العلامة المحقق الاب انستاس ماري الكرملي كشف فيه الغطاء عن معنى الرباح ووجه اشتقاقه واثبت ان اصل اللفظ — الزابج — وهو اسم جزائر ماليسية (جاوه وسومطرة وبرنيو) عند قدماء العرب — والنسبة اليه زابجي ، لحرفه النساخ والمؤلفون المتأخرون فقالوا الزابجي والرابجي وغير ذلك (راجع مجلة المجمع العلمي الدمشقية ص ٢٣٢ من سنة ١٣٣٩)

(١) السابري : نسبة الى سابور ، وفي حديث حبيب بن ابي ثابت قال : رأيت على ابن عباس ثوباً سابرياً استشف ماوراءه ، وكل رقيق عندهم سابري والاصل فيه الدروع السابرية منسوبة الى سابور [النهاية لابن الاثير ٢ : ١٥٢] — وفي التاج : والسابري ثوب رقيق جداً ، قال ذوالرمة :

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابري مشبرق

المنسوج ثم الوشي الاسكندراني الكتان البحت[1] ثم المنسوج بالذهب ، ثم الوشي الغزلي ، ثم الذي لا ابريسم فيه ولا ذهب وهو اليماني لانه يرتفع على هذه السبيل من الغزلي ، والابريسمي الكتان لا يبلغ في الثمن ما يبلغه اليماني لانه ربما بلغ الثوب الغزلي الف دينار .

وخير السنجاب[2] القاقم[3] ثم الظهور منه ، ثم الخزري[4] ثم الخوارزمي ، ثم الذي لاغش فيه من زغب الارانب .

ومنه المثل : عرض سابري ، اي رقيق جداً [تاج ٣ : ٢٥٢] — وقال ابومنصور الثعالبي : والسابري ، وهو الرقيق التام من كل ثوب ، والأصل فيه النسبة الى نيسابور وعرّب فقيل سابري [ثمار القلوب ص ٤٢٩] .

(١) نقل ابومنصور الثعالبي العبارة الآتية في لفظ « كتان مصر » ولم يذكر عن اي تأليف للجاحظ نقل ، قال : قال الجاحظ : قد علم الناس ان القطن لخراسان وان الكتان لمصر ، ثم للناس في ذلك في تفاريق البلدان ما لا يبلغ مقدار بعض بلاد هذين الموضعين ، وربما بلغت قيمة الحمل من دق مصر الذي من الكتان لا غير مائة الف درهم [ثمار القلوب ص ٤٣٠ — وراجع ايضاً كتاب « ما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه » للمحبي — خط بمكتبتي] .

(٢) السنجاب : قال القلقشندي : حيوان أكبر من الفار يعيش في الشجر العالي ، فيها يأوي ومنها يأكل ، وهو كثير ببلاد الافرنج والصقالبة ، ووبره في غاية النعومة وجلده في نهاية القوة ، ويتخذ منه الفراء النفيسة التي يلبسها الناس والرؤساء ، وأحسن ألوانه الازرق [صبح الاعشى ٢ : ٥٠] أقول وهو المسمى باللاتينية Scuriolus وبالفرنسية Ecureuil .

(٣) القاقم [بقافين الثانية منهما مضمومة] — هو دويبة في قدر الفار لها شعر أبيض ناعم ، ومنه يتخذ الفراء ، وهو أعز قيمة من السنجاب [صبح ٢ : ٤٩] .

(٤) الخزري : نسبة الى بحر الخزر وما كان حوله من البلاد .

وخير الثعالب الاسود[١] الخزري الغليظ الشعر الذي لا يُغَشُّ بصبغ، ثم الابيض، ثم الاحمر المحصري[٢] ثم الاحمر الخزري، ثم الخلنجي[٣] .

وخير القاقم أكثرها أذناباً : وخير السمور الصيني، ثم الخزري الشديد البياض مع شدة السواد الطويل الشعر .

وخير الفرش وأرفعه ثمناً وأجوده المرعزّى[٤] القرمزيّ الأرمني المنير، ثم الخز الرقم، ثم الخز القُطوع[٥] ثم الديباج على عمل الخسرواني[٦] الرومي ، ثم الخز المدبج على

---

(١) قوله : خير الثعالب الاسود ، جاء في كتاب الحيوان للجاحظ [ج٦ص١٠٠] وفي الثعلب جلده وهو كريم الوبر وليس في الوبر أغلى من الثعلب الاسود وهو ضروب فمنه الأبيض الذي لا يفصل بينه وبين الفنك ، ومنه الخلنجي وهو الاعم » .

(٢) كذا بالاصل وأظنه غلطاً من الناسخ وصوابه «الممصّريّ» أي المصبوغ بالمصرة وهي العصفر ، وقال ابن سيده : والثوب الممصر هو المصبوغ بالطين الاحمر أو بحمرة طفيفة [المخصص ٤ : ٩٤] .

(٣) الخلنجي : المقصود به الذي يشبه لونه خشب الخلنج وهو شجر معروف [ابن البيطار ٢ : ٦٨] وقد عرف أبو الوليد المراكشي اللون الخلنجي بقوله : مخطط بسواد ودُخنة [راجع مستدرك المعاجم العربية لدوزي ج ١ ص ٤٠٠] .

(٤) المرعزّى والمرعزاء — بكسر الميم — اذا خففتَ مددتَ واذا شددتَ قصرتَ ، وأصله بالنبطية (مرعزا) وقد تكلمت العربُ به قديماً ، قال جرير من قصيدة يهجو بها التيم :

كساك الحنظلي كساء صوفٍ ومرعزّى فأنت به تفيد

أي تتبختر عجباً [راجع المعرّب للجواليقي ص١٣٧] .

(٥) القُطُوع جمع قطع وهو ضربٌ من الوشي في الثياب [المخصص لابن سيده] .

(٦) الخسرواني ، نوع من نسج الحرير الرقيق الحسن الصنعة منسوب الى عظماء الأكاسرة ، وهو فارسي معرّب [المعرّب للجواليقي ص ٦٠ وشفاء الغليل للخفاجي] .

الميساني ، ثم البزيون[1] ؛ ومهما كان من هذه الضروب منسوجاً بالذهب فهو أجود وأبلغ في الثمن ، وقد تكون هذه الضروب كلها منسوجة بالذهب الا الأرمني والميساني والبزيون .

وخير البزيون المسكي الدقيق النسج ، ثم المخطط ، ثم المفلس[2] ثم الساذج ، ثم المعيّن[3] ثم المنقط ؛ والغفارة المسكية اذا كانت رقيقة العمل نقيـة ربما بلغت في الثمن خمسين ديناراً .

وابو قلمون[4] من الزلالي[5] الخسرواني الرومي القرمزي على خطوط مختلفة البنفسجي في الأحمر والأخضر ، وزعموا انه يتلوّن ألواناً بارتفاع النهار ووهج الشمس ، والقيمة مرتفعة منه جداً .

وخير الأكسية من الصوف المصرية ، ثم الخوزية الفارسية ، والمرعزّى في المرعزّى الفارسية الشيرازية ، ثم الاصفهانيـة ، والمرعزى في الابريسم الفسوية ، ثم

(١) البزيون كعصفور ، السندس ، وقال ابن بري : هو رقيق الديباج [تاج العروس ٩ : ١٣٩] .

(٢) وبالاصل ، المقلس ، وهو تحريف بيّن ، والمفلس بمعنى المختم والمزركش على هيئة الفلوس كما يقال ثوب مدنّر ومدرهم أي موشى على صورة الدنانير والدراهم .

(٣) المعيّن ، ثوب في وشيه ترابيع صغار شُبّه باعين الوحش [المخصص ٤ : ٦٧] .

(٤) ابو قلمون ، عرّفه مرتضى الزبيدي بقوله : ثوب رومي يتلون ألواناً للعيون نقله الجوهري ، وقال الازهري : يتراءى اذا أشرقت عليه الشمس بالوان شتى ، قال: ولا أدري لِمَ قيل له ذلك ، وقـد يشبه به الدهر والروض وزمن الربيع [تاج العروس ٩ : ٣١] — أقول : لفظ أبوقلمون يوناني معرّب وهو في الاصل Abokalamon — والنسيج المسمى ابوقلمون في المشرق هو المعروف في الديار التونسية بعنق الحمام .

(٥) الزِّلِيّة — بالكسر — البساط ج زلالي كما في لسان العرب والعباب ، وفي مستدرك التاج [مادة زلل ج ٧ : ٣٥٩] والزلال الصافي من كل شيء ، قال ذو الرمة :

كأن جلودهن مموهات ... على أبشارها ذهب زلال

فكأن المقصود هنا من الزلالي الصافي اللون .

الطبرية (١) ، ثم الصوف في الصوف .

وخير الطيالسة الرويانية الطبرية ، ثم الآملية (٢) ثم المصرية ، ثم القومسية (٣) . وخير اللبود الصينيه ، ثم المغربية الحمر ، ثم الطالقانية البيض (٤) ثم الارمنية ، ثم الخراسانية .

وخير النمور البربري الموشح الشديد بياضه المشبّع سواده الطويل الوشي الساباني (٥) . وأظرف النمور الذي يكون في وسط سواده نقطة سوداء صغيرة بيّنة ؛ وان كان سواده

(١) على ذكر الاكسية الطبرية نقل الجاحظ : ان قيمة الكساء الأبيض الطبري في عصره يساوي اربعمائة درهم والقومسي منها مائة درهم [كتاب الحيوان ٣ : ٨] .

(٢) قوله : الطيالسة الرويانية نسبةً الى الرويان وهي مدينة من نواحي قزوين [الاصطخري ص ٢٠٦ — وابن حوقل ٢٦٩] — وكذا الآملية نسبةً الى آمل وهما مدينتان بهذا الاسم : الاولى عاصمة طبرستان — وهي المقصودة هنا — مشهورة بضأنها وصوفها ومنسوجاتها [المقدسي ص ٣٥٥ وابن حوقل ٢٧١] والثانية مدينة في غربي جيحون في سمت بخارى بينها وبين جيحون نحو ميل .

(٣) القومسية ، نسبةً الى قُومس من اكبر مدائن الديلم ، قال ابن حوقل : ويرتفع من قومس اكسية معروفة تحمل الى الامصار وهي فاشية في جميع الارض [المسالك والممالك ص ٢٧١] — وقال المقدسي : اما قومس فلهم المناديل البيض من القطن المعلمة صغار وكبار وسواذج ومحشاة ربما يبلغ المنديل منها الفي درهم ، ولهم ايضاً اكسية وطيالسة وثياب رقاق من الصوف [كتاب أحسن التقاسيم ص ٣٦٧] .

(٤) نقل ابو منصور الثعالبي هذه العبارة من هذا التأليف وعزاها الى صاحبها فقال : وذكر الجاحظ في كتاب «التبصر بالتجارة» ان خير اللبود الصينية ثم المغربية الحمر ثم الطالقانية البيض » [ثمار القلوب ص ٤٣٣] . وتبعه النويري فنقل عين العبارة المتقدمة عن الجاحظ لكنه جعل اسم الكتاب « النظر في التجارة» [نهاية الارب ج ١ ص ٣٦٧] وهو تحريف واضح لتشابه ما بين لفظ «التبصر» و «النظر» — فليتنبه .

(٥) الساباني ، نسبةً الى السابان ، وهو في الفارسية الطائر المعروف بالزرزور الذي ريشه منقط بنقط بيض ونقط سود ، وبه شبّه الجاحظ هنا المختار من جلد النمور البربرية ، كان أقرب اليه أن يقول في نعته زرزوري اي في لون الزرزور ، وهو عربي صريح .

متصلاً بعضه ببعض بشظية من سواد خفيفة كان أظرف له ، واذا كانت فيه حمرة مع بياض يقق وسواد حالك كان أحسن وأبلغ في الثمن ؛ ونمور البربر صغار ومقدار الجلد منها مايغشي سرجاً مفرداً ، ومنتهى ثمن الجلد منها خمسون ديناراً ، واما المغربية والهندية فهما أوسع وأكبر ولا يبلغان في الثمن ولا يرتفعان ، وخير النمور الوشي ، وخير القطن الابيض اللين الصغار الحبوب اللطيف البياض الصافي .

وزعم ان القرمز حشيشة تكون في أصلها دودة حمراء تنبت في ثلاثة مواضع من الارض [1] : في ناحية المغرب بارض الاندلس ، وفي رستاق يقال له تارم [2] وفي ارض فارس ، ولا يعرف هذه الحشيشة وأماكنها الا فرقة من اليهود يتولون قلعها كل سنة في ماه اسفندارمذ [3] فتيبس تلك الدودة ويصبغ بها الابريسم والصوف وغير ذلك ؛ وخير ما يصبغ في الأماكن بارض واسط .

(١) عرّف الرحالة ابن حوقل القرمز الارمني بقوله : وهو صبغ أحمر يصبغ منه المرعزى والصوف ، وأصله من دود ينسج على نفسه مثل دود القز اذا نسجت على نفسها القز [المسالك والممالك ص٢٤٤] .

(٢) تارم ، من مدائن فارس من ناحية شيراز بينهما ٨٢ فرسخاً [الاصطخري ص ١٣١ ومابعدها — وابن حوقل ص ٢٠١ و٢٠٣ و٢٢٦ — والمقدسي ٤٢٣ و٤٢٦] .

(٣) ماه اسفندارمذ ، هو اسم الشهر الثاني عشر من السنة الشمسية عند الفرس ، واليوم الخامس منه هو « اسفندارمذ روز » كان من الأعياد الكبيرة عند قدماء الفرس وفيه كانوا يلتقطون الاعشاب من الجبال والاودية ويتخذون الادهان ويهيئون البخور والدخن ، وفيه تكتب الرقاع لدفع الهوام والحشرات فيكتبون من ظهور الفجر الى طلوع الشمس رقية على كواغذ مربعة ويلصقون منها على الجدران [راجع كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني طبعة ليبسيغ سنة ١٨٧٨ ص ٢٢٩ — وعنه نقل القزويني في كتابه «عجائب المخلوقات» طبع بهامش حياة الحيوان ص١٢٨ ومابعدها] —

أقول : وهذه العادة الفارسية القديمة لم تزل متبعة في البلاد التونسية من كتب رقاع صغار بها آية السموم من القرآن وذلك اليوم الاول من شهر مايو الأعجمي ثم يلصقونها بمدخل البيوت دفعاً للعقارب والحشرات السامة .

وزعموا ان البَلسان شجر بارض مصر يُشرطُ في ايام الربيع فيخرج منه دهن البلسان فيؤخذ منه ، وهو مفقود في الارض كلها ماخلا مصر[١] .

وحبّ الزلم[٢] ينبت بارض شهرزور ، وزعموا انه جيد للجماع ؛ والقرماز شجر بالفارسية بنجكشت (؟) قلما يوجد الا ومعه الدفلى ، وهو نبت يستخير بالدفلى النابتة عنده يقال له فَازَهر[٣] فلذلك غرس معه في موضع يكون به ، وقيل حُمِلا جميعاً من الروم وله قصة عجيبة طويلة .

« باب ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والامتعة والجواري »
« والاحجار وغير ذلك »

يُجلب من الهند : الببور والنمور والفيلة وجلود النمور والياقوت الاحمر والصندل الأبيض والآبنوس وجوز الهند[٤] .

(١) البَلسان المصري ، قال الاصطخري : وحوالي الفسطاط زرع ينبت مثل القضبان يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يُعرف بمكان في الدنيا الا هناك [الاصطخري ٥٤] وجعله ابن حوقل في عين شمس خاصة [المسالك والممالك ص ١٠٦] .

(٢) حب الزَّلَم ، عرّفه ابن البيطار بقوله : هو حب دسم مفرطح اكبر من الحمص قليلاً أصفر الظاهر أبيض الباطن طيب الطعم لذيذ المذاق ويجلب من بلاد البربر ، وينبت في ناحية شهرزور ، وقد ينبت منه شيء بصعيد مصر يسمونه بالسقيط [جامع مفردات الادوية ٢ : ٤ و١٦٦] — قلت وهو المعروف عندنا في تونس بحب عزيز .

(٣) المشهور ان الفازهر حجر كريم لانبات كما ورد هنا ، وانه صنفان حيواني ومعدني وهو عند الافرنج Bézoar) واسمه فارسي معرّب وأصله پازهر ومعناه «منفي السم» — وقد ذكر معدنه وأوصافه وخواصه ومنافعه جماعة من علماء الاحجار كابن البيطار في مفرداته والتيفاشي في كتاب أزهار الافكار والقزويني في عجائبه وسواهم كثير ، فليراجع هنالك .

(٤) قال ابو منصور الثعالبي : ولبلاد الهند من الخصائص مالم يكن لغيرها فمنها الفيل والكركدن والببر والببغاء والطاؤوس والدجاج الهندي والياقوت الاحمر والصندل الابيض والعاج والساج والتوتيا والقرنفل والسنبل والفلفل وغيرها من العقاقير [ثمار القلوب ٤٢٣] .

ويجلب من الصين : الفرند والحرير والغضائر [١] والكاغد والمداد والطواويس والبراذين الفُرَّهُ والسروج واللُّبود والدارصيني وادارند [٢]. الروم الخالص ، ويجلب من أواني الفضة والذهب والدنانير الخالصة القيسرانية والعقاقير والبريون والابرون والديباج والبراذين الفره والجواري وطرائف الشَّبَه والأقفال المحكمة واللورا [٣]؟ ومهندسو الماء وعلماء الحراثة والاكارة وبناء الرخام والخصيان .

ومن ارض العرب : الخيل العِراب والنعام والنجائب والقانة [٤] والأَدَم [٥] .

ومن البربر ونواحي المغرب : النمور والقرظ [٦] واللبود والبزاة السود .

---

(١) الغضائر ج غضارة هي القصعة أو الصحن الكبير ذو ساق يتخذ من خزف ، وارفع الغضائر ما يؤتى به من الصين كما نص عليه الجاحظ هنا لاشتهارها وحسن صنعتها وجودة طليها وجمال رونقها ، وقال شمّر : الغضار الطين الاحمر نفسه ومنه يتخذ الخزف الذي يسمى الغضار . وقال ابن دريد فاما الغضارة التي تستعمل فلا أحسبها عربية محضة [تاج العروس وغيره] .

(٢) لفظ « ادارند » هنا لا معنى له ، وأظنه تحريفاً من الناسخ ، ويظهر انه قصد الراوند . قال مرتضى الروند الصيني وهو أنواع اربعة أعلاها الصيني ودونه الخراساني ويعرف بروند الدواب تستعمله البياطرة وهو خشب أسود ، والاطباء يزيدونها الفاً فيقولون «راوند» ولفظه ليس بعربي محض [تاج ٢ : ٣٥٩ و ٣٦٠ مادة راد] .

(٣) كذا بالاصل ولم أر لها معنى ، ولاشك ان الناسخ حرف فلم يأت باللفظ على أصله اللهم الا ان يكون اللاذ واللاذة وهي ثياب من حرير تنسج بالصين تسميها العرب والعجم اللاذ [المخصص ٤ : ٦٨] وفي القاموس اللاذة ثوب حرير أحمر ينسج بالصين .

(٤) القانة وجمعها القان ، هو شجر جبلي ينبت بجزيرة العرب . زاد الازهري ينبت في جبال تهامة ويتخذ منه القسي [لسان العرب] .

(٥) الأَدَم ج أديم ، هو الجلد المدبوغ اذا كان عليه شعره أو صوفه أو وبره .

(٦) بالاصل القرض ، وهو تحريف واضح وصوابه القرظ ، وهو ورق السلم تدبغ به الجلود ، وقيل هو النبط يعتصر منه الاقاقيا وهو مما يتداوى به [المعاجم اللغوية] .

ومن اليمن : البرود والأدَم والزرافات والجواميس(١) والعقيق والكُنْدُر(٢) والخِطْر(٣) والوَرْس(٤) .

ومن مصر : الحمر الهماليج(٥) والثياب الرقاق والقراطيس ودهن البلسان ، ومن المعدن الزبرجد الفائق .

ومن الخزر : العبيد والإماء والدروع والبيضات والمغافر .

ومن ارض خوارزم : المسك والقاقم والسمور والسنجاب والفنك وقصب الطيب .

ومن سمرقند : الكاغد(٦) .

(١) كذا بالاصل ولا أخالها الا الجواشن ج جوشن ، وهو الدرع من حديد . وقال ابن سيده زرد يلبسه الصدر والحيزوم [المحكم ، خط بالمكتبة الزيتونية في تونس] .

(٢) الكندر ضرب من العلك عن ابن سيده وهو اللُّبان عند الاطباء وغيرهم [تاج ٣ : ٥٢٩] .

(٣) الخِطر — بالكسر — نبات يجعل ورقه في الخضاب الاسود يختضب به ، وقال ابوحنيفة هو شبيه بالكتم وكثيراً ماينبت معه واحدته خِطرة [تاج ٣ : ١٨٣] .

(٤) قال الثعالبي ومن خصائص اليمن الزرافة ، وكان الاصمعي يقول اربعة قد ملأت الدنيا ولاتكون الا باليمن الورس والكندر والخطي والعقيق [كتاب ثمار القلوب ٤٢٥] وقد جعل الناسخ هنا الخطي — وهي الرمح — مكان الخطر ، فلينتبه .

(٥) على ذكر الحمير المصرية قال الاصطخري : وبمصر بغال وحمير لا يعرف في شيء من بلاد الاسلام أحسن ولاأثمن منها ، ولهم من وراء اسوان حمير صغار في مقدار الكباش معلمة تشبه البغال المعلمة ، اذا خرجت من مواضعها لم تعش ، ولهم حمير يقال لها [السملاقية] بارض الصعيد زعموا ان احد أبويها من الوحشي والآخر من الاهلي فهي أسير تلك الحمير [راجع مسالك الممالك ص ٥٥ وكذا ابن حوقل ص ١٠٧] .

(٦) كاغَد وكاغِد وكاغذ ، لفظ صيني معرب دخل العربية بطريق الفارسي ، ولم يكن الكاغد معروفاً بالمشرق في اول عهد الاسلام وانما كانت الكتابة على القراطيس المتخذة من البردي المصري أو على الرقوق ، واول ظهور الكاغد في الاسلام كان في سمرقند صنعه هنالك أسارى من الصين أسرهم الامير زياد بن صالح في وقعة اطلخ سنة ١٣٤ للهجرة .

ومن بلخ ونواحيها : العنب الطيب والفوشنة[1] .

ومن بوشنج : الكبر المربى .

ومن مرو : الضرابون بالبرابط والبرابط الجياد والطنافس والثياب المروية[2] .

فاتخذوه له من خرق الكتان والقنب على ما كان جار في بلادهم فقلدهم الناس من ذلك الحين . وكثر صنعه في بقاع متعددة من بلاد الاسلام ، ومنها دخل الى اروبا واشتهر — قال ابو منصور الثعالبي : كواغد سمرقند هي من خصائصها التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الاوائل يكتبون فيها لانها أنعم وأحسن وأرفق، ولا تكون الا بسمرقند والصين ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجراً لاهل سمرقند فعم خبرها والارتفاق بها الى جميع البلدان في الآفاق [ثمار القلوب ص ٤٣١] — وذكر المقريزي في خططه ان جعفر البرمكي هو اول من استبدل الكتابة على القراطيس بالكاغد في الدواوين [النويري ١ : ٣٦٧] .

أقول : ومن أشهر الاصناف التي كانت تصنع قديماً في العالم الاسلامي : الكاغد الفرعوني تقليداً للقراطيس المصرية المستعملة الى حدود ذلك الوقت ، والكاغد السليماني نسبة الى سليمان بن رشيد ناظر بيت المال بخراسان على عهد الخليفة هارون الرشيد ، والجعفري منسوب الى جعفر البرمكي الوزير العباسي ، والطلحي منسوب الى طلحة بن طاهر ثاني امراء بني طاهر ، والنوحي نسبة الى الامير نوح الاول من بني ساسان ، وسوى ذلك كثير ؛ وقد شاعت الوراقة في البلاد العربية وخصصت بدور صناعة في العراق واليمن وفارس والشام ومصر والمغرب — لا سيا في القيروان والمهدية — وفي الاندلس خصوصاً بمدينة شاطبة (Xativa) وغيرها [انظر كتاب الفهرست لابن النديم ص ٢١ وصبح الاعشي ١ : ٤٧٤ و ٤٧٦] .

(١) الفوشنة ، ويسميها أبو بكر بن الفقيه الهمذاني [الغوشنة] [كتاب البلدان ص ٢٥٥] ولم نهتد الى معرفة ماهيتها .

(٢) ثياب مرو ، قال الثعالبي : كانت العرب تسمي كل ثوب صفيق يحمل من خراسان المروي وكل ثوب رقيق يجلب منها الشاهجاني ، لان مرو عندهم أم خراسان ، ويقال لها مرو الشاهجان ، وقد بقي الى الآن اسم الشاهجان على الثياب الرقيقة ، وبما تختص

ومن جرجان : العناب والتدرج وحب الرمان الجيد والبرمق [١] اللين والابريسم الجيد [٢]
ومن آمد : الثياب الموشية والمناديل والمقارم [٣] الرقاق والطيالسة من الصوف .
ومن دباوند [٤] : نصول السهام .

به مرو الثياب [المحم] [ثمار القلوب ص ٤٣١] — ومن ينسب الى مرو من الرجال يقال له مروزي ومن الثياب مروي [العقد الفريد ٣ : ٢٥٧] . أقول : والمتعارف هو ان النسبة الى مرو الروز : مروزي ، والى مرو الشاهجان : مروي ، للتفريق بين المدينتين .

(١) لم نقف على معنى للفظ [البيرمق] وكأنه تحريف [النرمق] بالفتح ، فارسي معرب [نرمه] وهو اللين الناعم من كل شيء ، وانشد الليث لرؤبة يصف شبابه .

أجر خزاً خطلاً ونرمقا ان لريعان الشباب عتهقا

[تاج ٧ : ٧٥] — ويمكن ان يكون ايضاً [يلمق] ج يلامق وهو ضرب من الفراء المبطنة .

(٢) قال الاصطخري ، ويرتفع من جرجان من الابريسم شيء كثير ، وابريسم طبرستان يحمل بزر دوده من جرجان ولا يرتفع من بزر طبرستان ابريسم ، وبجرجان الثلج والنخيل وفواكه الصرود والجروم من التين والزيتون وسائر الفواكه [الاصطخري ص ٢١٣ وابن حوقل ص ٢٧٣]— وقال المقدسي ، ولاهل جرجان المقانع القزيات تحمل الى اليمن والعناب ، ولهم ديباج دون [أحسن التقاسيم ص ٣٦٧] .

(٣) المقارم ج مقرمة وهي الستر ، وعن ابن الاعرابي هي المحبس نفسه يقرم به الفراش قال . وهو ثوب من صوف فيه الوان من عهون فاذا خيط فصار كأنه بيت فهو كلة ، وقد تزين المقارم في اطرافها بالرجائز وهي نسيجة حمراء عرضها ثلاث أصابع وأربع [المخصص ٤ : ٧٥] أقول . وقد أخذ الافرنج لفظ مقرمة عن اللغة العربية واطلقوه على نوع من الطرز يسمونه Macramé .

(٤) دباوند — كذا بالاصل وهو عندي تحريف من الناسخ وصوابه [دُنباوند] وهو جبل عال بناحية كرمان ، قال ابن الفقيه . وبكرمان مدينة يقال لها [دمندان] وهي مدينة كبيرة واسعة وبها اكثر معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والنوشاذر والصفر ومعدنه بجبل يقال له [دنباوند] جبل مرتفع شاهق في الهواء ارتفاعه ثلاث فراسخ [كتاب البلدان ٢٠٦] .

ومن الري : الخوخ والزئبق والبرمق والاسلحة والثياب الرقاق والامشاط والقلانس الملكية والقسيات (١) الكتان والرمان (٢) .

ومن اصفهان : الشهد والعسل والسفرجل والكمثرى الصيني والتفاح والملح والزعفران والاشنان والاسفيذاج (٣) والكحل والسرر المطبقة والاثواب الجياد والشراب من الفواكه (٤)

ومن قومس الفؤوس والأمساح والجتر (٥) والطيالسة من الصوف .

ومن كرمان النيلج والكمون .

ومن الجور الجوارشن (٦) .

---

(١) بالاصل : العسيات ، وعندي انها القسيات ، نوع من الثياب كانت تجلب اولاً من قس بمصر ثم أطلق الاسم على غيرها ، وقد ورد ذكرها في الحديث الشريف (راجع النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير] وقال ابن سيده : الثياب القسية تنسب الى قس وهو موضع وهي ثياب فيها حرير تجلب من نحو مصر وقد نهي عن لبسها [المخصص ٤ : ٧٢] .

(٢) قال الثعالبي وكان يحمل الى السلطان مع خراج الري — وهو اثنا عشر الف الف درهم — من الرمان مائة الف ومن الخوخ المقدد مائة الف رطل [ثمار القلوب ٤٢٨] .

(٣) الاسفيذاج ، فارسي معرّب وهو نوع من الطلاء أبيض اللون شارقه ويسميه الافرنج Blanc de ceruse وهو المعروف في تونس بالباروق ، وقد أطال ابن البيطار ذكر صنعه وتحضيره فليراجع [جامع المفردات ١ : ٣١] .

(٤) قال الثعالبي وكان يحمل من أصبهان الى حضرة السلطان كل سنة مع خراجها — وهو واحد وعشرون الف الف درهم — قدر كبير من الكحل ومن العسل الف الف رطل ومن الشمع عشرون الف رطل ، وكلها موصوف بالجودة والزعفران بها كثير [ثمار القلوب ٤٢٧] .

(٥) الجتر ، فارسي معرّب وهي المظلة تتخذ للوقاية من الشمس .

(٦) كذا بالاصل والاقرب ان تكون الجواشن ج جوشن وهي الدروع وقد ذكرها الجاحظ في « المحاسن والأضداد » [فصل محاسن الهدايا] .

وبزرقطونا (١) .

ومن بَرْذَعة البغال الفُرّه (٢) .

ومن نصيبين الرصاص .

ومن فارس الثياب الكتان التوزي والسابريّ وماء الورد (٣) ودهن النيلوفر ودهن الياسمين والأشربة .

ومن فَسا الفستق وأصناف الفواكه وطرائف الثمر والزجاج .

ومن عُمان وسواحل البحر اللؤلؤ .

ومن ميسان الأنماط والوسائد .

ومن الأهواز ونواحيها السكر والديباج الخز (٤) .

(١) بزرقطونا ، نبت معروف وهو صنفان شتوي وصيفي وأنفع ما فيه بزره ، وهو الاسفيون بالفارسية وفي اليونانية فسيلون Psyllium [راجع المختصر الفارسي للصقلي ، والمعتمد في الادوية لابن رسولا طبع مصر ص١٦ ، وكشف الرموز للجزائري وغيرذلك] .

(٢) قال الاصطخري ويرتفع من نواحي برذعة بغال تجلب الى الآفاق [المسالك ١٩٠] وقال ابن حوقل ويجلب منها من البغال الجياد الموصوفة بالنجابة والصحة والجلد والصبر الى خراسان والعراق والشام وغير ذلك مايستغنى بشهرته عن ذكره [حوقل ٢٤٨] .

(٣) قال الثعالبي جور من كوَر فارس مخصوصة بالورد الذي لا أطيب منه في سائر البلاد يضرب به المثل في الطيب وهو مجلوب الى أقاصي المشرق والمغرب ... وكان يحمل من فارس الى الخلفاء كل عام مع خراجها من ماء الورد سبعة وعشرون الف قارورة [ثمار القلوب ٤٢٧ — وراجع ايضاً الاصطخري ١٥٢ وابن حوقل ٢١٣ والمقدسي ٤٤٣] .

(٤) السكر من خواص الاهواز ومفاخرها ومتاجرها ، ولا يكون الا بها على كثرة قصب السكر في سائر النواحي ، والمثل مضروب بسكر الأهواز كما قال ابو الطيب المتنبي

تقضم الجمر والحديد الاعادي دونه قضم سكر الأهواز

وكان يحمل الى الخلفاء كل عام مع خراج الأهواز — وهو خمسة وعشرون الف درهم — ثلاثون الف رطل من السكر ؛ ومما ينسب الى الأهواز من النفائس ديباج تستر وخز السوس ، قال كشاجم يصف الروض

... والصناجات والرقاصات (١) .... وأنواع التمر والدبس والقند (٢) .
ومن السوس ، الأترج ودهن البنفسج والشاه سبزم (٣) والجلال والبراذع .
ومن الموصل ، الستور والمسوح (٤) والدراج والسماني .
ومن حلوان ، الرمان والتين والكامخ (٥) .

كأن الذي دبجت تسر وطرزت السوس فيه نسر
[ثمار القلوب ٤٢٦] .

(١) حصل هنا ترهل عطل قراءة بعض الكلمات . اما لفظ « الصناجات» الواردة بالاصل فأظنها تحريفاً من الناسخ ولا أخالها الا « الِنصاحات» وهي الجلود واحدتها نِصاحة [راجع المخصص ٤ : ١٠١] — وكذا قوله « الرقاصات » فهي عندي « الطراحات » ج طراحة وهي مقاعد صغيرة مربعة تطرح في البيوت .

(٢) القند والقندة ، معرب « كَنْد» وهو عصارة أوعسل قصب السكر اذا جمد وهو المعروف عند الأطباء بسكر النبات ويسميه الافرنج Sucre candi اي سكر مربّى

(٣) شاه سبرم ، ويقال ايضاً شاهسفرم وشاهشفرم ، نوع من الريحان كان يسمى الريحان السلطاني والحبق الكرماني ، واللفظ فارسي معرب « شاه سيرغم » وهو مما عرب قديماً لوقوعه في شعر الأعشى [شفاء الغليل وتاج العروس ٨ : ٣٦١ — وكتاب المعتمد لابن رسولا ص١٧٨ وغير ذلك] .

(٤) المسوح ج مسح ، عن ابن سيده كساء مخطط يكون في البيت يستتر به ويفترش [المخصص ٤ : ٨٠] ولا يخفى ان منسوجات الموصل كانت لها من قديم الزمان شهرة كبيرة في الشرق والغرب حتى ان الامم الافرنجية أطلقت عليها اسم Mousseline تذكيراً لاصل موردها .

(٥) الكامخ ، فارسي معرب وأصله « كامه » ويجمع على كوامخ ، قال الجواليقي الكامخ الذي يؤتدم به [كتاب المعرب] وقال مرتضي وغيره في شرح الكامخ ومنهم من خصه بالمخللات Hors d' œuvres التي تستعمل لتشهي الطعام [تاج ٢ : ٢٧٦] وكذا شفاء الغليل — أقول والمعنى الاخير هو المقصود هنا ويؤيده ما حكاه الجاحظ نفسه في البيان والتبيين [ج٣ ص ١٩١ من طبعة مصر سنة ١٣٣٢] .

ومن أرمينية واذربيجان ، اللبود .... والبراذع والفرش والبسط الرقاق والتكك والصوف (١) .

« باب مايختار من البزاة والشواهين والبواشق والصقور وغير ذلك » « من جوارح الطير »

خير البزاة البيض مايقع بناحية الترك الى جيلان ، ثم السود الغرابية التي بناحية الزنج الى الهند والى اليمن ، ثم الحمر المشرقة ، ثم الديزج (٢) .

وخير الشواهين السود الغرابية البحرية ، والبيض الجرجانية .

وكذلك البواشق يستحب منها السود الغرابية البحرية ، ثم البيض الهندية ، ثم الحمر البحرية ، الخمر البطن والصدر بكانات (٣) بيض ، المزهر اللون ، الكبير الرأس ،

---

(١) قال ابن حوقل عند ذكره أرمينية واذربيجان ، وبهذه البلاد وفي اضعافها من التجارات والجالب وأنواع المطالب من الدواب والأغنام والثياب المجلوبة الى النواحي والأقطار ، معروفة لهم ومشهورة كالتكك الارمنية التي تعمل بسلماس ، تباع التكة من دينار الى عشرة دنانير ولا نظير لها في سائر الارض . ثم قال واكثر ما يخرج الى بلاد الاسلام من الديباج والبزيون وثياب الكتان الرومي وثياب الصوف والاكسية الرومية فمن اطرابزندة [المسالك والممالك ص٢٤٦] — وقال الثعالبي وكان يحمل الى حضرة السلطان مع خراج ارمينية كل عام — وهو ثلاثة عشر الف الف درهم — من البسط المحفورة(؟) ثلاثون بساطاً ومن الرقم خمسمائة وثمانون قطعة ومن البزاة ثلاثون بازياً [ثمار القلوب ٤٢٨] .

(٢) الديزج ، فارسي معرب ديزه بالكسر ومعناه ذو لونين أو هو بين لونين غير خالص [تاج ٢ : ٤٢] ويروى ايضاً ديرج بالراء المهملة [النهاية لابن الاثير ٢ : ٢٢] .

(٣) بكانات ، فارسي معرب وأصله « بكانه » ومعناه واحد والمقصود هنا معلم بنقط بيض .

الغائر العينين من غير هزال ، العريض المنخرين ، الواسع الصدر مرتفعه ، اللين الزغب ، الطويل الذنب ، الاخضر الأرجل الذي رجله قريبة من الدستبان (١) الثقيل الوزن فاذا بلغ وزنه مائة وثلاثين (٢) فذلك غاية (٣) .

وزعموا ان اليؤيؤ (٤) ذكورة الصقور ، والعفصي (٥) ذكورة البواشق وذكورة البزاة بمنزلة اليؤيؤ الصغير .

---

(١) الدستبان ، فارسي معرّب وهو القفّاز من جلد يتخذه البيّاز في يده عندما يلعب أو يصطاد بالطير الجوارح .

(٢) كذا ورد من غير تعيين ، والمظنون انه يقصد مائة وثلاثين درهماً يعني نحو اربعمائة وعشرة غرامات باعتبار وزن الدرهم الشرعي بثلاثة غرامات وخمسة عشر سنتيغرام .

(٣) قال القلقشندي المختار من صفات الشواهين فيما ذكره صاحب «المصايد والمطارد» الاحمر اللون اذا كان عظيم الهامة ، واسع العينين حادّهما ، سائل السُفعتين ، تام المنسر ، طويل العنق ، رحب الصدر ممتلي الزور عريض الوسط جليل الفخذين ، قصير الساقين ، قريب العقدة من القفا ، طويل الجناحين ، قصير الذنب ، سبط الكف ، غليظ دائرة الخصر ، قليل الريش لينه ، تام الخوافي ، ممتلئ العكوة [صبح الاعشى ٢ : ٥٨] — وقال ايضاً في صفة البُزاة ناقلاً عن الكتاب المتقدم . المختار من ألوانها الأحمر الاكثر سواداً الغليظ خطوط الصدر ، والأشهب الشديد الشهبة الشبيه بالابيض ، . الاصفر المدبّج الظهر — ثم قال ان ذكر البازي يسمى الزُرّق [صبح ٢ ص ٥٦ و٥٧] .

(٤) «اليؤيؤ» قال القلقشندي وتسميه اهل مصر والشام الجلم وهو طائر صغير أسود اللون يضرب للزرقة وسموه الجلَم أخذاً من الجلم وهو المقص تشبيهاً به لان له سرعة كسرعة المقص في قطعه [صبح ٢ : ٦١] .

(٥) «العفصي» طائر صغير اشتق اسمه من لونه إذ كان يشبه العفص — ورد في صبح الاعشى اسم العفصي «بالفقمي» . في التعليق عليه قال مصححه «العقصي» (؟) وكلاهما تحريف والصواب العفصي كما هنا للسبب الذي بينا — قال القلقشندي . هو باز قضيب قليل الصيد ذاهل النفس [صبح ٢ : ٥٧] .

وقالت الفرس لا يكاد الفرس والبازي يكونان حسني المنظر لا مخبر لهما ، ولا حسني المخبر لا منظر لها ، فان اجتمع المخبر والمنظر كان فائقاً .

« باب آخر »

كل ثوب من اللباس والفرش اذا كان ألين وأنعم وأسنى كان أرفع ، وكل علق من الجواهر والأحجار اذا كان أصفى وأضوأ فهو أنفس ، وكل حيوان من الوحشية والاهلية اذا كان أجسم وأطوع فهو آثر وأنخر ، وكل انسان من الشريف والوضيع اذا كان أعقل وأسهل فهو أجمل ، وكل امرأة حرة أو أمة اذا كانت اكثر سكوناً وأجمل حالاً وأنزر طعماً وأشكر للناس فهي أصون ، وكل طير من السهلية والجبلية اذا كان آلف كان آثر ، وكل طارف وتالد اذا كان أزكى وأجل فهو أهنأ ، وكل عدو صغير أو كبير اذا كان حمياً فهو أعدى وأشد حسداً ، ومن لم يعرف مأواه فمحذور قربه ؛

والدول تنتقل والأرزاق مقسومة فاجملوا في الطلب وارحموا المسكين واعطفوا على الضعيف تجازوا به وتثابوا ، والقضاء جالب يجلب الامور ، وخير النوم ما يذهب الاعياء والكسل ؛

ومعرفة الاشياء بالحواس الخمس جودة الشيء بالنظر ان يكون حسناً رائقاً ، وبالخيشوم اذا كان طيباً أرجاً ، وبالمذاق اذا كان حلواً عذباً ، وبالسمع ان يكون صافي الوقع والصوت ، وباللمس ان يكون ليناً ناعماً (١) .

وكانت العجم تقول القلب والبصر شريكان ، والطعم والحس متفقان ، والفطنة والحفظ رفيقان ، والسمع والمنطق مجتمعان .

وخير الناس السهل الطلق الوجه المتواضع ، وفراسة الرجل السوء ان يكون منقبضاً

(١) ذكر الجاحظ [الحواس الخمس] غير ما مرة في غضون تآليفه المطبوعة ، قال هي السمع ، والبصر ، والذوق ، والشم ، والمجسة — ولم يقل اللمس [كتاب الحيوان ج ٣ ص ٨٩] .

غير منشرح ، وان يُرى لونه الى الصفرة والكمود من غير مرض ، وان يكون طائش القلب ، وان يكون للدعابة والمزاح كارهًا له عائبًا ، وان تراه غليظ اللفظ عند المحاورة .

ومن فراسة الرجل الصالح ان تراه سهلاً طلقًا ذا منظر بهيّ وكلام شهيّ ، سبط الجبين غير منقبض ولا نزق علق قلق ، وغير كاره للدعابة والمزاح ، يذكر من يذكر بخير لين المحاورة متواضعًا .

وزعم سابور الملك انه ليس ينبغي للعاقل ان يعتدّ بقول سبعة من الناس بقول السكران ، والدلال ، والمضحك ، والعليل ، والعراف ، والنمام ، والنساء .

تم الكتاب ولله المنة والحمد كما هو اهله
وصلى الله على محمد وآله وسلم

تتمة للناشر

—(())—

رأينا من المناسب ان نثبت هنا فصلاً عقده الرحالة ابن الفقيه الهمذاني — وهو قريب من عصر الجاحظ — في (كتاب البلدان) له في « ذكر ماخص الله تعالى كل بلدة بشيء من الأمتعة دون غيرها » — وقصدنا بذلك مقابلة ما كتبه الجاحظ في باب « مايجلب من البلدان من طرائف السلع والامتعة وغير ذلك » وهو الوارد فيما من رسالته هذه ·

قال ابو بكر احمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه[1] :

ولولا ان الله عز وجل — خص بلطفه كل بلد من البلدان واعطى كل اقليم من الاقاليم بشيء منعه غيرهم لبطلت التجارات وذهبت الصناعات ولما تغرب أحد ولاسافر رجل ولتركوا التهادي وذهب الشراء والبيع والاخذ والاعطاء ، الا ان الله عز وجل أعطي كل صقع في كل حين نوعاً من الخيرات ومنع الآخرين ليسافر هذا الى بلد هذا ويستمتع قومٌ بامتعة قوم ليعتدل القسم وينتظم التدبير · قال الله عز وجل : « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا » وقال الله عز وجل « وقدّرَ فيها أقواتها » ·

فخص الله — جلّ وعزّ — بلاد « السند » « والهند » بانواع الطيب والجواهر كاليواقيت والالماس وغير ذلك من الحجارة الثمينة والكركدن والفيل والطاووس والاعواد والعنبر والقرنفل والسنبل والخولنجان والدارصيني والنارجيل والهليلج والتوتياء والقنا والخيزران والبقّم والصندل والساج والفلفل وعجائب كثيرة ؛ وخص اهل « الصين »

(١) [كتاب البلدان] طبعة ليدن سنة ١٣٠٢ ص ٢٥١ ·

بالصناعات واعطاهم ما لم يعط احداً فلهم الحرير الصيني والغضائر والسرج وغير ذلك من الآلات المحكمة العجيبة الصنعة المتقنة العمل ، ولهم ايضاً مسك الا انه ليس بجيد ، وقالوا انما يتغير في البحر لطول المسافة ؛ ثم « الروم » وما قد خصها الله عز وجل به من العلوم والآداب والفلسفة والاحكام والهندسة والحذق بالابنية والمصانع والقلاع والحصون والمطامير وعقد الجسور والقناطر وعمل الكيمياء ، ولهم من الديباج الرومي والبزيون ، وفي بلادهم الميعة والمصطكى ، ثم هذه البلاد وما خصت به من الرمي فهم رماة الحدق ولهم الخيل العجيبة والافراس السابقة ، وفي بلادهم معدن الزبرجد والذهب وزيهم شبيه بزي العرب كأنها قطعة من بلاد اليمن ؛ ولاهل « المغرب » البغال البربرية والجواري الاندلسية والنمور الزنجية ؛ ثم ما قد خص به اهل « مصر » من النيل وعجائب ما فيه من السمك والخيل والتماسيح ولهم السمك الرعاد والاسقنقور ، ولهم الثياب الديبقية والشطوية والقصب الموزون المسير وغير ذلك من انواع ثياب الكتان والصوف من الاكسية ، ولهم البغال المصرية والحمر المريسية والثياب التنيسية والاسكندرانية ؛ ولاهل (اليمن) الحلل اليمانية والثياب السعيدية والعدنية ، وفي بلادهم الورس والكندر ، ولهم النجائب المهرية والسيوف اليمانية ، وفي بلادهم القردة والنسناس وغير ذلك من أنواع العجائب ؛ ثم (العراق) قلب الأرض وخزانة الملك الأعظم وما قد خص الله جل وعلا به أهل الكوفة خاصة من عمل الوشي والخز وغير ذلك من أنواع الفواكه والتمور والقسوب ما قد عدم مثله بالبصرة والأهواز وبغداد والحجاز مثل الهيرون والمشان وقسب العنبر والبرشيان ، ولهم الأدهان الطيبة الكثيرة ؛ ثم قل في عجائب (بغداد) ما شئت التي قد اجتمع فيها ما هو متفرق في جميع الأقاليم من أنواع التجارات والصناعات ، ولهم الذي لا يشركهم فيه احد الثياب البيض المروية والزجاج المحكم من الأقداح والاقحاف والكاسات والطاسات والغضائر الحجرية ، ولهم الدارش واللكاء خاصة وفيهما أعجوبة ؛ وذلك ان الدارش يتخذ من هذا الجانب واللكاء من ذلك الجانب فلو جهد صاحب الدارش ان يتخذ من جانب صاحب اللكاء لأعوزه وكذلك لو جهد صاحب اللكاء ان يتخذ في جانب صاحب الدارش لتعذر عليه ذلك ، على انهم قد امتحنوا ذلك وجربوه ففسد وتعذر عليهم ، وقد حمل المعتصم بالله صناع القراطيس الى سر من رأى مع تربتها ومائها وامرهم باتخاذه هناك فلم يخرج منه

الا الخشن الذي يتكسر ؛ ولاهل كورة دجلة والسواد ومَيْسان ودَسْتَ ميسان من عمل الستور والبسط وعمل المَيْساني والحرير والدّرانك والدُّورَنْك وغير ذلك من أنواع الفرش والبسط ما ليس لأحد ؛ ولأهل (البصرة) من النخيل وأنواع التمور ماعدم مثله في جميع كور النخيل ؛ وذكر «الجاحظ» انهم أحصوا أصناف نخل البصرة دون نخل المدينة ودون مصر واليمامة والبحرين وعُمان وفارس وكرمان ودون الكوفة وسوادها وخيبر وذواتها والأهواز وما بها أيام المعتصم واذا ثلاثمائة وستون ضرباً من مغلّ معروف وخارجي موصوف وبديع غريب مع طيب عجيب ؛ ولأهل (الأهواز) انواع من السكر والتمور ؛ ولاهل (السوس) خاصة (وجُنْدَيْسابور) حذق في اتخاذ انواع ثياب الحرير والديباج وكذلك لاهل (تستر) ؛ ثم (الجبَل) وعجائبها وما قد أعطوا من الفواكه السرية الكثيرة والزعفران والأقطان واتخاذ طرائف الألبان كالجبن واللوز ؛ ولاهل (همذان) خاصة حذق باتخاذ المرايا والملاعق والمجامر والطبول المذهّبة التي قد فاقوا بها وباتخاذها جميع اهل الارض ؛ ولاهل (الريّ) الاطباق المدهّنة والحرير وآلات كثيرة يتخذونها من الخشب من الامشاط وغير ذلك من المالح والمغارف ، ولهم الاكسية البيض الطرازية والطيالسة البيض السرية والثياب المنيّرة ؛ ثم بغداد الثانية اعني (اصبهان) وما أعطي اهلها من طيب الهواء وعذوبة الماء والحذق بانواع الصناعات ، فلهم الثياب المروية والعتابية والملاحم العجيبة والحلل الابريسمية المنسوجة وغير المنسوجة والثياب السعيدية ؛ (ولفارس) فضل في اتخاذ الآلات الظريفة المحكمة من الحديد حتى لقد قال بعض الحكماء لما وقف على اشياء ظريفة عند بعض الملوك من آلات فارس : لقد ألان الله عزّ وجل لهؤلاء القوم الحديد وسخّره لهم حتى عملوا منه ماارادوا ، فهم احذق الامة بالجوامع والأقفال والمرايا وتطبيع السيوف والدروع والجواشن ، ولهم الثياب الجُنّابية والسينيزية ، ولهم الماورد الجوري والطين السيرافي والاكسية الفسوية والأدهان السابورية والثياب الكازرونية ؛ ولاهل (سجستان) عمل المشارب السجزية والكيزان وآلات كثيرة من الشّبَه والصفر ؛ ولاهل (طبرستان) و (الديلم) و (قزوين) حظ من عمل الاكسيه الرويانية والآملية واتخاذ الشستانك والمناديل واشياء كثيرة من انواع ثياب القطن والصوف والابريسم والكتان ؛ ولاهل (جرجان) من الابريسم ماليس عند غيرهم ومنها يحمل الى جميع البلدان

ولهم حذق باتخاذ الديباج والمقانع والثياب والستور وغيرذلك ؛ ولاهل (نيسابور) الثياب المحمة والطاهرية ، ولهم التاختج والراختج وليس هذا الا لهم ؛ ولاهل (مَرْو) الثياب المروزية والملاحم الفائقة التي هي اعلى الملاحم ؛ (وبخراسان) فواكه كثيرة سرية واعناب طيبة ، ولهم الزبيب الكُشْمِهاني والكِشمِش وبطيخ يقدّد ، وقد كان فيما مضى يُحمل بطيخها الى الخلفاء في قدور نحاس لشدة حلاوتها ولذّتها وطيبها (كذا بالاصل) ، ولهم الأُشْترغاز والأنجُذان والغُوشنة والكيلكان والرّخبين والمَاْبَن ، وبها معدن الفيروزج واللازورد والرُكُب المروية والثياب السمرقندية ، ولهم الأُشْكن والخلنج وبها الخُتُو ؛ (وبالترك) السمور والفَنَك ؛ (وبالتُبّت) المسك التُبّتي والدرق التبتية .

فسبحان من اعطى كلّ بلد نوعاً من الخيرات وجنساً من الصناعات ، وتبارك الله أحسن الخالقين .

توهم الميت حيا

« من كلمات اللغة »

—*—

كنت وانا أتتبع كلمات اللغة التي توهَّم أهل اللسان الحرفَ الزائد فيها أصليًا والتي بنيتُ عليها ثلاث مقالات[1] — كنت أجد أحياناً كلمات فيها شذوذ في صيغتها . وقد بنوا شذوذها على التوهم ايضاً . لكنه توهم عجيب الشكل . غريب الأمر :

توهمهم في الكلمات التي سردتها في المقالات الثلاث كان توهماً مبنيًا على مستند . وله أساس . أما هذه الكلمات (المكتشفة) فان توهمهم فيها لامستند يستند اليه . ولا سبب معقول يمكن الاعتماد عليه .

فاذا قلنا لهم : لماذا قلتم (تمنطق) بالميم ولم تقولوا (تنطّق) أجابوا باننا توهمنا أن ميم (منطقة) أصلية فاشتققنا منها (تمنطق) .

فهذا توهم له مستند وله أساس . ولصاحبه بعض العذر في مخالفة القياس . وأما الكلمات الجديدة فانهم خالفوا فيها القياس . وادعوا ان مخالفتهم مبنية على التوهم . لكنه (توهم مجرّد) عن العلة والسبب بينما التوهم في كلمات النوع الأول (توهم معلّل) له علته وسببه .

ومحصل القول ان في اللغة كلمات شاذة في صيغتها جعلوها من باب (توهم الحرف الزائد أصليًا) لكنني لم أر لهذا الجمل حظاً من النظر . وانما هم اعتبروا التوهم فيه بمقياس أوسع مما مر في تخريج كلمات المقالات الثلاث .

---

(١) راجعها في (م ٥ ص٢٠٥) و (م ١٠ ص١٢٩) و (م ١١ ص٥٣٩) من مجلة مجمعنا العلمي .

ومن تأمل حق التأمل في هذه الكلمات الآتية وجدهم اعتمدوا في اشتقاقها على أصول ميتة اعتبروها حية : ثم اشتقوا منها . فيصح لنا ان نقول انه اشتقاق مبني على (توهم الميت حيًا) .

***

رقم (٥١) — (كَنَّة — كنائن) (الكَنَّة) زوجة الابن قالوا في جمعها (كنائن) مع ان القياس أن تجمع على (كِنان) كما جمعوا (جنة) على (جنان) و (خَلّة) على (خلال) و (بغلة) على (بغال) و (قصعة) على (قصاع) وكما نجمع اليوم (جَنة) على (جان) .

هذا اذا لوحظ في لفظ (كنّة) أنه اسم غلب عليه الجمود لاصفة . وكذلك اذا لوحظ فيه أنه صفة من (الكنّ) بمعنى الستر كان القياس ايضاً ان يجمع على (فِعال) كما جمعوا (صعبة) على (صعاب) و (سَمحة) على (سماح) لكنهم لم يجمعوا (كَنّة) الا على (فعائل) فقالوا (كنائن) ولماذا ؟

قال (التاج) «كأنهم توهموا فيه كَنينة ونحوها مما يكسّر على فعائل» اه .

وقد حاول الأزهري صاحب التهذيب أن يجعل جمع (كَنّة) على (كنائن) مقيسًا في كل ما كان على وزن (فَعْلة) مضاعفًا . فكان في محاولته هذه متكلفًا متعسفًا . وبقي القول للجمهور الذين يمثلهم صاحب التاج في ان السبب في جمعهم (كنّة) على (كنائن) هو توهمهم ورود (كنينة) على وزن (فعيلة) .

وبيان ذلك انهم لاحظوا في (كنّة) معنى الصفة (كسَمحة) و (جَلدة) اللتين يقال فيهما ايضًا (سمينحة) و (جليدة) ومثلها كثير في صفات الاناث التي على وزن (فَعْلة) . أما (كنّة) فانها — وان كانت على وزن (فعلة) — لم يقولوا بها كنينة على وزن (فعيلة) .

نعم لم يقولوا ذلك قولاً واقعًا في الخارج لكنهم قالوه قولاً متوهمًا في النفس . وقد ظهر أثر هذا التوهم مذ جمعوا (كنة) على (كنائن) لأن (كنائن) على وزن (فعائل) هو الجمع القياسي لما كان على وزن (فعيلة) .

ومحصول القول إن العرب توهموا لفظ (كنينة) الميت حيًا فجمعوه على (كنائن) واستغنوا به عن (كنان) القياسي .

(٥٢) — (حَرّة — أحَرّين) (الحَرّة) هي الارض ذات الحجارة السود كأنها أحرقت بالنار وتجمع على (حرار) و (حرّات) جمعًا قياسيًا كما تجمع على (حرّين)

و (حرُّون) اي بالياء والنون والواو والنون جمعًا غير قياسي وانما هو معدود في شواذ جمع المذكر السالم نظير سنين ومئين وأرضين ٠

فالجموع الثلاثة (حرار ٠ حرّات ٠ حرُّون) إما مقيسة وإما غير مقيسة ولكن لها نظائر وهناك جمع رابع غريب الأطوار : لاقياس يعتمد عليه ٠ ولا نظير يستند اليه ٠ هو (أحرُّون) و (أحرين) يعني بالواو والنون أو الياء والنون على نمط جمع المذكر السالم ٠ وليس في هذا غرابة وانما الغرابة في وجود همزة في أوله فمن أين جاءت هذه الهمزة ؟ ؟ ؟

جاءت من قاعدة (التوهم المجرد) وهي التي سميناها قاعدة (توهم الميت حيًا) قال صاحب التاج : «من جموع (الحرّة) (أحرين) » وهو على توهم أن له مفردًا على (أحرّة) اهـ ٠

يعني انهم توهموا وجود كلمة في اللغة تدل على معنى (الحرّة) وتلك الكلمة هي (أحرّة) بالهمزة في أولها ٠ وبعد ان توهموها توهمًا أو يقال بعد ان توهموها حية وهي ميتة — عادوا لجمعوها على (أحرين) ٠ وزاد التاج عبارته السابقة قوة وتأييدًا فقال : « قال سيبويه وزعم يونس انهم يقولون حرة وأحرُّون كأنه جمع (أحرة) ولكن لا يتكلم بها اهـ » أي ان العرب لم ينطقوا بكلمة أحرة إذ هي ميتة كما قلنا ٠

أما الشاهد على مجيء (أحرين) في اللغة فهو رجز قاله (زيد بن عتاهية) وهو من أصحاب علي رضي الله عنه : فان عليًا أعطى أصحابه يوم الجمل خمسمائة خمسمائة درهم ولما انهزم زيد المذكور يوم صفين ورجع الى الكوفة ابتدرته ابنته قائلة (اين الخمسمائة ؟) فأنشد :

(إن أباكِ فرّ يوم صفّين   لما رأى عكًّا والاشعريين)
(وذا الكلاع سيد اليمانين   قال لنفس السوء هل تفرّين)
(لا خمس الا جندل الاحرّين   والخمس قد يجشمنك الأمرّين)
(جمزًا الى الكوفة من قنسرين)

فقوله (لا خمس الا جندل الأحرّين) معناه ليس لك خمسمائة درهم وانما لك حجار الحرّات ٠ وقد كنى بذلك عن الخيبة ٠

هذا ماقاله (يونس) ورد عليه (ثعلب) بان (الأحرّين) ليست جمعًا لحرّة (يعني على توهم أحرّة) بل هو جمع لكلمة (أحرّ) أفعل تفضيل من (الحُرّ) وهو الكريم ٠ فالأحرُّون هي المواضع التي تكون أحرّ وأكرم من غيرها وان جمع (الأحرّ) على (الأحرين)

لجمع (الاكرم) على (الاكرمين) و (الأطيب) على (الأطيبين) . لكن (السخاوي) في (سفر السعادة) أيد (يونس) في ان (الأحرّين) بالهمزة جمع (حرّة) من دون همزة ثم علل ورود هذا الجمع بما لا يسعنا ذكره هنا. فانت ترى ان جمع (حرة) على (أحرّين) مبني على توهمهم وجود كلمة (أحرّة) في اللغة العربية وهذا التوهم مجرد تحكّم أوهو من قبيل توهم الميت حيًا .

(٥٣) — (مُسَرّ — فهو مسرور ومُسَرّ) جاء في أمثال العرب (كل مُجْرٍ في الخلاء مُسَرّ) أصل هذا المثل أن رجلاً كان له فرس سماه (الأبيلق) وكان اذا خلا به في الفلاة سابق عليه الطير والرياح وكان يُسَرّ بشدة عدوه وسبقه في الخلاء حتى خُدع بذلك وأدخل أبيلقه في سباق الخيل بل لم يدخله الا برهن من اول الأمر . وتوقًا بسبقه في الميدان كما سبق في الخلاء . لكن (الابيلق) المسكين سُبق وخسر صاحبه الرهن فضربوا به المثل وقالوا : (كل مُجْرٍ في الخلاء مُسَرّ) اي مسرور يضربونه لمن يحمد ما في نفسه ولا يدري ماعند غيره من الفضائل . والشاهد في هذا المثل كلمة (مُسَرّ) بصيغة اسم المفعول من (أسره) لكن لم يرد في اللغة (أسره) وانما ورد (سَرّه) ثلاثيًا فهو مسرور :

إذن كيف قالوا في هذا المثل (مُسَرّ) ؟

أجاب صاحبا اللسان والتاج بما نصه : (قال ابن سيده : هكذا حكي هذا المثل أقار ابن لقيط : إنما جاء على توهم أسرّ اه) .

يعني انهم قالوا (مسر) لا مسرور بناء على توهمهم وجود فعل (أسر) في لغتهم . ولم يبين لنا ارباب المعاجم سبب هذا التوهم ومعتمده : توهموا الياء في (ميثاق) أصلية فجمعوها على (مياثيق) والياء حية في (ميثاق) ليست ميتة وموجودة غير معدومة اما قولهم في المثل المذكور (مسرّ) لا (مسرور) فأن (أسر) ميت غير موجود لكنهم توهموه حيًا فاشتقوا منه (مسرّ) .

(٥٤) — (أنبته — فهو منبوت) : كما توهموا وجود (أسره) الرباعي فاشتقوا منه (مسر) — توهموا وجود (نبته) الثلاثي فاشتقوا منه (منبوت) مع أن (نبته) ميت غير موجود وانما الموجود (أنبته) (والله أنبتكم من الأرض نباتًا) فاسم المفعول منه (منبت) لا منبوت . ومن أين جاء منبوت إذن ؟

اجاب صاحب اللسان في مادة (سرّ) وهو يشرح كلمة (مسر) الواردة في المثل السابق بقوله : ومثله منبوت في قول الشاعر ·

(وبلد يغضي على النعوت يغضي كاغضاء الروى المنبوت)

(اراد المنبت فتوهم نبته كما أراد الآخر المسرور فتوهم أسره) اه

واعلم ان الكلمتين وردتا في (لسان العرب) مصحفتين هكذا (مثبت وثبته) بالثاء المثلثة وهو خطأ وصوابه كما قلنا (منبت ونبته) بالنون كما في التاج والصحاح · ولم يفسر لنا صاحب اللسان معنى قول الشاعر (وبلد يغضي الخ حتى إن مصححه تبرأ من صحة معناه وقال : (هكذا هو في الأصل) ·

هذه كلمات اربع (كنائن) (أحَرُّون) (مُسَرّ) (منبوت) وردت في فصيح كلام العرب ودوّنت في معاجم اللغة وقد بنوا صحتها على قاعدة التوهم : اي توهم وجود (كنينة) (أحرة) (أسرة) (نبته) مع انها ميتة غير موجودة · وهذا مما يجعل (قاعدة التوهم) واسعة مطردة اكثر مما كنا نظن ويفسح لنا المجال فنحشر أغلاطاً كثيرة للعرب والمستعربين من الفصحاء الاسلاميين — في هذه القاعدة ونعتبرها صحيحة مقبولة في الاستعمال ·

على أن نزاع علماء اللغة حول هذه الكلمات الأربع ونظائرها — لا ينتهي عند حد ما قلته ونقلته في تخريجها وتوجيهها فان هناك دنادن حول امثال هذه الكلمات يمكن ترتيبها — على هذه الصورة :

(١) — قولهم (أحرون) (مسر) (منبوت) واشباهها — مما ورد على لسان رجل واحد من عرب الجاهلية — خطأ ولا عبرة به ولا ينبغي أن يتخذ أصلاً يقاس عليه ·

وهذا هو مذهب البصريين الذين هم عمدتنا في اللغة وتقرير قواعدها اما الكوفيون جزاهم الله خيراً فيعتبرون هذا المثال الواحد المخالف للقياس — كافيًا في صحته وصحة ماماثله وضرب على غراره ·

(٢) — ان قولهم (أحرون) (مسر) (منبوت) ونظائرها ليست خطأ بل هي واردة على القياس :

فأحرون إنما هي جمع (أحرة) (ومسر) اسم مفعول من (أسره) ومنبوت من (نبته) ·

(وأحرة) و (أسره) و (نبته)— مما نطق به العرب حقبة من الزمن اشتقوا في خلالها

كلمات (أحرون ومسر ومنبوت) ثم انهم اخيراً أماتوا الاصول وهي (أحرة) (أسره) و(نبته) فلم يستعملوها وأبقوا على سلالتها — الجمع واسمي المفعول— فاستعملوها في اشعارهم وامثالهم وجاءعلماء اللغة فدونوا المشتقات والسلالات وأهملوا الأصول والامهات . ونظير ذلك ما فعلوا في فعلي (حب) و (أحب) مثلاً فان اهل اللسان أحيوا (محبوب) وأماتوا (حبه) الا قليلا وأحيوا (محب) وأماتوا (حاب) ولهذه الإماتة والإحياء نظائر يعرفها اللغوي :

(٣) — إن كلمة(أحرة)وفعلي(أسره) (ونبته)مما نطق به العرب واستعملوه ولم يميتوه لكن أرباب المعاجم أهملوه أو اغفلوه لسبب من الاسباب فلم يدونوه في المعاجم كما أغفلوا الكثير الطائل من فصيح كلام العرب حتى ذهب بعضهم الى ان ارباب المعاجم لم يدونوا الا النصف من كلمات اللغة وان ما فاتهم أو صُرفوا عنه اكثر مما ظفروا به أو هُدوا اليه . وذكر ابن فارس في كتابه (الصاحبي) أن علماءنا او اكثرهم ذهبوا الى ان الذي انتهى الينا من كلام العرب هو الاقل قال : ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير انتهى . وهذا نحو (تبدى) بمعنى ظهر و (معتمد) بمعنى عمده الوجع و (يسوف) بمعنى يشم الخ وهكذا يقال في كلمات (كنينة) بمعنى (كنة) و (أحرة) المفرد بمعنى (حرّة) وفعل (أسرّه) وفعل (نبته) بمعنى (سرّه) و (أنبته) فان العرب نطقوا بهــا ولم يميتوها كما تُوهم . وانما أماتها أرباب المعاجم أنفسهم . على ان أرباب المعاجم — وان اماتوها — رأيناهم من جهة ثانية قد أشاروا اليها ودلوا عليها : فلم يبق علينا الا البحث والتنقيب في كتب اللغة التي لم تنتشر ولم تطبع . بل إن هناك مصنفات في غريب اللغة خاصة لم تصل الينا ولم ندر أين مكانها . فلعلنا اذا ظفرنا بها وجدنا كلمات : (كنينة) و (أحرّة) و (أسرّه) و (نبته) . ويكون شأننا مع هذه الكلمات التي لم تدوّن ونتعب في التنقيب عنهـا شأن علماء الفلك مع نجيمات تدلهم الأرصاد . والمواقع والأبعاد . ونواميس الجاذبية العامة على وجودها في رقعة أومنطقة من السماء معينة وان لم تكن ظاهرة للعيان الآن . ثم لا يلبث ان يصدق ظنهم ويتحقق حدسهم فيعثروا هم أوغيرهم على النجيمة أو الكوكب في الحيّز الذي عينوه ورسموه . وهكذا علماء اللغة قالوا لنا : إن هناك كلمات نطق بها العرب ولم نظفر بها نحن . لكننا وجدنا ما يثبتها ويدل على وجودها فابحثوا عنها أنتم ونقبوا . فلعلكم في العثور عليها موفقون .

«المغربي»

فن الجاحظ

— ٣ —

« لغته[1] »

أحاط الجاحظ بخصائص اللغة ووقف على مجاريها ومصارفها وتبحّر في جلائلها ودقائقها فقد ذكرت لكم انه صوّر كل معرض من معارض الحياة ولكن الكاتب اذا شاء أن يصوّر الحياة على هذا الشكل لزمه أن يحب الكلمة وأن يشعر بها كما يشعر بكل جزء من أجزاء الحياة وهذا ما انصرف اليه الجاحظ فكل ما يمكنه الكاتب أن يصنعه بالألفاظ صنعة الجاحظ فقد عرض على ذهنه مفردات اللغة بجذافيرها ثم ألّف بينها تأليفاً محكماً ، عرض مفردات العلوم والصناعات ومفردات الحركات والأفكار ومفردات الجد والهزل والخلاصة عرض مفردات العالم بمجامعها .—

أعظم خصائص الجاحظ في هذا المعنى تفقهه في اللغة فهو ينزل اللفظ في منازله ويصبه في قوالبه بحيث لو فتشنا عن لفظ آخر للمعنى الذي يمثله لنا لما وجدنا لفظاً غيره يقوم مقامه أو يسدُّ مسدّه ، ولم يقتصر في هذا التفقه على باب من أبواب المعاني أو على نوع من انواع الأفكار وانما اعطى المعاني حقوقها من الألفاظ في كل فن من الفنون في الطب والفلسفة والصناعة والعلم وفي غير هذا كله من مذاهب الفكر فلا تجدن في فلسفته الا الفاظ الكم والكيف وما يماثلها من مصطلحات الفلاسفة وكذلك شأنه في كل باب من الأبواب فهو يستعمل لكل معنى من المعاني اللفظ الذي خلق لهذا المعنى فاذا أحبَّ مثلاً ان يصوّر لنا كسر الأعضاء قال : فقأ العين وهشم الأنف وهتم السن ودق العظم واذا

---

(١) هذه آخر محاضرات الاستاذ شفيق جبري وقد شرع في طبعها في كتاب خاص : سماه : الجاحظ معلم العقل والأدب .—

احب ان يمثل تجريد الاجسام من اغطيتها قال · سلخ الجلد ونغض الورق و كشطت الشمس جلودهم وكذلك لغته في تصوير فساد الاجسام كقوله : نغلت الجبنة او في تصوير اصوات الحيوان كقوله : شحيج البغل ونهيق الحمار او في تصوير الشرب كقوله : يلغ في الدم او كقوله : الحسو والعبة والنغبة او في تصوير بيوت الحيوان كقوله : الأفاحيص والتاريد الى غير ذلك من خصائص تفقهه فهو آخذ بمخنق اللغة لا يفوته لفظ من الفاظها ولا يغفل عن سر من اسرارها ·—

وإذا عمدتم الى آثار الحياة الخاصة وجدتم ان الجاحظ قد اتقن لغة كل اثر من هذه الآثار مهما كان حقيراً فقد اتقن لغة البخيل مثلاً فيستعمل في تصوير البخل الفاظ البخلاء كالحبات والقراريط والدوانيق والأرباع والأنصاف واشباهها واتقن لغة الطبخ كالشواء والانضاج واستحلاب الدسم وتعرق العظم والقفار والمسمون واتقن لغة الطعام بجذافيرها كالشبارقات والأخبصة والفالوذجات وما يقاربها واتقن لغة الماعون كالجفنة الأعشار او القصعة المشعبة او الجرة المكسورة العروة او الحب المقطوع الرأس ·—

انكم لتذكرون ان الجاحظ يميل في فنه الى الصور المحسوسة القريبة من كل حاسة من حواسنا وكما اولع بالصيغة المحسوسة فقد اولع باللفظة المحسوسة التي تؤثر في حواسنا فكأنما صاغ لغته ليعرض على انظارنا اشكال هذا العالم الظاهر : عالم الحركات والهيآت والطعام واللباس واضراب ذلك فلستم تجدون في لغته الآمثال قوله : تغمس خراطيمها — يتطوس لها — يتموج في اهابه — يتخلج — تعاريج ريشه — تهاويل الوانه — التوبير الى اشباه هذه اللغة المحسوسة ·—

ومن ولعه بهذه الطبقة من الالفاظ كان الجاحظ لا يتحامى في بعض الأوقات الفاظاً نجدها في عصرنا هذا بارزة عن ظل الطهارة كألفاظ المناكح وما ضارعها ولا عجب في ذلك فان الجاحظ من اصحاب الأدب الواقع ·—

وعلى الرغم من تبحر الجاحظ في اللغة وتفقهه فيها لم يجمد في هذه اللغة فقد تتبع مذاهب الفكر واعطى كل طور من اطوار هذا الفكر حقه من الكلمات فاذا عرضت له طائفة من خصائص بعض الحيوان كالجاموس وكالخنزير او من خصائص بعض الأجسام كالنار اشتق هذه الخصائص من الاسماء نفسها فقال : الجاموسية والخنزيرية والنارية والحيوانية

والجوهرية وعلى هذه الصورة اثبت ان لغة العرب مستعدة للحياة متـأهبة لمجاراة اوضاع هذه الحياة ومذاهبها .—

وقد ذهب في هذا كله مذهبًا أبعد فلم يتجنب في بعض الأوقات الألفاظ الأعجمية كلفظة : سوارست وامثالها .—

واذا وجدنا في بعض لغته شيئًا من الغموض فقد تكون هذه الألفـاظ الغامضة انما هي الفاظ تاريخية وأريد بها الألفاظ التي كانت تدل في عصر الجاحظ او في العصور التي تقدمته على معنى من المعاني كالطعام واللبـاس والسلاح وما ماثل ذلك.ثم ذهب هذا المعنى بذهاب الذين كانوا يستعملونه فبقي الاسم وانطوى المسمى فلا نستطيع ان نتصور الاسم لاننا لا نرى المسمّى ولا نعرفه ، من هذا الشكل أسماء بعض الطعام كالعنب النيروزي والعنب الرازقي أو اسماء بعض اللباس كالقلنسوة الخدرية او اسماء بعض السفن كالجعفرية مثلاً .—

هذا آخر ما خطر بالبال من الكلام على لغة الجاحظ فقد ادركتم ان اللغة القت الى الجاحظ طاعتها فصرّفها في كل شيء وما أريد ان افرغ من هذا الموضوع قبل ان ابيّن لكم على سبيل الاستشهاد مقدار اهتمام الافرنجة باللغة وبانتخاب الألفاظ .—

قال أناتول فرانس Anatole France في مقال له بحث فيه عن اسلوب لافونتين La Fontaine :

«كان لافونتين يولع بالكلمات ويعرف كيف ينتخبها ، ولا يكون المرء كاتبًا الا اذا احسن اختياره للالفاظ ، فالكلمات هي افكار ، ولا سبيل الي الاصابة في الحكم الا بالتمكن من النحو والمفردات الصحيحة ، واظن ان الشعب الاول في العالم انما هو الشعب الذي يملك احسن الاصول في النحو وتنسيق اللفظ ، قد يقع في اغلب الحالات ان الرجال يتناحرون بسبب كلمات لا يدركون معانيهـا ، ولو فهم بعضهم كلام بعض لتعانقوا ، ولا شيء يعمل على رقي العقل البشري مثل معجم بضيء ذلك كل شيء .

يحب لافونتين العبارات القديمة فاذا وقع نظره على كلمة قديمة ، جزلة المعنى استخرجها من موضعها وضمنها شعره في المقام المناسب .

كان كثيراً ما يقرأ الروايات ، وقد قرأ منها قديمها وحديثها » اهـ .

وقال رودس Roudés في كتابه الخطيب العصري :

« اما وقد عرفتم كيف السبيل الى استخراج المعاني من مكامنها ، والمعاني هي مادة الخطاب والركن الذي يبنى عليه ، ولولاها لما تمهدت لكم المداخل على الكلام اما وقد عرفتم ذلك كله فقد لزمكم ان تتبسطوا في استظهار المفردات حتى تتمكنوا من الافصاح عما يزدحم في صدوركم من متباين المعاني على اشكال تستعطفون بها القلوب وتجعلون للمعاني رونقاً وحياة :—

اجل فقد لزمكم ان تحفظوا من الألفاظ ما اعان عليه الامكان حتى لا ترتبكوا في الكلام فاذا فاتتكم لفظة من الألفاظ لجأتم الى غيرها واذا وردتم معنى من المعاني تيسر لكم الصدور عنه فبدلتم وعدلتم من غير ان يساوركم شيء من العجز عن ذلك .—

ومن قل حفظه للألفاظ صعبت عليه مذاهب البيان فلا يجد الى الافصاح سبيلاً ، فاذا لم يجتمع في الذهن طائفة كبيرة من الألفاظ التي تضافر على توضيح معنى من المعاني ذهب هذا المعنى من الصدور ، واذا لم تأخذوا انفسكم باستظهار الألفاظ والتعمق في الالمام بمعناها الحقيقي والمجازي ، والوقوف على ما يشاكلها ويجانسها ، وعلى ما يخالفها وينافرها ، اخفقتم ولم تظفروا بحوجائكم من البيان .—

كان الشاعر تيوفيل غوتيه يقرأ على ما يظهر صفحة من معجم لغوي في كل يوم زمن المحتمل ان بلذاك ، وبودلير ، وفلوبر ، وكلهم كتاب واقفون على اسرار اللغة بمجامعها كانوا يمعنون في هذه الكتب الضخمة (المعجمات اللغوية) التي تشتمل على عبقرية الامة وتنعكس فيها مظاهر حضارتها ، على تباينها في متعاقب الاحقاب .—

فمن الصواب على ما اعتقد ان نتقيل طرائق هؤلاء الكتاب فنقرأ في كل يوم صفحة من صفحات المعاجم اللغوية ، فان كثيراً منا يثابرون على تلاوة روايات الجرائد فلم لا نجد من يطالع صفحة من صفحات لاروس Larousse ؟

رب كلمة تمر بذهن رجل ذي مخيلة فتدخل له في ذهنه عالماً بجملته ، او حكايةً او نادرةً من نوادر التاريخ ، او منحىً من مناحي الطبيعة ، او مدينة من المدن ، اوعصراً من العصور ، وليس من السآمة في شيء ان ينتقل الفكر من مبتدإ الازمان الى منتهاها ، ومن

العلل والمقدمات الى النتائج ، ومن هوميروس ، الى هوغو ، وان يجمع المرء من الألفاظ ما ينفعه في غد ٠—

بيد ان معرفة الألفاظ وحدها لا تكفي المرء مؤنة الابانة عن هواجس فكره على صورة تلائم ، واسلوب يناسب ، فان من الضروري ان يعرف المرء كيف يصل هذه الألفاظ بعضها ببعض وان يركب منها جملاً صحيحة ، واضحة المرمى ، يسهل على الذين يسمعونها ادراكها وفهم معانيها والسبيل الى ذلك ان يستخرج المرء من الكتب والخطب العبارات الجميلة بانسجامها وتناسقها ٠—

وعلى هذه الصورة تجمعون لانفسكم مجموعة تضمون اليها في كل يوم طرائف حديثة ترجعون اليها ، فيتدرب ذهنكم على أساليب البيان ، وتقفون على اتصال الألفاظ بعضها ببعض فيكون لكلامكم رقة وطلاوة ٠—

شفيق جبري

بسم الله الرحمن الرحيم

« وبه نستعين (١) »

قد قدمت فيما قبل هذا الجزء من هذه الأخبار عن سبب جمعي لها وأفصحت عن معنى(٢) فيها وكررت ذلك في رسالة كل جزء وان تغيرت العبارة إما تصريحًا او اشارة وأعلمت قارئها ومكرر النظر فيها انها نوع لم

(١) «المجمع» أرسل الينا العلامة مرجليوث عضو مجمعنا العلمي في انكلترا هذا الجزء من النشوار لننشره تباعًا في مجلتنا كما نشرنا أخاه الجزء الثامن في مجلد السنة العاشرة ثم نجرده كتاباً مستقلاً . وقد رأينا ان نبقي بعض أخطاء هذه النسخة على حاله لأن في تصحيحه وتأويله تشكيكاً وترديداً يزيدان القارئ حيرة وبلبلة ، على ان في ترك بعض الأخطاء تمثيلاً للنسخة الأصلية، وتصويراً لها في ذهن القارئ ، ودلالة على ما كانت عليه لغة التخاطب في العهد العباسي لأن كثيراً من تلك الكلمات او الاستعمالات ليس عربيًا محضًا وانما هو محدث مولد ، وفي ذلك فائدة يقدرها علماء اللغة والتاريخ قدرها ، وقد يرد في هذه النسخة كلمات فيها سخف وبذاء فضلنا ان نخلي مكانها، وان نستبدل بياضًا بسوادها . هذا وقد بقي من أجزاء «كتاب النشوار» نحو ثمانية أجزاء لم يعثر عليها بعد ، فنرجو ممن عثر على شيء منها ان يهدينا اليه فيستحق شكرنا وشكر عشاق الأخبار . والمنقبين عن الآثار .

وقد وجد في طرة هذا الجزء قبل البسملة مانصه :

« الجزء الثاني من اختيار المذاكرة ، ونشوار المطالعة ، وابتكار المحاضرة ، للتنوخي »

(٢) لعله : معناي او مغزاي .

أسبق الى كتبه لانها مقصورة في الأكثر على ان نتذاكر بها لاحتوائها على ضروب من الأحاديث السابقة والسالفة في زماننا التي تُظلم عندي بان لاتكتب وتضمنتُ خلطها بفنون من طريف السِيَر والحكايات وحديث الاتفاقات والمنامات وغريب الرقاو الامتحانات وأخبار ضروب الناس من اهل والمهن والصناعات والملوك والرؤساء واهل . . . . (١)
ات وغيرهم من الاخلاط والأوساط وعجيب . . . .
عاملات وتمليحها بطرف الشعر وجديد . . . .
ضمني وإياه دهرٌ دون ان يقارب زماني . . . .
زمانه واشتهر حذقه واحسانه . وشرحت العلة في ترك تبويبها واستفادة خلطها دون ترتيبها . ونبهت على الفوائد التي تتضمن وتجمع واعتذرت مع ذلك الى من لعلها لاتنفق عليه . اوتكسد وتبور لديه : بأن قلت انها على كل حال خير من مواضعها بياضاً وذكرت انها تصلح لمن قد فرغ من اكثر العلوم واشتهى قراءة ما يدله على أخلاق اهل الأزمنة وسننهم وطرائقهم وعاداتهم وان يقايس بين مانحن فيه ومامضى ليعلم كيف ماتت الدنيا وانقلبت الاهواء وانعكست الآراء . وفُقدت المكارم . وكثرت المحن والمغارم . وهلك أهل الفضل والتفضل . وتلف أهل الستر والتجمل . وصغرت الهمم . وتلاشت النعم . وفقد الجمال . وعدم النبل والجلال . في اكثر الخصال . وجمهور الرجال . وحقاً أقول لو عاش حكيم من اهل تلك الأزمنة حتى يرى ما حصلنا عليه

(١) هذا البياض موضع تمزيق مبادي السطور في النسخة الاصلية . .

ودفعنا اليه ماشك في قيام الساعة . أوأن الناس بُدّلوا بهائم مهملة . اوجعلوا آلات غير مستعملة . لفقد الاحرار وشدة الاعسار . وبطول المكاسب وتواتر النوائب . وحدوث السنن القبيحة والعوائد السيئة الفضيحة . ونسأل الله العظيم فرجاً عاجلا وصلاحاً للعالم شاملا . إنه سميع مجيب رحيم ودود ذوالعرش المجيد . فعّال لما يريد . وهو تعالى حسبنا ونعم الوكيل والمعين .

***

حدثني ابو العباس محمد بن نصر الشاهد قال كان ابو عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي كتب الى ابي جعفر بن معدان ان يختار له وكيلاً ينظر له في ضيعته بالأهواز فاختار له عمرو بن محمد الأشجعي صاحبه فنظر في الضيعة سنة ثم ولي الكرخي الأهواز ووردها فطالب الاشجعي بالحساب فرفعه . وتتبعه كاتبه . فخرّجوا عليه فيه ستة آلاف دينار . فأمر الكرخي فلوزم الاشجعي في دهليزه وطولب بالمال . فكتب الى ابن معدان بخبره . قال فكان رسم الكرخي ان يستدعي اباجعفر بن معدان في كل يوم الى طعامه . فاستدعاه في ذلك اليوم فتأخر وراسله بأنه من كان صاحبه وثقته واختياره متهماً مسلطاً عليه محالات الكتّاب معتقلاً — لا يستدعى للمواكلة . قال فامتنع الكرخي من الاكل وأنفذ اليه الأشجعيّ مع كاتب له والحساب وقال والله ما كنت بالذي ادّعي محالاً يستمر على صاحبك وماأخرج عليه الاشيئاً صحيحاً وقد يجوز ان يكون ضيع ذلك ولم يتناوله ولعمري ان من يكون اختيارك وثقتك لايخون ولم يك ملازَماً . وانما أجلسته انتظاراً لك لتجيء فتدبر امره .

واذا كان ذلك قد شقّ عليك فمالي لك . وهذا الرجل والحساب إن شئت ان تستوفي لي ذلك او بعضه او تدعه جميعه فافعل ولا تتأخر عني فلست آكل او تجيء . قال فاطلق الاشجعي الى منزله وركب هو الى الكرخي ثم لم يعاود احدهما صاحبه في معنى الاشجعي بكلمة وفاز بالدنانير ومضت القصة على ذلك .

***

حدثني القاضي ابو بكر محمد بن عبد الرحمن بن احمد بن مروان قال حدثني خالي محمد بن هارون قال قال لي بعض أصحابنا قال كنت في بعض الليالي أنظر في كتاب التشريح لجالينوس قال فغلبتني عيني فرأيت هاتفاً يهتف بي ويقرأ « ما أشهدتهم خلقَ السمواتِ والارض ولا خلق أنفسهم وما كنتُ متخذ المضلين عضداً » فاستيقظت ومزقت الكتاب .

***

وحدثني القاضي ابو بكر قال حدثني مكرم بن بكر قال كنت في مجلس ابي حازم القاضي فتقدم رجل شيخ ومعه غلام حدث فاستدعى الشيخ عليه الف دينار عيناً ديناً فقال له ماتقول فأقرّ قال فقال للشيخ ماتشاء ؟ قال حبسه ، فقال للغلام قدسمعت فهل لك في ان تنقده البعض وتسأله الإنظار ؟ فقال لا ، فقال الشيخ إن رأى القاضي ان يحبسه قال فتفرس ابو حازم فيهما ساعة ثم قال : تلازما إلى ان أنظر بينكما في مجلس آخر ، قال فقلت لابي حازم وكانت بيننا مودة وأنسة — لِمَ أخّر القاضي حبسه ؟ فقال ويحك إني أعرف في اكثر الأحوال في وجوه الخصوم وجه المحق من المبطل وقد

صارت لي بذلك دربة لا تكاد تخطئ ، وقد وقع لي ان سماحة هذا الغلام بالإقرار هي عن بلية وامر يبعد عن الحق وليس في ملازمتهما بطلان حق ، ولعله ان ينكشف لي من أمرهما شيء اكون في الحكم على ثقة ، اما رأيت قلة تغاضبهما في المناظرة وقلة اختلافهما وسكون جأشهما مع عظم المال ، وما جرت عادة الاحداث بفرط التورع حتى يقرّ مثل هذا طوعاً عجلاً بمثل هذا المال قال فبينا نحن كذلك نتحدث إذ استؤذن على ابي حازم لبعض وجوه تجار الكرخ ومياسيرهم فأذن له فدخل وسلم عليه وسبّب لكلامه فأحسن ثم قال : قد بليت بابن لي حدث يُتلف مالي في القيان والبلاء عند مُقَيّنٍ يعرف بفلان ، وأسماه ، فاذا منعته مالي احتال بحيل تضطرني الى غرم له ، وإن عذلته عن ذلك وعددت حالي معه طال(١) ، وأقرب به اليوم انه قد نصب المقين ليطالبه بالف دينار عيناً ويجعل ذلك ديناً حالاً وبلغني انه قد تقدم الى القاضي فيطالبه فيحبس وأقع مع أمه في بلية وتنغيص عيش الى ان أؤدي ذلك عنه الى المقين، فاذا قبضه المقيّن حاسبه به من الجذور(٢) ، ولما سمعت ذلك بادرت الى القاضي لأشرح له الامر فيداويه بما يشكره الله تعالى عليه ، فجئت فوجدتهما على الباب . فحين سمع ابو حازم ذلك تبسم وقال لي كيف رأيت قال فقلت هذا ومثله من فضل الله عزّ وجل على مولانا القاضي وجعلت أدعو له . فقال عليّ بالغلام والشيخ فدخلا فأرهب ابو حازم الشيخ ووعظ

(١) يعني طال تعدادي من دون فائدة .

(٢) الجذور اجور القيان جمع جذر .

الغلام فأقرّ الشيخ ان الصورة كما بلغت القاضي وانه لاشيء له عليه ، واخذ الرجل بيد ابنه وانصرفا .

قال لي القاضي كان مكرم هذا من فضلاء الرجال وعلمائهم وكنت أرى رجلاً يدعوه اباجدي فقلت له ماغرضك فقال ألست تعلم ان ابا الجذي هو التيس .

***

أنشدني ابو علي محمد بن الحسن بن المظهر الحاتمي قصيدة له في سيف الدولة وهي :

دنوّ فراق خلف الصبر نائيا ووجد محبّ غادر الدمع جاريا
وقفت بمغنى الشوق أنشد أهله فحاكى بلى جسمي هناك المغانيا
حكى نفسي فيها صباها وأدمعي حياها واعضاي الطلول البواليا

يذكر فيها :

وكفل أرواح العداة الى الوغى حساماً مليّاً بالذي رام وافيا
ساصفحه ينبو على ان حده يبيد أعاديه ويغني المواليا
كذا النار تهدي في الضلالة سارياً وتحرق من عادت وتنفع صاليا
جعلت الظبى كأساً تدير دم العدى ووقع الظُبى الالحان والحرب ساقيا
فان كان بيت المال أصبح عاطلاً لديك فقد أضحى بك المجد حاليا

***

أنشدني احمد بن عبدالله المعروف بالبحتري القاضي البغدادي لابي العلاء صاعد بن ثابت قال أنشدني لنفسه :

ثنتان من همتي ما ينقضي اسفي عليهما ابداً من خيفة الفوت
لم احبُ منتجع الدنيا بجملتها ولاحميت الورى من صولة الموت

فاجتمعتُ مع ابي العلاء صاعد بعد ذلك بواسط في جمادى الاولى سنة ٣٦٥ فسألته عن البيتين فقال غلط عليّ وما اخبرته انهما لي فقلت فلمن هما فقال كان ابو الحسن بن ابي داود كاتب الوقف بالبصرة حدثني باسناد ذهب عني ان ملكاً من ملوك الهند حارب ملكاً فقُتِل في المعركة فألفاه بعض أصحابه طريحاً بين القتلى وفيه بقية من الروح فنزل اليه فقال هل لك من حاجة فأنشده لنفسه شعراً فُسِّر ونقل فكان هذان البيتان في جملة الشعر .

***

أخبرنا ابو القاسم حسين بن محمد بن نبيل : كهل كان من اولاد الجند ببغداد فخرج الى الأهواز وأقام بها يكتب لعلي بن احمد الخراساني حاجب معز الدولة وكان اديباً سماعة لكتب اهل الأدب وكان إماميّ المذهب قال رأيت في بيمارستان البصرة رجلاً من الكتاب محبوساً يقول الشعر فأنشدني لنفسه :

أُدافع همي بالتعلل والصبر وأمنع نفسي بالحديث عن الفكر
وارجو غداً حتى اذا جاءني غد تزايد بي همي فيُسلمني صبري
فلا الهم يسليني ولا الغم ينقضي ولا فرج يأتي سوى أدمع تجري
الى الله أشكو ما ألاقي فانه عليم باني قد تحيرت في أمري

قال وأنشدني ايضاً لنفسه :

أي شيء يكون اقبح منا ان نقضنا عهد الاخاء وخُنا
ان في حرمة المودّة ان نغـ ـضي جميعاً عن الخيانة منا
واذا ما أصابنا الدهر بالعيـ ـن رددناه بالتغافل عنا

قال وأنشدني لنفسه :

ما بال دمعكِ اين الدمع ياعيني عسى اصابتك عين الدهر بالعين
اني لأجزع من فقد البكاء كما قد كنت اجزع قبل البين للبين

***

كان يلزم ابي بالأهواز شاعر يعرف بابي الخير صالح بن لبيب فدخل اليه يوماً وانا حاضر فأعطاه رقعة صغيرة فقرأها ابي وتبسم وامر له في الحال بدراهم وانصرف فأخذت الرقعة فاذا هي تحية وفيها :

يامن أرقّ له السماح ندى أضحى به الأحرار في رق
فضلاً سبقت العالمين به والفضل مقصور على السبق
ألزمت نفسك غير لازمها وعرفت لي حقين لا حقي

ودخل اليه يوماً شاعر يعرف بالهمذاني لا أعرف اسمه ولا نسبه فدفع اليه رقعة فيها :

كفى القاضي رضاي بما ارتضاه ولم أذم رضاي ولا رضاه

فأمر له في الحال بجائزة سنية .

أنشدني غير واحد من الشيرازيين للامير عضد الدولة ابي شجاع بن ركن الدولة أبي علي :

بهطّة قصر عن وصفها ‏ ‏ بابدع الاوصاف بالزور(١)
كأنها في الجام مجلوة ‏ ‏ لآليٌ في ماء كافور

وله ايضاً :

رأيت بساطاً للزبرجد ناضراً ‏ ‏ قد ابرز أطرافاً تعد قحافا
قحافاً من البلور ملأى وفرّغا ‏ ‏ ومجروحة منه رفعن سجافا
تحث كؤوساً للندامى كؤوسها(٢) ‏ ‏ وتترك احلام الحليم سخافا

وقال ايضاً :

نحرنا بيننا دنّا ‏ ‏ فعاد الليل اصباحا
وداجا(٣) نحره مثل الـ ‏ ‏ ـغُرابَيْنِ اذا صاحا

. . .

حدثني ابو العلاء صاعد بن ثابت قال كتب اليّ القاضي ابو القاسم علي ابن محمد التنوخي جواب كتاب كتبته اليه :

« وصل كتابك :

فاشككت وقدجاء الرسول به ‏ ‏ أن الشباب أتاني بعد ما ذهبا »

« البقية تأتي »

---

(١) الصواب في يتيمة الدهر (٢ : ٣)

بهطّة تعجز عن وصفها ‏ ‏ يا مدعي الاوصاف بالزور

والبهطّة الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء وهي كلمة سندية كما في اللسان .

(٢) لعله سقاتها . (٣) تثنية وداج بمعني الودج وهما عرقان في العنق ينتفخان عند الغضب .

مطبوعات حديثة

—*—

أمراء الشعر العربي

— في —

« العصر العباسي »

[للاستاذ انيس المقدسي]

٤٣٦ صفحة — المطبعة الأدبية = بيروت سنة ١٩٣٢

اعتادت طائفة من الباحثين في أيامنا هذه أن يصدروا كلامهم على شاعر من الشعراء أو على كاتب من الكتاب بتصوير العصر الذي ظهر فيه هذا الشاعر أو هذا الكاتب وعلى هذه الآثار مشى الاستاذ أنيس المقدسي في كتابه المشتمل على دراسة سبعة شعراء وهم: أبو نواس وأبو العتاهية وأبو تمام والبحتري وابن الرومي والمتنبي والمعري .—

بحث الكاتب في فاتحة كتابه عن العوامل السياسية في خلافة بني العباس وعن أطوار الحياة الاجتماعية وعن مجاري الحركة الفكرية .—

ولكن هل استطاع أن يبيّن مقدار اتصال الشعراء الذين يتكلم عليهم بالعصر الذي صوّره فقد بحث مثلاً عن تجزء دول المسلمين ثم تعرض لبيان تأثير هذا التجزء في الأدب، فما هو هذا التأثير الذي ذكره، ان هو الا مزاحمة حواضر الاسلام لبغداد في الأدب والعلم، ولكن هل يكفي مجرد ذكر هذا التأثير أفما كان من الواجب على الباحث أن يشير إلى « تطور » الادب في انحداره من بغداد إلى حواضر الاسلام وأن يوضح خصائص الأدب في وحدة المسلمين وخصائصه في تجزء دولهم .—

وكأنه أراد أن يتمم هذا النقص فلما بحث عن غارات الروم على أطراف الممالك

الاسلامية أشار إلى أن لحروب الروم أثراً في الأدب ظهر على شعر ابي تمام والبحتري والمتنبي ولكنه لما تكلم على هذا الأثر في شعر المتنبي اقتصر على أن يذكر أن روح الجهاد مستفيضة في كثير من مدائحه في سيف الدولة او انه رأى الجيوش في ساحة الحرب او انه شاهد الابطال ولم يكشف الغطاء عن خصائص هذه الروح فلسنا نعرف شيئاً في كتابه عن مبلغ فن المتنبي في وصف المعارك وعن لغة هذا الفن .—

وكذلك شأنه في كلامه على الحالة الاجتماعية في عصر بني العباس فقد وصف ترفهم أحسن وصف وصوّر بذخهم اتم تصوير ولكنه لما وصل الى الكلام على البحتري تعرّض لمنزلة البحتري في وصف القصر المعروف بالكامل فلم يقل كلمة واحدة في طبيعة هذا الوصف وخصائصه على ان كتابه أدبي ولم يكن تاريخاً من التواريخ فكان من الواجب عليه ان يفيض في الكلام على فن الشعراء مقدار افاضته في الكلام على العوامل السياسية او الاجتماعية او الفكرية .—

فقد اجاد في هذا الكلام وخاصة في كلامه على تطور الحياة الاجتماعية او على الجباية والمصادرة وظهرت على هذا الكلام آثار التتبع والاستقصاء ..

ولكن مباحثه الأدبية قد انحطت عن منزلة مباحثه التاريخية .—

اننا لا نزال في مباحثنا الأدبيـة بعيدين عن سواء السبيل فلا نعرف كيف نصوّر فن الشاعر وخصائص هذا الفن ولغته وطبائع هذه اللغة وهذه هي الدراسة المتكاملة .—

اما لغة الكاتب في كتابه فقد كانت سهلة في اكثر مواطنها لكن هذه السهولة قد انحدرت به في بعض المقامات الى درجة العجمة كقوله مثلاً :

الشرق الأدنى كان « تحت تأثير » الروح اليونانية

اللواتي « لعبن دوراً »

يتعصبون « ضد » ابناء الاماء

« شكل » من فتيان الاتراك جنداً

قامت بها « هيآت » منظمة

(شفيق جبري).

(١) كتاب النكاح والطلاق
(٢) كتاب الهبات وأحكام الوصايا والفرائض والأقضية

« ترجمة »

أحمد لايمش ، أستاذ مجلة الأحكام الشرعية في مدرسة تلمسان والمحامي في وهران .— الكتابان طبعا في الجزائر — الأول (٣١١ صفحة) سنة ١٩٢٦ والثاني (١٢٤ صفحة) سنة ١٩٢٨ .—

للامام ابن رشد كتاب : بداية المجتهد ونهاية المقتصد وهو يشتمل على مسائل الاحكام المتفق عليها والمختلف فيها بادلتها والتنبيه على نكت الخلاف فيها .

وقد نقل الى اللغة الفرنسية الأستاذ احمد لايمش بعض كتب من هذا الكتاب منها : كتاب النكاح وكتاب الطلاق ، ومنها : كتاب الهبات وكتاب أحكام الوصايا وكتاب الفرائض وكتاب الأقضية .—

والترجمة تدل على تمكن صاحبها من خصائص المصطلحات .—

شفيق جبري

رباعيات الخيّام

— تعريب وديع البستاني —

« مطبعة المعارف مصر »

لاتحتاج رباعيات الخيّام الى شيء من التعريف وقد كثر الذين تولوا تعريبها شعراً او نثراً وخلاصة فلسفتها ان صاحبها جاء الى هذه الدنيا اضطراراً ورحل عنها اضطراراً فلم يجد شيئاً يلهو به في هذه الحياة الا الخمر والمرأة فالدنيا عدم والآخرة عدم ، لكن هذه الفلسفة لاتخلو من هزء بعز السلطان ومن تقلب في يقين وارتياب .

اما التعريب نفسه فأحسن صفاته أنه مفهوم والكتاب قد طبع طبعاً غاية في الاتقان .—

شفيق جبري

(١) العبرات الملتهبة

(٢) على مذبح الوطنية

— بقلم —

« الياس قنصل — بيونس آيرس — ١٩٣١ »

« ديوان شعر — جزآن صغيران »

صاحب هذه النفثات شاب في مقتبل العمر خرج من وطنه سورية فاستقرت به النوى في اميركة فاضطرب قلبه فالتمس له متنفساً يتنفس منه فلم يجد غير مناجاة الطبيعة ، فتارةً كان يشكو اليها حبه فتفيض هذه المناجاة بعاطفةٍ قلقة وشعور عاصٍ ، وتارةً كان يحن الى وطنه فينقم على الطبيعة نقمة فيها جزع الشباب .

وقصائده : على مذبح الوطنية ، تشتمل على عواطف وطنية تفصح عن رغبة صاحبها في نهضة بلاده .—

شفيق جبري

المحفوظات المختارة — والموجز في علم المنطق

من اشرف من كثب على سير اللغة العربية في هذه الآونة يغتبط حين يرى هذه اللغة المحبوبة نفضت عنها غبار الخمول ومزقت نسيج العناكب المخيم فوق غارها الذي آوت اليه بعد ان استخذى سلطانها .

لقد قيض الله لها طائفة من ابنائها المخلصين فشمروا عن ساق الجد ومهدوا لها السبيل فنشطت من عقلها واخذت تحتذي على مثال اللغات الحية وترسم خطواتهن في التقدم والتوسع .

ولا يكاد يمر حين من الدهر الا نرى فيه أسلوباً جديداً وطريقاً طريفاً وكتاباً حديثاً يسد فراغاً في خزانة اللغة الشريفة ولئن ظلت ردحاً من الزمن على مثل هذه الحالة فلا تلبث بعد قليل ان تعود الى سيرتها الاولى وتبلغ مستوى اللغات الحية .

وآخر ماانتهى اليّ من الكتب المتخيرة للمدارس . كتب المحفوظات . وكتاب الموجز في علم المنطق .

« المحفوظات المختارة »

اربعة اجزاء الفهـا لطلبة المدارس الابتدائية الاستاذان الفاضلان السيد احمد علي عباس المفتش بوزارة المعارف المصرية والسيد عبـاس حسن المدرس بالمدارس الاميرية وقداشتملت هذه الأجزاء على قطع مختيرة من نظم ونثر من كلام البلغاء في هذا العصر وغيره في اغراض مختلفة بأسلوب يستهوي افئدة الطلاب ويوائم مداركهم وهي مطبوعة طبعاً متقناً بحرف واضح مشتملة على صور تصبي نفوس الأحداث ويقع الجزء الأول منها في نحو ٤٩ صفحة والثاني في ٤٠ والثـالث في ٦١ والرابع في ١٠١ ولا تـكاد تجد فيهـا مغمزاً الا امرين :

١ — قصر ما فيهـا من النشيد والتغني والترنم والوصف والحنين و .... على مصر دون غيرها . ومن حق العربي ان يكون له وطن عام وهو جميع البلاد التي يقطنها ابناء جلدته وان يحن اليها كما يحن الى وطنه الخاص ويتغنى بذكرها وماضيها وامجادها وامجادها كما يتغنى بمن في وطنه الخاص . حتى لا تنفصم الأواصر التي تربطه بقومه ولا ينشأ على الجهالة بها .

٢ — لم يكن للأمثال نصيب في هذه الكتب ولا لشيء من الشعر الموثوق بعربيته على كثرة ما فيه من السهل . مع ان ذلك يكون ذخيرة للطالب يستطيع ان يطبع على غراره عند الحاجة الى ذلك .

« الموجز »

اما كتاب الموجز في علم المنطق فقد وضعه الاستاذان الفاضلان السيد محمد حسنين عبد الرزاق المدرس بمدرسة المعلمين العليا في مصر والسيد عباس حسن المدرس بمدرسة الناصرية .

واني لا ازال على ذكر من العهد الذي تعلمت فيه المنطق ولا ازالـ اذكر ما كنت أكابده من الصعوبة واستفرغه من الجهـد في تعلمه وتفهمه — لصعوبة المنهج الذي كان المتقدمون ينهجونه .

ولقد رأيت كتاب الموجز : مهد للطالب مسلكاً جدداً جعل منه هـذا العلم على

طرف التام كما جعل مباحثه متسقة متناسقة آخذاً بعضها بحجز بعض كل ذلك باسلوب رشيق وترتيب انيق . ومن المفيد جداً ان يضاف الى ما فيه من المباحث مباحث أخرى لا يستغني الطالب عن الالمام بها ولو قليلا .

منها : بحث اللزوم . لشدة الحاجة اليه ولذكره كثيراً عند الكلام على لزوم النتيجة للمقدمتين الصغرى والكبرى .

ومنها : التعريف بالعرض العام مع الخاصة . او مع الفصل . وبالفصل والخاصة فان الأول اقوى من التعريف بالخاصة وحدها . والثاني اقوى من التعريف بالفصل وحده . والثالث اقوى من هذا الثاني على ما حققه السيد الشريف .

ومنها : ذكر المشترك وما يقابله . فقد ذكر في ص ١٠١ عند الكلام على استعمال اللفظ الواحد في معان مختلفة . ولم يعرّف تعريفاً وافياً .

ومنها : ذكر التناقض ولو بصورة مجملة . وذكر العكس اكثر مما ذكر وقد سلك المؤلفان سبيلاً محموداً مفيداً في ذكر الاسماء والاشارة الى ما يقابلها في اصطلاح المتقدمين . وذلك يسهل على الطالب فهم كتب المتقدمين عند الرجوع اليها .

ولو ذكر في مباحث (التفسير) ما يوافق او يرادف الوارد فيه . مما ذكره الاصوليون في مباحث العلل . من السبر والتقسيم وتحقيق المناط وتنقيحه . او اشير الى ذلك لكانت الفائدة أجل وأجزل لأن الطالب يبقى على صلة مع المصطلحات القديمة وفهمها . وكلما أُحكمت الصلات بين القديم والحديث كثرت فائدة الطالب من الكتب القديمة . وقلت المترادفات التي يشكومنها أكثر العلماء والأدباء في العصر الحاضر .

وبعد هذا فإن للموجز أفضل كتاب أخرجه هذا العصر في هذا العلم . ولعل وزارة المعارف الجليلة في الدولة السورية تقرر هذا الكتاب لمثل الصف الذي قرر له في مصر ، فتحسن إلى العلم والأمة عامة وإلى طلاب الفلسفة خاصة .

والكتاب مطبوع طبعاً جيداً مصحح منقح لا يكاد الواقف عليه يجد فيه شيئاً من الخطإ إلا قليلاً مثل قوله :

في ص ٢٠ ـ المصادقات . والصواب الماصدقات .

وفي ص ٤١ — حكمنا على عمر بالشجاعة .. وسياق القول يقتضي أن يكون حكمنا على عمر بالعدل وعلى علي بالشجاعة .

وفي ص ٦٧ — نظروا في كل ما حاطها كأشباهها . والأولى ما احاط بها .

وفي ص٧٢ — (كلمةُ طبيعية) عربية فصيحة . والمشهور في باب النسب ان ما كان على فَعيلة يقال فيه فَعَليٌّ أما ما جاء باثبات الياء كالسليقي في النسبة الى سليقة فهو شاذ لا يقاس عليه كما ذكر ذلك في شرح المفصل وغيره وفي ألفية ابن مالك وفَعَليٌّ في فَعيلة التزم .

ومنها قوله في ص٧٤ — من اعرف الارقام ... وقوله بعده . ان يدعي لمعرفة . والظاهر أن الألف سقطت من المعرفة الى قوله اعرف .

ومنها في ص ٧٨ — بعد نضوج ... والظاهر أن الواو زائدة لان مصدر هذا الحرف لم يجئ على فعول .

ومنها في ص ١٠٣ — مع بقاء السبب . والصواب السلب . ونحو هذا مما لا يمس قدر هذا الكتاب الجليل ولا يشوه نضرته ورونقه .

وانا لنسدي الشكر الجزيل لهؤلاء الأفاضل لخدمة هذه اللغة خدمة صادقة قائمة على حكمة صحيحة وعلم جم وذوق سليم .

سليم الجندي

« الخطرات »

« كتاب ادب واخلاق واجتماع بقلم وداد سكاكيني وهو يقع في ١٨٠ صفحة »
« من القطع المتوسط والحروف الكبيرة »

جمعت المؤلفة الفاضلة في هذا الكتاب مقالات دبجتها يراعتها في موضوعات مختلفة وهاك عناوين بعضها :

« الشاعر ، الأدب العربي ، تطور المرأة ، الفجر ، الأمل والموت ، ذكرى النبي ، الاخلاق والمدنية الحديثة ، الأطفال والأسرة ، الخنساء ، الثروة والعمل الخ » .

وقد نظرت الى الكتاب نظرة من يستقصي المادة في مقالاته ويتعرف الى مراعف اقلام المؤلفة ومقاطرها ويستجلي الروح التي اوحت اليها بتلك المقالات ٠

فاما مادة الكتاب فضعيفة وجدير بمن يكتب في الأخلاق والإجتماع ان يدرس بامعان كتب فلسفة الأخلاق وفلسفة علم النفس والإجتماع وان يقتبس منها في مقالاته حتى يتميز عن غيره بغزارة المادة ٠ ولم اجد من حيث الأدب تلك الصور الدقيقة والافكار العميقة التي يتفاضل بها الكتاب ٠ ويبدو ضعف المادة جليًا في المقالة التي عنوانها « الثروة والعمل » فإن هذا الموضوع المادي لا يعالج بالأخيلة الشعرية ٠

واما لغة الكتاب فجيدة إجمالاً ٠ ولا شك ان انشاء المؤلفة الفاضلة يفوق انشاء عدد كبير ممن يسمونهم ادباء وكتابًا ٠ ومع هذا وجدت في ثنايا الكتاب هنات تفيد الاشارة الى بعضها كقولها في ص ٤١ « يأخذ بناصية اعجابنا ؟ » وفي ص٥٩ « جمال الطبيعة البري » افلها جمال مجرم ام لا بد من ترجمة Innocent التي يستعملها الفرنسيون في هذا الصدد ٠ وفي ص ٦٥ « اقبل على تلك المظاهر الجديدة كرهًا عنه » والصحيح كَرْهًا او كارهًا او مكرهًا او على تكرُّه الخ ٠ وعدت فعل أثر بعلى في عدة مواضع (ص٨٨ و١٠٦ و١٠٧) ٠ وهو يتعدى بفي ٠ وفي ص ١٢٩ « كان لنبيهة نخبة راقية من الصديقات والصواحب ترتاح لحديثها وتستزيدها منه » ولعلها تريد ان تقول يرتحن لحديثها ويستزدنها منه ٠ وفي ص ١٧٢ « فجرح رفضها هذا إباء الأمبراطور » قلت لقد ذكرتني هذه الجملة بقولهم « جرح تواضعه » ترجمة للجملة الفرنسية Blesser sa modestie وهي كلها تجرح فؤاد المطلع على بيان هذه اللغة ٠٠٠

والروح التي اوحت الى المؤلفة بتلك المقالات هي روح عالية لأن صادق الوطنية وحب اللغة العربية والحث على التحلي بالأخلاق الفاضلة كلها تتجلى في تضاعيف الكتاب ٠

مصطفى الشهابي

كتاب الجيش العرمرم

طبع سنة (١٣٣٦ هـ) بالحرف المغربي ، مؤلفه الشيخ الوزير الكاتب ابو عبدالله محمد ابن احمد كنسوس القرشي السوسي المراكشي[1] المتوفى بمراكش سنة (١٢٩٤ هـ) .

موضوعه : تاريخ دولة الاشراف العلويين الذين اعترف لهم اهل إفريقية بشرف النسب العلوي منذ عهد جدهم الشريف علي بن الحسن بن محمد بن الحسن العلوي الداخل الى المغرب في القرن السابع للهجرة وقد استقصى بيان تاريخهم لا سيما السياسي الى سنة (١٢٨٢ هـ) .

وقلما يغني عنه كتاب في ذلك لأن المؤلف واسع العلم كثير الاطلاع تقلد الكتابة والوزارة مراراً فتسنى له أن يقف على كثير من الشؤون التي تشتد حاجة التاريخ اليها .

وفي كتابه شعر كثير وترسل جميل يليق بموضوعه لو لم يتخلله شيء من السجع فيه ما فيه .

وقد ألم استطراداً بتاريخ أشهر دول الاسلام في الشرق والغرب واستهل كتابه ببحث رائق في بيان فضل التاريخ وحقيقة الإمامة والفرق بينهما وبين الخلافة والملك ، واختتمه باسهاب في صفات الملك العادل منها ما كتبه الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز . وله مصطلحات خاصة تعين على الاختصار في تعريف الاحوال التاريخية العامة كقوله في عنوان تاريخ صدر الاسلام : اللواء الاول الابيض الاكبر ، راية يزيد بن معاوية زرقاء ، راية عبد الملك بن مروان حمراء شديدة الحمرة .

والكتاب على كثرة محاسنه لم يخل مما يوجب نقده — والعصمة لله وحده — فهاجت بمؤلفه ثورة عاطفة شديدة جعلته يحمل على الامير عبد القادر الجزائري الكبير حملة منكرة بعيدة عن الحق جداً ولعل عذره في ذلك ان المفاخرة حرمان والعين لا ترى نفسها .

عبد القادر المبارك

عضو المجمع العلمي العربي

---

(١) ترجمته في كتاب فواصل الجمان في انباء وزراء وكتاب الزمان . المطبوع سنة (١٣٤٦) هـ للكاتب الأديب محمد غريط .

Bibliotheca Alexandrina
06552776